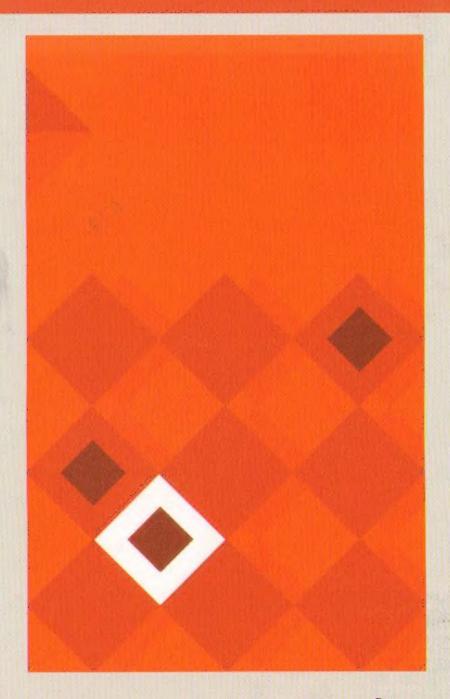
### سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها علاوطني للثقافة والفنون والأداب - الكويت



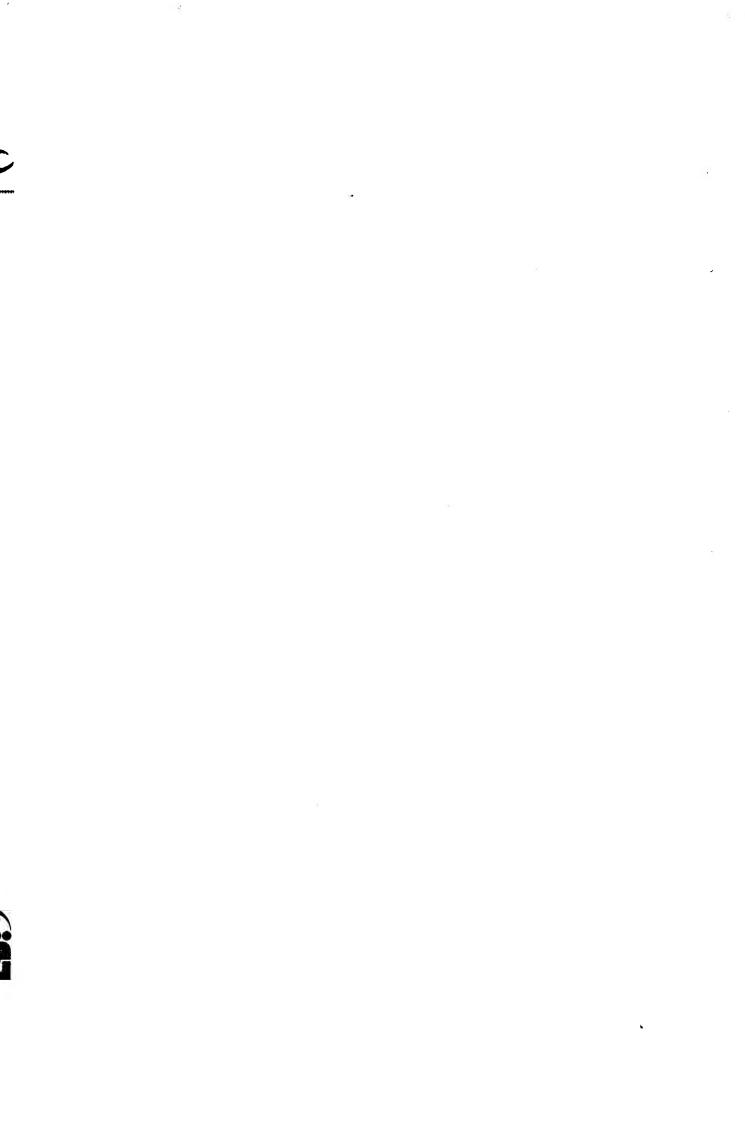
## **مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين** الجزء الأول



تأليف: بيني موريس

ترجمة: أ. د. عماد عواد







#### سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها ) المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 أسسها أحمـد مشاري العدواني (1923–1990) ود فؤاد زكريا (1927–2010)

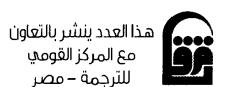
## مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الجزء الأول

تأليف: بيني موريس

ترجمة: أ. د. عماد عواد



نوفمبر 2013 406



ظللجن

پیشیان شهریا بصدرها آمجیلی اوجینی للافاق دامنون والدی

التردانية

و على حين البوطة

And the Control of th

والمراجعة المحاورة

أبغل فرنجه

وبيالانكس

ف عن زيالومي

الع تويد سيد التراكي

ورباحي سومانيد

٠,٠٥١,٠٠

a. Alice of the Concrete of the

حکولیا النامیر الله می المراف

بر فدعوسر المراكي

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

تليفون : 22431704 (965) فاكس : 22431229 (965)

www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 402 - 3

رقم الإيداع (2013/542)

العنوان الأصلي للكتاب

# The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited

By

**Benny Morris** 

Cambridge University Press, UK 2004

All Rights Reserved. Authorized translation from the English language edition published by Cambridge University Pres. No part of this book may be reproduced in any form without the written permission of the original copyright holder, Cambridge University Press.

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

ذو الحجة 1434 هـ \_ نوفمبر 2013

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

## المحتوى

9	مقدمة للقارئ العربي
<b>17</b>	مقدمة للنسخة المنقحة
29	الفصل الأول: خلفية تاريخية مختصرة
69	الفصل الثاني: «الترانسفير» في التفكير الصهيوني قبل 1948
101	الفصل الثالث: الموجة الأولى: النزوح العربي (ديسمبر 1947 – مارس 1948)

الفصل الرابع: الموجة الثانية: اللزوح العربي (أبريل - يونيو 1948) 211 359 الهوامش

### مقدمة للقارئ العربي

«أرجو أن يحظى (الكتاب) باهتمام النخب السياسية في العالم العربي، وأن يثير اهتمام الباحثين العرب بشكل فردي أو جماعي... لتقديم رواية موازية لما جرى من أحداث على أرض فلسطين خلال الفترة ذاتها، وتوضيح الأسباب الكامنة وراء النزوح الجماعي

المترجم

يسعدني أن أقدم للقارئ العربي هذه الترجمة لكتاب «مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين: نسخة منقحة» للكاتب الإسرائيلي بيني موريس، وهـو الكتاب الذي أثار وقت صدوره ضجة كبيرة داخل إسرائيل، لما تضمنه مـن حقائق صدمت العديد، أما فيما يخص القارئ العربي فإن هذا العمـل يكتسب أهميـة بالغـة لمجموعة من الاعتبارات يـأتي في مقدمتها موضوعه وانتماءات كاتبه فضلا عما احتواه من مضمون.

الكتاب، كما يتضح من عنوائه، يتناول إحدى القضايا المحورية في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، في دائرته الضيقة، والعربي - الإسرائيلي، في نطاقه الأوسع، التي وقفت عقبة كأداء أمام المساعي الرامية للوصول إلى تسويته بالطرق السلمية، فعلى الرغم من أن قرار مجلس الأمن رقم 242 لعام 1967 قد تضمن النص على «إيجاد

تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين»، وأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 191 أكد على حقهم في العودة أو التعويض، لم تتمكن الأطراف المعنية - خاصة الفلسطينية والإسرائيلية - خلال مفاوضاتها المتعاقبة، بدءا باتفاق أوسلو، ومرورا بقمة كامب ديفيد الثانية ومؤتمر أنابوليس، من التوصل إلى صيغة متفق عليها لتسوية هذا الملف، حيث تسك كل طرف بموقف يتعارض مع طرح الطرف الآخر، فعلى حين رفض الموقف الإسرائيلي الرسمي فكرة العودة لأسباب أمنية وتاريخية، أصر الطرف الفلسطيني عليها باعتبارها «حقا»، وهنا تبرز أهمية الكتاب موضع الترجمة الذي يتناول نشأة هذه المشكلة، بما يعنيه ذلك من محاولة تحديد الطرف المسؤول عن نشأتها بعيدا عن المواقف الرسمية للأطراف، واستنادا إلى ما اطلع عليه من وثائق يهودية وإسرائيلية، خاصة في أرشيف الهاغاناه وجيش الدفاع الإسرائيلي الذي حل محلها منذ إعلان استقلال دولة إسرائيل في مايو 1948، وإذا كان المؤلف قد سعى إلى إلقاء الضوء - انطلاقا من قراءته للوثائق المتاحة - على الدوافع والأسباب الكامنة وراء ظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، فإننا ننقلها إلى القارئ العربي تاركين له حرية تقييمها والحكم عليها الفلسطينيين، فإننا ننقلها إلى القارئ العربي تاركين له حرية تقييمها والحكم عليها بشكل موضوعي.

سطر صفحات هذا الكتاب الضخم، الواقع في ستمائة وأربعين صفحة، الكاتب الإسرائيلي بيني موريس الذي كان أول من أطلق مصطلح «المؤرخون الجدد» في العام 1988، ليعبر عن تيار فكري قاده عدد من المؤرخين الإسرائيليين سعى إلى إعادة كتابة التاريخ الإسرائيلي، وضم هذا التيار في صفوفه، إلى جانب موريس، شخصيات أخرى من قبيل: إيلان بابي وآفي شلايم، وشولومو ساند وغيرهم. وفي هذا السياق تحديدا تبرز الأهمية الخاصة للكتاب موضع الترجمة باعتباره يعبر عن مدرسة فكرية إسرائيلية جديدة من جانب، ويمثل محاولة لإعادة كتابة التاريخ فيما يتصل بقضية مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من جانب آخر، بعيدا عن كل من الرؤيتين المتعارضتين الإسرائيلية والعربية.

في هـذا الصدد، قـد تكون من المفيد الإشـارة إلى ما كتبه نيل كابـلان (\*)، واصفا كتابات وأسلوب بني موريس، حيث قال: «إن دراساته المنشورة عن الموضوعات الصعبة تعكس التزاما مهنيا ونظاما صارما يسمي الأشياء بأسمائها، ولا يتردد في القيام بنقد لاذع

Niel Caplan, The Israel-Palestine Conflict, Wiley Blackwell, 2010, UK: (\*)

استنادا إلى قراءته، ونشير هنا إلى نتائيج أبحاثه التي نُشرت العام 1988 حول طرد وهروب اللاجئين الفلسطينيين، والتي استند فيها أساسا على المصادر الأولية الصهيونية والإسرائيلية، وكان من شأن ذلك أن زلزل الأرض وفتح الأعين، وتلقى موريس كلا من المدح والنقد على عمله الذي تضمن العديد من الأحكام القاسية التي تحدت عددا من الأساطير لدى اليهود والإسرائيليين حول الخروج الطوعي المزعوم للفلسطينيين، وسلوك الميليشيا الصهيونية والمقاتلين الإسرائيليين خلال 1947 - 1949».

خلال قيامه بعرض نقدي لكتاب نشره زميل من «المؤرخين الجدد»، قدم بيني موريس وصفا للمعاناة التي يواجهها للالتزام بالموضوعية وتحييد آرائه الشخصية عند كتابته أبحاثه ودراساته، حيث كتب: «في حين أن المؤرخين ـ بوصفهم مواطنين لديهم وجهة نظرهم وأهدافهم السياسية ـ فإن عملهم الأكاديمي يتمثل في محاولة الوصول إلى الحقيقة حول الحدث أو العملية التاريخية لإلقاء الضوء على الماضي بموضوعية ودقة على قدر الإمكان، أعتقد أن هناك شيئا اسمه الحقيقة التاريخية توجد مستقلة عن الباحثين، ويمكن فصلها عن شخوصهم، وأن واجب المؤرخ محاولة الوصول إليها باستخدام أكبر قدر من المصادر المتاحة، وعلى المؤرخ عند كتابته التاريخ أن يتجاهل السياسة المعاصرة، ويحيد توجهاته السياسية وميوله الشخصية، في الوقت الذي يسعى فيه إلى اختراق ظلمة الماضي».

لم يكن مضمون الكتاب موضع الترجمة جديدا بالنسبة إلى المؤلف، حيث سبق له أن أصدر النسخة الأولى منه العام 1988، ليخرج علينا بعد قرابة الخمسة عشر عاما بنسخة منقحة جاءت أكثر شمولية، سواء من حيث التفاصيل أو تداركها بعض النواقص أو تضمنها ردودا على عدد من الانتقادات التي تم توجيهها إلى النسخة الأولى، فضلا عن استعانتها بمواد أرشيفية جديدة دعمت من عرضه التاريخي، وأضفت عليه طابعا وثائقيا يسعى - على قدر الإمكان ـ إلى طرح صورة واضحة لمجريات الأحداث في بقاع فلسطين المختلفة وتطورات الصراع على أراضيها والأسباب التي دفعت «عرب فلسطين» الفسرار أو النزوح الجماعي خلال الفترة الممتدة من الربع الأخير للعام 1947 وحتى ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، كذلك حملت النسخة المنقصة في طياتها تفاصيل جديدة كشفت عنها الوثائق التي تم رفع درجة السرية عنها في الفترة التي تلت صدور النسخة الأولى، مما مكن المؤلف من تقديم صورة أشمل للتطورات الميدانية في مختلف النسخة الأولى، مما مكن المؤلف من تقديم صورة أشمل للتطورات الميدانية في مختلف

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

الجبهات، وعرضا مفصلا للطرق المختلفة التي تعاملت بها قوات الهاغاناه وغيرها من التنظيمات المسلحة (خاصة الإرغون وشترن) مع «العرب الفلسطينيين».

وفرت النسخة المنقحة فرصة للمؤلسف للرد على العديد من الانتقادات التي تعرض لها بعد صدور النسخة الأولى لكتابه، سواء فيما يتصل بعدم تناوله للد «الفظائع» التي ارتكبها العرب ضد اليهود في فلسطين، أو اقتصاره على سرد تلك التي اقترفها اليهود - خاصة في دير ياسين - وما كان لها من أثر كبير في الإسراع بوتيرة النروح الجماعي الفلسطيني لما مثلته من هاجس أمني وما حملته في طياتها من مخاوف من تكرار ارتكاب الفظائع ضد المدنيين في أماكن أخرى حال استمرارهم في البقاء. كذلك قدمت النسخة المنقحة مجالا أسهب من خلاله الكاتب في عرضه لفكرة «الترانسفير» (المقصود «النقل» أو «التهجير القسري»)، حيث تتبع جذور هذه الفكرة في الأيديولوجية الصهيونية، وعلى الرغم من تأكيده على أن اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسطين) لم يدخل الحرب بخطة ممنهجة لتحقيق «الترانسفير»، فإنه اليهودية في فلسطين) لم يدخل الحرب بخطة ممنهجة لتحقيق «الترانسفير»، فإنه ذكر أن الفكرة كانت حاضرة في ذهن الجميع سواء على مستوى القيادة السياسة أو العسكرية، وأن الجميع كان مقتنعا بمقولة أن إسرائيل بأقلية عربية ضئيلة ستكون أفضل حالا منها بأقلية كبيرة أو أكثرية عربية.

خلال استعراض القارئ العربي فصول هذا الكتاب وغوصه في تفاصيلها ستتكشف أمام عينيه مجموعة من النقاط الإضافية التي تضاعف من أهميته في تقديم فهم أكثر عمقا لحقيقة ما حدث، ولعل من بين أبرز هذه النقاط ما يلى:

- 1 يعيد الكتاب إلى الأذهان أسماء قرى فلسطينية تلاشت من الذاكرة إثر تسويتها بالأرض على يد القوات الإسرائيلية، ثم بناء مستوطنات جديدة امتلأت بالمهاجرين اليهود الذين تدفقوا على «أرض الأجداد» على مر العقود.
- 2 يبرز الكتاب كيفية تعامل كل من الطرفين العربي واليهودي مع أحداث مهمة في تاريخ المواجهات على الأراضي الفلسطينية ومحطات تاريخية مهمة من قبيل النزوح الجماعي من يافا وحيفا واللد والرملة والأسباب التي وقفت وراء سقوط القرى والمدن الواحدة تلو الأخرى كقطع «الدومينو».
- 3 يكشف الكتاب من خلال الوثائق اليهودية والإسرائيلية عن كيفية تعاطي كل من القيادة السياسية والعسكرية اليهودية مع ظاهرة الفرار والنزوح

الجماعي الفلسطيني، سواء من خلال تشجيعها أو السعي إلى الإسراع من حدوثها باستخدام وسائل الضغط النفسي على المناطق المقرر اجتياحها، وفي هذا الخصوص يجدر التركيز على ما أظهره المؤلف من وجود درجة من درجات الغموض المتعمد أو الإغفال في الوثائق الرسمية حول كيفية التعامل مع المدنيين في المناطق التي يتم الاستيلاء عليها.

- 4 انطلاقا من الوثائق الرسمية، يركز المؤلف الضوء على بعض الفظائع التي ارتكبتها التشكيلات العسكرية اليهودية منذ شهر نوفمبر 1947، ويوضح كيفية تعامل القيادة السياسية والعسكرية مع مرتكبي مثل هذه الفظائع، الذين ظلوا بعيدا عن طائلة العقاب الرادع الذي يتناسب مع ما أقدموا عليه من أفعال، مما يعكس درجة من درجات الموافقة الضمنية على اقتراف هذه الأفعال بهدف الوصول إلى تحقيق هدف «الدولة اليهودية» أو الدولة الإسرائيلية التي تتضمن أقل عدد من العرب الفلسطينيين.
- 5 يتكشف من خلال سطور الكتاب الدور الذي مارسه العديد من الشخصيات اليهودية المدنية والعسكرية في الضغط من أجل «تطهير» قرى ومدن من سكانها الأصليين، وإحلال مهاجرين يهود قادمين من أوروبا الشرقية محلهم، وتتركز الأضواء بشكل صارخ على شخصية يوسف ويتز مسؤول صندوق التمويل الوطني اليهودي الذي ترك بصمات واضحة سواء في ملف شراء الأراضي الفلسطينية، أو في تشكيل لجنة لـ «الترانسفير» التي قامت بالفعل عمارسة عملها على أرض الواقع سواء بطرد السكان أو هدم القرى المهجورة من دون أن تكون في حوزته موافقة مكتوبة من رئيس الحكومة آنذاك ديفيد بن غوريون.
- 6 يفرد المؤلف فصلا كاملا لعرض الجهود التي بُذلت خلال العام 1949 لحل مشكلة اللاجئين من خلال مؤتمر لوزان، وتكشف سطور هذا الفصل عن طريقة التفكير الإسرائيلية في التعامل مع هذا الملف ومحاولتها استثماره آنذاك، كما يخصص المؤلف ملحقا يتناول فيه خلاف الطرفين حول تحديد عدد اللاجئين آنذاك والدوافع وراء ذلك، ولعلنا نجد في هذا مؤشرا ظهر بشكل مبكر حول مدى صعوبة التعامل مع الملف وتعقيداته خاصة بعد مرور عقود، ارتفع

خلالها عدد اللاجئين ليصل إلى الملايين بدلا من مئات الألوف في وقت تلاشت فيه الديار في قرى الأجداد والآباء لتحل محلها مستوطنات يهودية تقطنها أجيال مختلفة من اليهود.

أخيرا، فإنني إذ أشرُف بتقديم هذا الكتاب المهم للقارئ العربي لأرجو أن يحظى باهتمام النخب السياسية في العالم العربي، وأن يثير اهتمام الباحثين العرب بشكل فردي أو جماعي - تحت مظلة جامعة الدول العربية - لتقديم رواية موازية لما جرى من أحداث على أرض فلسطين خلال الفترة ذاتها وتوضيح الأسباب الكامنة وراء النزوح الجماعي للفلسطينيين، استنادا إلى الوثائق المتناثرة في الدول العربية المعنية، فضلا عن تلك التي قد تكون في حوزة السلطات الفلسطينية ومراكز الأبحاث العربية، خاصة أن مؤلف الكتاب حرص في مقدمته على التركيز على الافتقار إلى دراسة عربية شاملة - تستند إلى الوثائق - تتناول هذا الملف بشكل موضوعي. وإذا كان بعض المفكرين العرب قد رأوا في بروز المؤرخين الجدد في إسرائيل اعترافا متأخرا بعدم إمكانية الدفاع عن «التاريخ الرسمي القديم والمشوه» للصهيونية وإسرائيل، وبرهانا على صحة وحقيقة روايتهم كضحية على يد الاستعمار الصهيوني أن ننتظر أن يتقدم الآخر بالتصحيح الذي لتقديم الرواية العربية الصحيحة من دون أن ننتظر أن يتقدم الآخر بالتصحيح الذي قد يكون منقوصا أو لا يعكس بدقة حقيقة ما جرى، فضلا عن أن مواقف الأشخاص قد تتبدل وتتغير من آن إلى آخر حتى إن تعلق الأمر جورخين جدد.

عماد عواد

<sup>(\*)</sup> على سبيل المثال كتب الشاعر الفلسطيني زكريا محمد: «إن الحاجة إلى مؤرخين إسرائيليين جدد نبعت من وجود تاريخ لا يمكن أن يقف أمام النقد الجاد. وبعد كل شيء... من هو المؤرخ الجاد الذي يمكنه أن يصف الحركة الصهيونية بأنها حركة تحرر وطني؟ الفلسطينيون يرون المؤرخ الإسرائيلي الجديد كنادم وتائب أكثر مما هو مؤرخ جديد، فالتاريخ الذي يقدمه ليس إلا اعترافا أمام كاهن التاريخ، هذا اعتراف بالذنب وليس أكثر، وعلى الجانب الآخر، فإن المؤرخ الفلسطيني لا يمكن أن يكون نادما لأنه ليس لديه ما يعترف به لكاهن التاريخ» [المترجم].

## شکر وتقدیر

كُتبت النسخة الأصلية لهذا الكتاب في الفترة من 1982 إلى 1986، واقتصر الدعم المالي المخصص لها آنذاك على ما حصلت عليه من المركز البريطاني، فقد ساعدتني المنحة التي تلقيتها منه على القيام بالبحث في الأرشيف البريطاني، وفي مرحلة لاحقة تمكنت من إلقاء محاضرة في إطار حلقة نقاشية حول مشكلة اللاجئين في جامعة أكسفورد، ومن ثم أتوجه بالشكر لكل من المركز والجامعة على ذلك، كذلك أتوجه بشكري إلى كل من روبرت أوين الذي كان آنذاك زميل كلية سانت أنطونيو في أكسفورد، الذي يشغل خاليا منصب أستاذ التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط بجامعة هارفارد، والأستاذ يهشوا بورات، مؤرخ الشرق الأوسط والأستاذ الفخري بالجامعة العبرية في القدس، على تعاطفهما ومساعدتهما طوال فكرة إعداد هـذا الكتاب؛ حيث أدين لهما بدين

كبير، كذلك فإن عضويتي كمشارك رفيع في كلية سانت أنتوني – والتي حصلت عليها بمساعدة البروفسور أوين والحاصلين على الزمالة في الكلية - سهلت مهمتي البحثية. وأود أن أشير إلى أنني كثيرا ما لاحقت الراحل ياكوف شاموني – خبير قضايا الشرق الأوسط والمسؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية - باستفساراتي، مما يتطلب توجيه شكر خاص له على ما أبداه من صبر وقدمه من عون. وفضلا عما تقدم أود أن أتوجه بالشكر إلى البروفيسور ياؤوف غلبير بجامعة حيفا الذي لم يبخل علي بوقته ومعرفته.

منذ العام 1997 أعمل عضوا بهيئة تدريس في جامعة بن غوريون في بيرشافا (بئر السبع) بإسرائيل، حيث استمتعت على مدار أعوام طويلة بصداقة ومساعدة البروفسور جيمي وينبلات، العميد السابق لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية الذي يشغل حاليا منصب رئيس الجامعة، وهو الشخص الذي أشعر تجاهه بدين كبير، وينطبق الشيء نفسه على صديقي جيف أبل، الذي ساعدني إلى أقصى مدى على مدار سنوات طويلة فيما يتصل بالأساليب الخاصة باستخدام الحاسب وغيرها للانتهاء من عمل هذا الكتاب.

لا يفوتني كذلك أن أشكر العاملين في أقسام الأرشيف المختلفة الذين لجأت إليهم في أوقات عديدة خلال عملية إعداد النسخة الأولى من هذا الكتاب فضلا عن النسخة المعدلة للحصول على المعلومات، ويشمل ذلك كلا من: يهشوا فريتدليش ويميما روزنتال في أرشيف دولة إسرائيل؛ ودورون أفياد في أرشيف وزارة الدفاع؛ والعاملين في أرشيف الهاغاناه؛ ومكتب السجلات العامة؛ والأرشيف الوطني للولايات المتحدة، وأرشيف الأمم المتحدة، وأرشيف مركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنتوني بأكسفورد؛ والأرشيف المركزي الصهيوني؛ وأرشيف هاشومير؛ وأرشيف هاشومير هتزائير؛ وأرشيف كيبوتز عين المرود، وأرشيف حزب العمل، وأرشيف الهستدروت، وأرشيف معهد جابوتنسكي، وأرشيف ديفيد بن غوريون، وأرشيف بلدية كل من حيفا وطبريا؛ والأرشيفات الخاصة وأرشيف ديفيد بن غوريون، وأرشيف بلدية كل من حيفا وطبريا؛ والأرشيفات الخاصة بعدد من تجمعات الكيبوتسات خاصة مشمار هعيمك وهازور ومعنيت.

وبالتأكيد فإن ديني الأكبر هو لأسرق - زوجتي ليا، وأطفالي إيريل وياغي وأوران، الذين تحملوا التزامي عبر سنوات بالانتهاء من إعداد كل من النسختين الأصلية والمنقحة من هذا العمل.

### مقدمة للنسخة المنقحة

في عام 1988 نُشرت الطبعة الأولى من هـذا الكتاب، الـذي سـعى إلى وصف ميلاد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، التي كانت بالتوازي مع قيام دولة إسرائيل، النتيجة السياسية الرئيسية لحرب عام 1948. وقد بحثت الدراسة في كيفية وأسباب قيام ما يقارب من ستمائة ألف إلى سبعمائة وستين ألف فلسطيني بترك ديارهم والانتقال إلى مناطـق أخرى من فلسـطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) أو خارجها وبشكل أساسي في الأردن، وسورية، ولبنان(1). ويوجد اليوم على كشوف الأمم المتحدة ما يقارب أربعة ملايين لاجئ فلسطيني (يلاحظ أن السلطة الفلسطينية تحدد العدد بخمسة ملايين)، يعيس ما يقارب الثلث فيما يطلق عليه «مخيمات» اللاجئين، والتي هي في واقع الأمر

«لم أبدأ هــذا البحث بناءً على التزام أيديولوجـي أو اهتمام سـياسي، بل سعيت ببساطة إلى معرفة ما حدث»

المؤلف

أجزاء مبنية في ضواحي المدن (من قبيل نابلس، غزة، رام الله، بيروت، دمشق، عمان... الخ).

بشكل مثير للاستغراب لم ينتج إلا عدد قليل جدا من الدراسات التاريخية حـول هذا الموضوع سـواء خلال العقود الأربعة التي سـبقت إصدار النسـخة الأصلية لهذا الكتاب أو حتى بعد صدورها، حول كيفية وأسباب تحول هؤلاء الفلسطينيين إلى لاجئين؛ ففي أعقاب عام 1948 مباشرة تم نشر التأريخ للأحداث بواسطة قبل المبعدين الفلسطينيين، ومن بينهم عارف العارف («النكبة: 1947-(«من آثار النكبـة»)(2) والحـاج محمـد غر الخطيب («من آثار النكبـة»)(3)، وبعد مرور ما يقرب من عقد من الحرب، نشر الباحث الفلسطيني وليد الخالدي دراستين أكاديميتين: «سـقوط حيفا»<sup>(4)</sup>، و«لماذا غادر الفلسـطينيون؟»<sup>(5)</sup>، مما ألقى ضوءا جديدا على بعض جوانب الموضوع. وتعد رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث الإسرائيلي روني غاباى تحت عنوان: «دراسـة سياسـية للصراع العربي- اليهودي: دراسة حالة مشكلة اللاجئين»(6)، التي تم نشرها عام 1959 أول ورقة بحثية رئيسية حول أصل مشكلة اللاجئين اعتمدت على وثائق الأمم المتحدة المتاحة والصحف. وبعد مرور عقدين على ذلك، نشر الباحث الفلسطيني نافذ نزال دراسته تحت عنوان: «النزوح الجماعي الفلسطيني من الجليل 1948»(<sup>7)</sup>، التي اعتمدت بشكل شبه كامل على مقابلات أجريت بداية السبعينيات في مخيمات اللاجئين منطقة بيروت، وبعد مرور عدة سنوات قام الباحث الإسرائيلي باروخ كيميرلنع بنشر مؤلف بعنوان «الصهيونية والأرض: الأبعاد النفسية المتصلة بالأرض في السياسات الصهيونية»(8)، الذي ساهم في فهم ماذا حدث.

على مر العقود التي أعقبت عام 1948 نشر عدد من الإسرائيلين والفلسطينين دراسات وقصصا جادة ألقت الضوء على هذا النزوح الجماعي استناداً إلى تجميع شخصي للوقائع وتحليل موضوعي، ومن أبرزها ما نشره إبراهام كليمان تحت عنوان: «كيربت كيزا وذكريات أخرى غير سارة»(9)، وأس ايزهار («قصة كيربت كيزا»)(10)، وإلياس شوفاني («سقوط قرية»)(11)، إلا أنها عانت جميعا من نقص نسببي في المعلومات المستقاة من الأرشيف. وفي الأعوام الأخيرة قام عدد من الباحثين الإسرائيليين الشبان بإعداد رسائل ماجستير ودكتوراه ونشر مقالات

حول الهجرة الجماعية في مناطق محددة من فلسطين، وقام ياؤوف غيلبر بنشر مؤلف تحت عنوان «فلسطين 1948: حرب، هروب، ونشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» (12)، يعالج في جزء منه المشكلة محل النقاش في هذا الكتاب.

إن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتداعياتها قد هزت منطقة الشرق الأوسط وأزعجت العالم لأكثر من خمسة عقود، كما أن أعمال العصابات والغارات التي تست داخل إسرائيل من قبل هؤلاء اللاجئين ساعدت على إشعال فتيل ثلاث حروب عربية - إسرائيلية تقليدية على الأقل (أعوام 1956، و1967، و1982)، كذلك فإن الإرهاب الفلسطيني، خاصة الاعتداء على ركاب الخطوط الجوية أو اختطاف الطائرات خلال فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، أفضى إلى حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار في العالم أجمع، وأخيرا - منذ عام 2000 - ابتلع التمرد الفلسطيني (الانتفاضة الثانية) والذي تحت تغذيته بشكل كبير من مخيمات اللاجئين، عملية السلام العربية - الإسرائيلية وأدى إلى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط.

اتضحت محورية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في الصراع خلال المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية - الأمريكية التي جرت في الفترة من يوليو 2000 حتى ينايـر 2001 (خلال قمة كامب ديفيد وما أعقبها)؛ حيث برزت قضية اللاجئين باعتبارها أكثر القضايا أهمية وصعوبة في التناول؛ ففي حين أكد العرب على حقهم في «العودة» إلى ديارهم وأراضيهم الذين فقدوها، رفضت إسرائيل هذا المطلب معللة موقفها بأن تطبيق ذلك سيؤدى إلى زوال الدولة اليهودية، ومنذ ذلك الحين أضحى السؤال حول سبب تحويل مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى لاجئين عام 1948 موضوعاً رئيسـيا للدعاية من جانب كل من إسرائيل والدول العربية، وتمثلت الشكوى العربية بشكل عام في أن اليهود أقدموا على طرد الفلسطينيين بتعمد وتخطيط مسبق، وهو ما تم توظيفه - كجزء من مخطط الفلسطينيين بتعمد وتخطيط مسبق، وهو ما تم توظيفه - كجزء من مخطط سياسي - عسكري ممنهج - لتأكيد التصويـر العربي لإسرائيـل باعتبارها دولة سارقة شريرة لا أخلاق لها، وفي المقابل فإن الرواية الإسرائيلية الرسـمية القائلة ان الفلسـطينيين قـد فروا «طواعيـة» (جعنى أن فرارهم لم يـأت نتيجة لإكراه مارسه اليهود) أو أنه قد طلب إليهم أو تم توجيه الأوامر إليهم بالفرار سواء من

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

قبل قادتهم أو قادة الدول العربية، قد ساعدت في الحفاظ على صورة الدولة اليهودية سليمة كملاذ للشعب الأكثر تعرضا للاضطهاد في العالم، وأمة أكثر عدلاً تستحق التعاطف والمساندة من الغرب أكثر من البحر المحيط بها من مجتمعات عربية رجعية، شبه إقطاعية وديكتاتورية.

أثار نـشر الطبعة الأولى من هـذا الكتاب عـام 1988 الكثير من الغضب والجدل؛ وبدت النتائج التي توصلت إليها أنها لا ترضي أحداً (باستثناء القليلين الذيـن يحبـون تاريخهم معقداً ودقيقا)، ولم يذهـب الكتاب إلى تبني أي من الرواية الرسمية الفلسطينية أو الإسرائيلية، بل إنه كان يميل حقاً إلى أن يقوض كلتيهـما. لقد تم الحـط من قدري من خلال أوصاف مـن قبيل «رجل دعاية لمنظمة التحرير الفلسطينية» أو «رجل دعاية صهيـوني معقد»، كما أنه، وف حالات قليلة، استخدم وصف «مؤرخ سيئ».

لم أبدأ هذا البحث بناء على التزام إيديولوجي أو اهتمام سياسي؛ بل سعيت ببساطة إلى معرفة ما حدث، وغالبا ما يجد الصحافي نفسه مدفوعا لتأليف كتاب في مرحلة معينة من عمله المهني، ومن جانبي كنت قد قررت أن أكتب عن تاريخ بالماخ، القوة الضاربة للهاغاناه التي كانت القوة الرئيسية للمجتمع اليهودي في فلسطين، وفي مرحلة لاحقة لجيش الدفاع الإسرائيلي في عام 1948. كنت على الدوام راغبا في الكتابة عن التاريخ العسكري الذي لم يكتب شيء جاد بخصوصه، وفي نهاية عام 1982 حصلت من قبل مؤسسة قدامي محاربي بالماخ (دور هابالما) على ميزة الاطلاع على الوثائق كانت لا تزال سرية عن مركز قيادة الهاغاناه، إلا أنه بعد مرور شهور قليلة - وربما بسبب الشعور بالخوف من أن يؤدي ذلك إلى مشاكل - تم وضع نهاية لهذا التصريح بشكل فجائي، وعلمت أنني لن أمّكن من كتابة التاريخ على النحو الذي كنت أخطط له، ومع ذلك فإنني كنت قد قرأت مجموعة من المستندات - حملت في أغلبها تصنيف «سرى للغاية» - ألقت الضوء على نشأة قضية اللاجئين، وهو ما ولد الشعور لدي بأنه قد يكون من الممكن كتابة شيء جيد حول هذا الموضوع. ومن المصادفات الكاشفة في هذا الخصوص أن اهتمامي بالملف كان قد بدأ يتعاظم قبل ذلك بأسابيع قليلة حينما تم إيفادي مراسلا لتغطية الغزو والاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. فهناك - في شهر يونيو 1982- بين حطام مخيم الرشيدية للاجئين خارج بلدة صور، كانت المرة الأولى التي ألتقي وأتحاور فيها مع لاجئين قادمين أصلاً من منطقة البصة في الجليل.

وكما هي الحال بالنسبة إلى الجنرالات، فإن المؤرخين يحتاجون إلى الحظ، وقد كان عام 1982 محورياً فيما يتصل بالأرشيف الإسرائيلي؛ حيث بدأت الحكومة في كشف كميات كبيرة من مستندات عام 1948 المتاحة في أرشيف دولة إسرائيل، وبالتزامن مع ذلك، بدأت أرشيفات الأحزاب والمحليات في تنظيم وإتاحة العديد من المستندات، وكان من شأن إضافة كل ذلك إلى ما تمكنت من الاطلاع عليه في أرشيف بالماخ، أن أصبح متوافرا لدي أساس صلب من المستندات يمكن معه كتابة دراسة متأنية.

بالرغم من ذلك، مثلت الوثائق العربية مشكلة رئيسية، فلسوء الحظ فشل الفلسطينيون في تقديم والحفاظ على "مستندات دولة" عن الفترة من 1947 حتى 1949، وفيما يتصل بالدول العربية، التي خضعت جميعها بشكل أو آخر من أشكال الديكتاتوريات (سواء كان ذلك في شكل حكم عسكري أو ملكيات مطلقة أو غيرها)، فقد منعت واستمرت في منع الوصول إلى مستنداتهم منذ حرب عام 1948، والتي اعتبروها، ولا يزالون، كارثة مهينة. وخلال البحث والكتابة قمـت ببذل قصارى جهدي لإيضاح هذه «المنطقـة الغامضة» من خلال غربلة وتنقية وثائق الاستخبارات اليهودية أو الإسرائيلية وكذلك المراسلات الديبلوماسية البريطانية والأمريكية التي اتصلت بالعالم العربي، وعلى وجه التحديد بمشكلة اللاجئين الناشئة، فمصادر الديبلوماسيين وأجهزة الاستخبارات مكنت إلى حد ما من ملء الفراغ في فهم ما كان يحدث بالميدان في قرى ومدن فلسطين عام 1948، وإن كانت أقل فائدة فيما يتصل باتخاذ القرارات السياسية في العواصم ومقار القيادة العسكرية العربية. وبالنظر إلى الفوضى والتخبط والغياب العام لسياسة واضحة في تلك العواصم فيما يتصل بالمشكلة الناشئة خلال الفترة من نوفمبر 1947 حتى يونيو 1948، فإن هذه الندرة في المعلومات كانت أقل أهمية مما بدت عليه في البداية، فكما ثبت في النهاية، لم تكن هناك إلا صلة ضئيلة بين ما كان يناقش واتخاذ القرارات بصدده من قبل القادة العرب داخل أو خارج فلسطين، وما كان يحدث بالفعل في الميدان.

استعانت الدراسة كذلك باليوميات والمذكرات والكتب العربية التي استندت إلى مقابلات، رغبة مني في استكمال الصورة. وقد أنبني عدد من المستشرقين الاسرائيلين، (وليس العرب أنفسهم بشكل يثير الاستغراب)، على فشل كتابي في تنقية وغربلة الذكريات العربية بشكل أكثر شمولاً، وفي المقابل فإن أحداً لم يكن في استطاعته إظهار إلى أي مدى كان لاستخدام هذه المواد المهملة حتى ذلك الوقت أن يساعد بشكل جوهري، أو هامشي، في تغيير أو تدعيم الصورة التي الوقت من رسمها استنادا إلى الوثائق الإسرائيلية والغربية.

بعد تفكير متأن أمسكت تقريبا بشكل تام عن استخدام أسلوب المقابلات والحوارات، سواء مع اليهود أو العرب، كمصادر للمعلومات الملموسة، فخبري القصيرة في هذا المجال أقنعتني بأنه من غير المرغوب فيه الاعتماد على الذاكرة البشرية لإلقاء المزيد من الضوء على الحدث بعد انقضاء ما بين أربعين إلى خمسين عاماً على وقوعه. ولقد جاء العامل الحاسم في هذا الصدد حينما توجهت بالسؤال إلى يغائيل يادين (الأستاذ الشهير في مجال الآثار الذي خدم في العام 1948 كرئيس عمليات جيش دفاع الهاغاناه، وغالبا كرئيس للأركان كأمر واقع) حول طرد العرب من مدن اللد والرملة (والذي مثل أكبر حالات الطرد خلال الحرب)، فكان رده بالتساؤل: أي طرد؟! وعلى الرغم من أنه لم يُنكر حدوث عملية طرد، فإنه ذكر ببساطة أنه لا يستطيع أن يتذكر.

في المقابل، آمنت بقيمة الوثائق، فبالرغم من أن الوثائق المعاصرة ربا قد تعطي معلومات مُضللة أو تتضمن تحريفاً أو حذفا أو كذبا، فإنها، وفقا لخبرتي المحدودة، أقل بكثير في هذا المجال من اللقاءات والحوارات التي تدور حول موضوعات خلافية ترجع إلى أربعين أو خمسين عاماً، فقد أظهرت هذه الخبرة القصيرة في اللقاءات فجوات ضخمة بالذاكرة ووجود ثوابت وانتماءات إيديولوجية وأجندات سياسية، ولقد وجدت أن اللجوء إلى اللقاءات من وقت لآخر يمكن أن يساعد على إضفاء «لون» وفي رسم صورة للظروف والمشاعر السائدة، ولكن ليس لإيضاح «الحقائق».

إن قيمة الشهادات الشفهية حول العام 1948 قد تلاشت بعد مرور عشرين عاماً على بدايتي في البحث حول مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينين؛ حيث

بهتت الذكريات الماضية أكثر واكتسبت ذكريات جديدة ومنطلقات إيديولوجية وطغت الأجندات السياسية، ولم تقدم الانتفاضات والانتفاضات المضادة شيئا في مجال إنقاذ الحقيقة التاريخية.

كان من أسباب سعادتي ما أسفرت عنه سياسات الأرشيف الإسرائيلي من إزالة صفة السرية عن كميات ضخمة من المواد الأرشيفية التي كانت محظورة وقـت كتابتي للنسخة الأولى من هذه الدراسة، وعلى وجه التحديد أتيحت أغلبية اتفاقيات المجلس الوزاري عن الفترة من 1948 إلى 1949، كذلك رفعت وزارة الدفاع الإسرائيلية الحظر عن مئات الآلاف من الوثائق الخاصة بقوة الدفاع الإسرائيلية وأرشيف الهاغاناه، وكان كلاهما محظوراً على أي شخص لا يعمل في وزارة الدفاع، الأمر الذي كان بمنزلة هدية كبيرة للمؤرخين. وفي حين استمر أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية وأرشيف دولة إسرائيل في إبقاء السرية على عدد من الوثائق الحساسة، تم رفع السرية عن الكثير من الوثائق التي أصبحت متاحة أخيرا، (بما في ذلك الكثير، إن لم يكن أغلب وثائق عمليات قوات الدفاع الإسرائيلية والاستخبارات منذ العام 1948) بشكل يكفل تقديم نظرة جديدة على الأوضاع التي ولدت مشكلة اللاجئين.

لا يساورني شك في أن رفع السرية المحتمل عن الوثائق التي مازالت محظورة أو تـم تصنيفها عـلى أنها "سرية" حديثا من قبل المسـؤولين في وزارة الدفاع، وكذلك الوثائق التي مازالت تقبع في مخازن أرشيف الاسـتخبارات الإسرائيلية في غليلوت، سيسـفر عن المزيد من الاكتشافات والتعمق، وبالرغم من ذلك فإن الكثير الذي أتاحته سـمح بتكوين فكرة جيدة عما حدث؛ حيث إن الوثائق التـي تم توفيرها مؤخرا تساعد على إيضاح الصورة والفهم لما وقع في أجزاء مختلفة من فلسطين خلال العام 1948 - وما حدث أسبوعا تلو آخر، وشهرا تلو آخر في يافا وحيفا والقـدس، وكذلك في المناطق الريفية؛ ومن جانب آخر (وهو ما يثل مفارقة لا تتماشى مع مواقف رجال الدعاية الإسرائيليين والفلسـطينيين على السـواء أو المؤرخين الذين يميلون إلى القطـع في الأمور)، فإن هذه الوثائق على السـواء أو المؤرخين الذين يميلون إلى القطـع في الأمور)، فإن هذه الوثائق تعزز بشكل جوهري كلا من المسؤولية الإسرائيلية والفلسطينية في خلق مشكلة اللاجئين، فالوثائق الجديدة تكشف عن أنه كان هناك المزيد من عمليات الطرد

والفظاعات ارتكبتها القوات الإسرائيلية أكثر مها تم رصده في النسخة الأولى لهذا الكتاب، وفي الوقت ذاته كان هناك المزيد من الأوامر والتوجيهات تم نقلها إلى المناطق المختلفة من قبل الرسميين العرب والضباط لمغادرة قراهم أو على الأقل إبعاد النساء والأطفال والشيوخ، الأمر الذي أشعل الرحيل الجماعي، وقد قمت بإضافة العديد من الفقرات في هذا الخصوص استناداً إلى المصادر الجديدة في هذه النسخة المنقحة.

يتمثل التجديد الآخر في هذه النسخة، في إضافة فصل جديد عن الفكر الصهيوني المتصل بما يطلق عليه "الهجرة القسرية" أو الترانسفير Transfer - أي الاتفاق المتبادل للانتقال المنظم الذي يتم التعويض عنه، أو الطرد من جانب واحد للمجتمعات العربية خارج فلسطين - وهو الموضوع الذي تم تناوله فقط في أربع صفحات بالنسخة الأولى التي نُشرت في العام 1988. ولقد توصلت إلى نتيجة مفادها أنه طوال فترة التدخل فإن فكرة «الترانسفير» السابقة للعام 1948 كان لها تأثير أكبر على ما حدث في عام 1948 مما سبق أن عرضته في النسخة الأولى، وبالتالي فإنها تستحق معالجة أكثر عمقا ومساحة أكبر من الشرح. وفضلا عسن ذلك فإن النقد الذي تعرضت له طريقة معالجتى لهذه النقطة في النسخة الأولى، من قبل كل من الباحثين العرب واليهود، شكل سببا إضافيا لهذه المعالجة الجديدة؛ فعلى سبيل المثال ذهب المؤرخ العربي نور مصالحة (13) إلى القول إن التفكير المتصل بـ «الترانسفير» مثل أحد أسس الإيديولوجية الصهيونية وكان منزلة خطة رئيسية تم تطبيقها بشكل منهجي عام 1948؛ وكان مصالحة تواقاً لأن يُثبت أن الصهيونية أيديولوجية تقوم على اللصوصية والسرقة، وأن إسرائيل في أساس تكوينها هي دولة سارقة توسعية. وعلى الجانب الإسرائيلي، ذهب كل من شابتاى تيفث (14) (الذي كتب السيرة الذاتية لبن غوريون) وأنيتا شابيرا (15) (مؤرخة للصهيونية)، إلى أن القيادة الصهيونية، من في ذلك بن غوريون، لم تتقبل أبدا فكرة «الترانسفير»، ولم تأخذها إطلاقا على محمل الجد، ومن ثم فإنه لم تكن هناك أي علاقة بين الترويج بين الفينة والأخرى لهذه الفكرة خلال الثلاثينيات والأربعينيات وما حدث للفلسطينيين منذ 1947 حتى 1949، وقد كان كل من الكاتبين مدفوعا بالرغبة في تبرئة إسرائيل من الاتهام بتعمد ما أصاب عرب فلسطن. وكما سيلاحظ قراء الفصل الجديد، فإن الدليل على وجود تأييد صهيوني قبيل العام 1948 لفكرة «الترانسفير» واضح، لكن الصلة بين هذا التأييد وما حدث بالفعل خلال الحرب أكثر ضآلة مما تقدمه الدعاية العربية.

لقد حرصت خلال مراجعتي للنسخة الأصلية على إضافة النظريات المتروية والأدلة التي قام بنشرها عدد من المؤرخين الإسرائيليين خلال الخمسة عشر عاما الماضية، ولسوء الحظ فإنه لا توجد دراسة تاريخية ذات شأن قام فلسطينيون بتقديمها، بالمقارنة، على سبيل المثال، بتلك التي أعدها يوري ميلستاين أو ياؤوف غيلبر، وذلك بالرغم من أنني أشرت من وقت لآخر إلى «سلسلة القرية» التي أصدرتها جامعة بيرزيت خلال العقدين الأخيرين، والتي تتصل أساسا بعلم أصول الجنس البشرى.

حدث النزوح الجماعي من المناطق التي أضحت الدولة اليهودية في نهاية حرب استمرت على مدار عشرين شهراً منذ نهاية نوفمبر 1947 حتى يوليو 1949، فضلا عن العديد من الأحداث المتصلة بها خلال الشهور والأعوام التالية عليها. وجرى هذا النزوح في خضم حرب وفي ظروف اختلفت بشكل جذري بمناطق متعددة من البلاد، فهجرة الأغنياء من يافا وحيفا خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 اختلفت تماما عن الفرار الكثيف من المناطق الحضرية في شهر إبريل وبداية شهر مايو، كذلك فإن الفرار الذي شمل شرائح متعددة من يافا كان مختلفا بشكل واضح عما جرى عليه الحال في حيفا، وكلاهما كانت تجمعهما أشياء قليلة مشتركة مع الطرد أو الفرار من اللد والرملة (خلال شهر يوليو) أو من عيلبون والدواية وكفر برعم (في أكتوبرنوفمبر 1948). وبغية توصيف وشرح النزوح الجماعي كان لزاما علي أن أصف وأشرح الأحداث والظروف خلال المراحل المختلفة للحرب في مناطق متعددة، وعندما كانت هناك ضرورة قمت بعرض الكثير من التفاصيل، وهو ما يجعل من هذه النسخة أكثر دقة من سابقتها. ولحسن الحظ أو لسوئه فإن «الشيطان يكمن في التفاصيل»، والمؤرخ لا يمكنه أن ينأى بنفسه عن «الشيطان».

تتبع الدراسة، بشكل عام، التسلسل الزمني للوقائع بدءا من قرار الجمعية العامة للأمـم المتحدة رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1947 والخاص بالتقسيم، حتـى انهيار مؤتمر السـلام الـذي عُقد في لـوزان في سـبتمبر في العام 1949.

وخلال بحثها في النزوح الجماعي، تستعرض الدراسة المناطق الجغرافية وتنتقل من منطقة إلى أخرى، وعلى الرغم من ذلك فإن التسلسل الزمني - الجغرافي تعترضه خلال البحث فصول طولية تتناول موضوعات محددة (ومن أمثلة ذلك «الترانسفير» وإعاقة عودة اللاجئين).

تمثلت بعض الانتقادات الجوهرية لنسخة عام 1988، خاصة من قبل الإسرائيليين، في أن الكتاب افتقر إلى التعامل مع السياق التاريخي، وأنني لم أعط وزنا كافيا للمحرقة أو الهولوكوست، الذي انتهى فقط قبيل أقل من ثلاثة أعوام من الأحداث التي تناولتها، كذلك - وهو الأكثر أهمية - أنني لم أول اهتماما كافيا لأحداث الحرب ذاتها والتي ساهمت بطرق كثيرة في تشكيل وصياغة عملية صنع القرار لإسرائيل وتصرفاتها على المستويات المحلية والقومية. وذهب بعض الناقدين إلى القول إنني لم أفرد مساحة كافية لوصف المذابح التي قام بها العرب ضد اليهود خلال عام 1948 (كان هناك ثلاث مذابح)؛ ويتمثل ردي على هذه الانتقادات في نقطتين رئيسيتين. أولاً: أن الأمر لا يتعلق بتاريخ حرب العام 1948 أو تاريخ ما فعله العرب باليهود، لكن بتاريخ بروز ونشاة قضية اللاجئين الفلسطينيين، وفي هذا السياق فإن ما فعله اليهود بالعرب - عا في ذلك المذابح - كان لــه دور في حــين أن ما فعله العرب باليهود يعتبر غير ذي صلة. ثانيا: أننى حاولت قدر الإمكان شرح السياق الذي دارت في إطاره المواجهات (من خلال التعرض لبعض المعارك) والتي أدت إلى فرار الفلسطينيين أو طردهم، وعلى أي حال، فقد قمت في هذه النسخة بتوسيع طفيف للنقاش حول السياقات والأطر المختلفة التي خلقت قضية اللاجئين الفلسطينيين في إطارها.

بشكل عام يلزم التأكيد بقوة على أنه، على الرغم من أن الأمر لا يتعلق بالتاريخ العسكري، فإن الأحداث التي تتناولها الدراسة بالوصف ساهمت بشكل تراكمي في إحداث النزوح الجماعي للفلسطينين العرب خلال الحرب، بل أن ذلك النزوح لم يكن سوى نتاج - مباشر أو غير مباشر - للحرب التي بدأها الفلسطينيون. فالتهديد بالمعركة والإقدام عليها شكلا خلفية للعديد من مكونات النزوح الجماعي.

على امتداد فصول هذا الكتاب يلزم على القارئ أن يتذكر، ونحن ندرس ماذا حدث، الإطار الأوسع للأحداث، ونقصد بذلك الصدام المسلح بين الميليشيات

العربية واليهودية في فلسطين، وما تلاه من صدامات بين جيوش الدول العربية وإسرائيل، كذلك نوايا القيادة الفلسطينية ومعظم قادة الدول العربية وجيوشها خلال شنها للهجوم في مايو خلال العام 1948 من أجل تدمير الدولة اليهودية، وربما كذلك اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسطين) نفسه، وقد تمثلت مخاوف اليشوف في أن الفلسطينيين والدول العربية - إذا ما سنحت لهم الفرصة - يمكنهم القيام بتقديم نسخة شرق أوسطية للهولوكوست، فضلا عن التفاوت الضخم في الرقعة الجغرافية والوزن البشري للجماعة اليهودية في فلسطين (650 ألفا) مقارنة عاتم عبه العرب الفلسطينيون (1.25 مليون) والعمق العربي الضخم الذي ضم عشرات الملايين من البشر. وفي الوقت ذاته، فإنه من المفيد التذكير بأنه منذ نهاية يوليو 1948 كان من الواضح لقادة الجماعة اليهودية في فلسطين (وعلى الأرجح لأغلب القادة العرب) أن إسرائيل قد كسبت حربها من أجل البقاء، على الأقل في المدى القصير، وأن الهجمات التالية التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي كانت بهدف تأمين المستقبل السياسي - العسكري للدولة اليهودية في ظل بيئة جيوبولتيكية عدائية وغير مريحة، وأيضا بهدف رسم حدودها بشكل متكامل.

وفى تقديري فإن هذه النسخة المعدلة تضيف بشكل رئيسي إلى معرفتنا بما حدث في العام 1948، وكذلك لإدراكنا الجذور العميقة للعداوة الإسرائيلية - العربية في وقتنا الحالي.

	•		
		٠	

## خلفية تاريخية مختصرة

نشأت الحركة الصهيونية الحديثة نتيجة لكتابات تضمنت نبوءة وبرنامجا لتحقيقها، لكتابات تضمنت نبوءة وبرنامجا لتحقيقها، لكل من موسى هيس ويهودا الكالاي وتسيفي هيرش كليشر وتيودور هيرتزل، وقد صاحب ذلك هجرة يهود من روسيا إلى فلسطين تحت الحكم العثماني بدءا من ثمانينيات القرن التاسع عشر، كرسوا أنفسهم لإعادة بناء وطن قومي للشعب اليهودي على أرضه القديمة، أرض إسرائيل، وفقا للخطاب الصهيوني، ولم يكن المهاجرون مدفوعين فقط بالشق ولم يكن المهاجرون مدفوعين فقط بالشق الإيجابي للفكرة، لكن أيضا بالخبرة السيئة لعمليات القمع التي تعرضوا لها في أوروبا الشرقية، وموجة المذابح المنظمة التي غمرت روسيا في أعقاب اغتيال القيصر الكسندر الثاني فارس 1881.

«كان التباين التنظيمي بين المجتمعين (العربي واليهودي) قبل العام 1948 واضحا في المجال العسكري، شأنه في ذلك شأن المجالات الأخرى ورعا بدرجة أكبر»

المؤلف

بالتزامن مع هذا، بدأ المثقفون العرب في سورية ولبنان ومصر، في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، في تبني مشروع إحياء الثقافة العربية وثقافة الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، ومع بداية القرن العشرين وانتشار الروح القومية في المنطقة، شرعوا في التفكير والحديث عن تحويل الإدارة العثمانية إلى نظام اللامركزية - وبشكل أقل صراحة - إلى إمكانية تحقيق التحرر السياسي وتأسيس دولة عربية مستقلة.

أدى انتشار الاستيطان اليهودي في فلسطين إلى وقوع احتكاكات بين المجتمعات العربية واليهودية المتجاورة، حيث بدأ سكان المدن والقرى يشعرون بالاستياء من تدفق الملحدين و الروس والمتحدثين باللغة اليديشية (\*)، وبدأت المخاوف تساورهم من حدوث تحريف ثقافي وديني وتشويه أسلوبهم في الحياة في ضوء التجاوزات الملموسة التي تم رصدها، بل وصل الأمر إلى الخوف من أن ينتهي المطاف بأن يحل القادمون الجدد محلهم في البلاد(1).

تمثلت إحدى نتائج الحرب العالمية الأولى - التي قضت على الإمبراطورية العثمانية - في تعظيم كل من الآمال والمخاوف القومية الإقليمية فضلا عن تغيير معالم الشرق الأوسط، حيث ألهبت فكرة تقريسر المصير التي رددها الحلفاء المنتصرون خيال المثقفين في جميع المستعمرات حول العالم. يذكر أن بريطانيا استولت على فلسطين في الفترة من 1917 إلى 1918 وأقرت عصبة الأمم نظام الانتداب البريطاني فيها (فضلا عن شرق الأردن والعراق)، في حين تم إقرار الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، وتمثلت مهمة قوى الانتداب في تأهيل وإعداد السكان المحليين للحكم الذاتي. وفيما يتصل بفلسطين، أصدرت بريطانيا تصريح بلفور متعهدة بالعمل على إقامة «وطن قومي للشعب اليهودي»، في وقت وعدت فيه بالحفاظ على «الحقوق المدنية والدينية» للأغلبية العربية من السكان، ومن جانبها أكدت وثيقة الانتداب - التي تم إقرارها العام 1923 - على الصلة التاريخية للشعب اليهودي بأرض إسرائيل.

<sup>(\*)</sup> اللغة اليديشية هي لغة جرمانية يتكلمها ما يقارب 3 ملايين شخص حول العالم أغلبهم يهود أشكناز، وقد كانت في البداية لهجة ألمانية خاصة باليهود في أوروبا في القرن العاشر الميلادي، نحو 80 في المائة من كلماتها تعود إلى اللغة الألمانية، بالإضافة إلى بعض الكلمات العبرية والسلافية، وعادة ما تكتب هذه اللغة بالحروف العبرية [المترجم].

وقد دفعت الاضطرابات التي سادت أوروبا الشرقية في أعقاب الحرب العالمية من جانب، والمزايا التي اتسمت بها الإدارة البريطانية في فلسطين من جانب آخر، عوجات جديدة من الهجرة اليهودية، في وقت بات فيه التناقض الذي تضمنه التعهد البريطاني المزدوج (بدعم تقرير المصير لليهود والمحافظة على الحقوق العربية) جليا، وأضحى الصدام بين الطموحات القومية العربية واليهودية أمرا محتوما.

توافرت مجموعة من العوامل أدت إلى «يقظة» القومية الفلسطينية العربية آنــذاك من بينهــا: التقدم المطـرد في تحقيق تقريــر المصير بين الشـعوب العربية في الـشرق، واقع الحكم الأجنبي الإمبراطوري المسيحي (حتى وإن كان محمودا وبناء)، الفصل السياسي بين فلسطين وكل من لبنان وسورية اللتين تم وضعهما تحت الانتداب الفرنسي، تدفق المهاجرين الصهاينة المدفوعين بتطلعات قومية راسخة. إلا أن الحركة الوطنية الفلسطينية العربية غلبت عليها منذ بدايتها وضعية الانقسام بين معسكرين ظلت حالة الاستقطاب بينهما الصفة الرئيسية لسياسات عرب فلسطين في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. وفيما يتصل بالمعسكر الأول فإنه التف حول عشيرة الحسيني وعلى وجه التحديد الحاج محمد أمين الحسيني الذي شغل منصب مفتي القدس في الفترة من 1921 حتى 1922، فضلا عن رئاسته للمجلس الأعلى الإسلامي، وتولى منذ العام 1936 رئاسة اللجنة العربية العليا، وقد طالب هذا المعسكر بإنهاء فورى للانتداب وإيقاف الهجرة اليهودية وإقامة دولة عربية على كل أرض فلسطين، مع تقديمه لوعد غامض باحترام الحقوق المدنية والدينية لليهود الموجودين في البلاد. وعلى الجانب الآخر، كان المعسكر «المعارض» الذي قادته عشيرة النشاشيبي، المنتمية كذلك إلى الطبقة الأرسـتقراطية في البلاد، وعرفت بأنها أكثر اعتدالا بشكل عام، وأقل إلحاحا على مسألة الاستقلال الفوري وتنتهج مقتربا متسامحا، على الأقل في نبرته، في التعامل مع الجماعة اليهودية في فلسطين (اليشوف)، (ومن ذلك القبول بين الفينة والأخرى برشى من الوكالة اليهوديـة في مقابل تخفيف حدة النقد للصهيونية). وعلى الرغم من أن «المعارضة» لم توافق مطلقا على فكرة إقامة دولة يهودية على كل فلسطين أو جزء منها، فإنها كانت على استعداد، في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين للقبول - على الأقل بصفة مؤقتة - بدولة كونفيدرالية مع شرق الأردن، بيد أنه في واقع الأمر كانت عشيرة الحسيني هي التي تضع بشكل عام أسس السياسات الفلسطينية العربية تجاه

كل من الصهيونية وبريطانيا ومملكة شرق الأردن، ومع حلول منتصف الثلاثينيات هيمنت بشكل واضح على الحركة الوطنية الفلسطينية.

أوضحت حالات الشعب والمذابح التي أقدم عليها العرب ضد اليهود في مدن فلسطين خلال العامين 1920 و1921 وكذلك خلال العام 1929 الكراهية المتصاعدة من قبل الجماهير الفلسطينية - مدفوعة بخليط من المظالم الملموسة أو المتصورة ذات الطابع الديني والقومي، فضلا عن الخطاب الإسلامي - ضد الوجود الصهيوني الدي ينمو ويزدهر بوتيرة سريعة. ومن الأحداث الفريدة في هذا الخصوص المذبحة التي راح ضحيتها 66 من المتدينين المتشددين اليهود (غير الصهاينة) في مدينة الخليل، والتي أقدم على ارتكابها جيرانهم العرب والقرويون الزائرون للمدينة في أغسطس 1929. فقد راودت العرب مخاوف جادة من إمكانية ترحيلهم في ضوء موجة الهجرة اليهودية الضخمة من أوروبا منتصف الثلاثينيات (التي أشعل فتيلها صعود النازية وعودة معاداة السامية في أوروبا إلى الظهور)، فضلا عن قيام اليهود بشراء أراض جديدة للاستيطان، وقد تولد عن ذلك إدراك أن العنف قد يؤثر على موقف البريطانين، مما أدى إلى اندلاع الثورة العربية في الفترة من 1936 حتى 1939.

بدأت الثورة بأعمال عنف متقطعة وإضراب عام شمل كافة أرجاء البلاد. وقد كانت موجهة في المقام الأول ضد البريطانيين، ومن اعتبروهم أذناب صهاينة لهم في المقام الثاني. وسرعان ما امتدت الثورة من المدن إلى ضواحي البلاد وأكسبت عائلة الحسيني وحلفاءها القيادة المطلقة للحركة الوطنية. منذ منتصف العام 1937 أصبحت العائلات المعارضة هدفا لعمليات إرهاب وقمع من قبل عائلة الحسيني، وفي واقع الأمر فقد تعاونت عائلة النشاشيبي مع البريطانيين (والصهاينة) للعمل على القضاء على الثورة، إلا أنه بحلول ربيع العام 1939 تلاشي أثر المعارضة كقوة سياسية يعتد بها، وإجمالا أدى سحق الثورة إلى إضعاف المجتمع الفلسطيني بشكل كبير، سواء كان ذلك عسكريا أو سياسيا، كما مهد الطريق لهزيمته عام 1948.

في المقابل، أقنعت الثورة الحكومة البريطانية - التي ساورتها المخاوف آنذاك من احتمالات اندلاع حرب متعددة الجبهات مع ألمانيا واليابان وإيطاليا - بأهمية الحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط. ومن هذا المنطلق، كانت تأمل أن يحظى إرسال اللجنة الملكية لتقصي الحقائق في فلسطين التي ترأسها اللورد بيل في نوفمبر

1936 باستحسان العرب. قدم اللورد بيل في يوليو في العام 1937 تقريره متضمنا اقتراح تقسيم البلاد إلى دولتين إحداهما يهودية (على 20 في المائة من أراضيها) والثانية عربية (على أكثر من 70 في المائة من مساحة البلاد) يتم ضمها إلى إمارة شرق الأردن. كما تضمن المقترح تخصيص قطاع من الأرض يضم القدس وبيت لحم وله منفذ على البحر المتوسط في يافا ليكون تحت حكم بريطاني مستمر. وعلى حين قبلت الحركة الصهيونية - بألم كبير - بجدأ التقسيم، رفضت اللجنة العربية العليا المقترح على الفور، مما أدى إلى تجدد الثورة في سبتمبر 1937. وإزاء ذلك الموقف تراجعت بريطانيا سريعا عن فكرة التقسيم في الوقت الذي قمعت فيه الثورة (في رسالة واضحة للعرب مفادها أنه لا يمكن العبث مع بريطانيا)، وأقدمت على اتخاذ خطوات قوية لتهدئة الفلسطينيين ومن خلالهم العالم العربي بشكل عام.

قثلت الخطوة الرئيسية في إصدار الحكومة البريطانية تقريرا جديدا في مايو 1939 ارتقى إلى مستوى التبرؤ من وعد بلفور الذي مثل - بشكل أو آخر - الخط الرئيسي الذي سارت عليه السياسة البريطانية منذ العام 1917. وقد تضمن التقرير البعديد كبح جماح الهجرة اليهودية تاركا، في واقع الأمر، الملايين من اليهود في أوروبا دونما وسيلة للرحيل وعلى وشك السقوط ضحايا لآلة الإبادة النازية، وفضلا عن ذلك نص التقرير على المنع شبه التام لشراء اليهود للأراضي في فلسطين. كما وعد العرب - الذين سيظلون الأغلبية في البلاد - بالاستقلال خلال فترة عشرة أعوام. غير ان اندلاع الحرب العالمية الثانية أدى إلى تأجيل أي تحرك في اتجاه تحقيق هذا الاستقلال، في حين أضفى إقدام هتلر على تدمير الشعب اليهودي في أوروبا زخما كبيرا وشعورا بالعجلة وضغطا سياسيا متواصلا للاستجابة لمطلب الدولة اليهودية في بعض أو كل أراضى فلسطين. فأعلنت الحركة الصهيونية صراحة وللمرة الأولى فري. وأدى الكشف التدريجي عن معاناة الشعب اليهودي خلال الحرب إلى تعبئة فوري. وأدى الكشف التدريجي عن معاناة الشعب اليهودي خلال الحرب إلى تعبئة الرأي العام الغربي - وتدريجيا الحكومات - لمصلحة فتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود، وفي نهاية المطاف إقامة الدولة اليهودية.

أضرت الحرب العالمية الثانية بالقضية العربية الفلسطينية، فعلى حين أبرزت الضعف الأساسي لقوى الانتداب (بريطانيا وفرنسا) مما أدى إلى تنشيط القوميات

المحلية، ومكن في النهاية كلا من مصر والعراق وسورية وإمارة شرق الأردن ولبنان من الحصول على استقلالها، فإن الفلسطينين المتمردين - الذين تم سحقهم قبيل اندلاع الحرب - تبنوا مواقف المحور، فقد سبق لهم أن حصلوا على نوع من المساندة المالية والسياسية من قبل دول المحور إبان تمردهم قبيل الحرب، وساند الحسيني وأتباعه اندلاع ثورة موالية للمحور في العراق العام 1941، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى برلين للعمل لمصلحة النظام النازي، وقام الحاج الحسيني شخصيا بنشر دعاية مؤيدة للنازي، كما عمل على تجنيد مسلمين في البلقان للعمل في الأجهزة الأمنية الألمانية. وبنهاية الحرب وجهت إليه لجنة يوغسلافية تهمة «مجرم حرب»، مما اضطره إلى الفرار إلى مصر (3).

من جانبهم، سارع يهود فلسطينيون للحاق بصفوف الحلفاء وقاتلوا إلى جانبهم في معاركهم ضد العدو النازي المشتك. وقد كانت الخبرة العسكرية التي اكتسبها المتطوعون اليهود من فلسطين - الذين بلغ عددهم ثمانية وعشرين ألفا - سندا قويا خلال اختبار القوة الذي شهده العام 1948. على صعيد آخر، تحول اقتصاد اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسطين) خلال السنوات الأولى للحرب إلى ورشة ضخمة لخدمة الجيش البريطاني، وهنا أيضا كانت المهارات الفنية والصناعية المكتسبة وما رافقها من بنية تحتية ذات أهمية كبرى في العام 1948. وبشكل عام، استثمر اليشوف فترة الانقطاع في القتال بين العرب واليهود للاستعداد للمواجهة القادمة، في حين لم يقدم الفلسطينيون والدول العربية (باستثناء شرق الأردن) على القيام بأي استعدادات في هذا الاتجاه.

تضافرت مجموعة من العوامل أقنعت الحكومة البريطانية في مستهل العام 1947، بأن رفع أيديها عن القضية الفلسطينية ونقلها إلى الأمم المتحدة عثل أفضل الخيارات المتاحة، وقد تمثلت هذه العوامل فيما يلي: الصدمة التي أحدثتها الثورة وتزايد أعمال العنف العربية، الارتفاع في وتيرة الإرهاب اليهودي ضد البريطانيين النذي قادته الحركة التصحيحية (أرغون زفاي ليمي: التنظيم الوطني العسكري أو إرجون) وجماعة سترن (محاربي الحرية لإسرائيل) - العاقد العزم على طرد البريطانيين والحصول على الاستقلال، الحملة المعنوية والسياسية المربكة التي قادتها بريطانيا أثناء وبعيد الحرب مباشرة لمنع الهجرة غير الشرعية لليهود إلى

فلسطين، الضغط المعنوي السياسي الذي ولدته المحرقة اليهودية، التدخل الأمريكي المتزايد لصلاح الصهيونية، فضلا عن التكلفة الاقتصادية الكبيرة لاحتلال فلسطين ومقاتلة الإرهابيين اليهود.

قامت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، المشكلة في أبريل 1947، بدراسة الموقف وأوصت في سبتمبر من العام نفسه بتسوية تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، وفي التاسع والعشرين من نوفمبر 1947 أصدرت الجمعية العامة للمنظمة الدولية قرارا - بأغلبية 33 صوتا ومعارضة 13 وامتناع 10 عن التصويت - تبنى مبدأ التقسيم الذي حصل مقتضاه اليهود على 55 في المائة من البلاد (أغلبها من المناطق الجرداء) والعرب على 40 في المائة، وفيما يتصل بالقدس وبيت لحم، وفي ضوء أهميتهما الدينية متعددة الأبعاد، تضمن القرار وضعهما ككيان مستقل تحت إدارة دولية. وفي حين رحب اليشوف بالقرار وعبر عن سعادته بصدوره وسارع قادته المنتخبون إلى الإعلان عن موافقتهم عليه، رفضه القادة الفلسـطينيون العرب، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة العربية العليا - الحسيني - الذي تواجد آنذاك في المنفى، وأطلقوا العنان لإضراب عام استمر لمدة ثلاثة أيام رافقته موجة من الإرهاب الموجه ضد اليهود في المدن وعلى الطرق. ومن جانبها، تبنت الدول العربية موقف الحسيني رافضة التقسيم وقامت بإرسال متطوعين، تجمع أغلبهم تحت لواء جيش الإنقاذ، أما اليهود في فلسطين فقد تلقوا دعما ماليا وسياسيا وانضم إلى صفوفهم - في ذلك الحين - عدد محدود من المتطوعين من المهجر.

خلال أسابيع نمت عمليات العنف المتقطعة ككرة الثلج لتتطور إلى حرب أهلية بين مجتمعين، في وقـت تبنى فيه البريطانيون موقفا محايـدا، معلنين نيتهم إنهاء انتدابهـم والانسـحاب من البلاد بحلـول الخامس عشر من مايـو 1948. وفي حين سـعوا، على الأقل في البداية، لتحقيق نقل منظم للسلطة فإن أعمالهم خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مايو 1948 اتجهت بشكل أساسي إلى تأمين انسحاب هادئ وبأقل الخسـائر يحافظ عـلى موقعهم وهيبتهم في العالم العـربي، وعلى الرغم من ذلـك فقد كان من المحتـم أن يتهمهم كل من اليهود والعرب - في فترات مختلفة - بالانحياز إلى طرف على حساب الآخر.

لم يكن واضحا خلال الأسابيع الأولى من الصراع أن المجتمعين يتجهان حقا إلى الحرب، بل بدا الأمر للأغلبية أنهما منخرطان بالكاد في موجة جديدة من الشغب على غرار ما حدث عامي 1929 و1936. وقد التزمت الهاغاناه في ذلك الحين بموقف دفاعي لرغبتها في عدم مضايقة البريطانيين، في الوقت الذي استمرت فيه بعملية إعادة التنظيم والتسليح لمواجهة احتمال الحرب، حيث قدرت الهاغاناه أن التحدي الحقيقي لم يتمثل في الفلسطينيين لكن في جيوش الدول المحيطة. وحتى نهاية شهر يناير 1948 لم يكن لأي من الطرفين الغلبة المطلقة على الأوضاع. لكن، في فبراير ومارس أوقعت الكمائن التي نصبها العرب على الطرق خسائر ضخمة في مواكب الهاغاناه، خاصة على الطريق الذي يربط بين تل أبيب والقدس. وبدا لقادة المجتمع اليهودي (اليشوف) أن القدس اليهودية - المحاصرة، والتي ضمت مائة ألف نسمة - اليهودي (الوقت الذي ظهرت فيه مخاوف مماثلة حول مصير العديد من التجمعات الاستيطانية الريفية المحيطة بالقدس والجليل الغربي، الأمر الذي دفع الجماعة اليهودية إلى إعادة النظر في إستراتيجيتها.

ومع بداية شهر إبريل، انتقلت الهاغاناه إلى وضعية الهجوم، وشنت سلسلة من الهجمات المضادة، في وقت كانت فيه عملية انسحاب الجيش البريطاني في حالة متقدمة، مما عزز من اعتقاد بن غوريون وكبار ضباط الهاغاناه أن البريطانيين لن يقدموا على التدخل. فضلا عن ذلك، كان هناك الإطار السياسي الذي دارت فيه الأحداث وشجع على هذا التحول: ففي النصف الثاني من شهر مارس اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية قيام الأمم المتحدة بفرض وصايتها على فلسطين، مما أشار إلى إمكانية التراجع عن تأييد فكرة التقسيم. وقد خشي بن غوريون من أن تؤدي الهزائم العسكرية المستمرة إلى المزيد من التقويض للتأييد لفكرة الدولة اليهودية، ويضاف إلى ذلك أن بدء وصول الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا جعل من الممكن الشروع في العمليات الهجومية. وأخيرا كان بن غوريون وكبار ضباط الهاغاناه منزعجين من التهديد بالغزو الذي لوحت به الدول العربية المجاورة، ومن شم اتفق الجميع حول ضرورة تثبيت أركان الدولة اليهودية بحلول الخامس عشر من مايو، سواء من خلال تأمين حدودها وطرق اتصالاتها الدولية أو عبر تحييد أو سحق أعدائها الفلسطينيين «في الداخل»، لتتفرغ القوات المسلحة للمواجهة المقبلة،

وساد الاقتناع بأنه إذا لم يتم القيام بذلك فإن أعداء الدولة ربها يحققون النصر. وفي هذا السياق شعرت الهاغاناه بأنها في سباق مع الزمن.

منيت المليشيات الفلسطينية (المدعومة من جيش الإنقاذ) بهزائم قاسية بدءا بعملية نهشون في منطقة القدس ومعركة مشمار هعيمك خلال النصف الأول من أبريل. وتدريجيا تمكنت قوات الهاغاناه من الاستيلاء على الأجزاء العربية من طبريا وحيفا وصفد ومدن بيسان وعكا فضلا عن منطقتي الجليل الشرقية والغربية، وساعد على ذلك افتقار العرب إلى التنظيم وضعف التعاون الإقليمي، فاستطاعت الهاغاناه بمفردها الاستيلاء، بشكل مذهل، على المدن والأقاليم الواحد تلو الآخر. أما الفلسطينيون فإنهم لم يعودوا إلى الظهور على الساحة كلاعب سياسي وعسكري إلا منتصف الستينيات.

## المجتمع اليهودي الفلسطيني

تمثلت مفاتيح نصر اليشوف في امتلاكه نظام تعبئة أكثر كفاءة، واقتصادا أقوى، وتسليحا أكثر تفوقا، وتنظيما إداريا وعسكريا أفضل.

كـما تميز بالتفوق النوعي لعناصره البشرية (مســتوى تعليم وخبرة عســكرية أفضل)، ففي اليشــوف - الذي بلغ عدد ســكانه العام 1948 نحو 650 ألف فرد - هيمنت أحزاب ليبرالية واشتراكية على المسرح السياسي منذ بداية الانتداب البريطاني. كان المجتمـع منظــما ومعبــأ إيديولوجيا، ورغــم الاختلافات السياســية والاجتماعية المتعددة، كان الجميع مدفوعا بالرغبة في إقامة دولة يهودية بشكل فوري، وهو الدافع الذي تزايدت قوته خلال الثلاثينيات والأربعينيات مع بداية ظهور عمليات القمع ضد السامية في أوروبا الشرقية والوسطى والمحرقة التي تلتها، مما جعل إقامة ملاذ آمن، في شكل كيان سياسي يهودي مستقل، أمرا عاجلا ليهود العالم المهددين غير المرغوب فيهم.

قكن قادة اليشوف وأحزابه السياسية على مر السنين، من امتلاك الأدوات المؤسسية التي قكنهم من إقامة الدولة والحفاظ عليها. ظهرت «المؤسسات الوطنية» منذ البداية بهدف تحويلها إلى مؤسسات دولة (4)، وبحلول شهر مايو عام 1948 كانت هناك حكومة جاهزة لتولي مقاليد السلطة لديها أغلب مؤسسات الدولة الجاهزة (وفي بعض المجالات، من قبيل الزراعة والاستيطان، كانت المؤسسات

المتاحـة تفوق الحاجـة) لتولي مسـؤولياتها. فالوكالة اليهوديـة، بإداراتها المختلفة (السياسـة والماليـة وتلـك المتولية عملية الاسـتيطان والهجرة) شـكلت الحكومة المؤقتـة، وتحولت إداراتهـا تدريجيا إلى وزارت، في حين أصبحـت اللجنة التنفيذية للوكالة (التي سميت فيما بعد إدارة الشعب) مجلس الوزراء، وتحولت الهاغاناه إلى قوات الدفاع الإسرائيلية. وحقيقة الأمر أنه بحلول العام 1948 كان اليشـوف - من العديد من الجوانب - بمنزلة دولة داخل الدولة: فالمجلس الوطني والوكالة اليهودية والمحليات ومجالسـها والهسـتدروت (اتحاد نقابات العمال) قامت، بالتنسيق مع إدارات حكومة الانتداب، بتزويد اليشـوف بالخدمات الضرورية (الصحة، التعليم، الرعاية الاجتماعية، التنمية الصناعية).

أقدم اليشوف على فرض الضرائب الذاتية، ووجهت الأموال المحصلة لتمويل الخدمات والأهداف المختلفة، فقامت الهستدروت بفرض الضرائب على أعضائه من أجل تزويدهم بالخدمات الصحية وتمويل التعويضات الخاصة بالبطالة، ومن جانبه قام الصندوق الوطني اليهودي بجباية ضرائب من أجل التشجير وتوفير البنية التحتية للاستيطان، كما فرضت ضرائب خاصة لشراء السلاح وتغطية نفقات استيعاب المهاجرين، وفضلا عن ذلك، تلقى اليشوف مساعدات مالية مستمرة من المهجر وأخرى في أوقات الطوارئ خاصة خلال الفترة 1947 - 1949.

بحلول عام 1948 أضحى في حوزة مجتمع اليشوف الأدوات التي تمكنه من الانتقال إلى وضعية الدولة خلال أيام أو أسابيع، ويضاف إلى ذلك أن سنوات من التمرس العملي على الحكم الذاتي والتجهيز للدولة، بالرغم من احتوائها على الصراعات المعتادة على السلطة بين الأحزاب أو داخلها، قد دفعت إلى المقدمة بقيادة ذات مواهب خاصة وملتزمة وعلى استعداد للتضحية بنفسها، وتمتلك الخبرة في مجالات السياسة والاقتصاد والدفاع. وقد تزعم هذه القيادة منذ الثلاثينيات فصاعدا ديفيد بن غوريون - وحزبه ماباي (حزب العمال في أرض إسرائيل) - الذي أدار الصراع من أجل إقامة الدولة، وإلى جانب ذلك كان هناك الجناح اليميني المتمثل في «التصحيحيين» (الذين سعوا إلى إقامة سيادة يهودية على كل أراضي فلسطين وشرق الأردن)، فضلا عن الأحزاب الدينية المختلفة التي لم تحصل على الإطلاق إلا على أقلية

من الأصوات المؤيدة لها. وكان بن غوريون كبراغماتي مستعدا، على الأقل ظاهريا بدءا من عام 1937، لقبول التقسيم وإقامة دولة يهودية فقط على جزء من أراضي فلسطين، وإن ظل مؤيدا، من الناحية الواقعية، للرؤية المطالبة بالسيادة اليهودية على جميع أرجاء البلاد باعتبار ذلك الهدف النهائي للصهيونية الذي يمكن الوصول إليه على مراحل. ومع ذلك، فإنه كان عليه خلال الفترة من 1947 - 1948 أن يروض نفسه على فكرة السيادة اليهودية فقط على جزء من فلسطين.

انعكست النوعية المتميزة للقيادة الوطنية بصدق على مستوى الإدارة والحكومات المحلية، في الكيبوتزات (المستوطنات الجماعية) والموشافيم (المستوطنات التعاونية)، وكذلك الهاغاناه. فالمستوطنات الريفية، وأغلبها من الكيبوتزات، كان يسكنها أكثر عناصر الشعب تقدما من حيث الوعي والالتزام السياسي، وقدمت الجانب الأكبر من القيادات السياسية والعسكرية للجماعة اليهودية (اليشوف). وفي ضوء تميزها بالروح الريادية وقيامها برسم الحدود الجغرافية الخارجية للجماعة اليهوديـة في البلاد، وسابق تعرضها لهجمات من قبل العرب عـبر العقود، تم بناء الكيبوتزات بطريقة تسمح بالدفاع عنها، حيث تأسست على مساحات واسعة مجهزة بنقاط دفاعية وغرف محصنة تحت الأرض وملاجئ، كما أن سكانها كانوا مهيئين من الناحية النفسية لمواجهة الهجمات. وخلال عملية الغزو العربي لإسرائيل الذي أعقب الانسـحاب البريطاني سـقطت فقط حفنة من الكيبوتزات أمام هجوم الجيوش العربية في حين لم يتم التخلى عن أي منها من قبل قاطنيها. وكما كان الحال بالنسبة إلى أغلب الكيبوتزات، نظر اليشوف بأكمله لنفسه على أنه ليس أمامه خيار، حيث تعلق الأمر إما بإقامة دولة أو الإخفاق التام، وقد حمل الاحتمال الأخير في طياته - في ضوء عمق العداوة العربية للصهيونية- إمكانية استنساخ المحرقة، وإن كان على نطاق أصغر.

#### الاستعدادات العسكرية

في أعقاب عمليات الشغب والمذابح التي شهدتها أعوام 1920 - 1921 و1922، والثورة في 1936 - 1939، أقدم اليشوف على تشكيل ميلشيا وطنية سرية ومنظمة على درجة عالية عرفت باسم الهاغاناه، وقد قاد بن غوريون، بعد توليه القيادة

السياسية للمنظمة العام 1946، حملة سرية لمواجهة الهجامات من كل من الفلسطينيين العرب والدول العربية المحيطة، كما تمكنت الجماعة اليهودية من الصول على كميات هائلة من السلاح، وبحلول سبتمبر 1947 كان بحوزة الهاغاناه العصول على كميات هائلة من السلاح، وبحلول سبتمبر 1947 كان بحوزة الهاغاناه 10,489 بندقية، 702 رشاش خفيف، 2666 رشاشا آليا، 186 رشاشا متوسطا، 672 مدفع هاون 3 بوصات (ولم يكن في حوزة الهاغاناه طائرات أو دبابات أو مدفعية ثقيلة في بداية حرب 1848). كما تم شراء المزيد من الأسلحة أو سرقتها من القوات البريطانية المنسحبة خلال الأشهر الأولى من القتال. وفضلا عن ذلك، توافرت لدى الجماعة اليهودية القدرة العالية على إنتاج الأسلحة، ففي الفترة ما بين أكتوبر 1947 ويوليو 1948 قامت مصانع السلاح التابعة للهاغاناه بإنتاج ثلاثة ملايين طلقة 9 ملليمتر، و150000 قنبلة يدوية، و16000 سلاح رشاش، و210 مدافع هاون 3 بوصات (5).

منذ شهر نوفمبر 1947 بدأت الهاغاناه - التي ضمنت آنذاك 35 ألف عنصر من بينهم نسبة من النساء - في التحول من مليشيا إلى جيش نظامي. وعلى الرغم من أنه باستثناء حفنة من «الفرق القتالية» (بالماخ، التي تم تشكيلها مساعدة البريطانيين عام 1941 وتراوح عددها بين 2000 و3000 عنصر)، لم يكن هناك حتى ديسمبر 1947 إلا القليل من الوحدات المدربة تدريبا جيدا، وخلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مايـو 1948 تم الانتهاء من تعبئـة جميع العناصر وارتدائها الزي العسـكري بشكل دائم، وكان يتم تدريب منتسبي الهاغاناه ثلاثة إلى أربعة أيام شهريا وما عدا ذلك كانوا يمارسون دورهم كمدنيين، كما كان لدى المنظمة عدد كبير من المدربين ذوي الخبرة كانوا يعملون سابقا في الجيش البريطاني، فضلا عن عدد كبير من الضباط المخلصين الذين سبق تدريبهم. بحلول مارس - أبريل 1948 بدأ الزج إلى الميدان بكتائب ولواءات وإن لم تكن مسلحة تسليحا جيدا بعد، وبعد مرور شهرين (يونيو 1948) تحولت المنظمة إلى قوات الدفاع الإسرائيلية التي كانت بمنزلة جيش يضم ما يتراوح بين 11 و 12 لواء مسلحة بالمدفعية وقوات مدرعة، فضلا عن قوة بحرية وجوية في مرحلة التطوير (6). وبحلول شهر مايو 1948 قامت الهاغاناه بتعبئة ونشر قوات بلغ قوامها 35780 جنديا (وهو ما يزيد بخمسة إلى عشرة آلاف عنصر عن مجموع قوات الجيوش العربية النظامية التي غزت فلسطين في الخامس والسادس عشر من الشهر نفسه، على الرغم من أن الغزاة كانوا أفضل تسليحا ومن المفترض نظريا على الأقل أن يكونوا أفضل تدريبا<sup>(7)</sup>. وبحلول يوليو 1948 كان لقوات الدفاع الإسرائيلية التي حلت محل الهاغاناه 63000 عنصر تحت السلاح<sup>(8)</sup>.

بالإضافة إلى العامل الخاص بالأعداد، التي كانت تشير إلى أنه بحلول يوليو 1948 كان شخصا من بين كل عشرة أشخاص (بمعدل واحد إلى كل من 2 - 3 ذكر بالغ) خاضعا للتعبئة، كان هناك عامل آخر ربما أكثر أهمية تمثل في الصفة التنظيمية للهاغاناه بدءا بقيادتها ذات المواهب المتميزة، ورئاسة أركانها المركزية بفروعها الميدانية والاستخباراتية واللوجستية، مرورا بتشكيلات الألوية والكتائب. فخلال إبريل – مايو كانت الهاغاناه قادرة على شن هجمات على مستوى لواء، وبحلول شهر يوليو تمكنت من استخدام أكثر من لواء في عملياتها، وتحول الأمر في أكتوبر إلى مستوى أكبر وعلى جبهات متعددة. وبمنتصف شهر مايو 1949، تمكنت من إيقاع الهزيمة بالمليشيات الفلسطينية ومسانديها الأجانب، وفي الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر ألحقت الهزيمة بالجيوش العربية.

## المجتمع العربي الفلسطيني

رجعت هزيمة الفلسطينين العرب بشكل كبير إلى نقائص مجتمعهم وانقساماته، فقد كان المجتمع الفلسطيني فقيرا يعتمد على الزراعة وتسوده الأمية بشكل كبير (9)، وفي حالة بدائية من النواحي الاجتماعية والسياسية، وغير منظم ويعج بالانقسامات العميقة، واتسمت التصدعات داخله (بين المدينة والقرية، وعائلتي الحسيني والنشاشيبي، والمسلمين والمسيحيين، والبدو والمجتمعات المستقرة) بعمق جذورها التاريخية.

أدت التطورات الاقتصادية والإصلاحات التي أدخلتها الدولة العثمانية منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء مرحلة من التحضر وانتقال السكان من القرى إلى المدن، وبدأت المدن الفلسطينية بنهاية القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين - التي ظلت لعقود من الزمان أكبر بقليل من القرى الكبيرة - في النمو، حيث غادر الفلاحون الفقراء ومنعدمو الملكية الزراعية قراهم (10) جزئيا نتيجة لعوامل الجذب والمزايا الاقتصادية التي جلبتها الروابط التجارية التي بدأت

آنذاك مع أوروبا عبر ميناءي يافا وحيفا، كذلك كانت الضرائب الباهظة التي فرضها العثمانيون آنذاك دافعا قويا لمثل هذه الهجرة، بالإضافة إلى إقبال طبقة «الأفندية» (التي ضمت الكثيرين ممن جاءوا من خارج فلسطين) والصهاينة على شراء الأراضي الزراعية. وبشكل عام فإن هذه العملية ربا تكون قد ساعدت على إرخاء قبضة الفلسطينيين على الأرض وارتباطهم بها قبيل نزوحهم الجماعي عام 1948(11).

في المقابل، قد يكون من المفيد التذكير بعملية أخرى جرت بالتوازي خلال القرن التاسع عشر، ونقصد بذلك هجرة عشرات الآلاف إلى فلسطين من المغرب العربي (شمال أفريقيا) والفلاحين المصريين والبوسنيين والأكراد والقوقازيين فضلا عن القبائل البدوية سواء من تلقاء أنفسهم أو تنفيذا لمخططات عثمانية. وقد قام العديد من هؤلاء المهاجرين بإنشاء قرى جديدة خاصة في المناطق المنخفضة قليلة السكان في الجليل والسهل الساحلي، وعبرت أسماء تلك القرى تركيبة موجات الهجرة، وعلى سبيل المثال كان هناك عدد من القرى تحت مسمى كفر مصر، وقريتان باسم كراد (في إشارة إلى الأصل الكردي لقاطنيها) (\*). ولاحقا أدت حالة الرخاء النسبي والنظام التي سادت فلسطين تحت الانتداب إلى جذب آلاف المهاجرين العرب الجدد من الدول المجاورة، وبصفة خاصة إلى المدن الكبرى (21)، ونتيجة لكل من التأثير البريطاني من جانب، ووجود مجتمع يهودي مزدهر في الجوار من جانب آخر، اكتسبت عملية انتقال مراكز الثقل من القرى إلى المدن قوة كبيرة خلال القرن العشرين (13).

على الرغم من وجود مكون حضري نام ومتسع الرقعة، ظلت فلسطين العربية عام 1947 وبشكل أساسي مجتمعا قرويا، امتلك فيه عدد محدود من الملاك ما يقارب نصف الأرض العربية، وامتلك الباقي، الذي عمل فيه المزارعون المستأجرون، كبار الملاك الذين عاشوا في المدن، والعديد منهم في لبنان ومصر وسورية. وكان ما يقارب 50 في المائة من مساحة الأراضي الفلسطينية- وأغلبها في النقب، أرضا مملوكة للدولة في حين امتلكت المنظمات الصهيونية واليهود بشكل فردى نسبة تتراوح بين 6 و7 في المائة منها.

في نهايــة العام 1947، كان هناك مليون وربع المليون عربي (1.1 مليون مسـلم و150.000 مسـيحي) عاش ما بين 65 و70 في المائــة منهم فيما يقرب من 800 إلى

<sup>(\*)</sup> القريتان هما كراد البقارة التي تقع على بعد 11 كيلومترا شهال شرق مدينة صفد وكراد الغنامة المجاورة لها. [المحررة].

850 قرية، في حين قطن الثلاثون بالمائة الباقون المدن، وتركز حوالي 70000 من البدو أساسا في النقب الشمالي، وتضاءل عددهم بشكل مطرد نتيجة استقرارهم في القرى والمدن، وفي حين شكل الفلاحون بالقرى الأغلبية العظمى من القوة العاملة، فإن جزءا رئيسيا من سكان المدن أيضا كان يعمل في الزراعة (14).

على حين ظلت الأغلبية الريفية واقتصادها القائم على الزراعة بدائية وغير فعالة بشكل كبير، كانت هناك بدايات للتجديد والتحديث خاصة في المناطق الساحلية، وذلك تحت تأثير النموذج اليهودي المجاور فضلا عن تشجيع البريطانيين والأوروبيين. ففي العام 1922، كان هناك 22000 دونم من الأراضي العربية ينتج محاصيل حمضية (الليمون، البرتقال... إلخ)، وقد تزايدت تلك المساحة لتصل إلى 14000 دونم العام 1940 كانت محاصيلها موجهه بشكل أساسي للتصدير. كذلك تزايدت مساحة الأراضي المخصصة لزراعة التفاح والزيتون من 332000 دونم العام 1931 إلى 832000 العام 1940، وإجمالا ظلت الزراعة في فلسطين العربية متلائمة مع الاستهلاك المحلى، ولم يكن في متناول الفلاحين العام 1947 غالبا آلات ميكانيكية زراعية، وإنما استخدموا وسائل بدائية لحرث الأرض، ودورة زراعية بسيطة من دون وسائل ري أو أسمدة. من جانبهم عبر القادة السياسيون اليهود ومشرفو رغبتهم في المساعدة في إصلاح القطاع الزراعي العربي لزيادة إنتاجيته، مما يساعد بدوره على تحقيق الازدهار للشعبين العربي واليهودي وتعايشهما بسلام في أرض ضقة نسيا.

تركزت الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل رئيسي في صفوف النخبة والطبقات الوسطى في المدن، وخلال عقود الحكم البريطاني، الذي تزايدت فيها مستويات التعليم وانخفضت معدلات الأمية، بدأت الفكرة الوطنية تمتد إلى المناطق الريفية وجماهيرها. حقيقة إن كل جولة من أحداث الشغب المناهضة للصهيونية (وكذلك للبريطانيين) خلال فترة الانتداب (1920، 1921، 1929، 1936 - 1939) كانت أكثر اتساعا من سابقتها عكست بوضوح نمو وانتشار الوعي السياسي بين الجماهير خلال هذه الفترة. فبسبب تحسن مستويات التعليم في فترة الانتداب البريطاني، وتسييس النخب الحضرية والطبقة الوسطى المتنامية، وخطر المشروع الصهيوني، أصبح القرويون

مسيسين على نحو متزايد. وعلى عكس شهادة هنري قطان (\*\*) أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية عام 1946، التي ذهبت إلى أنه لم يحدث أي تغيير في هذا الشأن خلال الفترة من 1920 إلى 1946، كانت هناك درجة من التغيير في مستوى الوعي السياسي. ومع ذلك احتفظ القروي - بشكل عام - بولائه الرئيسي للعائلة، العشيرة والقرية، التي كانت في قلب اهتماماته، فقد استند المجتمع القروي إلى القرية أكثر منه على الحي أو الدولة. وكانت خبرة أعوام 1936 - 1939 التي تم خلالها اجتياح قرى بكاملها من قبل الثورة وتدميرها كافية للقضاء على أي نشاط سياسي (15). وحتى الأربعينيات من القرن الماضي، كانت القضايا السياسية والنضال الوطني أمورا بعيدة عن دائرة اهتمام القرويين الذين نظروا إليها باعتبارها عمليات معقدة خاصة فئة قاطني المدن، وقد ذهب أحد مؤرخي قرية معليا في الجليل إلى القول إن «عالم السكان كان ينحصر في القرية (الأرض والناس) وكانت القضايا ذات الطابع الوطني أو الإقليمي موضع اهتمام شخص أو شخصين فقط في القرية بأكملها» (16).

ضمت أغلب القرى عشيرتين أو ثلاثا يترأسهم الأعيان الذين يمتلكون الثروة، وكان رئيس القرية (المختار) عادة رئيس العشيرة الرئيسة فيها. كانت ملكية الأرض هي المعيار الرئيس الني يحدد قوة العشيرة. وفي العديد من القرى كانت الأرض مملوكة بشكل جماعي، وكانت العديد من العشائر منتشرة ولها نفوذ واسع جغرافيا من خلال مجموعات من عناصرها مبعثره في عدة قرى متجاورة. وكنتيجة للظروف الإقطاعية أو الاقتصادية كونت العديد من القرى، عبر العقود، قرى صغيرة تابعة لها (خراب) على بعد عدة كيلومترات منها، فالكثير من قرى التلال كانت لها توابع في السهول، وفي بعض المناطق كانت هناك كتل أو تحالفات من القرى استنادا إلى واقع العشائر التي تقطن أكثر من قرية أو التحالفات القائمة على أساس التزاوج بين العشائر أو غير ذلك من الأسباب (على سبيل المثال التحالف بين قرى الزعبية في الجليل الأدنى وبنى حسن بالقرب من القدس)(17).

كانت القرى تميل إلى أن تكون منغلقة على نفسها سياسيا واجتماعيا، فضلا عن اكتفائها ذاتيا اقتصاديا بدرجة كبيرة. كان من النادر أن يقوم القروي بزيارة المدن الكبرى من قبيل حيفا ويافا والقدس أو المدينة القريبة (اللد، الرملة، عكا، الناصرة،

<sup>(\*)</sup> هــنري قطان (1906 - 1992)، فقيه قانوني من مواليد مدينة القدس، له العديد من المؤلفات القانونية في القضايا المتعلقة بالشأن الفلسطيني. [المحررة].

صفد، بيسان)، أو يطلع على الصحف، فقد كان من يجيدون القراءة والكتابة بينهم قليلين، وفي أغلب الأحيان كان هناك جهاز راديو واحد عادة في منزل المختار أو في مقهى القرية حيث اعتاد الرجال الاجتماع بعيد الظهيرة وفي المساء للعب الطاولة وتجاذب أطراف الحديث. وبصفة عامة اتسم القرويون بالجهل في مجال السياسة، فواقع الإدارة البريطانية منذ عام 1917 حتى 1948، والغياب شبه الكامل للمؤسسات الوطنية السياسية والإدارية الفلسطينية، كانا يعنيان أن المجتمع القروي الفلسطينيب باستثناء التنظيم الخاص بالقرية - بعيدا إلى حد كبير عن المسائل ذات الطبيعة الوطنية وغير ممثل فيها. وقد مثل الوضع في مناطق يهودا والسامرة (الضفة الغربية) استثناء من ذلك، حيث شارك قادتها في المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت في السنوات الأولى للانتداب (1938)، وانخرط العديد من شبابها في صفوف التمرد (1936 – 1939)، أما القرى في السهل الساحلي وكل من مرج ابن عامر ووادي الأردن فلم تكن ممثلة في المؤتمرات، كما أن مشاركتها كانت محدودة في التمرد.

بصفة عامة، كانت تمثل مصالح المناطق الريفية من خلال عائلات النخبة في المدن، التي جاء البعض منهم من أصول تنتمي إلى تلك المناطق وامتلك الكثير من الأراضي المنزرعة فيها. ومارس كبار ملاك الأراضي درجة عالية من النفوذ والسلطة على كل من الفلاحين وقاطني المدن على حد سواء.

عاش ثلث عرب فلسطين تقريبا في المدن، حيث وجدت سبع عشرة مدينة عربية: بنر سبع، خان يونس، غزة، مجدل (عسقلان)، الرملة، اللد، الخليل، بيت لحم، بيت جالا، رام الله، طولكرم، نابلس (شيكم)، جنين، شفا عمرو (شفارام)، عكا، بيسان (بيت شيان)، والناصرة. وبعض تلك المدن (مثل: طولكرم وجنين، وبيسان، ومجدل وشفا عمرو) كان منزلة قرى نمت بشكل كبير وأضحت مراكز تجارية ومحطات خدمة للمناطق النائية المحيطة بها. وفضلا عن ذلك كان هناك خمس مدن ضمت خليطا من السكان العرب واليهود وهي: القدس، وحيفا، وطبريا (بأغلبية يهودية)، وصفد ويافا (بأغلبية عربية).

خلال السنوات الأولى للانتداب لم يكن السكان العرب يمتلكون أي سيارات بمحرك، وبحلول عام 1945 كان هناك أكثر من ثلاثة آلاف سيارة، وما يلزم لذلك من بنية تحتية سواء تعلق الأمر بالورش أو مراكز إنتاج قطع الغيار. وقد كان للنمو الكبير في مجال النقل أثر كبير على الزراعة والصناعة والتجارة، كما أن الروابط

التجارية مع أوروبا كانت تتم خلال غرف تجارة وتطورت شبكة بنكية فعالة في المدن مع نهاية الحرب العالمية الثانية، التي كانت حاسمة في هذا القطاع حيث زاد الرصيد الدائن في أكبر البنوك العربية «البنك العربي» في الفترة من 1941 إلى 1945 نحو 18 مرة، وحجم الودائع بعشرين مرة، كما بدأت الصناعة بدورها في التطور والنمو (19).

بلغت نسبة قاطني المدن من العرب العاملين في قطاع الصناعات الخفيفة والحرف والبناء 30 - 35 في المائة، في حين عمل حوالي 15 إلى 17 في المائة بالنقل ومن 20 إلى 23 في المائة بالتجارة، ومن 5 إلى 8 في المائة في المهن المختلفة. ونسبة 5 - 7 في المائـة في الخدمات العامة ومـن 6 - 9 في المائة بالخدمات المختلفة، ومع نهاية الأربعينيات كان المجتمع العربي الفلسطيني عر مخاض العمرانية المتسارعة، فقد بدأ الحكم البريطاني، خاصة بداية الحرب العالمية الثانية، في إرساء درجة محدودة من التصنيع. رصدت أجهزة استخبارات اليشوف بدايات تحول في المجتمع الفلسطيني من اقتصاد قائم على «ورش العمل البدائية التقليدية» إلى اقتصاد في طريق التحديث، حيث تم إنشاء مصانع للشيكولاته والحلوى، وثلاث مصانع للزجاج، وأقيم مصنع حديث للسجائر في حيفا (20)، ومع حلول نهاية الانتداب كان هناك في فلسطين العربية ما يقارب 1500 ورشة صناعية ومصنع صغير عمل بها 9000 عامل متوسط خمسة إلى ستة عمال في كل ورشة (في المقابل كان هناك 1900 ورشـة عمل ومصنعا صغيرا في فلسـطين اليهودية بقوة عاملة بلغت 38000 أي مجتوسط 19 - 21 عاملا في كل ورشة). وقد اشتغل بعض العرب في مصانع علكها يهود، وآخرون في خدمات ومصانع يديرها بريطانيون. وبلغ مجموع الأيدي العاملة العربية 35000، تم توظيف خمسة آلاف من بينهم من قبل شركات بترول وثمانية آلاف في خدمات السكك الحديدية الحكومية. وخلال الحرب، تم توظيف عشرات الآلاف من قبل الحكومة في الأعمال العامة، في حين عمل ثلاثون ألفا في معسكرات الجيش البريطاني (ومع ذلك تم الاستغناء عن أغلبهم مباشرة بعد انتهاء الحرب) (21). قاد المجتمع الفلسطيني العربي عدة عائلات عاشت في المدن: نسيبة، الخطيب، الخالدي، النشاشيبي والحسيني (القدس)، وعمرو، التميمي، والجعبري (الخليل)، السعيد، البيطار، والدجاني (يافا)، والشوا، الحسيني (غزة)، والتاجي الفاروقي، غصين

(الرملة)، وطوقان، عبدالهادي، النابلسي، الشكعة، والتميمي (نابلس)، عبدالهادي وأبو شيش (جنين)، الخليل، شكري، طه، خياط، ومهدي (حيفا)، الشقيرى وخليفة (عكا)، الفاهوم، الظاهر والزعبي (الناصرة)، الطبري (طبريا)، الكرداس (صفد) (22). وخرج من بين صفوف هذه العائلات (التي عرفت مجتمعة بالأعيان) كبار ملاك الأرض الزراعية، والسياسيين، والقضاة، والتجار، والعمد، وكبار الموظفين المدنين، كبار رجال الدين، الأطباء، المحامون والمثقفون. وغالبا ما توافرت جميع هذه التخصصات في كل عائلة، حيث كان هناك القاضي والعمدة والتاجر وغيرهم، ويلاحظ أن نفوذهم وقوتهم وصلاتهم كان لها الطابع المحلي وليس الوطني. وكان التزامهم وولاؤهم تجاه عائلاتهم والخاضعين لولايتهم والحي والمدينة على التوالي، وقد تعلق الأمر بهيكل إقليمي أوليغاركي مارست فيه النخبة نفوذها وسلطتها على سكان الريف والحضر من خلال وسائل اقتصادية ودينية مباشرة أو غير مباشرة، وأبقت النخبة على مسافة بينها وبين الفلاحين والعمال، وسادت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية حالة من المتعاض والشك المتبادل.

خلال فترة الانتداب ظهرت طبقة متوسطة صغيرة ضمت أصحاب المهن والموظفين ومالكي الحوانيت الذين جاء جزء منهم من الطبقات العاملة سواء في الريف أو الحضر، وعلى حين طمحت هذه الطبقة إلى اللحاق اجتماعيا بركب النخب، والسعي للتزاوج معهم، ظلت الطبقة الوسطى صغيرة جدا، واستمر الهيكل النخبوي على قوته بما لا يسمح بإدخال البورجوازية إليه بشكل قد يمثل تحديا للسلطة السياسية والاقتصادية «للأعيان».

في نهاية الأربعينيات، كان 28 عضوا من إجهالي 32 في اللجنة العربية العليا من «الأعيان»، وأربعة فقط من البرجوازية، ولم يكن هناك أحد من فئة الفلاحين أو العهال. جاء 24 من المدن وفقط أربعة أو خمسة أعضاء من الضواحي. وقد كانت الهوة الواسعة من الشك والإقصاء بين المناطق الحضرية والريفية في فلسطين العربية سببا رئيسيا وراء الافتقار إلى التنسيق بين المدن وعمقها الريفي خلال العمليات القتالية، فعائلات النخبة لم يكن لديها تقليد أو نزعة للخدمة الوطنية ولم يؤد أفرادها الخدمة العسكرية مع الأتراك أو البريطانيين أو حتى في جيوش الدول المجاورة. ولم يكن أحد من القادة العسكريين لتمرد 1936 - 1939 من «الأعيان»،

حيث تعلق الأمر بتمرد قروي، اقتصر فيه دور سكان المدن لفترة قصيرة وبشكل كبير على الاحتجاج المدني (مظاهرات، أعمال شعب، إضراب عام)، وفي مرحلة لاحقة انخرطوا في أعمال عنف بين الطوائف المختلفة (23).

انقسم «الأعيان» منذ بداية العشرينيات إلى معسكرين رئيسيين: «المجلسيون» وهم المعسكر الأول أولئك الذيب كانوا يؤيدون «الحسيني»، والمجلس الأعلى الإسلامي (المجلس) الذي سيطر عليه «الحسيني»، وكذلك اللجنة التنفيذية العربية العليا)، أما المعسكر الثاني التنفيذية العربية العليا)، أما المعسكر الثاني فضم المعارضين لهم بقيادة النشاشيبي. لم تنقسم المدن والضواحي حول توجهات أيديولوجية، ولكن وفقا لولاءات عائلية وانتماءات محلية، ودار الصراع بين عائلة الحسيني ومعارضيها بالأساس حول السلطة ومكاسبها الاقتصادية، في حين كانت الخلافات السياسية والأيديولوجية أمرا ثانويا، على الرغم من أن عائلة النشاشيبي وحلفاءهم في القرى بمناطق الخليل ونابلس والناصرة كانوا يميلون إلى تبني مواقف أكثر اعتدالا تجاه الصهيونية والانتداب، حيث كان أعيان العائلة يلتقون - عادة بشكل سري - مع الممثلين اليهود، ويتحدثون في اللقاءات الخاصة معهم بنبرة توافقية. وقد كان التنافس بين المعسكرين هو السمة الرئيسية للسياسات العربية على حتى العام 1948، مما أدى إلى تشتيت القوة الفلسطينية في مرحلة حاسمة بما في ذلك الفترة من العام 1947 حتى العام 1948 عندما أقدمت عائلة الحسيني على اغتيال بعض مناوئيها، كذلك خلال الفترة من العام 1949 حتى العام 1948 حتى العام 1949 متى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 متى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 عند العام 1949 حتى العام 1949 عدى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 عدى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 عدى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 عدى العام 1949 حتى العام 1949 حتى العام 1949 عدى العام 1940 عدى العام 1940 عدى العام 1940 عدى العام 1940 عدى العام

أقدمت نخب العائلات خلال الثلاثينيات على تأسيس أحزاب سياسية رسمية. ففي العام 1935، أسست عائلة الحسيني الحزب العربي الفلسطيني، الذي أضحى المنظمة السياسية العربية الرئيسية. وقبيل ذلك، في العام 1934، أسست عائلة النشاشيبي حزب الدفاع الوطني، وفي العام 1932 أسس عوني عبدالهادي من السامرة حزب الاستقلال الذي تبنى أيديولوجية وحدوية عربية، كما أسس حسين الخالدي عمدة القدس، العام 1935 حزب الإصلاح. كذلك شهدت بدايات الثلاثينيات قيام يعقوب الغصين بتأسيس حزب مؤتمر الشباب، وحزب الكتلة الوطنية الذي اتخذ مركزا له في مدينة نابلس، وكان من شأن تعدد الأحزاب على هذا النحو إضعاف مركزا له في مدينة نابلس، وكان من شأن تعدد الأحزاب على هذا النحو إضعاف قوة المعارضة. ويلاحظ أن الأحزاب قد وجدت فقط على الأوراق من دون أن تكون

لها قوة حقيقية على أرض الواقع، فجميعها عارضت الصهيونية وبدرجات متفاوتة الانتداب البريطاني، وهدفت إلى إقامة دولة عربية على كل أراضي فلسطين، (على الرغم من أن حزب الاستقلال لم يتبن فكرة دولة فلسطينية منفصلة). ولم تكن هناك انتخابات داخل الأحزاب التي افتقرت كذلك إلى مؤسسات على الطراز الغربي، أو اشتراكات يسددها الأعضاء، وإنها قامت على الانتماءات والولاءات العائلية والمحلية. فالعائلات، والعشائر، والقرى كانوا هم أعضاء الأحزاب وليس الأفراد، بما يعنيه ذلك من روابط شبه إقطاعية وتبعية وولاء كمحددات للارتباط، ولقد تمكن القليل من «الأعيان» من البقاء على الحياد في الصراع بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي (25).

أجمعت كل الأحزاب العام 1936، والممثلة للفصيلين المتصارعين، على قضية واحدة تمثلت في مساندة وقيادة الثورة. وفي هذا السياق تمت تنحية الخلافات جانبا، وشكل ممثلون عن كل من الأحزاب الستة، في الخامس والعشرين من أبريل العام 1936، اللجنة العربية العليا لتنسيق الكفاح على المستوى القومي. أما على الصعيد المحلي، فقد تم تأسيس لجان وطنية في كل مدينة تولت مهمة إدارة الإضراب وغيره من الأنشطة السياسية الأخرى، وعندما بدأ الإضراب يفسح المجال لموجة عنف واسعة النطاق، عادت العداوات العائلية لتطفو على السطح نتيجة طهور عائلة النشاشيبي وحلفائها كقوة معارضة، حيث قامت بتمثيل وتأييد العرب الذين رأوا أنه لا جدوى من تلك الثورة، وكان من شأن رد عائلة الحسيني (الذي شمل الترهيب والاغتيال) أن يصفي الجانب الأعظم من المعارضة. ومن جانب آخر أدت عمليات الإرهاب والابتزاز والسلب والنهب وقطع الطرق من قبل العصابات المسلحة وحملات البحث عن المتمردين التي قام بها الجيش البريطاني، إلى تنفير القرويين وقاطني المدن. ومع نهاية العام 1938 وبداية العام 1939 ساد شعور بالسأم من القتال، فانقلبت القرى ضد المتمردين، وتم تشكيل «جماعات السلام» للتصدى للمتمردين بدعم من المعارضة والاستخبارات البريطانية.

وباستثناء المكاسب السياسية التي تمخض عنها التمرد وتضمنها الكتاب الأبيض الصادر العام 1939<sup>(\*)</sup>، تمثلت النتيجة الرئيسية له في التسبب في مقتل عدة آلاف من العرب، وفرار عشرات الآلاف من البلاد، في حين انسحب الكثيرون من النخبة (\*) يعرف كذلك بكتاب مكدونالد الأبيض، نسبة إلى وزير المستعمرات البريطاني مالكوم مكدونالد [المحررة].

والطبقة الوسطى من المعترك السياسي لشعورهم بالاشمئزاز. وأضحت إمكانية حدوث مصالحة بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي أمرا لا يمكن حتى تصوره، حيث تولدت ضغائن ورغبة في الثأر كان لها تأثير كبير للغاية على تسوية 1947 -1948.

خلال قمعهم للتمرد، حظر البريطانيون اللجنة العربية العليا وألقوا القبض على عدد من قادتها وتم نفي البعض الآخر، في حين فر عدد منهم إلى ألمانيا للعمل مع المحور خلال الحرب العالمية الثانية، وبشكل رئيسي ظل الفلسطينيين غير نشطين أثناء سنوات الحرب، ولم تتمكن الأحزاب والفصائل من إعادة تشكيل أنفسها إلا عامي 1944 - 1945، كما عادت اللجنة العربية العليا للظهور تحت هيمنة عائلة الحسيني، ومجددا شهد مطلع العام 1946 عودة الانقسامات وتدخلت الجامعة العربية في مارس من العام نفسه من خلال تعيينها لجنة عربية عليا جديدة مكونة العربية في مارس من العام نفسه من خلال تعيينها لجنة عربية عليا جديدة مكونة فقط من المنتمين إلى عائلة الحسيني وحلفائهم، ومن أبرزهم أمين الحسيني (رئيسا للجنة)، وجمال الحسيني (نائبا)، وحسين الخالدي (سكرتير)، وأحمد حلمي باشا، وإميل خوري، في حين تم استبعاد المعارضة من عضوية اللجنة.

أسفر تحييد الفلسطينيين العام 1939 وخلال الحرب، عن تقسيم فريد للسلطة والتمثيل، قامت فيه الدول العربية بتمثيل الفلسطينيين وطرح قضيتهم على البريطانيين وباقي العالم، في حين احتفظ الحسيني بسلطة تحديد ما هو مقبول ومعارضة (عادة) كل حل وسط، في وقت توارت فيه عائلة النشاشيبي بعد هزيمتها عن المسرح السياسي. ولم تسفر الجهود الصهيونية المبذولة خلال الفترة من العام 1942 إلى العام 1947 لإحياء المعسكر المعتدل (الذي لطالما اعتقدت المنظمة اليهودية أنه يمثل أغلبية الرأي العام الفلسطيني) عن أي نتيجة، وحتى يناير - فبراير 1948 ظل كبار المسئولين في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية وجهاز استخبارات الهاغاناه (من قبيل: غاد ماكنس وعيزرا دانين والياس ساسون) يأملون أن تستأنف المعارضة نشاطها وتحد من التوجه العربي للقتال وتنتزع مساندة الجماهير من عائلة الحسيني. بيد أن الخبراء العرب داخل اليشوف أكدوا بشكل عام أن مثل هذا الاحتمال غير مرجح إلا في حالة تعرض عائلة الحسيني إلى هزية عسكرية ضخمة وقيام الملك عبدالله في شرق الأردن بدعه المعارضة وتزويدها بالسلاح والمال (26).

تماشى الانقسام بين عائلة الحسيني والمعارضة بشكل نسبي مع التقسيم الجغرافي والعشائري في البلاد، مما دعم من فكرة «الإقليمية» التي اتسم بها المجتمع والسياسات الفلسطينية عبر عقود. فعلى حين تركزت قوة الحسيني في القدس والقرى المحيطة بها، فضلا عن المناطق الريفية في السامرة وغزة، كانت المعارضة قوية في الخليل، الجليل، طبريا، بيسان، نابلس، جنين وحيفا.

وكان من شأن صفة الإقليمية أن تؤدي إلى وجود مقاومة دائمة في حيفا، ونابلس والخليل لوضعية القدس المتفوقة في الحياة الفلسطينية، وازدراء قاطني المناطق المرتفعة في السامرة ويهودا (الاسم العبري للضفة الغربية) لأولئك المقيمين في السهل الساحلي.

مثل الانقسام بين المسلمين والمسيحيين عنصرا حاسما آخر داخل المجتمع الفلسطيني. فالمسيحيون - الذين تركزوا في المدن - كانوا غالبا أكثر ثروة وتعليما من المسلمين، وازدهرت أحوالهم خلال فترة الانتداب. وسادت في صفوف المسلمين شكوك من أن يقدم المسيحيون على «الخيانة» لمصلحة البريطانيين (رفقاء في الديانة المسيحية)، أو أن يتحالفوا مع اليهود (رفقاء في وضعية الأقلية). وفي واقع الأمر لم يشارك المسيحيون في تمرد 1936 - 1939. وفي مرحلة ما بين عامي 1946 و1947 وضع جهاز استخبارات الهاغانا قائمة بالشخصيات المسيحية البارزة «التي لها ميل إلى التعاون مع اليهود»، وتمت الإشارة إلى أن «هناك القليلين من هذا القبيل بين المسلمين، والعديد بين المسيحيين».

السبب وراء ذلك هو أن المسيحيين عانوا كثيرا تحت حكم المسلمين ونظروا إلى الهجرة اليهودية للبلاد وإلى الشرق الأوسط كافة على أنها نعمة... بيد أن القليل منهم كان على استعداد للتعبير عن رأيه علانية خشية ردود أفعال المسلمين (27).

في ضوء ما تقدم، رافقت الثورة درجة من العنف الموجه ضد المسيحيين، وشهدت الأعوام التي سبقت مباشرة في العام 1948 شيوع تعبيرات عن العداوة المسيحية - الإسلامية، وفي بعض الأحيان وصلت إلى العنف. وقد وفرت قصة جورج خوري بخيت من مدينة شفا عمرو (وهي مدينة صغيرة بالقرب من يافا قطنها مسيحيون ودروز

مسلمون) مؤشرا مهما في هذا الخصوص؛ إذ أطلق رجل مسلم مسلح النار على جورج خوري في الثامن من فبراير 1947مما أسفر عن وفاته بعد مرور ثلاثة أيام. وفي حين ذهب «أعيان» المسلمين، من في ذلك الحاج أمين الحسيني الذي كان موجودا آنذاك في مصر، إلى أن حادث القتل ربما كان يتصل «بدوافع شخصية»، أكد المسيحيون في شفا عمرو أن الاغتيال نُفذ على أيدي «مأجورين مسلمين» (28). ووفقا لأحد تقارير الهاغاناه، فإن «كل طفل في شفا عمرو يعلم أن جورج قُتل لأنه كان يعمل سمسار أراض لليهود» (29)، وفي الوقت الذي طالب فيه المسيحيون بتسليم القاتل الذي اختباً، مهددين بالثأر، دعا الحسيني رئيس الأسقفية الكاثوليكية اليونانية، جورج حكيم، إلى زيارته في مصر لمناقشة الأمـر (30). وأوضـح للأخير خلال اللقاء أنه «لا يوجد مكان في الوقت الحالي للشـقاق بين المسيحيين والمسلمين»(31). وعلى الرغم من ذلك وصلت العلاقات بين الجماعتين في شفا عمرو إلى أدنى مستوياتها: «فالمقاطعة المتبادلة (بين المسيحيين والمسلمين) كانت أقوى من تلك الواقعة بين العرب واليهود، ومن ثم فكر المسيحيون في مغادرة البلدة وبناء قرية جديدة لأنفسهم»(32)، في حين ذهب البعض الآخر إلى البحث في فكرة الرحيل إلى حيفا. في نهايـة المطاف خفّت حدة الضجيج، وإن اسـتمرت الحادثـة وتبعاتها تلقى بظلالها على طبيعة العلاقات الهشة بين المجتمعات العربية. وفيما يتصل بالموقف في يافا فقد كان أقل توترا ولكن من دون اختلاف، ووفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه:

لم تكن العلاقات بين الجماعتين جيدة على الرغم من أنه كان يُعافظ ظاهريا على ملامح صداقة اضطرارية. والعلاقة بين الطبقتين الدنيا والوسطى كانت أسوأ مما هي بين الأثرياء. وفي واقع الأمر، لم يكن هناك اتصالات (باستثناء المعاملات التجارية) بين المجتمعات... لقد شارك المسيحيون في اضطرابات العامين 1936 و1937 تحت الإكراه وبسبب الخوف من المسلمين، فقلوب المسيحيين الآن وبشكل عام ليست مع أعمال الشغب حيث إن أغلبهم يعمل بالتجارة ويمكن أن يصيبه الأذى...(33).

وقبيل شهر من صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة، تمخض اجتماع لنبلاء مدينة حيفا المسيحيين عن ضرورة تشكيل مليشيا مسيحية بهدف:

حماية الأرواح والممتلكات المسيحية. ومن الناحية الظاهرية بدا أن الدعوة إلى التجنيد في هذه المليشيا يقصد منه الاستعداد لمواجهة هجمات

من اليهود، بيد أن حقيقة الأمر هي أن المسيحيين أرادوا الدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات التي ربا يشنها المسلمون ضدهم في خضم حالة الفوضى التي سادت إبان عملية انسحاب الجيش البريطاني» (34).

شهدت بدايات شهر نوفمبر في العام 1947 - وفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه - محاولة بعض المسيحيين «الفرار من البلاد». وكان السبب وراء ذلك هو:

إن المسيحيين في الناصرة، ومن بينهم أغلب كبار الموظفين في إدارة الحي، عاشوا في حالة خوف على ممتلكاتهم وأرواحهم (بهذا الترتيب) من المسلمين. فقد تزايد إرهاب آل الحسيني بشكل كبير وسُلبت مبالغ كبيرة من المال من المسيحيين» (35).

فضل أغلبية المسيحيين على الأرجح استمرار الانتداب البريطاني على الحصول على الاستقلال تحت سلطة الحسيني، بل وربما يكون بعضهم قد فضل الحكم اليهودي. فالجميع كان يدرك مغزى المقولة الشعبية الإسلامية: «بعد السبت يأتي الأحد». (المقصود أنه بعد التعامل مع اليهود سيأتي دور المسيحيين). ومن أجل إحداث نوع من التوازن، بذل قادة المجتمع المسيحي قصارى جهدهم وبشكل متكرر للتعبير عن ولائهم للقضية الوطنية، وخلال عقد السبعينيات كان المسيحيون من بين الأعضاء البارزين في المنظمات الفلسطينية الأكثر راديكالية (من قبيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والتي كانت رائدة على المستوى العالمي في عمليات اختطاف الطائرات). كما توقع المسلمون، كشف العام 1848 أن قادة المجتمع المسيحي، خصوصا في حيفا ويافا، كانوا بشكل عام أقل ولعا بالقتال من أقرانهم المسلمين. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة التي أقدم عليها القادة الصهاينة لاستثمار ذلك الانقسام، فإنه في اللحظة الأخيرة كان المسيحيون دامًا يتجنبون الانتقال من مستوى التأكيدات التصالحية في الخفاء إلى العمل الفعلي بشكل معلن. ومع ذلك، شهدت الأسابيع الأولى من الحرب، تدهورا في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين على خلفية العنف المتبادل بين العرب واليهود، والشكوك التي راودت المسلمين من أن المسيحيين يتعاونون مع اليهود، وفي هذا الصدد كتب ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه في القدس ما يلى:

#### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

استمر المسيحيون في الشكوى من سلوك العرب السيئ تجاههم، ورغب العديد منهم في تـرك ديارهم، فقـد هدد أعضاء العصابات (العرب غير النظاميين) بقتلهم بعد الانتهاء من التعامل مع اليهود (36).

وفضلا على ذلك اشتكى المسيحيون من أن المسلمين كانوا «غير قادرين على أي شكل من أشكال التنظيم، وأن أي نشاط قاموا به انتهى به المطاف إلى الفشل، في حين أن الأشخاص القادرين على التنظيم كانوا المسيحيين، ومع ذلك لم يسمح لهم بتولي مناصب ذات سلطة (37).

كان هناك صدع آخر في المجتمع الفلسطيني بين المجتمعات المستقرة من جانب، والبدو من جانب آخر، فكل من الطرفين كان يزدري الآخر، وكان المجتمع القروي يخشى البدو على خلفية عقود سادت فيها عمليات السلب التي قامت بها القبائل البدوية. وقد كان البدو أكثر شرائح المجتمع العربي بعدا عن السياسة، وراودتهم الشكوك في محاولات الحسيني للتلاعب بهم، وعشية الحرب، في الخامس والعشرين من نوفمبر 1947، نُظم اجتماع سري بين شيوخ البدو في بئر السبع وشيوخ من قبائل طه وسنا وتوصل إلى ما يلي:

إن بدو النقب عثلون شريحة مستقلة (من السكان) ولا يرتبط شيوخهم بأي روابط سياسية مع قطاعات أخرى، وسيحدد البدو بأنفسهم مواقفهم من تطورات الأحداث في فلسطين، ولن يتلقوا أوامر فوقية (38).

وقد حمل هذا الموقف رسالة واضحة للجنة العربية العليا.

قدم افتقار العرب إلى مؤسسات الحكم الذاتي بمفاهيمها وتقاليدها الدليل الرئيسي على الضعف الفلسطيني العربي، فالمجتمع العربي كان منقسما إلى قطاعات تتسم بالمحدودية والضيق، كما أنه كان متخلفا، غير موحد، وغالبا يتصف باللامبالاة، وإجمالا كان بمنزلة جماعة بدأت لتوها في الدخول إلى العصر الحديث سواء كان ذلك سياسيا أو إداريا. وفي بعض الميادين (من قبيل شراء الأراضي أو تنظيم المليشيا...) حاول قادته نقل النموذج الصهيوني، بيد أن الاختلافات الشاسعة في صفات كل من الشعبين والتباين في مستويات الوعي والالتزام والقدرة على التعلم جعل العرب في موقف ضعيف للغاية بالمقارنة بالمجتمع اليهودي، وفي اللحظة التي وصل فيها اليشوف إلى وضع متقدم، كانت النتيجة اللاحقة أمرا محتوما.

عكن القول إنه على أقصى تقدير كان لدى الكثيرين من السكان العرب قبيل العام 1948 مجرد فكرة غامضة عن هدف وطنى يتصل بإنشاء دولة، وفي المقابل كان هناك وضوح حول أمر واحد فقط: اليهود يسعون إلى طردهم، الأمر الذي يستلزم إحباط مخططاتهم ودفعهم إلى خارج البلاد. وفي المقابل فإنهم كانوا أقل تحمسا أو اتحادا حول هدف طرد البريطانيين. وإجمالا، وباستثناء دائرة صغيرة محدودة العدد من النخبة، لم يكن الفلسطينيون مستعدين لحمل الرسالة الوطنية أو لتحقيق المتطلبات الواجب توافرها لتحقيق الذات الوطنية، سواء كان ذلك خلال الفترة من 1936 إلى 1939 أو - وبشكل أكثر وضوحا - في الفترة 1947 - 1948؛ فالالتزام والاستعداد لدفع الثمن يفترض وجود مفهوم واضح للأمة والانتماء الوطني، وهو ما افتقده العرب نتيجة لحالة الانغلاق على العشيرة، أو القرية، أو في أقصى تقدير الاقتصار على نظرة إقليمية محدودة. وبنهاية الأربعينيات كان الجانب الأكبر منهم لايزال يفتقر إلى الشعور بهوية مستقلة سواء كانت وطنية أو ثقافية تميزهم عن العرب الآخرين، على سبيل المثال في سـورية. وعلى الرغم من أن مثل هذا الشـعور بدأ في النضـج خلال فترة الانتداب، نتيجة لانتشار التعليم، والإلمام بالقراءة والكتابة، وشيوع الصحف والمذياع، فإن عملية النضج ذاتها كانت بطيئة وفشلت في مسايرة الحقائق على أرض الواقع والمتطلبات التي تفرضها التغيرات المفاجئة والسريعة، فبالنسبة إلى الجماهير الفلسطينية كان الصراع من أجل إقامة دولة مسألة بعيدة.

فسر الافتقار إلى الوعي السياسي والالتزام (فضلا عن عدم توافر الأشخاص المتعلمين) جزئيا الفشل في إقامة مؤسسات حكم ذاتي. حتى في المجال الوحيد الذي كان لدى العرب فيه مؤسسات «حكم ذاتي» تقوم على شكل ما من أشكال الانتخابات، (حتى وان كانت تتم بشكل غير منتظم: 1926، 1934، 1934 وتقصر حق التصويت على الأعيان)، والمقصود بذلك البلديات، عجزت تلك المؤسسات عن العمل بنفس الكفاءة التي اتسمت بها المؤسسات المشابهة في اليشوف. ولعل البحث في مجال الميزانية يقدم مثلا واضحا على ذلك. فقد بلغت ميزانية مدينة الرملة العربية بسكانها العشرين في عام 1941 6,317 جنيها إسترلينيا. ومدينة جنين الأكثر صغرا بكثير كانت ميزانيتها عام 2,320 جنيها، وبيت لحم (التي قطنها ما يزيد على عشرة آلاف نسمة) 3,245 جنيها، ونابلس (التي بلغ عدد سكانها في العام 1942 ما يقرب من 30,000) (17,223 جنيها،

وياف (ذات الأغلبية العربية الساحقة بما يقدر بـ 70 ألفا في العام 1942) 90,967 جنيها، وبالمقارنة بمدينة بتاح تكفا اليهودية والبالغ عدد سكانها 30 ألف نسمة والتي بلغت ميزانيتها في العام 1941 39,463 جِنيها، وتل أبيب وعدد سكانها 200 ألفا في العام 779,589 جنيها.

قثلت المؤسسة الوطنية الوحيدة التي كانت تعمل خلال فترة الانتداب في اللجنة الإسلامية التي ترأسها حتى العام 1937 الحسيني، وظلت تحت سيطرته حتى العام 1948. وكانت مختصة بإدارة الأوقاف (الجهة الإسلامية المسؤولة عن الأماكن المقدسة) والمحاكم الإسلامية (الشريعة) وصيانة المساجد وتعيين المسؤولين الدينيين (الأئمة والخطباء)، فضلا عن إدارة عدد من الخدمات التعليمية والاجتماعية (مثل المدارس ودور الأيتام)، وكان يتم تعيين أعضاء هذه المؤسسة من قبل الحكومة. خلال العشرينيات والثلاثينيات استغل الحسيني النفوذ المالي للمؤسسة، الذي خلال العشرينيات والثلاثينيات استغل الحسيني النفوذ المالي للمؤسسة، الذي أق بشكل أساسي من الحكومة، لحشد التأييد ضد النشاشيبي، وفي الوقت نفسه وقي منتصف الثلاثينيات أصبح دور المنظمات المحلية هامشيا بعد تأسيس اللجنة وفي منتصف الثلاثينيات أصبح دور المنظمات المحلية هامشيا بعد تأسيس اللجنة العربية العليا، وكذلك بعد نفى الحاج أمين الحسيني خارج البلاد.

كانت اللجنة العربية العليا بمنزلة الجهاز الوحيد الذي اقترب من شكل الحكومة (كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى الوكالة اليهودية)، غير أنها عملت بشكل متقطع في الفترة من 1936 حتى 1938، وباشر أعضاؤها (مجلس الفترة من 1936 حتى 1938، وباشر أعضاؤها (مجلس وزراء فلسطين العربية) أعمالهم من خارج البلاد خلال الفترة من 1937 حتى 1948. وقد كان المفتي هو الرئيس الاسمي في حين تولى ابن عمه جمال الحسيني تسيير الأمور اليومية. وخلال الفترة من 1947 حتى 1948 كان لدى اللجنة ست إدارات غطت من الناحية النظرية ملفات متنوعة من العمل السياسي: إدارة الأرض (على رأسها مصطفى الحسيني) وكانت مسؤولة عن شراء الأراضي ومنع اليهود من القيام بذلك؛ الإدارة المالية (برئاسة عزام طنوس) وكانت مسؤولة عن النفقات والسعي وراء الحصول على التمويل؛ والإدارة الاقتصادية (وعلى رأسها ياسين الخالدي) والتي تولت مسؤولية العمليات التجارية والتصدير والاستيراد؛ ولجنة المقاطعة (برئاسة تولت مسؤولية العمليات التجارية والتصدير والاستيراد؛ ولجنة المقاطعة (برئاسة وإدارة الخطيب) التي أشرفت على مقاطعة البضائع والخدمات اليهودية؛ وإدارة

المنظيم الوطني (وعلى رأسها رفيق تميمي) وكانت مسؤولة عن الاتحادات الرياضية والمحادات الشباب؛ وإدارة السجناء والخسائر البشرية (برئاسة محمد سعيد غريبة وسالح رياوي) التي أوكلت إليها مهمة رعاية أسر الذين قتلوا أو جرحوا أو سجنوا أثناء قيامهم بخدمة الوطن وأسرهم؛ فضلا عن إدارة الصحافة (برئاسة محمود شركس) وكانت بمنزلة جهاز إعلام أو دعاية يشرف على التغطية الإعلامية والعلاقات مع الصحافيين. ومع ذلك فشل ذلك التشكيل في تغطية قطاعات مهمة أخرى تدخل في نطاق عمل الحكومات (الخدمات الصحية، التعليم، النقل، العلاقات الخارجية، في نطاق عمل الميادين التي شملها فقد تم التعاطي معها بطريقة متواضعة. وفي نهاية الدفاع)، أما الميادين التي شملها فقد تم التعاطي معها بطريقة متواضعة. وفي نهاية الخصوص ذكر جهاز استخبارات الهاغاناه:

في حقيقة الأمر، سادت حالة من الفوضى في الإدارات وكانت الحدود بين اختصاصاتها مشوشة بوجه عام. وتدخل كل موظف في اختصاصات زميله، وكان هناك قدر قليل من تحمل المسؤولية مما زاد من ضخامة الانتقادات من قبل العامة، في حين كان يُختار المسؤولون ورؤساء الإدارات بطرق غير نظيفة، حيث ساد الفساد ومحاباة الأقارب.

في واقع الأمر ظل الفلسطينيون يعتمدون في أغلب القطاعات على إدارة الانتداب، وبالتالي عندما بدأت الأخيرة في الانهيار (شتاء 1947 - ربيع 1948)، وعم القتال المدن والقرى والطرق، انزلقت فلسطين العربية، خصوصا المدن، نحو الفوضى، وسادت حالة الاضطراب تداول المواد الغذائية وتقديم الخدمات الصحية والنقل العام والاتصالات في حين تلاشى الأمن والنظام. وفي المقابل، تمكن اليشوف من التأقلم مع ظروف الحرب والحصار نفسها، وبعدد أقل من القوى العاملة، وعلى الرغم من افتقاره إلى مساندة دول مجاورة صديقة.

### الاستعدادات العسكرية

كان التباين التنظيمي بين المجتمعين (العربي واليهودي) قبل 1948 واضحا في المجال العسكري شأنه في ذلك شأن المجالات الأخرى وربما بدرجة أكبر. فعلى الرغم من أن

العرب بدأوا في الاستعداد للحرب في مطلع الثلاثينيات، فإن النتائج التي تم التوصل إليها كانت هزيلة، وجاءت الضغائن السياسية الداخلية لتضعف من أهمية تلك الإنجازات.

تم تأسيس ثلاث مؤسسات قتالية جهادية: «الكف الخضراء» في منطقة الخليل، و«الجهاد المقدس» في منطقة القدس، وقادها عبد القادر الحسيني - ابن أخ المفتي - و«الشباب الثائر» في منطقة طولكرم - قلقيلية، وقامت التشكيلات الثلاث بتخطيط وتنفيذ هجهات ضد البريطانيين وإن كانت محدودة. وكانت الأنشطة التي قادها الشيخ عزالدين القسام في محيط مدينة يافا وشمال السامرة أكثر إثارة وخطورة. فبعد قيام فرقته بقتل عدد من المستوطنين ورجل شرطة، تعرضت للحصار والتصفية من قبل البريطانيين أواخر العام 1935.

كان لقرار الحسيني الخاص بتأسيس جماعات الشباب «الفتوة» وقع أكثر أهمية في تجييش فلسطين العربية؛ والتي قامت بالتدريب العسكري على استخدام السلاح للطلبة صغار السن، وذلك على غرار نموذج منظمات الشباب النازية (40). وقد أفرزت هذه التنظيمات بعض الكوادر السياسية التي نظمت الإضراب العام في 1936، وما تلاه من أعمال عنف خلال فترة التمرد؛ وقد جرت عملية إعادة تأسيس «الفتوة» في أعقاب الحرب العالمية الثانية، غير أن أعضاءها لم يتجاوزوا على الإطلاق مئات عدة من الشباب الحاملين للسلاح.

بناء على مبادرة من المعارضة - التي كان مركزها في مدينة «يافا» - تأسست منظمة أكبر تحت مسمى «النجادة» في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وبحلول صيف العام 1946 تراوح عدد أعضائها ما بين 2000 و3000 فرد بقيادة محمد غر الهواري، وكان ضباطها من الفلسطينيين العرب الذين خدموا في الجيش البريطاني. بيد أنه خلال محاولة الحسيني السيطرة عليها قُضي عليها (41)، وترتب على كل ذلك أن الفلسطينيين دخلوا الحرب من دون أي مليشيا وطنية.

استندت القوة العسكرية الفلسطينية خلال حرب 1948 إلى عدد محدود من الجماعات (أو العصابات) المسلحة ضمت كل منها مئات عدة من الأفراد غير النظاميين، بالإضافة إلى المليشيات التي شُكلت في كل مدينة وقرية على حدة.

وقد كانت الجماعات المسلحة غير النظامية - ومن أبرزها «جيش الجهاد المقدس» بقيادة عبد القادر الحسيني في منطقة المرتفعات المحيطة بالقدس، وجماعة حسن سلامة في الضواحى بالقرب من اللد والرملة - ليست سوى إعادة

تشكيل للجماعات التي كانت نشطة في الفترة من 1936 حتى 1939. وكانت مسلحة بأسلحة خفيفة وتعتمد على خطوط إمداد (غير مضمونة غالبا) للذخيرة خارج فلسطين. كما أنها لم تتمتع بتنظيم لوجيستكي، وإنما كانت تنتقل من قرية إلى أخرى وتفرض وجودها على السكان الممانعين لذلك. وكان أغلبية عناصرها من منتسبي اللجنة العربية العليا وغالبا ما كانوا على خلاف مع مليشيات المدن المجاورة التي قادتها عادة شخصيات من المعارضة وقوات جيش الإنقاذ. وخلال نصبهم لكمائن للقوافل التابعة لليشوف أو مهاجمتهم لمستوطناته، كانت عناصر من المليشيات المحلية تنضم إليهم، مما أسفر عن نشر حالة «فزعة» (أو إنذار كما كانت عليه الحال في «كونكورد» و«ليكسنغتن» في بداية الثورة الأمريكية). وبنهاية اليوم كانت عناصر المليشيا تتفرق لتعود إلى ديارها. وبصفة عامة فإن حالات «الفزعة» كانت معتادة بدءا من شهر يناير حتى شهر مارس على طول الطريق المؤدية من القدس الم تل أبيب، ولكن بقيت كل مليشيا متمركزة في قريتها بهدف الدفاع عنها ضد الهجمات اليهودية.

كانت المليشيات المنفصلة في كل قرية تضم عشرات عدة من الرجال يفتقرون إلى التدريب العسكري، وإن كان في حوزتهم بنادق تفاوتت درجة حداثتها وأعيرتها. وفي بعض الأحيان توفر لدى القرية مدفعا أو مدفعين متوسطين وعددا محدودا من المسدسات، وعادة كان هناك نقص في الذخيرة وانعدام للتنظيم اللوجستيكي الواجب توافره للقيام بعمل قوي ومستمر خارج القرية.

على الرغم من عدم توافر أرقام نهائية عن حجم مخزون السلاح لدى تلك المنظمات البدائية، فإنه عكن تكوين فكرة عن القوة العسكرية لعرب فلسطين من خلال الأرقام الخاصة بتسليح كل قرية على حدة، فقرية غوير أبو شوشة بالقرب من بحر الجليل والبالغ عدد سكانها 1240 نسمة في أبريل 1948، كان لديها وفقا للتقارير مليشيا مكونة من 48 فردا في حوزتهم من 35 إلى 40 بندقية من أنواع مختلفة، وذخيرة تكفي للاستخدام ما بين 20 و50 مرة لكل فرد. أما بالنسبة إلى قرية عين الزيتون بالقرب من صفد - والتي قطنها 800 شخص - فقد توافرت مليشيا ضمت من 50 إلى 60 فردا بحوزتهم من 40 إلى 50 بندقية متنوعة ومدفع أو مدفعين، وبذخيرة تكفي لما بين 25 إلى 30 مرة استخدام لكل بندقية. وفي مدينة

سريعة حول طبيعة مجرى الأمور:

صفد التي سكنها 9500 نسمة وُجدت مليشيا مكونة من 200 - 250 فردا مسلحين بذخيرة تكفي لاستخدام البندقية من 35 - 50 مرة، وفي مدينة الخليصة في سهل المجليل البالغ عدد سكانها 1840 نسمة كانت هناك مليشيا ضمت 35 - 40 رجلا مسلحا بذخيرة تكفي لاستخدام البندقية من 50 - 70 مرة (42). وفي يناير 1948، وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه، كان في حوزة قرية الطيرة جنوبي حيفا 40 مسدسا و46 بندقية و4 مدافع خفيفة و3 مدافع ثقيلة ولكن من دون ذخيرة، وفي عين غزال القريبة والتي قطنها 3000 نسمة توافر في منتصف العام 1947 83 سلاحا، من بينها 23 مسدسا و45 بندقية عتيقة الطراز (43). وفي المدن الكبرى لم يكن الموقف أفضل (44). إن نظرة عن قرب على الأحداث خلال شهر مارس 1948 في منطقة لم تصبها الحرب، ومن قبل مسؤول أو ضابط طبيب بريطاني غير معلوم الاسم، تعطى فكرة الحرب، ومن قبل مسؤول أو ضابط طبيب بريطاني غير معلوم الاسم، تعطى فكرة

لقد قضيت الفترة من بعد ظهر السبت حتى صباح الأحد في قرية الرأس الأحمر في شمالي الجليل... لم تكن هذه القرية بطبيعة الحال ذات أهمية كبيرة، ولكنها أعطت مؤشرا على أنه إذا كانت الحال في القرى كافة كما رأيت فإن العرب للن يذهبوا بعيدا في القتال. فلم تتوافر أي أطقم طبية أو أي فرد لديه فهم بالعمل الطبي، وكانت لديهم ذخيرة تكفي لهجوم واحد من دون أي احتياطي أو قيادة يعتد بها.

وعندما توجهت إليهم بالسؤال حول المكان الذي وضعوا فيه الهاون والمدافع أجابوا بأن الحسيني سيرسلها في الوقت المناسب، كما أنه سيزودهم بكل ما يحتاجون إليه، فهناك قدر كاف من الأسلحة في نابلس والخليل كما قالوا.

وبشكل عام فإن رجال هذه القرية (الموالية للحسيني) تصرفوا كمجموعة من طلبة المدارس، مظهرين أسلحتهم في نوع من الاستعراض ليظهروا لي مدى خشونتهم واستعدادهم لمحاربة اليهود، وكذلك أسفهم لعدم وجود يهود في الجوار لقتلهم (45).

اعتمد الفلسطينيون خلال فترة الانتداب على أطباء الحكومة (أغلبهم من اليهود) ومؤسساتها الطبية، وقد كان الافتقار إلى الخدمات الطبية مصدر إزعاج شديد للفلسطينين خلال الحرب التالية (46).

وعلى صعيد آخر ساهمت مجموعة من العوامل في إعاقة الجهود التي بُذلت للحصول على أسلحة خلال الأشهر الأخيرة للعام 1947، ومن بينها الانقسام بين الحسيني والنشاشيبي، والفقر، وعدم توافر الإرادة في مساندة القضية الوطنية، وهو ما عكس المستوى المنخفض للوعى السياسي والالتزام. ومنذ منتصف العام 1947، واقـتراب صـدور قرار الأمم المتحدة، بدأ القادة الفلسـطينيون في فرض ضرائب وجمع التبرعات لتمويل الحرب وشيكة الوقوع؛ حيث فرضت الضرائب على السـجائر (واحد في الألف من سـعر العلبة) وتذاكر الحافلات (خمسة في الألف من سعر الرحلة). ولكن كان من الواضح أن العامة لم تشارك في هذا العمل بحماس، فبحلول الأول من نوفمبر في العام 1947 بلغت قيمة المبلغ الذي جُمّع 25,000 جنيه إسترليني، وكان من الواضح أن مثل هذا المبلغ لا يمكن أن يكفى لتمويل أنشطة اللجنة العربية العليا التي تزايدت بشكل مطرد»(47). وخلال الشهر الأول من الحرب، أشار تقرير لجهاز استخبارات الهاغاناه إلى العـشرات من الحالات التي ناشـد فيها القـادة العرب المحليـون والجماعات العسكرية الجماهير تقديم المساهمات، وهو ما قُوبل بعدم توافر الإرادة. وعلى سبيل المثال تواترت معلومات عن قيام نبلاء قريتي عرب السطرية ويبنى في السهل الساحلي الجنوبي بتحصيل مبلغ 25 جنيها إسترلينيا من كل فرد -تحت وقع الضغط والتهديد- لتمويل عملية شراء الأسلحة(48). لم يكن لدى الفلسطينيين العرب قدرة على تصنيعها.

على الرغم من وصول عدد صغير من الوحدات غير النظامية من الخارج، فإن الأمور لم تتحسن بشكل كبير خلال الأشهر الأولى للحرب، فقد أوضح تقرير استخباري صادر في دمشق أواخر شهر مارس في العام 1948 أن مليشيات المدن:

لم يكن في حوزتها إلا القليل من البنادق القديمة وعدد محدود من الرشاشات والقنابل اليدوية... وقدرة هذه القوات على أن تصد اليهود، الذين كانوا متفوقين في العدد والعتاد، كانت موضع شك (49).

فيما يتصل بوحدة القيادة والسيطرة للقوات المسلحة خصوصا في المدن، كان العرب بشكل كبير في وضع غير موات، وهو ما تبين بشكل صارخ خلال الشهور الأولى للحرب. ففي خلفية الأحداث كان هناك دائما الانقسام بين الحسيني والنشاشيبي

الـذي عاد للظهور إلى السـطح خلال العامـين 1946 - 1947 حيث انبعثت اللجنة العربية العليا مجددا وأعادت فرض سلطتها. وخلال الفترة ما بين شهر أبريل 1946 حتى 1947 انطلقت حملة إرهاب حقيقية (عـلى غرار ما حدث في العامين 1937 - 1938) ضـد رموز المعارضة ومن حامت حولهم شـبهات التعـاون مع الصهاينة: ففـي الثالث والعشرين من نوفمـبر في العام 1946 أغتيل فوزي درويش المرتد عن عشـيرة الحسيني، وهُوجم أعضاء من عشـيرة أبو غوش في الخامس والعشرين من ديسمبر من العام نفسه، وشهد شهر فبراير 1947 اغتيال علي شاهين في يافا، وجرت محاولات خلال شهر أبريل لاغتيال كل من محمد ياسين وغر أرسان وزكي سفاريني ومحمد يونس الحسـيني. ووصفت صحيفة فلسطين الصادرة في يافا آنذاك محاولة اغتيال الأخير على أنها عودة إلى أحـداث 1937 - 1939 وضربة للوحدة الوطنية، وعلى الرغم من قيام المعارضة بعمليات انتقامية، فإنها لم ترق إلى المسـتوى نفسه، وانتهى الأمر في نوفمبر 1947 بإسكاتها تماما(60).

وفرت سيطرة الحسيني على المشهد السياسي مظهرا خارجيا للوحدة في بداية القتال؛ حيث دُفنت الخلافات مؤقتا وشُكلت لجان وطنية، كما كانت عليه الحال في العام 1936، في كل مدينة وفي بعض القرى. غير أن الاختلافات في التوجهات السياسية والمصالح الاقتصادية سرعان من بدأت في الظهور. فعلى المستوى القومي كانت هناك مليشيات تخضع لسيطرة أجهزة مختلفة (اللجنة العربية العليا، المعارضة، اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، جيش التحرير العربي، الحكومة الأردنية، الإخوان المسلمين في مصر)، وفي بعض المدن مثل يافا وأجدت مليشيات عدة دانت كل منها بالولاء لسيد مختلف وفر لها الأموال والسلاح والتعزيزات، وعلى المستوى المحلي، في بعض المناطق مثل الأراضي النائية في القدس كانت هيمنة الحسيني عليها تعني إستراتيجية عدائية وهجومية ضد الطبقتين العليا والمتوسطة - كما كانت عليه الحال في يافا وحيفا - كُبح جماح الطبقتين العليا والمتوسطة - كما كانت عليه الحال في يافا وحيفا - كُبح جماح عدوانية الحسيني بشكل متقطع. وفي كل أرجاء البلاد ساد انعدام التنسيق والتعاون بين اللجنة العربية العليا واللجان الوطنية خصوصا في كل من يافا وحيفا. وعلى الرغم من جهود اللجنة العربية العليا لتدعيم سيطرتها من خلال وحيفا. وعلى الرغم من جهود اللجنة العربية العليا لتدعيم سيطرتها من خلال

الاتصالات المباشرة مع مؤيدها (أمّة، موظفي المحليات، قادة المليشيات المحلية) متجاوزة اللجان الوطنية، فإن نجاحها في ذلك لم يكن إلا جزئيا(51).

مثلت حيفا ويافا نموذجين لمشكلة أكثر عمومية أثرت في الأداء الفلسطيني في الحرب، فالمليشيات في كل منطقة ومدينة عملت إلى حد كبير في معزل عن السيطرة السياسية، وقد كان هذا واضحا خصوصا في المدن التي وُجدت بها قوات كبيرة من القوات النظامية غير المحلية، ومن بينها يافا. فالمليشيات في يافا وحيفا وأيضا القدس تجاهلت أو تحدت بشكل كبير التعليمات الصادرة من لجانها الوطنية، ومن وقت إلى آخر تلك الصادرة من اللجنة العربية العليا، أو اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية. في نهاية يناير العام 1948 اشتكى قائد اللجنة الوطنية في القدس عضو اللجنة العربية حسين الخالدي للمفتي من أن القوات غير النظامية التابعة لعبد القادر الحسيني كانت تتجاهل أوامره بشكل عام وتتصرف من دون التابعة لعبد القادر الحسيني كانت تتجاهل أوامره بشكل عام وتتصرف من دون أي تنسيق، وذهب الخالدي إلى القول إن ذلك أدى إلى سيادة «تشويش لا يمكن أوصفه» (52). دفع ذلك بالسلطات البريطانية إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن اللجان الوطنية واللجنة العربية العليا نجحت فقط في ممارسة «سلطة نسبية واهية» على الملبشيات في المدن (53).

فيما يتصل بالريف، اتجهت كل قرية إلى اتخاذ قراراتها والتصرف بشكل منفرد، مسا أدى إلى دخولها الحرب، وانهزامها، بمفردها. وبين الفينة والأخرى ساند أفراد المليشيات في قرية أو أكثر، جماعة من القوات غير النظامية، بمهاجمة مستوطنة أو قافلة يهودية، غير أن النسق العام تمثل في اتخاذ مواقف دفاعية نتيجة سيادة قدر كبير من الاعتقاد في القدر. وفضلا على ذلك، لم تكن القرى مصممة لحالة الحرب؛ حيث افتقرت إلى الخنادق والتحصينات، كما أن سكانها لم تتوافر لديهم على عكس ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى قاطني الكيبوتسات - الاستعداد النفسي لمقاومة الهجمات عليهم، والتي اتسمت غالبا في العام 1948 بإطلاق وابل من قذائف الهاون وفي بعض الأحيان غارات جوية خفيفة. وهكذا فإن ميل القرى إلى أن تتعامل بشكل منفرد مع الموقف وعدم استعدادها للقتال أسفرا عن نتائج كارثية؛ حيث كانت باستطاعة الهاغاناه السيطرة على القرى الواحدة تلو الأخرى من دون أن تتعرض لدفاعات متناغمة عبر الأقاليم، وفي كثير من المناطق لم يكن هناك حتى

تعاون في العملية الدفاعية بين القرى المتجاورة نتيجة للغيوم التي لبدت سماء العلاقات بينها، والتي نتجت عن الضغائن والتنافس على الأرض أو غيرها.

بشكل عام تكونت لدى الفلسطينيين في نهاية العام 1947 صورة مضخمة وبالتالي مُحبطة حول قوة اليشوف العسكرية. وقد تضمن تقرير من مصدر استخباراتي يهودي في أكتوبر العام 1947 وصفا للموقف في الريف على النحو التالي:

إن الفــلاح خائف من الإرهابيين اليهود... الذيــن يمكن أن يقذفوا قريته بالمدافـع ويدمــروا ممتلكاته... وســاكن المدينة اعترف بأن قوتــه غير كافية لمحاربة القوة اليهودية وتطلع إلى الإنقاذ من الخارج [المقصود من قبل الدول العربية]، وفي الوقت نفســه، كانت الأغلبية المعتدلة... في حالة ارتباك وذعر... حيث كدســت المواد التموينية...وكان يتــم إكراههم والضغط عليهم من قبل المتطرفين...وكان السلام والهدوء هو كل ما يريدونه (54).

توقع الفلسطينيون أنهم سيخسرون المعركة، ولكن وفي ضوء رؤيتهم للصراع على أنه سيستمر لعقود أو قرون فإنهم اعتقدوا أن اليهود، شأنهم في ذلك شأن الملوك الصليبيين في القرون الوسطى، سينتهي بهم المطاف إلى الهزيمة على أيدي العالم العربي (55).

تضمن تقييم للاستخبارات الحربية البريطانية في يوليو العام 1947 تقديرا بأن الدولة اليهودية طور التكوين يمكنها أن تهزم العرب الفلسطينيين حتى لو سُوندوا بطريقة سرية من قبل دولة أو دولتين عربيتين (56). وقد توصلت اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، ومقرها في دمشق، في أكتوبر العام 1947 إلى نتائج مماثلة:

- أ أن الصهيونيين في فلسطين (منظمات وأحزابا، سياسيا وعسكريا وإداريا) على مستوى عال من التنظيم، وهذه المؤسسات عكنها أن تتحول بشكل فوري إلى حكومة صهيونية عملك الوسائل اللازمة كافة للحكم.
- ب يمتلك اليهود اليوم قوات ضخمة، سواء من حيث العناصر البشرية أو التسليح أو المعدات.
  - ج اليهود لديهم موارد اقتصادية هائلة داخل البلاد وخارجها.

د - اليهود لديهم قدرة كبيرة على الحصول على دعم ومعدات من وراء البحار بكمبات ضخمة.

وفيما يتعلق بالعرب الفلسطينيين أوضحت النتائج ما يلى:

أ - ليس في حوزة الفلسطينين العرب حاليا قوات كافية ( بشرية، أسلحة، معدات) محدات) محدات) محدات الصهيونية.

ب- في المناطق ذات الأغلبية اليهودية يعيش الآن 350 ألف عربي في قرى منعزلة وتكتلات مهددة بالتدمير حال شن الصهاينة عمليات حربية واسعة. بعد مرور شهر على هذا التقييم، وقبيل صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم بيومين، أوضح اللواء العراقي إسماعيل صفوت، الذي شغل آنذاك منصب رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، لرئيس أركان القوات المسلحة العراقية أن «أغلب الفلسطينيين العرب لا يمكنهم الآن بأي طريقة من الطرق سد القوات الصهيونية، وذلك على الرغم من تفوقهم العددي...»(57). وهكذا اتفق المراقبون كافة (يهودا - بريطانيين - فلسطينيين عربا - وعربا من خارج البلاد) عشية الحرب على أن الفلسطينيين غير قادرين على هزيمة الصهاينة أو صد أي هجوم من الحرب على أن الفلسطينيين غير قادرين على هزيمة الصهاينة أو صد أي هجوم من المعددي...

شهدت فلسطين في الفترة ما بين ديسمبر 1947 ومنتصف مايو 1948 صراعا ضاريا تضمن مظاهر حرب عصابات وإرهاب بين مجتمعين متداخلين بشكل كبير. فقد كانت هناك مناطق متجاورة مختلطة - في القدس وحيفا- وكذلك مدن بها خليط من مناطق منفصلة عربية ويهودية - القدس وحيفا وصفد وطبريا - ، ووجدت في كل حي ريفي وعلى امتداد أغلب الطرق قرى يهودية وعربية متداخلة. وقد كان الاستثناء على ذلك فقط في، مناطق التلال المركزية في يهودا خصوصا السامرة، التي عرفت فيما بعد باسم الضفة الغربية؛ حيث كان السكان بشكل شبه عصري من العرب.

دارت الحرب الأهلية بين المجتمعين بشكل رئيسي في المدن والمناطق الريفية ذات الطبيعة المختلطة، وغالبا في السهول، حيث كان اليهود عثلون عامة الأغلبية الديموغرافية المهيمنة. وقد عمل كل طرف على عزل ومحاصرة الطرف الآخر ومدنه وقراه ومواقعه المتقدمة. وكان اليهود (نصف سكان القدس ويافا) والعرب

#### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

(نصف سكان حيف) أكثر تأثرا في هذا المجال، غير أنه في نهاية المطاف لم يتمكن الفلسطينيون وجيش التحرير العربي من الاستيلاء على مستوطنة يهودية واحدة، في حين تمكن اليهود، بحلول منتصف مايو، من الاستيلاء على 200 قرية ومدينة عربية، عا في ذلك يافا، بيسان، صفد، حيفا العربية، وطبريا العربية. وحقيقة الأمر فإن الافتقار الفلسطيني إلى السلاح والعناصر البشرية المدربة، فضلا على تعدد مراكز القوى وعدم التنظيم وسيادة الارتباك، كلها عوامل عكست عدم توافر الإعداد المناسب في الفترة السابقة للعام 1948.

# العالم العربي

اعتقد الفلسطينيون العرب أن النجدة ستأتي من العالم العربي المحيط بهم، بيد أن الانقسامات داخل المجتمع الفلسطيني تماشت مع الانقسامات بين الفلسطينيين أنفسهم وأولئك الذين جاءوا لمساعدتهم. فاليشوف تلقى مساعدات مالية من الغرب، وأساسا من الشعب اليهودي في أمريكا، أما العرب الفلسطينيون، فإنهم على الرغم من مساعيهم المستمرة، لم يتمتعوا بالقدر نفسه من المساعدات المنتظمة التي يمكن الاعتماد عليها من الدول العربية أو العالم الإسلامي. وفي الواقع فإن رفض الحكومات والجيوش العربية، في نهاية 1947 وبداية 1948، لمطالب الفلسطينين بتزويدهم بالمال والعتاد والتعزيزات لم يكن إلا استمرارا لما كان عليه الوضع من بتزويدهم بالمال والعتاد والتعزيزات لم يكن إلا استمرارا لما كان عليه الوضع من قبل. وقد ترتب على ذلك، بشكل تراكمي، أن تولد بين الفلسطينيين شعور بالتخلي عنهم، وهو ما شكل مصدرا رئيسيا لتملك اليأس منهم في العام 1948.

بحلول شهر مارس 1948 وصل إلى فلسطين إجمالا ما يقارب خمسة آلاف متطوع عربي، جاء أغلبهم من المناطق المدنية الفقيرة وممن ألفوا العيش في السجون من العراق. وسورية ولبنان، ونُظموا تحت مسمى جيش التحرير العربي تحت قيادة فوزي القاوقجي، ومن الناحية العسكرية فإنهم كانوا غير مجديين بكل معنى الكلمة، وطوال فترة بقائهم في فلسطين كانوا دامًا على خلاف مع المليشيات المحلية والسكان. وقد رفض جيش التحرير العربي سلطة اللجنة العربية العليا (أي الحسيني)، وفشل بشكل عام في تنسيق عملياته مع الجماعات والمليشيات المحلية. فيما يتصل بالدول العربية، كان كل منها يجذب في اتجاه مختلف وله اهتماماته

الخاصة في مناطق معينة في فلسطين، وساند بعض الجماعات (على سبيل المثال ساندت مصر متطوعي الإخوان المسلمين في الجنوب) ولم تكن على مستوى كبير من الكرم في استجابتها للاحتياجات الفلسطينية من المال والسلاح. ونظر معظم الزعماء العرب إلى الحاج أمين الحسيني بكراهية، وكان لهم أجنداتهم الخاصة.

أفسحت الحرب الأهلية الطريق للحرب بين إسرائيل والعرب. ففي الرابع عشر من شهر مايو أُعلن عن إقامة دولة إسرائيل وغادر البريطانيون البلاد. وفي الخامس عشر والسادس عشر قامت جيوش كل من الأردن، وسورية، ومصر بغزو فلسطين حيث كان الهدف المُعلن هو مساعدة الفلسطينيين، وإن أمكن، الحيلولة دون إقامة الدولة اليهودية واحتلال كل من الجزء العربي واليهودي من فلسطين. ومن جانبه تحدث الأمين العام لجامعة الدول العربية عزام باشا عن مذبحة لليهود مماثلة لما قام به المغول في بغداد في القرن الثالث عشر، أما فيما يخص الأردن، فقد تمثل الهدف الرئيسي من الغزو في احتلال أكبر قدر ممكن من فلسطين العربية بغية ضمه إليها.

استغرقت الحرب بين إسرائيل والدول العربية فترة طويلة وكانت دامية (نحو أربعة آلاف من سـتة آلاف قتيل من اليشوف سـقطوا بعد 14 مايو) واعترف قادة اليشوف بأنهم يواجهون خطرا مميتا، ففي الثاني عشر من مايو، أي ثلاثة أيام قبيل الغزو، أُخطر بن غوريون بواسطة كبير مستشاريه العسكريين (الذي غالى في تقدير حجم الجيوش العربية وإعداد وكفاءة القوات التي عكن إرسالها لفلسطين، تماما كما كانت الحال بالنسبة إلى الجنرالات العرب الذين مالوا إلى المغالاة في تقدير قوة القوات اليهودية) أن «فرص» النصر كانت «متعادلة تقريبا» (85). وحقيقة، فإن فترة الثلاثة أو الأربعة أسابيع الأولى للقتال بدت خطيرة، من منظور اليشوف، فخلال الفترة من 15 - 18 مايو انتشر الجيش الأردني «الجيش العربي» في منطقة المرتفعات الفترة من 15 - 18 مايو انتشر الجيش الأردني «الجيش العربي» في منطقة المرتفعات الأملة بالسكان العرب في يهودا والسامرة متجنبا القتال مع اليهود، لكن وقعت اشتباكات حول القدس، وتركزت على المدينة نفسها، وحصن الشرطة وتقاطع الطرق أسباكات حول القدس، وتركزت على المدينة نفسها، وحصن الشرطة وتقاطع الطرق السورية والعراقية والمصرية الحدود الدولية وهاجمت المستوطنات اليهودية في المناطق التي خُصصت لليهود وفقا لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، كما قصف سلاح الطيران المصري مدينة تل أبيب.

تتعبت الجيوش العربية في البداية عيزة المفاجأة التكتيكية والمبادرة، فضلا على استخدام الأسلحة الثقيلة ما في ذلك الدبابات والمدفعية والطائرات المقاتلة. ولكن كل الجيوش العربية، باستثناء الجيش العربي (\*) الذي قادة وسلحه ودربه البريطانيون، فشلت في الاستعداد بشكل مناسب وطُوقت سريعا من قبل الهاغاناه. وبحلول شهر يوليو انتقل زمام المبادرة إلى أيدي قوات الدفاع الإسرائيلية، واتسمت الحرب موجات متتالية من الهجمات الإسرائيلية (تخللتها فترات من الهدنة المفروضة من قبل الأمم المتحدة). ومع بدء نفاد مخزون الذخيرة لدى العرب (أوقفت كل من بريطانيا وفرنسا شحنات الأسلحة تنفيذا لقرار الحظر المفروض من الأمـم المتحدة على الأطراف المتحاربة)، وتدفق الأسـلحة والذخيرة إلى إسرائيل عبر تجار السلاح ومن تشيكوسلوفاكيا (التي لم تحترم القرار الصادر عن الأمم المتحدة)، أضحت قوات الدفاع الإسرائيلية في موقع الهجوم، وخلال شهرى ديسمبر 1948 ويناير 1949 مَكنت من تحييد القوات السورية والأردنية والعراقية، في حين سُحق الجيش المصرى. وانتهى المطاف إلى موافقة الحكومات العربية على التوالى على توقيع اتفاقيات هدنة خلال الفترة من فبراير حتى يوليو 1949. ومع انتهاء الحرب، خرج الإسرائيليون رابحين، حيث سيطروا على أربعة أخماس فلسطين، في حين بقى الفلسطينيون، الذين خسروا، من دون دولة، وخضعوا للسيطرة الإسرائيلية والأردنية والمصرية. وكانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التعبير الرئيسي عن هذه الهزيمة.

<sup>(\*)</sup> الجيش العربي هو اسم يطلق على القوات المسلحة الأردنية التي أسستها الإدارة البريطانية [المحررة].

# «الترانسفير» في التفكير الصهيوني قبل 1948

في وقت كانت فيه الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في منتصفها، كتب إرنست بيفن، وزير الخارجية البريطاني، في يوليو: «من وجهة النظر بعيدة المدى... رجا يكون هناك شيء عكن قوله حول تبادل السكان بين المناطق المخصصة لكل من العرب واليهود على التوالي،»(1) وقد أسهب في هذه النقطة بعد ذلك بعدة أيام بالكلمات التالية:

عكن المجادلة بأن هروب أعداد كبيرة من العرب من الأراضي التي كبيرة من العرب من الأراضي التي كانت تحت إدارة يهودية قد سهل من مهمة التوصل إلى تسوية دائمة في فلسطين؛ حيث تبدو بعض عمليات «نقل» السكان شرطا ضروريا لمثل تلك التسوية.

. 1

"لم يكن الناشطون الصهاينة والرسميون البريطانيون فقط هم من تتأرجح مواقفهم في منتصف الأربعينيات حول قول التقسيم الدي يلازمه نقل للعدرب خارج الدولة اليهودية المزمعة إقامتها الى تعلق الأمر كذلك بسياسيين حرب كبار»

المؤلف

# مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

بيد أن الوزير البريطاني تدارك بقوله إنه مادام لا يوجد إلا حفنة من اليهود يقطنون الأراضي التي خُصصت للسيادة العربية في فلسطين، فإنه لا يوجد «أساس لتبادل عادل للسكان»، وبالتالي يجب أن تستمر بريطانيا في السعي مع وسيط الأمم المتحدة نحو إمكانية عودة المبعدين الفلسطينيين إلى ديارهم (2). وقد بلغ عددهم في ذلك الوقت ما بين 400 ألف و500 ألف (في مقابل أقل من خمسة آلاف يهودي مُبعدين خلال القتال).

كان المنطق الذي استند إليه تفكير بيفين، قبل أن يتك الحكم، مقنعا إلى حد كبير: فنقل الأغلبية العربية خارج مناطق الدولة اليهودية (وأيضا الأقلية الضئيلة اليهودية خارج المناطق المخصصة للعرب) كان من شأنه أن يحل مشكلة أقليات أساسية لا يمكن التغلب عليها، وتحمل في طياتها إمكانية تدمير أي تسوية سياسية. وقد وجد المنطق ذاته في التحليل الذي قدمه، بعد مرور شهر، مكتب القاهرة التابع لمركز لندن للاستخبارات الخاص بمنطقة الشرق الأوسط والذي تضمن ما يلى:

إن فرار العرب من المناطق التي احتلها اليهود في فلسطين، نتيجة ذعرهم، مثل مشكلة فورية على درجة كبيرة من الخطورة، ولكنه ربما أشار إلى الطريق للتوصل إلى تسوية على المدى البعيد لواحدة من أكثر العقبات ضخامة في طريق تطبيق مُرض للتقسيم، ويُقصد بذلك قيام دولة يهودية تضم مجتمعا عربيا يقارب بشكل كبير من حيث العدد السكان اليهود.

إن الدراسات السابقة للمشكلة قادت على الدوام إلى رفض فكرة نقل السكان بوصفه حلا، انطلاقا من حقيقـة أن عدد العرب الذين يلزم نقلهم من الدولة اليهودية يفوق أربعين مرة حجم أولئك اليهود الذين يلزم نقلهم من الدولة العربية، ولكن هذا التباين في الإعداد قد تضاءل في الوقت الحالي نتيجة لفرار العرب من الدولة اليهودية...

الآن، وبعدما ذُللت الصعوبة الرئيسية، المتمثلة في إقناع عرب فلسطين بـترك منازلهم، نتيجة للإرهاب اليهودي وحالـة الذعر التي أصابت العرب، فإنـه من الممكن أن يكون الحـل في نقلهم إلى العراق وسـورية... إن هذا المـشروع (توطين اللاجئين في البلاد العربية) يجـب أن يتم إطلاقه بحرص

شديد؛ حيث إنه إذا ما وُضع موضع التنفيذ في المرحلة الحالية فإن رد الفعل الفوري في العقول العربية سيذهب إلى أنه كان يجري التجهيز له منذ البداية. ولكن إذا ما أصبح جليا أنه نتيجة عدم استعداد أي من الطرفين (العرب أو اليهود) لا توجد إلا فرصة ضئيلة - أو لا توجد فرصة على الإطلاق - لإعادة اللاجئين إلى ديارهم، فربما يمكن طرح هذا المشروع حلا للمشكلة كما ستبدو آنذاك (3).

بنهاية الحرب شاعت افتراضات مشابهة في الفكر الأمريكي؛ حيث كتب وليام بيرديت جي آر القنصل العام الأمريكي في القدس - والذي لم يكن من أصدقاء الصهيونية - لرئاسته في فبراير 1949 مُقدما النصح على النحو التالي:

على الرغم من المعاناة التي ترافق ذلك... هناك شعور بأن قضية الأمن سـتُخدم بشـكل أفضل على المدى الطويل إذا ما بقـي اللاجئون في الدول العربية وفلسطين العربية بدلا من عودتهم إلى إسرائيل. وحيث إن الولايات المتحدة أيدت قيام دولة يهودية، فإنه يلزم عليها أن تحرص وتصر على أن تكـون تلك الدولة متناسـقة في تكوينها، الأمر الذي يوفـر لها أفضل فرص الاستقرار. فعودة اللاجئين سوف تخلق «مشكلة أقليات» مستمرة، وستكون مصـدرا دائمـا للحث على الانتفاضـة الداخلية أو التدخل مـن قبل الدول العربية المجاورة (4).

كان هذا هو التفكير الذي ساد الدوائر الرسمية البريطانية (والأمريكية) في النصف الثاني من عام 1948 في وقت كانت فيه قضية اللاجئين في مرحلة التبلور. وقد ساد المنطق المُقنع نفسه، منذ فترة تعود إلى ما قبل بداية القرن، في بدايات المشروع الصهيوني. فقد كان الكثيرون من بين الصهيونيين أو مُحبي الصهيونية ممن يعتقدون، أو على الأقل يجادلون، أن فلسطين كانت «أرضا خالية» انتظرت بولع وصول موجات المستوطنين اليهود (5). ولكن الحقيقة أنه عشية التدفق الصهيوني على البلاد كان هناك سكان بلغ عددهم 450 ألف عربي (فضلا عن 20 ألف يهودي) سكن أغلبهم المناطق الأكثر خصوبة في النصف الشمالي من البلاد. فكيف كان من الممكن أن تحول الحركة الصهيونية فلسطين إلى «دولة يهودية» إذا ما كانت الأغلبية الساحقة للسكان من العرب؟ وإذا ما تمكن اليهود، على مدار الأعوام من خلال موجات الهجرة الضخمة، من

أن عثلوا أغلبية السكان، كيف عكن إقامة كيان سياسي يكون حقا «يهوديا» ومستقرا في وقت يضم فيه أقلية عربية ضخمة، وربا تكون مستاءة من الوضع، ويزيد معدل المواليد لديها عما هي الحال بالنسبة إلى اليهود<sup>(6)</sup>؟

قثلت الإجابة المنطقية والواضحة في نزوح العرب أو «نقلهم»، وهو ما يمكن أن يتم بأسلوبين: أولهما استخدام القوة (الطرد على سبيل المثال)؛ وثانيهما التخطيط لأن يبدو ذلك طوعيا بشكل يرحل معه «المنقولون» بموافقتهم، كما يمكن اللجوء إلى مزيج من الأسلوبين، فعلى سبيل المثال يمكن حث وتشجيع العرب على الرحيل بواسطة الإرهاق المالي (بالضرائب مثلا) وتقديم الحوافز (في حالة الرحيل). وقد كان ذلك حقا مضمون المذكرات اليومية له «نبي» الصهيونية ومؤسسها تيودور هيرتزل، حيث كتب في الثاني عشر من يونيو 1895:

يلزم علينا أن نجردهم من الأرض بلطف... يجب أن نشجع السكان الفقراء على عبور الحدود من خلال تأمين عمل لهم في بلاد العبور، في الوقت الذي نمنعهم فيه من الحصول على أي عمل في بلادنا... إن كلا من عملية التجريد من الملكية والتخلص من الفقراء يجب أن يتم بشكل منفصل وبحذر شديد (7).

كان ما سبق يوميات هيرتزل الوحيدة حول هذه النقطة، ونادرا ما تناول هذا الموضوع في موقع آخر، فلم يظهر على الإطلاق في مؤلفيه الرئيسين عن الصهيونية: «الدولة اليهودية» و«الأرض القديمة الجديدة»، كما أنه لم يظهر في كتابات أغلب القادة الصهاينة الذين عاصروا هيرتزل أو جاءوا بعده. الجميع أدركوا ضرورة الالتزام بالكتمان والحذر. فالحديث عن نقل العرب، حتى بموافقة الفلسطينين والقادة العرب في الخارج، سوف يضعهم في حالة استنفار وخصومة، كما أنه سيؤدى إلى حالة خصام - غير مطلوبة - مع العثمانين، الذين تجمعهم الديانة مع العرب، وحكموا البلاد حتى 1917 - 1918.

أما في اللقاءات الشخصية فإن القادة الصهاينة كانوا أكثر استعدادا لتبادل المعلومات في هذا الصدد، ففي عام 1911 اقترح آرثر روبين (رئيس مكتب فلسطين في المنظمة الصهيونية) عملية «نقل محدودة» للفلاحين إلى سورية،

وبعد مرور عام ذكر ليون متزكين (أحد مؤسسي المنظمة) أن: «حقيقة الأمر أن فلسطين محاطة عساحات واسعة، وسيكون من السهل على العرب أن يستقروا هناك بالأموال التي سيتلقونها من اليهود»(8). وعلى مدار السنين، استمر المؤيدون للصهيونية والمؤلفون في التسويق لحل «الترانسفير» لتسوية المشكلة العربية:

لا يمكن لنا السماح للعرب بإعاقة إعادة بناء قطعة تاريخية مهمة للغاية... ومن ثم يجب علينا أن نقنعهم برفق بأن يغادروا، فهم على الرغم ملاية... ولا يوجد من كل شيء لديهم الجزيرة العربية التي تضم ملايين الأميال... ولا يوجد أي سبب خاص للعرب للتشبث بهذه الكيلومترات القليلة. ولما كانت عادتهم المشهورة هي «طي الخيام، والذهاب بعيدًا» فليضربوا المثل على ذلك الآن (9).

غير أن معظم المنادين بـ «الترانسيفير» احتفظوا بأفكارهم لأنفسهم، أو اقتصروا في تداولها على الخطابات الشخصية والمناقشات داخل الدوائر الصهيونية، وقد كان ذلك هو الموقف في أيام ضعف الحكم العثماني، وظل كذلك خلال العقدين الأول والثاني للحكم البريطاني، فالحديث عن «النقل» أو «الترانسيفير» كان سيؤدي - بشكل غير مرغوب فيه - إلى تنفير أو على الأقل تعقيد أمور الحكام الجدد في فلسطين، وربا يُبعد كذلك مؤيدين يهودا محتملين للصهيونية.

لا ريب في أن التطبيقات العملية للصهيونية اتسمت، منذ البداية، بتتابع من «الترانسفير» الصغير أو المحدود؛ فشراء الأراضي وبناء كل مستوطنة (موشافا بالعبرية، ومعناها الحرفي مستعمرة) قد صاحبه (وإن كان بشكل قانوني ومن خلال دفع تعويضات) «نقل» أو «ترانسفير» للبدو الأصليين أو المجتمعات الزراعية المستقرة. وكان يتم التوطين في جزء آخر من المناطق الريفية في فلسطين أو في المدن المزدهرة، على الرغم من أن بعضهم عبر نهر الأردن تاركا البلاد. وقد عمد حاييم مارغاليوت (خبير صهيوني في المسائل العربية وأحد كبار مشتري الأرض في فلسطين) إلى وصف وتقديم صورة لعملية الإبعاد على النحو التالى:

لقد تكشفت المسألة العربية بكل جديتها أمامي منذ المرة الأولى التي قمت فيها بشراء أرض هنا، عندما رأيت لأول مرة عملية إخراج العرب من أراضيهم لإفساح المجال لتوطين أشقائنا. ولفترة طويلة بعد ذلك لم أتوقف عن سماع هذا اللحن الحزين الذي ردده البدو (نساء ورجالا) الذين تجمعوا في خيمة شيخ القبيلة ذلك المساء قبل مغادرتهم قرية شماسين القريبة من ياما والتي أصحبت تحمل اليوم أسم يافينيل (في الجليل الشرقي). لقد كنت أجلس في الخيمة لأنهي التفاوض مع الشيخ فاضل من دلكا، ونساء البدو ورجالهم مجتمعون حول النار يعدون القهوة لي ولبقية المدعوين. وفي الوقت نفسه كانوا يتغنون بأغان حزينة يندبون فيها حظهم السيئ الذي اضطرهم إلى ترك مهدهم وديارهم، تلك الأغاني مست قلبي، وأدركت آنذاك مدى قوة الروابط بين البدوي وأرضه (10).

وبطبيعة الحال لم يكن هيرتزل ومتزكين وروبين وزانغويل يفكرون في مثل هذه العمليات الصغيرة، بل في الإبعاد «الجماعي» «الاستراتيجي». ولكن على الرغم من أن الفكرة مغرية على المستوى العملي، فقد مسها في أذهان أغلب الصهاينة قدر من الشكوك الأخلاقية. وفي المقابل، إذا ما عدنا إلى العشرينيات والثلاثينيات، لم يكن عرب فلسطين ينظرون إلى أنفسهم، ولم يكن أي شخص آخر يعتبرهم، كـ «شعب» مميز، بل كـ «عرب» أو بشكل أكثر تحديا «عرب جنوب سورية». وبناء عليه فإن نقلهم من نابلس أو الخليل إلى شرق الأردن، أو سورية أو حتى العراق - خاصة إذا ما عُوضوا بشكل مناسب - لم يكن ليعادل النفي من البلاد، بل تحرك «عرب» من منطقة عربية إلى أخرى.

وفضلا عن ذلك فإن «نقل» أو «ترحيل» الأقليات العرقية إلى قلب منطقتهم الوطنية كان ينظر إليه خلال النصف الأول من القرن العشرين على أنه مقبول أخلاقيا، وربما حتى مرغوب فيه. كما بدا منطقيا من الناحية السياسية. لقد أكدت الخبرة التاريخية في أجزاء مختلفة من العالم خلال العشرينيات والأربعينيات هذه النظرة. فالنقل القسري المزدوج الذي شمل المسلمين الأتراك إلى خارج المناطق ذات الأغلبية اليونانية في تراقيا وجزر بحر إيجه، وذلك الذي شمل المسيحيين اليونان من آسيا الوسطى التركية في بدايات العشرينيات، والذي كان نتيجة

ثانوية للمعارك التركية - اليونانية، بدا وكأنه قد وضع تسوية لمشاكل أقليات مستمرة و«غير قابلة للحل»، مما يجعل مستقبل العلاقات اليونانية - التركية أكثر منطقية وسلمية. كما شهدت الفترة 1947 – 1948 عمليات «ترانسفير» أوسع، وأكثر دموية، بين الهند وباكستان، وشملت المسلمين والهندوس مع مولد هاتين الدولتين من رحم التاريخ (١١). وقد شاهد العالم هذا الوضع من دون أن يدين أو يظهر تأثراً. كذلك كانت عملية «نقل» جماعات الأقلية الألمانية من الأراضي الحدودية غربي بولندا والتشيك إلى ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية محل ثناء من أغلب عواصم الحلفاء. وقد نُظر إلى ذلك سواء في الغرب أو المعسكر الشيوعي على أنه أمر عادل وضروري سياسيا. فقد ساعدت تلك الأقليات على إفساد النظام الأوروبي، وكتلة من الدول القومية في وسط وغرب أوروبا، بقدر لا يقبله العقل من المعاناة والتضحية بالأرواح والأملاك، فكان من العدل والمناسب اقتلاعهم من أماكنهم وإعادتهم إلى ألمانيا، كعقاب، وأيضا من أجل تجنب أن يحدثوا مشاكل في المستقبل.

ومع ذلك، ظل مفهوم «الترانسفير» في أعين الصهاينة - حتى عندما عرض قادتهم الأمثلة التاريخية السالفة الإشارة إليها - مثيرا للجدل أخلاقيا. فجميعهم تبنى المثل الليبرالية والكثير منهم كان ينتمي إلى مدرسة اشتراكية أو أخرى، وكان الهدف النهائي لأيديولوجيتهم الصهيونية هو عودة شعب إلى أرضه. كان اقتلاع العائلات العربية من ديارها وأراضيها، حتى إن كان ذلك مقابل تعويض وإعادة توطين منظمة بين العرب خارج فلسطين، يخالف ميلهم الفطري. وقد تضخمت المعضلة الأخلاقية بشكل كبير خلال الثلاثينيات والأربعينيات مع بداية إقرار العديد من القادة الصهاينة، بما في ذلك بن غوريون وزيف جابوتنسكي (قائد الحركة التصحيحية اليمينية)، بأن عرب فلسطين قد أفرزوا قومية جديدة مميزة (على الرغم من أنها مازالت عربية) وهوية فلسطين قد أفرزوا قومية جديدة مميزة (على الرغم من أنها مازالت عربية) وهوية شرق الأردن أو العراق. ولهذه الأسباب كان من الأفضل تجنب الحديث عن مفهوم «الترانسفير» على الملأ في خطابات عامة أو مناظرات، وعدم التفكير به على الإطلاق. قد تتطلب الصهيونية ترحيل الفلسطينين، ولكن لماذا يجب أن يزعج المرء ضميره بذلك ويتوقف عنده طوبلا؟

الواقع أن التعاليم الصهيونية الشفهية منذ نهاية القرن (التاسع عشر) وحتى الأربعينيات (من القرن العشرين) ظلت تكرر أن هناك مكانا كافيا في فلسطين لكلا الشعبين، ولا يحتاج الأمر إلى طرد العرب لإيجاد متسع من الأرض للمهاجرين الصهاينة أو للدولة اليهودية. وأنه ليست هناك حاجة إلى نقل العرب، ولا يجوز بأي حال من الأحوال إدماج هذه الفكرة في البرنامج السياسي - الأيديولوجي للحركة الصهيونية.

بيد أن المنطق الذي تضمنه حل «الترانسفير» للمشكلة العربية ظل من المتعــذر تجنبــه؛ فمن دون نوع ما من الاسـتبعاد الجماعي للعــرب من المنطقة التي ستقام عليها الدولة اليهودية، لم يكن من الممكن إقامة دولة «يهودية» قابلة للحياة. ولقد أضحت الحاجة إلى «الترانسفير» حادة مع تزايد المعارضة العربية العنيفة للمـشروع الصهيوني خلال العشرينيات والثلاثينيات. حيث أظهر ذلك العنف أن أغلبية عربية ساخطة وعدائية، أو أقلية كبيرة ستقوم بالنضال ضد مجرد وجود دولة يهودية وستكرس جهودها كعامل مخرب ومدمر لاستقرارها منذ البداية. وفضلا عن ذلك فإن الموجات المتوالية من العنف العربي ضد الصهيونية (1920، 1921، 1929، 1939 و1936 - 1939) قد أكره البريطانيين على كبح جماح الهجرة اليهوديـة بشـكل دوري. الأمر الذي عنى أن العنف العـربي كان يؤشر إلى إمكان منع تكوين أغلبية يهودية. وقد كان هذا مغزى الكتاب الأبيض الذي أصدره البريطانيـون في مايـو 1939 كرد فعـل على الثورة العربيـة في الفترة من 1936 -1939، أكبر انفجار للعنف العربي خلال الانتداب. كفل هذا الكتاب للعرب (الذين قارب عددهم آنذاك المليون في مقابل 450 ألف يهودي) وضعية الأغلبية الدائمة (من خلال تقييد الهجرة اليهودية لتصبح 75 ألفا خلال الأعوام الخمسة التالية)، كما وعد هذه الأغلبية بـ «الاستقلال» خلال عشرة أعوام؛ لتصبح فلسطين دولة عربية ذات أقلية يهودية كبيرة (الذين سيتحدد وضعهم المستقبلي وحقوقهم من خلال القادة العرب الجدد).

بناء على ما تقدم، فإنه إذا كانت الدعوة الصهيونية للنقل أو «الترانسفير» خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والأولى من القرن العشرين قد السمت بكونها ثانوية وغير ملحة، فإنه منذ بدايات الثلاثينيات بدأت في الظهور

دعوات عالية، تقارب الإجماع، مؤيدة للفكرة بين قادة الحركة. حيث أشعلت كل نوبة كبيرة من العنف العربي اهتماما صهيونيا متجددا بحل «الترانسفير»، كما كانت الحال في أعمال الشغب في العام 1929. وفي مايو 1930 اقترح الكولونيل أف. أتش. كيش، مدير الإدارة السياسية للوكالة اليهودية، ورئيس الجهاز التنفيذي للوكالة في فلسطين، على حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية، أن تقوم الوكالة بالضغط على البريطانيين لتشجيع هجرة الفلسطينيين العرب إلى العراق الذي هو في حاجة ماسة إلى المزارعين.

لـن يكـون من المسـتحيل التوصل إلى اتفاق مع [الملـك] فيصل [في العـراق]، ليقدم مبادرة بعـرض فرص جيدة للعرب المهاجريـن... ولا بد أن تكون هناك دعاية جيدة تجذب المهاجرين العرب إلى تلك الدولة التي تحتاج بالفعل إليهم - كما يجب أن تكون هناك تسـهيلات منظمة ومُعلنة للسـفر. وبالطبع فإننا بالتأكيد يجب ألا نَظهر [بوصفنا طرفا مشـجعا لذلك]، ولكنني لا أرى أي سـبب عنع اهتمام حكومة جلالة الملكة بذلك... ومن غير المتصور أن تكون هناك مشقة لدى الفلسطينين العرب - الذين هم في الأساس شعب بدوى أو شـبه بدوي - في الانتقـال إلى دولة عربية أخرى يجدون فيها فرصة أفضل للحياة الزراعية - كما كانت الحال بالنسبة إلى المهاجرين الزراعيين من بريطانيا إلى كندا (12).

وقبل ذلك بأسابيع قليلة اقترح وايزمان نفسه على اللورد باسفيلد، وزير المستعمرات البريطاني، أن حلاً للاضطرابات التي يُحدثها الفلسطينيون يمكن أن يكون عبر نهر الأردن: الفلسطينيون محدثو الاضطرابات يمكن نقلهم إلى الجانب الآخر من النهر.

أجاب اللورد باسفيلد معبرا عن اقتناعه بضرورة البحث عن حل في هذا الاتجاه، ولكن العراق يطرح بعض المشاكل... وأنهم [العراقين] شعب صعب. فأجبت بالقول: «بالطبع الأمر ليس سهلا، ولكن هذه البلاد [شرق الأردن والعراق] يجب تنميتها»... وقد رأى اللورد باسفيلد في ذلك نظرة استشرافية واسعة يلزم أخذها في الاعتبار بجدية كبيرة. وعندئذ قلت، مفترضا أننا سنقيم شركة تنمية يمكن أن تحصل على مليون دونم من الأرض في شرق الأردن، بأن هذا يمكن أن يمثل بديلاً ويريح فلسطين من الضغط...(13).

أثار الكولونيل كيش الموضوع مرة ثانية بعد مرور عام، موضحا أنه يلزم على الحركة أن تتبنى سياسة واضحة في هذا الخصوص. وردًا على ذلك كتب ياكوف ثون، المسؤول الصهيوني المخضرم، أنه من وجهة نظر الحركة يتمثل الحل المثالي في نقل العرب الفلسطينيين عبر الأردن. مضيفا أن المتحدثين باسم الحركة لا يمكنهم قول ذلك علنًا(14). وقد أورد وايزمان كلاما مشابها مع دروموند شيلز، نائب وزير المستعمرات البريطانية: نقل العرب خارج فلسطين سيكون «محاولة شجاعة على مستوى رجل الدولة للتعامل مع مشكلة كان يتم تناولها حتى اليوم بطريقة فاترة... البعض [من الفلسطينين العرب] يمكن أن يتدفق على الدول المجاورة، ومثل هذا التبادل للسكان يمكن دعمه وتشجيعه» (15).

قبيل العام 1936 كان الحديث والتفكير المتقطع حول «الترانسفير» محصورا فقط في المقابلات المباشرة وراء الأبواب المغلقة والمذكرات الصادرة داخل الإدارات، غير أن اندلاع الثورة العربية عام 1936 قد فتح الأبواب على مصاريعها. فقد حملت الشورة في طياتها، من وجهة نظر العرب، مفهوم أنه ليس هناك حل وسط، وأنهم لن يقبلوا على الإطلاق العيش داخل (أو في جوار) دولة يهودية. والأكثر من ذلك، فقد عقدوا العزم على إرغام البريطانيين على إيقاف الهجرة اليهودية، في وقت كان فيه النازيون يتوعدون يهود أوروبا بمستقبل مُرعب لا يمكن تصوره. ومن ثم كانت هناك حاجة ملحة إلى ملاذ آمن في فلسطين أكثر من أي وقت مضى.

ظل القادة الصهاينة يرددون في العلن المقولات نفسها الذاهبة إلى أن هناك مكانا كافيا في البلاد لشعبين، وأن الهجرة الصهيونية لا تتطلب إبعاد العرب. وعلى الرغم من تأييد قائد الحركة التصحيحية اليمينية، جابوتنسكي، بشكل عام لفكرة «الترانسفير» (16)، فإنه قال في العام 1931: «إننا لا نريد طرد عربي واحد من الضفة اليمنى أو اليسرى لنهر الأردن، نحن نريدهم أن يزدهروا اقتصاديا وثقافيا» (17)، وبعد مرور ستة أشهر تضمنت شهادته أمام لجنة بيل أن «موضوع طرد العرب لم يكن واردا على الإطلاق، بل على العكس تمثلت الفكرة الرئيسية في أن أرض إسرائيل على جانبي نهر الأردن (فلسطين وشرق الأردن) ستضم (في نهاية المطاف) عربا... وملايين اليهود...»، مع اعترافه بأن العرب يحكن أن يصيروا «أقلية» (18).

بحلول العام 1936 أصبح الاتجاه السائد للقادة الصهاينة أكثر صراحة في تأييد فكرة «الترانسفير». ففي يوليو عمد كل من بن غوريون (رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، والرئيس الفعلي لليشوف) ونائبه موشي شيرتوك (شاريت، مدير الإدارة السياسية للوكالة)، إلى لقاء المفوض السامي البريطاني، للدفاع عن الهجرة الصهيونية التي كانت سلطة الانتداب تدرس تعليقها:

سأل بن غوريون عما إذا كانت الحكومة ستجعل من الممكن للمزارعين العرب الذين شُـتتوا نتيجة لشراء اليهود أراضيهم بالاستقرار في شرق الأردن؛ حيث إنه إذا كانت منطقة شرق الأردن، في الوقت الحالي، مغلقة أمام اليهود [جعنى الاسـتيطان اليهودي]، فإنها بالتأكيد لا يمكن أن تكون كذلك بالنسبة إلى العرب.

وقد رأى المفوض السامي في ذلك فكرة جيدة... وسأل عما إذا كان اليهود مسـتبعدين لإنفاق المـال لتحقيق مثل هذا التوطين للفلسـطينيين في شرق الأردن. وكانت إجابة بن غوريون أن الأمر عكن بحثه.

ومن جانبه، أشار شيرتوك إلى أن وكالات الاستيطان اليهودي كانت في كل الأحوال تنفق أموالا لتزويد مستأجري الأرض أو زارعيها الذين رُحلوا نتيجة لشراء اليهود للأرضي، وذلك إما بدفع تعويضات، وإما من خلال تزويدهم بأرض بديله. وأنهم سيكونون سعداء بإنفاق هذا المال على توطين هذا الشعب في شرق الأردن (19).

ناقشـت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية هذه الفكرة بعد مرور ثلاثة أشهر. وفي هذا الصدد قال بن غوريون:

لماذا لا يمكننا الحصول على أرض هناك للعرب الذين يرغبون في الاستقرار في شرق الأردن؟ فإذا كان من المسموح به نقل عربي من الجليل إلى شرق إلى يهودا فلماذا يكون من غير الممكن نقله من منطقة الخليل إلى شرق الأردن والتي هي أكثر قرباً؟ ...إن هناك متسعا هائلا من الأرض، ونحن (في فلسطين) مكتظون بالسكان... إننا نريد الآن إقامة مناطق مكثفة للاستيطان اليهودي (في فلسطين)، ويكننا حل مشكلة هذا التكتل من

### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

خلال نقل العرب الذين يبيعون أراضيهم إلى شرق الأردن... حتى المفوض السامي يوافق على «الترانسفير» إلى شرق الأردن إذا ما زودنا الفلاحين بالأرض والمال (20).

وعد البريطانيون في مايو 1936 بإرسال لجنة ملكية للتحقيق تكون مهمتها تحديد أسباب التمرد واقتراح الحلول - وذلك عندما يوقف العرب إطلاق النار. وبحلول شهر أكتوبر كانت عصابات التمرد في حالة إنهاك كبير، وسأم السكان بشكل عام من التمرد. ومع تعليق الحاج أمين الحسيني الأعمال القتالية وصلت لجنة بيل إلى فلسطين. وطافت بالبلاد والتقت بالقادة العرب في الخارج واستمتعت إلى شهادات من المسؤولين البريطانيين، والصهاينة، والعرب الفلسطينيين، قبل أن تقدم وتنشر تقريرها في بداية يوليو 1937. ولقد أوصت لجنة بيل بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية تضم 20 في المائة من البلاد، ودولة «شرق أردنية» على أغلب الجزء المتبقي (باستثناء مساحة أقل من 10 في المائة تضم القدس وبيت لحم تظل تحت السيطرة البريطانية). ولكن حتى ذلك فشل في أن يحل المشكلة الديموغرافية المستمرة: حيث إنه حتى في نسبة الـ 20 في المائة التي تمركز فيها اليهود وتم تخصيصها لتكون تحت السيادة اليهودية (السهل الساحلي و«الجليل») كان العرب يمثلون ما يزيد على خمسي عدد السكان. ولذلك أوصى بيل بنقل كل أو معظم السكان العرب خارج هذه المناطق.

إن وجود هذه الأقليات (العربية واليهودية) في المناطق التي تضم أغلبية من كل منهما يمثل بشكل واضح أكثر العوائق خطورة لإتمام عملية التقسيم بشكل سلس وناجح... وإذا كان للتسوية أن تكون خالية من الغبار ونهائية، فإنه يلزم مواجهة مسألة الأقليات بشجاعة وأن يُتعامَل معها بحزم.

وأشارت اللجنة إلى السابقة اليونانية - التركية التي حدث بموجبها التبادل الجبري ونقل 1.3 مليون يوناني و400 ألف تركي في النصف الأول من عشرينيات القرن العشرين. «قبل إتمام هذه العملية كانت الأقليات اليونانية والتركية مصدر إزالة التقرح أضحت العلاقات اليونانية - التركية

ودية أكثر من أي وقت مض». وبشكل رسمي لم تتحدث اللجنة عن «الترانسفير»، ولكن عن «تبادل للسكان» يتضمن تحويل 1.25 مليون يهودي من المناطق ذات الكثافة السكانية العربية إلى ما هو مقرر أن يكون الدولة اليهودية، وتحويل 125 ألف عربي خارج أراضي تلك الدولة إلى المناطق العربية. وفي الحقيقة فإن ما كان مقررا لم يكن عملية تبادل عادل، بل نقلا للعرب يصاحبه نقل عدد قليل جدا من اليهود كورقة «توت» للتمويه على الأمر. ولقد فضلت اللجنة أن ينتقل العرب بشكل اختياري ومقابل تعويضات - ولكنها شددت على أهمية الموضوع، وعلى أنه في حال رفض العرب لـ «الترانسفير» فإنه يجب أن يكون إجباريا، بعنى أن يتم تنفيذه بالقوة، وإلا فإن التسوية القائمة على التقسيم لا يمكن لها أن تصمد (21).

أسعدت التوصيات، خاصة تلك المتصلة بـ «النقل»، العديد من القادة الصهاينة ومن بينهم بن غوريون، وإذا كان من الصحيح أن اليهود مُنحوا جزءا صغيرا من إرثهم، فإنهم يستطيعون استخدام هذه الدولة الصغيرة كقاعدة أو رأس جسر للغزو والاستيلاء على باقي فلسطين (وربما أيضا شرق الأردن). وقد كان هذا، على الأقل، ما قاله بن غوريون ليبرر جزئيا موافقته على الحصول على حصة صغيرة من الأرض (22). بيد أنه كان لديه سبب آخر لذلك: «النقل الإجباري للعرب من الأودية المخصصة للدولة اليهودية المقترحة يمكن أن يقدم لنا شيئا لم نحظ به قط، حتى عندما كنا مستقلين أيام المعبد الأول والثاني...»، كما أفصح بن غوريون في يومياته. «لقد مُنحنا فرصةً لم نجرؤ حتى على أن نحلم بها في مخيلتنا. فالأمر أكثر من دولة أو حكومة أو سيادة? بل اندماج وطني في وطن قومي». وقد رأى بن غوريون في توصية النقل أو «الترانسفير» أنها:

نقطة مركزية تفوق أهميتها كل النقاط الإيجابية الأخرى وتعوض كل نقائص التقرير وعوائقه... يجب علينا أن نتمسك بقوة بهذه النتيجة (التوصية) كما تمسكنا بوعد بلفور، بل كما تمسكنا بقوة بالصهيونية ذاتها... لأنه من بين كل النتائج التي توصلت إليها اللجنة، هذه النتيجة وحدها هي التي تقدم بعض التعويض للذين يُنتزَعون من أجزاء أخرى من الدولة (وتعطيه للعرب)... فالشيء الذي لا يمكن تصوره في الأوقات

العادية ممكن التحقيق في اللحظات الثورية... إن أي شك من جانبنا حول ضرورة هذا «الترانسفير»، وأي شك عكن أن نثيره حول إمكانية تنفيذه، وأي تردد من جانبنا فيها يتصل بعدالته، عكن أن يفقدنا فرصة تاريخية قد لا تتكرر... إذا لم ننجح في إزاحة العرب من بيننا، في الوقت الذي تقترح فيه لجنة ملكية ذلك لبريطانيا، وننقلهم إلى المنطقة العربية، فإن ذلك لن عكن تحقيقه بسهولة (وربها على الإطلاق) بعد تأسيس الدولة اليهودية... يجب القيام بذلك الآن، والخطوة الأولى، وربها الأكثر أهمية، هي أن نلزم أنفسنا بتنفيذه (23).

أضفى تقرير بيل، للمرة الأولى، على فكرة «الترانسفير» قبولا معنويا دوليا، وفي الوقت ذاته أثار نشره نقاشا عميقا ومستمرا داخل القيادة الصهيونية: هل يجب على الحركة أن تتخلى عن مطالبتها التاريخية بكل أراضي فلسطين، وتقبل بجبدأ التقسيم ونسبة الـ 20 في المائة من الأرض المقترحة؟ وقد قسم الجدل حول هذه النقطة صفوف الأحزاب، بما في ذلك حزب ماباي الذي تزعمه بن غوريون والذي انقسم على نفسه. وبالنسبة إلى اليمين التصحيحي لم تكن هناك أي مشكلة؛ حيث طالب بشرق الأردن بالإضافة إلى كل فلسطين، ومن ثم لم يكن التقسيم بالنسبة إليه بداية يعتد بها. أما فيما يخص اليسار- الذي مثله بريت شالوم وهاشومير هاتزائير- فإن مقترحات بيل لم تكن ذات صلة بالموضوع؛ حيث كان اليسار يفضل دولة مزدوجة القومية (عربية - يهودية) وليس التقسيم. وفيما يتصل باليسار المعتدل والوسط (والذي مثل جوهر الحركة وتيارها الرئيسي) مثل الأمر معضلة كبيرة. وقد حدثت المناقشة النهائية والحاسمة خلال المؤتمر العشريان للكونغرس الصهيوني في زيورخ خلال شهر أغسطس 1937 والذي دُعي لعقده خصيصا لمناقشة هذا المؤضوع (ولم تحضره الحركة التصحيحية).

وقد استغل بن غوريون مقترح لجنة بيل حول «النقل» للتعبئة لتأييد قبول فكرة التقسيم:

يجب علينا أن ننظر بعناية إلى مسألة ما إذا كان «الترانسفير» ممكنا، ضروريا، أخلاقيا، ومفيدا. نحن لا نريد طرد ولكن نقل سكان كما حدث من قبل، في مرج ابن عامر وفي شارون (في الوادي الساحلي) وأماكن

أخرى... أنتم بلا شك على دراية بأنشطة الصندوق الوطني اليهودي في هذا الصدد. الآن يجب أن يحدث نقل يختلف مداه بشكل تام. ففي العديد من مناطق البلاد لن يكون من الممكن إقامة استيطان جديد من دون نقل الفلاحين العرب... من المهم أن تأتي هذه الخطة من اللجنة وليس من جانبنا... «النقل» أو «الترانسفير» هو الذي سيجعل من الممكن تنفيذ برنامج استيطان شامل. ولحسن الحظ أن العرب لديهم مناطق واسعة خالية. إن القوة اليهودية، التي تتزايد بشكل مطرد، ستزيد من فرص تنفيذ «النقل» على نطاق واسع. عليكم أن تتذكروا أن هذا النظام يتضمن فكرة إنسانية وصهيونية مهمة، نقل قطاعات من الشعب (الفلسطينيين العرب) إلى بلادهم (مثل شرق الأردن والعراق) وتعمير الأراضي الخالية...

خلال الاجتماع، بدا بن غوريون وكأنه يقترح أن يكون النقل إجباريا، وأن يتم تنفيذه بواسطة القوات اليهودية وليس البريطانية. وقد تكلم متحدثون آخرون، ها في ذلك وايزمان وروبين، في الاتجاه ذاته، وإن كان الجميع قد فضل النقل الطوعي المتفق عليه، وإن شكك البعض، مثل يوسيشكين، في أن تكون الفكرة قابلة للتنفيذ؛ البريطانيون لن ينفذوها كما أنهم سيمنعون اليهود من تنفيذها. وقد عارض العديد من المشاركين، عن فيهم بيرل كاتزنيلسون - القائد الثاني في حزب ماباي - جوهر الصفقة الشاملة التي قدمها تقرير بيل، والمتصلة بالتقسيم. (في حين ساندوا نظريا النقل)(24).

في نهاية المطاف، وبعد نقاش حامي الوطيس، أقر المؤتمر - بشكل غير قاطع وبتصويت 299 ضد 160 - توصيات بيل كأساس للمزيد من المفاوضات. وقد أظهر التصويت إقرارا لمفهوم التقسيم من حيث المبدأ. ولم يتضمن القرار أي إشارة طاصة للمقترح الخاص بالنقل أو «الترانسفير» على الرغم من قبوله ضمنا كجزء من الصفقة التي يسعى الصهاينة إلى التفاوض على شروطها الخاصة بالأرض (حيث أرادوا الحصول على أكثر من نسبة الـ 20 في المائة التي تضمنتها) (25).

وعلى الرغم من ذلك، دخلت توصيات بيل خلال أسابيع في حالة جمود قاتل؛ حيث جدد العرب غير الراضين عنها ثورتهم، وقام البريطانيون، الذين أصابهم الذعر، بالتصويت سراً في الثامن من ديسمبر 1937 ضد التقسيم وتعيين لجنة (فنية) هدفها

الظاهر النظر في إمكانية تطبيق مقترحات بيل، وإن كان هدفها واقعيا هو دفنَها نهائيا. وقد قدمت لجنة وودهيد التي شُكلت في مارس 1938 تقريرها في شهر نوفمبر. حيث اقترحت تقسيما ضئيلا مُعدلا يتضمن قيام دولة يهودية أصغر من تلك التي اقترحتها لجنة بيل، تمتد من تل أبيب إلى زخرون ياكوف على 10 في المائة من إجمالي أرض فلسطين (وهو ما كان غير مقبول للصهاينة بشكل واضح)، كما رفضت اللجنة مقترح بيل الخاص بالنقل الإجباري بوصفه أمرا غير وارد، ورأت أن النقل الاختياري «من المستحيل افتراضه»، مما حداها على الانتهاء إلى أن قيام دولة يهودية تضم أقلية عربية كبيرة سيكون معيبا، ومن ثم فإن التقسيم لا يمكن أن يحل المشكلة.

بيد أنه خلال الشهور التي أجرت فيها لجنة وودهيد مداولاتها، بادرت القيادة الصهيونية - والتي لم يكن لديها علم عن قرار لندن السري برفض التقسيم - ببحث ونقاش عميق لمقترحات بيل والطرق العملية لتنفيذها. وكان موضوع «النقل» محل دراسة شاملة؛ حيث شُكلت «لجنة النقل» من خبراء على رأسهم ثون - الذي شغل آنذاك منصب رئيس شركة تطوير أراضي فلسطين لبحث وسائل وطرق تنفيذ «الترانسفير» - كم عدد العرب الذين يجب أو يمكن نقلهم؟ ومن هم؟ وإلى أين؟ وما التعويضات التي يمكن تقديها لهم؟ - ولقد كانت المشكلة كبيرة والظروف المحيطة متغيرة (ثورة عربية مستمرة، حكومة بريطانية غير مؤكد تأييدها لتوصيات بيل، عالم يتجه نحو حرب شاملة، مما يعنى بالتأكيد تنحية المشكلة الفلسطينية جانبا). وتفرقت اللجنة في يونيو 1938 يونيا التوصل إلى تقرير نهائي (26).

بالتوازي مع ذلك ناقشت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (حكومة اليشوف) «النقل». وفي السابع من يونيو 1938 أعلن بن غوريون، مقترحا بخطوط إرشادية لسياسة صهيونية في هذا الخصوص: «أن الدولة اليهودية ستناقش مع الدول العربية المجاورة موضوع النقل الاختياري للمزارعين المستأجرين، والعمال، والفلاحين من الدولة اليهودية إلى الدول العربية المجاورة». وكعادته، أقر بن غوريون في الوقت داته مساواة تامة وحقوقا مدنية للعرب الذين يعيشون في الدولة اليهودية، ونظر

بعض أعضاء «الحكومة» إلى هذا الإقرار على أنه وعد كلامي كاذب للتسجيل فقط أمام الأجيال المقبلة) (27). وبعد مرور خمسة أيام كشف بن غوريون - بشكل غير مقصود - عن نواياه: «أؤيد النقل الإجباري. ولا أرى فيه أي شيء غير أخلاقي»، وحذا «يوسيشكين» حذوه قائلاً: لا يوجد أي شيء غير أخلاقي في نقل 60 ألف عائلة عربية،

فلا يمكننا أن نبدأ دولة يهودية وبداخلها... نصف السكان عرب... مثل هـنده الدولة لا يمكنها أن تصمد حتى نصف ساعة... «النقل» هو أفضل ما يمكننا فعله أخلاقيا... وأنا مستعد للدفاع عن ذلك أمام الرب...

ذهب ورنر ديفيد سيناتور، صاحب الأفكار الليبرالية، الذي شغل منصب مدير الجامعة العبرية، والمتحدر من أصول ألمانية، إلى المناداة بـ «أقصى حد للترانسفير». ومن جانبه قال يهشوا سوبرسكي، عضو لجنة التنفيذ الصهيونية، إنه على اليشوف أن يتنبه إلى «عدم خلق تشيكوسلوفاكيا جديدة هنا، ويمكن ضمان ذلك من خلال الهجرة التدريجية من قبل العرب»، مشرا بذلك إلى تقويض جمهورية تشيكوسلوفاكيا بوجود أقلية ألمانية. واتفق كل من بن غوريون ويوسيشكين وكاتزنيلسون على أن البريطانيين، وليس اليشوف، هم من يجب عليهم تنفيذ «الترانسفير». وأعلن كاتزنيلسون: أن «المبدأ هو أنه يجب أن يكون هناك "نقل" واسع متفق عليه». ومن جانبه قال روبين: «أنا لا أومن بنقـل أفراد، ولكن بنقل قرى كاملـة». أما إليعازر كابلان - المدير المالي للوكالة اليهودية - فقد ذهب إلى أنه مع وجود إغراء مالي مناسب، وإذا ما تُركوا في حالة فقـر مدقع داخل الدولة اليهودية الوليدة، فـإن العرب ربما يوافقون على «رحيل اختياري». واقترح إلياهو بيرلين - قائد حزب يسرائيل الديني في الكنيست - «زيادة الضرائب لدفع العرب إلى الفرار من جراء ذلك». وهكذا كان هناك توافق فعلى مؤيد لـ «الترانسفير» بين أعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية: الجميع فضلوا «النقل الطوعي»، غير أن أغلبهم وافقوا كذلك على «نقل إجباري»، مفضلين بالتأكيد أن تقوم بريطانيا وليس اليشوف بتنفيذ ذلك<sup>(28)</sup>.

بشكل أو بآخر كانت التعبيرات الصهيونية المؤيدة للنقل خلال عام 1936 و 1937 والنصف الأول من عام 1938 مرتبطة بعمل لجنة بيل وتوصياتها. ولكن لم ينطبق ذلك على مخطط بن غوريون الجديد لـ «الترانسفير» مع بداية ديسلمبر 1938. مات اقتراح بيل ودُفن. وفي ألمانيا بدأ النازي في إطلاق العنان للمذبحة الجماعية في «ليلة الكريسلا»، وفي فلسطين ولندن كان البريطانيون والعرب والقادة الصهاينة يستعدون لمؤتمر سان جيمس الذي كان على وشك أن يفتح أبوابه في العاصمة البريطانية. وكانت القيادة الصهيونية في أشد الحاجة إلى إيجاد ملاذ آمن ليهود أوروبا وتفريغ فلسطين استعدادا لوصولهم. وقد كتب بعن غوريون على عَجل في يومياته: «سنعرض على العراق عشرة ملاين جنيه فلسطيني لنقل مائة ألف عائلة عربية من فلسطين إلى هناك». وفي الحادي عشر من ديسمبر طرح هذه الفكرة على المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية. ووفقا له فإن العراقيين كانوا في حاجة ماسة إلى الأيدي العاملة لملء أراضيهم وقبل المملكة العربية السعودية ومصر، وكان مدفوعا بهاجس داخلي من من قبل المملكة العربية السعودية ومصر، وكان مدفوعا بهاجس داخلي من وبرقة:

إن المسألة اليهوديــة لم تعـد كمـا كانـت عليه حتـى الآن ... ملايين اليهـود مهـددون بالتصفيـة الجسديـة... والصهيونية ذاتها في خطر... نحن في حاجـة الآن، خـلال هـذه النكبـة التي حلت على الشـعب اليهودي، إلى كـل فلسطـين... وإلى هجـرة ضخـمة» (29).

بيد أن هذه المداولات والخطط لم تسفر عن شيء. وفي نوفمبر استبعدت لجنة وودهيد أي إمكان لإقرار أي من التقسيم أو النقل؛ ووصل مؤتمر سان جيمس الذي عقد في فبراير 1939 إلى طريق مسدود، وفي مايو أصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض تنصلت فيه من التزامها تجاه الصهيونية، ومؤيدة من حيث الواقع أغلبية عربية مستمرة ودائمة وحكما عربيا في فلسطين خلال عشرة أعوام.

ظلت فكرة «الترانسفير»، باعتبارها الحل الذهبي للمشكلة العربية، تسيطر على الخيال الصهيوني. وخلال مناقشتهم للفكرة في أواخر الثلاثينيات اتجه المسؤولون في

اللجنة التنفيذية الصهيونية إلى التفكير سـواء من منظـور «النقل التام» الذي من شـأنه أن يـترك فلسـطين خالية من العـرب، أو، إذا ما اتضح أن ذلـك غير ممكن، مـن زاوية نقل فئات محـدة من العرب، حيث دار الحديـث عادة عن الفلاحين والمسـتأجرين الزراعيين، ربا لأن نقلهم يتضمن توفير المزيد من الأرض للمؤسسات الصهيونيـة. وفضلا عن ذلك فإن المزارعـين كان ينظر إليهم على أنهم «قابلون جدا للنقـل»، لأن إعادة توطينهم في أرض شرق الأردن أو العراق لا تتطلب إعادة تأهيل مهنـي أو تأقلـم ثقافي عميق. وفي المقابـل فإن تحريك الجانـب الأكبر من قاطني المدن سيمنح المشروع الصهيوني فائدة ضئيلة (فقط تحسنا في ديموغرافية فلسطين)، وسيكون أكثر صعوبة في مجال الاستيعاب.

في ظلم غياب اتفاق بريطاني- عربي - صهيوني حول نقل شامل، برزت على السلطح من وقت إلى آخر مقترحات تتصل بنقل انتقائي لهذه المجموعة الدينية أو العرقية أو تلك. ففي مارس 1939 اقترح سلطان الأطرش، زعيم الدروز في سورية، أن يشتري اليشوف محاصيل القرى الدرزية النائية في فلسطين، وأن يتم نقل سكانها الخمسة عشر ألفا إلى جبل الدروز في جنوبي سورية. وقد أوضح الأطرش أن مثل هذا النقل يمكن أن يفيد كلا من الدروز واليهود، ويمكن أن يصبح نموذجا للمزيد من نقل السكان من فلسطين. وقد استجاب وايزمان بحماسة لذلك، وبدأ سلسلة من المشاورات مع القادة الصهيونية في أمريكا وضباط ومسؤولين من الجيش الفرنسي، وأوضح أن الفرنسيين - الذين حكموا سورية - كانوا مؤيدين، ولكن شيرتوك - في تل أبيب - كان متشككا حول مدى استعداد دروز فلسطين للانتقال، وأن يقوموا في النهاية بإنهاء التفاوض، ويبدو أن الأمر توقف هنا (30).

كان من الواضح أن فكرة ما ترسخت في ذهن بن غوريون، الذي صاغ في أكتوبر 1941 برنامج عمل للسياسة الصهيونية في المستقبل أسهب فيه حول إمكانيات النقل، وكتب أن مجموعات متعددة من الفلسطينيين العرب مستعدة للنقل:

الدروز، العديد من القبائل البدوية في وادي الأردن وفي الجنوب، الشركس، ورجما كذلك المتولي (شيعة يعيشون في شمالي الجليل) رجما لا يمانعون أن يُنقَلوا، في ظل ظروف مُشجعة، إلى دول مجاورة.

كـما أوضح بن غوريون أن المزارعين المسـتأجرين والعمال الذين لا يملكون أرضا يمكن على الأرجح نقلهم أيضا بسهولة نسبية. ومع ذلك فإن نقل عدد كبير من الفلسـطينيين العرب يتطلب، على الأرجح، استخدام «قوة متحجرة القلب». واستطرد بن غوريون في كتابته قائلا إن التاريخ الأوروبي الحديث أثبت أن النقل الإجباري للسـكان أمر ممكن. كذلك فإن الحرب العالميـة الدائرة تؤكد ضرورة وعمليـة النقل الجماعي لحل المشاكل الصعبة التي تمثلها الأقليات. واسـتنتج أنه سـتكون هناك انتقالات واسـعة للسكان كجزء من تسـوية ما بعد الحرب. ومع ذلـك فإن الحركة الصهيونية يجب أن تكون حـذرة من الدعوة علانية إلى نقل إجباري للعرب، لأن ذلك سـيكون تصرفا أخرق، كما أنه يمكن أن يثير عداء العديد في الغرب. وفي الوقت ذاته فإن الصهيونيين يجب ألا يُقدموا على أي شيء العديد في الغرب. وفي الوقت ذاته فإن الصهيونيين يجب ألا يُقدموا على أي شيء من شـأنه الإضرار بأولئك الذين يتبنون في الغرب «الترانسفير» كعنصر رئيسي في تسوية المشكلة الفلسطينية (10).

كان بـن غوريون يشـير بشـكل غير مبـاشر إلى المقترح الـذي قدمه هاري سـان جون فيلبي، مسـتشرق ومستشار الملك بن سـعود في المملكة السعودية، والخاص بإقامة «اتحاد فدرالي» لدول شرق أوسطية في نهاية الحرب، يحكمه بن سـعود. وقد تضمنت الخطة كذلك قيام دولة يهودية في فلسـطين، ونقل أغلب الفلسـطينيين العرب إلى خـارج البلاد مع قيام المملكة بدفـع 20 مليون جنيه إسـترليني. وقد كـان كـل مـن وايزمان وشـيرتوك متحمسا للغاية في البداية لهذا المقترح (32).

خلال أعوام الحرب، ظل كل من شيرتوك ووايزمان على تأييدهم المستمر لسياسة «النقل» عاملين على تسويق الفكرة لكل من يريد أن يسمع، ومن بين المتحدثين مع وايزمان كان السفير السوفييتي في لندن، إيفان مايسكي، حيث التقى الرجلان في لندن في أواخر يناير من العام 1941. في البداية تحدث وايزمان عن إمكانية تصدير البرتقال إلى روسيا، الأمر الذي لم يلق اهتماما خاصا من السفير، وانتقل الحديث بعد ذلك إلى مناقشة موضوع تحقيق تسوية في فلسطين بعد انتهاء الحرب، ووفقا لوايزمان ذكر مايسكى:

أنه يجب أن يكون هناك تبادل في السكان. قال د. وايزمان بأنه إذا ما نُقل نصف مليون عربي فإنه يمكن وضع مليونين من اليهود مكانهم. وسيكون ذلك بالطبع بمثابة الجزء الأول أما ما يمكن أن يحدث بعد ذلك فهو موضوع متروك للتاريخ. وقد علق مايسكي على ذلك بالقول إنهم في روسيا عليهم أيضا أن يتعاملوا مع مسألة تبادل السكان. فذكر وايزمان أن المسافة التي سيجري النقل خلالها ستكون في حالتهم قصيرة، حيث سينقل العرب فقط إلى العراق أو شرق الأردن. استفسر مايسكي حول ما إذا كانت هناك صعوبات يمكن أن تنبع من نقل سكان من بلاد تسودها المرتفعات إلى السهول، فرد وايزمان بأن البداية يجب أن تشمل عرب وادي الأردن، وأنه في كل الأحوال فإن شرق الأردن ليست مختلفة تماما عن مرتفعات فلسطين... وشرح د. وايزمان أنهم (الصهاينة) غير قادرين على التعامل فلسطين... وشرح د. وايزمان أنهم (الصهاينة) غير قادرين على التعامل مع العرب كما يمكن أن يكون عليه الحال، على سبيل المثال، في تعامل السلطات الروسية مع عنصر متخلف من سكانها في الاتحاد السوفييتي.

تضمن تقرير مايسكي عن اللقاء عددا من الاختلافات؛ حيث كتب أن وايزمان هو الذي أثار موضوع «النقل»، واقترح «نقل مليون من العرب... إلى العراق، وتوطين أربعة أو خمسة ملايين يهودي قادمين من بولندا وغيرها من البلاد في الأراضي التي كان يقيم فيها العرب». وقد عبر السفير الروسي عن دهشته إزاء توقعات وايزمان إمكانية إحلال أربعة أو خمسة ملايين يهودي في أراضي سكنها فقط مليون عربي، ووفقا لمايسكي رد وايزمان بالقول:

لا تنزعج من ذلك... عادة ما يوصف العربي بأنه ابن الصحراء، ولكن قد يكون من الأصح تسميته أب الصحراء. فكسله وبدائيته تحول الحديقة المثمرة إلى صحراء. أعطني الأرض التي يشخلها مليون عربي وسيمكنني بسهولة أن أُوطن فيها خمسة أضعاف هذا الرقم من اليهود (34).

وبعد مرور عدة أشهر دار تقريبا حديث مطابق بين شيرتوك، الذي كان في زيارة للقاهرة، ووالتر سـمارت - سكرتير الشـؤون العربية في المفوضية البريطانية بمصر - وتعلق الأمر بهجرة ضخمة لليهود البولنديين إلى فلسطين.

### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

قلت [شيرتوك] إن أرض إسرائيل يمكن أن تستقبل على الأقل خمسة ملاين، واستفسر سمارت «ولكن كم منهم يهود؟».

أجبت: ثلاثة ملايين يهود ومليونان عرب. إن العرب يتزايدون بفضل الهجرة اليهودية (التي تؤدي إلى ازدهار الاقتصاد مما يسهل استيعاب العرب)، ولكن إذا ما طردنا العرب فسيكون هناك مساحة لمزيد من اليهود؛ وهذا سيفيد العرب أيضا.

وهنا سأل سمارت: ماذا ستفعلون معهم؟

أجبت: هل سورية، على سبيل المثال، يمكن أن تنمو بهذا العدد الضئيل من السكان ومساحاتها الخالية؟ إذا ما نُقل عدة مثات الآلاف من أرض إسرائيل إليها، ووفر الشعب اليهودي الأموال، فإن العائد على البلاد سيكون كبيرا، وهو ما ينطبق كذلك على العراق.

في أثناء نفس الزيارة ردد شيرتوك كلهات مماثلة في لقائه مع الوزير الأمريكي الكسندر كيرك<sup>(35)</sup>.

على الرغم من أن تلك اللقاءات لم تتمخض عن شيء، فإنها تكشف عن حجم الياس الذي قد يصل إلى حد التهور والذي شعرت به القيادة الصهيونية بشكل متزايد مع بدء تسرب الأخبار حول المصير المروع ليهود أوروبا، وكذلك الإجراءات التى كانوا على استعداد للتفكير فيها واقتراحها لإنقاذ شعبهم.

لم يكن هذا النوع من التفكير قاصرا فقط على القيادة السياسية، بل امتد إلى العديد من المسؤولين الذين أداروا مؤسسات اليشوف أو «الدولة داخل الدولة». فعلى سبيل المثال يوسف ويتز، الذي شغل منصب مدير إدارة الأراضي في الخزانة اليهودية الوطنية وأحد الشخصيات الرئيسية في مجال شراء الأراضي وتنفيذ الاستيطان، والمعروف بصراحته وفظاظته، كتب في يومياته بتاريخ 20 ديسمبر 1940: «من الضروري أن يكون واضحا انه ليس هناك مكان في البلاد للشعبين».

إذا ما غادر العرب فإن البلاد ستصبح واسعة ورحبة لنا... إن الحل الوحيد (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية) يتمثل في توفير أرض لإسرائيل، على الأقل أرض غربية لإسرائيل (المقصود فلسطين) من دون عرب. ولا يوجد مجال هنا

للحلول الوسط... لا يوجد وسيلة أخرى سوى نقل العرب من هنا إلى البلاد المجاورة، ترحيلهم جميعا ربا باستثناء المدن التي يقطنها بشكل رئيسي العرب المسيحيون: بيت لحم والناصرة والقدس القديمة. ولا يجب ترك أي قرية أو أي قبيلة بدوية. إن الترحيل يجب أن يكون باتجاه العراق، وسورية، وشرق الأردن. ولتحقيق هذه الأهداف ستوفّر الأموال ... وفقط بعد هذا النقل ستكون البلاد قادرة على استيعاب ملايين من أشقائنا وستنتهي مشكلة اليهود [في أوروبا]. ولا يوجد حل آخر (36).

إلا أن حل المشكلة اليهودية أو مسألة فلسطين لم يكونا على أولويات قادة التحالف وجنرالاته خلال الحرب؛ حيث كان لديهم مشاكل أكثر إلحاحا. فنقل العرب الفساح المجال لليهود مثّل بالكاد اقتراحا ضروريا أو مثيرا للاهتمام. ومع ذلك، فإن الأخبار التي تم تناقلها خلال النصف الثاني من الحرب حول الهولوكوسـت الذي يرتكبـه النازي في أوروبا المحتلة أحدثـت بالتأكيد وخزا في ضمير السياسيين والمسؤولين الغربيين وأبرزت ضرورة إيجاد حل عاجل للمشكلة اليهوديـة في أوروبا من خلال توفير ملاذ آمن في فلسـطين. لقد تعززت التيارات المؤيدة للصهيونية. وأقرت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني في إبريل 1944 برنامـج عمـل يُقر هجرة يهودية ضخمة، إلى أغلبية يهودية في فلسـطين ونقل العرب منها كجزء من تسوية سلمية في الشرق الأوسط. ... وقد نص القرار الذي نُشر في مجلد حزب العمال تحت عنوان: «التسوية الدولية بعد الحرب»<sup>(37)</sup> على ما يلى: «بالتأكيد توجد في فلسـطين حالة نقل سـكان على خلفية إنسانية وللتوصل إلى تسوية مستقرة. لنشجع العرب على التحرك إلى الخارج وينتقل اليهود إلى الداخل. لنتركهم يحصلون على التعويضات السخية مقابل أراضيهم ويستقرون في مكان آخر بشكل منظم جيدا وتمويل ضخم». لقد أدى نشر هذا القرار إلى إثارة نقاش في السابع من مايو في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية -ليس حول مفهوم النقل (حيث اتفق الجميع على مزاياه إن لم يكن حول طبيعته العملية) ولكن حول كيفية قيام القيادة الصهيونية بالرد. وفي هذا الخصوص قال شيرتوك، الذي أضحى فيما بعد أول وزير خارجية، وثاني رئيس وزراء لإسرائيل: «النقـل يمكن أن يكون الحجـر الرئيسي، والمرحلة النهائية في التطور السـياسي،

ولكن ليس بأي حال من الأحوال نقطة البداية. فبالقيام بذلك (الحديث قبل الأوان عن النقل) نقوم بتعبئة قوى هائلة ضد الفكرة ونخربها (المقصود عملية التنفيذ) مسبقا». وتابع الحديث قائلا بطريقة تشبه النبوءة: «الذي سيحدث عندما تقام الدولة اليهودية - من الممكن كثيرا أن تكون النتيجة هي نقل العرب»، وقد انضم بن غوريون إلى هذا الرأي:

عندما سمعت عن هذه الأشياء (قرار اللجنة التنفيذية لحزب العمال) فكرت بجدية... ولكنني وصلت إلى نتيجة مفادها أنه من الأفضل أن يبقي ذلك القرار «كجزء من البرنامج السياسي للحزب».. وإذا ما سُتئنا عن مضمون برنامجنا، فانه لا يتصور أن أقول «النقل»... لأن الحديث عن هذا الموضوع رجا يُحدث الضرر بطريقتين: الأولى، رجا يحدث لنا ضررا في الرأي العامي؛ حيث إنه قد يعطي الانطباع أنه لا يوجد مكان (ليهود أكثر) في فلسطين من دون طرد العرب؛ وثانيا، إن مثل هذا التصريح المؤيد للنقل قد يؤدي إلى وضع العرب في موقف تحفز، واستطرد بن غوريون قائلا: ومع ذلك فإن نقل العرب هو أسهل من أي نوع آخر من أنواع النقل؛ فتوجد دول عربية في المنطقة... ومن الواضح انه إذا ما أُرسل العرب (عرب فلسطين) إلى البلاد العربية فإن ذلك سيحسن من أوضاعهم وليس العكس...

وقد اتخذ باقي أعضاء اللجنة الموقف نفسه؛ حيث أعلن إسحاق غروينبوم، الذي أصبح فيها بعد أول وزير داخلية لدولة إسرائيل:

في رأيي أن هناك بُعدا عربيا لصالح النقل، ويتمثل في زيادة سكان العراق بعرب [إضافين]. إنها وظيفة اليهود أحيانا أن يفتحوا أعين غير اليهود على أشياء لم يدركوها بعد. وإذا كان من الممكن على سبيل المثال اصطناع ظروف في العراق يمكنها أن تجذب عرب فلسطين للهجرة إليها، فإنني لا أرى أي خطيئة أو جرعة في ذلك.

من جانبه، قال إلياهو دوبكين، مدير إدارة الهجرة في الوكالة اليهودية: «سيكون في البلاد أقلية عربية كبيرة ويلزم طردها؛ حيث لا يوجد مكان لمشاعرنا الداخلية في هـذا الخصوص»، وذهب إليعازر كابلان، الذي أصبح أول وزير مالية لإسرائيل، إلى

القول: «فيما يتصل بموضوع النقل لدي فقط طلب واحد، هو ألا نبدأ بالجدل بين بعضنا البعض. إن ذلك سيوقع بنا أكبر الضرر خارجيا». وقد قاطعه دوف جوزيف، المستشار القانوني للوكالة اليهودية الذي أصبح بعد ذلك وزير العدل في إسرائيل، ليعبر عن اتفاقه معه في الرأي. ومن جانبه قال وارنر ديفيد سيناتور: «أنا لا أنظر إلى مسألة النقل على أنها مشكلة أخلاقية أو غير أخلاقية... فهي ليست مسألة أرفض بحثها»(38).

عاد بن غوريون مجددا، خلال الشهر التالي، لتناول موضوع النقل حينها الترح بشكل غير واقعي جلب مليون مهاجر يهودي إلى فلسطين «على الفور». وفي هذا الخصوص ذكر موشي حاييم شابيرا، قائد حزب مزراحي الديني. إن ذلك سوف يمكن أن يُجبر اليشوف على بحث مسألة نقل العرب، وتمثل رد بن فوريون فيما يلي:

أنا أعارض أي مقترح للنقل قد يأتي من طرفنا، ولكني لا أرفض النقل لاعتبارات أخلاقية أو سياسية، وإذا كانت هناك فرصة لنجاحه، فيما يتعلق بالدروز، فإنني أؤيده، فمن الممكن نقل كل الدروز بشكل طوعي إلى جبل الدروز [بسورية]. أما بالنسبة إلى باقي العرب فلست أدري. ولكن لا يجب بأي حال أن يكون مقترحا يهوديا (39).

إذا كانت الحرب العالمية الثانية والهولوكوست قد عجلا من اهتمام الصهيونية بالنقل، فقد أحييا كذلك لفترة التأييد البريطاني لتسوية تقوم على التقسيم وقيام دولة يهودية على جزء من فلسطين. ففي عام 1943 قدمت لجنة وزارية بريطانية مقترحا يستند إلى التقسيم، وأقر مجلس الوزراء البريطاني الفكرة بالإجماع، في يناير 1944، مع ترك التنفيذ إلى فترة ما بعد الحرب. وبدوره جدد ذلك الدفاع عن النقل في الدوائر الرسمية البريطانية، وربها، بشكل متناقض طاهريا، العربية.

في يناير 1943، اقترح دوق ديفنشير - الذي شيغل آنذاك منصبا رفيعا في وزارة المستعمرات البريطانية المقايضة التالية: أن يقيم البريطانيون دولة عربية في ليبيا الميانية على قيام دولة يهودية التي تم الاستيلاء عليها أخيرا من الإيطاليين، في مقابل الموافقة على قيام دولة يهودية

في فلسطين. وبالنسبة إليه «من غير الصحيح أن الصهاينة قد قاموا بطرد العرب من فلسطين على مر السنيين. ولكن في كل الأحوال يلزم التعامل مع السكان العرب في فلسطين من خلال عرض المساعدة للهجرة إلى ليبيا لتلك الأسر التي ترى أن الظروف السائدة في فلسطين غير محتملة (40).

مع قرب نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح الجنرال المُستعرب جون غلوب قائد جيس شرق الأردن، الفيلـق العربي، من المؤيدين البارزين لفكـرة النقل (جنبا إلى جنب مع تقسـيم فلسطين بين دولة يهودية وشرق الأردن). ففي يوليو 1946 كتب مذكرة تحت عنوان «مذكرة حول التقسـيم بوصفه حلا للمشـكلة الفلسـطينية»، أوصى فيها بالتقسيم «لأنه لا يوجد أي حل آخر يتضمن إمكانية النجاح»، وقد تصور جون غلوب دولة يهودية تضم السهل الساحلي، وسهل زرعين ووادي الأردن الأدنى. وان لم يكن متأكدا حول طريقة حل مشـكلة يافا - المدينة العربية الكبرى وسـط وإن لم يكن متأكدا حول طريقة حل مشـكلة يافا - المدينة العربية الكبرى وسـط المنطقة الساحلية اليهودية. وفي هذا الخصوص كتب قائلا: «أحد الاحتمالات يتمثل في نقل سـكانها إلى «مكان آخر» لمدة 10-15 عاما، وفيما يتصل بالعرب الآخرين في المناطق التي ستكون دولة يهودية أوصى جون غلوب (مترددا) بالنقل:

ستكون أفضل الطرق على الأرجح هي السهاح بفترة زمنية يمكن خلالها للأفراد الذين يوجدون في دولة أو أخرى على غير إرادتهم أن يختاروا جنسية الدولة الأخرى... وبالتأكيد ربها يختار البعض الجنسية من دون أن تكون لديهم الرغبة في الانتقال إليها والعيش فيها... ومع ذلك فإن الأغلبية العظمى سترغب على الأرجح في الانتقال... إن نسبة صغيرة من الأقليات يمكن أن تتحرك من خلال التبادل المباشر... ولكن... سيستمر وجود وزن عربي كبير داخل الدولة اليهودية. وسيرغب اليهود في التخلص منهم، وسيجدون سريعا الوسائل لدفعهم إلى الرغبة في الرحيل... وبالتأكيد ليس المقصود تحريك العرب بالقوة، ولكن فقط الترتيب لكي يشعر العرب الذين تركوا في الدولة اليهودية بأن آفاق الوظائف المجزية الراتب مفتوحة أمامهم في دولة عربية (41).

بدا غلوب وكأنه يتحدث عن انتقال «طوعي» تدعمه مجموعة من المحفزات المغرية. ولكن في مذكرة متابعة كُتبت بشكل واضح بعد عدة أسابيع، بدا كأنه انتقل إلى قبول بعض إجراءات النقل الإجباري أيضا.

عندما تُنظَف المناطق المخصصة بشكل واضح للعرب واليهود من كل عندما تُنظَف المناطق المخصصة بشكل واضح للعرب واليهود من كل عناصر الجماعة الأخرى، يجب أن يبدأ العمل لوضع الحدودي يلزم بذل كل الجهود لترتيب تبادل الأرض والسكان بهدف ترك أقل عدد ممكن من الناس يُعوضوا ماديا (42).

في يناير 1947، ومع اقتراب صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة، أدخل جون غلب وب بعض التعديلات على برنامجه حيث كتب أن العرب في المناطق المخصصة لليهود «يلزم تعويضهم وتوطينهم في مكان آخر»، إلا أنه عاد ليضيف:

إن مقترح التقسيم الذي عُرض في المذكرة السابقة لا يتضمن النقل القسرى لأي من الأفراد (أولئك الذين يرغبون في الانتقال إلى دولة أخرى سيعوَضوا)... ولــن تكون قوات حكومة جلالــة الملكة معنية بنقل أي شخص - وبالتأكيد بطرده بالقوة من دياره، فمن غير الوارد أن تُســتخدم القوات البريطانية لطرد العرب من ديارهم، فمثل هذه الأمور يمكن أن يقوم بها الألمان أو الروس... إن القوات البريطانية لا يمكنها أن تكون مخيفة بما فيه الكفاية... ولكن محاولة تنفيذ نقل كتل واسعة من العرب باســتخدام القوات اليهودية ربما قد يقود إلى حــرب أهلية، كما أن قوات الدول العربية ربما ترفض القيام بذلك. وتتمثل النتيجة المحتومة في أن التكتلات الكبيرة من الســكان لا يمكن تحريكها، ومن ثم فإن الحدود التي يمكن وضعها عمليا هي تلك التي تســير بشــكل تقريبي مع الخطوط الديوغرافية الفاصلة والقائمة فعلا... (43).

في الواقع فإن ما قاله غلوب كان يعني أن التقسيم، بين دولة يهودية وشرق الأردن، هو الحل الوحيد; وأنه لكي ينجح لا بد من أن يكون هناك نقل للعرب خارج الدولة اليهودية (كما هو الحال بالنسبة إلى عدد أكثر قلة من اليهود في المناطق العربية)، على أن يكون النقل طوعيا ويُعوَضوا عنه؛ حيث إن النقل القسري، بواسطة القوات البريطانية أو اليهودية أو العربية، لا يمكن تصوره وسيؤدي فحسب إلى اندلاع عمليات قتالية واسعة المدى.

ولم يكن فقط الناشطون الصهاينة والرسميون البريطانيون هم من تتأرجح مواقفهم في منتصف الأربعينيات حول قول التقسيم الذي يلازمه نقل للعرب خارج

الدولة اليهودية المزمعة إقامتها، وإنما تعلق الأمر كذلك بسياسيين عرب كبار- أو على الأقل هذا ما أفصحت عنه مصادر بريطانية موثوق فيها عما قالوه في ذلك الوقت. ففي ديسمبر 1944 أخبر نوري السعيد، سياسي كبير شغل لبعض الوقت منصب رئيس وزراء، مصدرا بريطانيا أنه إذا ما فُرض التقسيم على العرب، فستكون هناك «حاجة لنقل العرب من الدولة اليهودية وهو ما يحكن أن يتم عن طريق التبادل...». وقد افترض السعيد أن التسوية لن تؤدي إلى إثارة رد فعل عربي عنيف، وأيد الفكرة - دولة يهودية صغيرة مصحوبة بعملية النقل - فقط إذا كان من شأنها أن تضع نهاية للمشكلة. وفي نقاش لاحق سمع المسؤول البريطاني أشياء مشابهة من وزير خارجية العراق أرشد العمري: «كرر أرشد ما سبق أن قاله السعيد... حول ردود الفعل العربية المحتملة وكذلك ضرورة نقل العرب من الدولة اليهودية» (44). وقد أكد نوري السعيد موقفه بشكل أكثر وضوحا خلال لقائه مع أليك كيركبرايد، الممثل البريطاني المقيم في عمان:

بشرط أن يُنفذ التقسيم على أسس عادلة، فإنه ربا يكون من الأفضل فقدان جزء من فلسطين لكي نحصر الخطر الصهيوني داخل حدود دائمة. وذكر، نوري باشا، أن الأساس العادل الوحيد هو التخلي عن المناطق التي يشكل فيها اليهود أغلبية... في حين يُدمج القسم العربي من فلسطين مع شرق الأردن (45).

وفي عمان سادت حالة من التعاطف المفهوم مع تقسيم فلسطين بين اليهود وشرق الأردن، وكان من الطبيعي أن يقود ذلك إلى قبول النقل الذي يلازم التقسيم. ففي لقاء جرى بالقدس في فبراير 1944 جمع سير هارولد مكمايكل، المفوض السامي، واللورد موين، الوزير المقيم في الشرق الأوسط، وكيرك برايد، والجنرال أدوارد سبيرس، رئيس البعثة السياسية البريطانية في سورية ولبنان، كان هناك اتفاق عام على أن «التقسيم عمل الأمل الوحيد لتسوية نهائية في فلسطين». وطبقا لموين، يعترف كل من رئيس الوزراء الأردني، توفيق أبو الهدى، ورئيس الوزراء المصري، مصطفى النحاس باشا، على أن «التسوية النهائية يمكن الوصول إليها فقط بواسطة التقسيم» (هذا على الرغم من أن القادة العرب لم يصرحوا بذلك علنا)

قام أبو الهدى بإبلاغ كيركبرايد مباشرة بموقفه في لقاءين، في 3 ديسمبر 1943 و16 يناير 1944، وفي اللقاء الثاني ذكر أبو الهدى (وفقا لما أورده مكمايكل) أنه «لا يرى أي بديل للتقسيم...» (47). وبعد مرور عامين، في يوليو 1947، أرسل كيركبرايد برقية إلى لندن حول اللقاءات التي عقدها مع الملك عبدالله ورئيس وزراء الأردن الجديد إبراهيم باشا هاشم:

يؤيد عبدالله التقسيم ويشعر أن القادة العرب الآخرين يمكن أن يقبلوا بذلك الحل على الرغم من أنه لا يمكنهم الموافقة عليه علنا... وذكر هاشم أن الحل العادل والدائم الوحيد يكمن في التقسيم الكامل مع تبادل السكان، فترك اليهود في دولة عربية أو العرب في دولة يهودية سيقود بشكل حتمي إلى اضطرابات جديدة بين الشعبين، وقد أقر إبراهيم باشا أنه لا يمكنه التعبير عن هذه الفكرة في العلن خشية أن يوصف بالخائن، مضيفا أن الممثلين العرب الآخرين في المناقشات سينقسمون إلى فريقين: الأول مثله لا يجرؤ على التعبير عن أرائه الحقيقية، والثاني من المتطرفين الذين سيطلبون المستحيل (48).

## وبعد مرور شهر علق كيركبرايد بقوله:

إن كلا من الملك عبدالله ورئيس وزراء الأردن يرى أن الحل العملي الوحيد لمشكلة فلسطين يتمثل في التقسيم الذي يتبعه تبادل للسكان [ما يعنيه ذلك من نقل العرب خارج الدولة اليهودية المُزمعة إقامتها] ولكنهما غير قادرين على التعبير عن رأيهما بشكل علني...(49).

يبرز من العرض السابق أن القادة الصهاينة، منذ بداية تشكيل الحركة، نظروا إلى فكرة نقل «العرب» أو عدد كبير منهم خارج فلسطين، أو أي جزء منها يمكن أن يصبح يهوديا، بوصفها وسيلة لحل المشكلة التي فرضها وجود أغلبية عربية أو فيما بعد أقلية عربية كبيرة تعارض وجود دولة يهودية أو العيش فيها. وحيث إن المعارضة العربية، المتضمنة مقاومة عنيفة، للصهيونية تنامت في العشرينيات والثلاثينيات، كما أنه نتج عنها تشدد دوري من قبل بريطانيا إزاء الهجرة اليهودية، فقد تشكل توافق أو شبه توافق بين القادة الصهاينة حول فكرة النقل باعتبارها الحل الطبيعي والفعال وحتى الأخلاقي للمعضلة الديموغرافية. ولم يكن من شأن

مقترحات لجنة بيل المتضمنة التقسيم والنقل إلا أن تقوي من التأييد الصهيوني للفكرة. فقد أدرك الجميع أنه لا توجد وسيلة لتصميم أو نحت فلسطين لا تترك في المنطقة المخصصة لليهود أقلية كبيرة عربية (أو أغلبية عربية) - وأنه لا يمكن تحقيق تسوية تقوم على التقسيم انطلاقاً من هذه القاعدة الديوغرافية. ضاعف اندلاع الحرب العالمية الثانية وما تخللها من المحرقة من يأس الصهاينة الذي بلغ حد التهور للحصول على ملاذ آمن في فلسطين ليهود أوروبا المضطهدين - وعزز من استعدادهم لتبني «الترانسفير» أو «النقل» بوصفه وسيلة تؤدي بشكل فوري إلى إفراغ الأرض بما يمكن من استيعاب اللاجئين المتوقعين القادمين من أوروبا.

لم تأت جولات التفكير الصهيوني حول «النقل» من فراغ، وإنما كرد فعل لعوامل أو مبادرات خارجية: ففي بدايات الثلاثينيات جاء تأمل الصهاينة في التنقل كنتيجة للعنف العربي ولفشل الجهود المبذولة لإقناع البريطانيين بالسماح بتوطين اليهود في شرق الأردن، وفي نهاية الثلاثينيات أطلقته الثورة العربية وتوصية لجنة بيل بأن ينقل السكان العرب من المنطقة المحددة لقيام دولة يهودية؛ وخلال الأربعينيات جاء التفكير حول «النقل» متأثرا بمقترحات سان جون فيلبي حول «اتحاد فيدرالي» في الشرق الأوسط، والحاجة الماسة إلى ملاذ آمن خال (نسبيا) ليهود أوروبا المهددين بالهلاك؛ وخلال عامي 1944-1945 انطلق الحديث عن هذا الملف من قرار اللجنة التنفيذية لحزب العمل البريطاني والذي ضمن «النقل» في برنامج عمله من أجل تسوية للمسألة الفلسطينية.

بحلول منتصف الأربعينيات أصبح منطق «النقل» وضرورته أمرا مقبولا لدى العديد من المسؤولين البريطانيين وعدد من القادة العرب، بما في ذلك ملك الأردن الملك عبدالله، ورئيس وزرائه إبراهيم باشا هاشم، فضلا عن نوري السعيد في العراق. ليس لأن المحرقة كانت تحتل الأولوية في أذهانهم، ولكنهم كانوا مدفوعين بشكل أساسي بالحسابات التي تقول إن التقسيم هو الحل الوحيد الأكثر معقولية وقابلية للتطبيق والعادل نسبيا للمشكلة الفلسطينية المُحيرة، كما أن تسوية قائمة على التقسيم ستكون دائمة فقط إذا ما صاحبها نقل ضخم للسكان العرب خارج المنطقة التي ستقوم فيها الدولة اليهودية؛ حيث إن وجود أقلية عربية ممتعضة وكبيرة العدد داخل الدولة . اليهودية سيكون على الأرجح بمنزلة وصفة لعدم الاستقرار والكوارث في المستقبل.

لم يتضمن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من نوفمبر 1947 النص على نقل السكان، تاركا في المناطق المخصصة للدولة اليهودية ما يقارب 400 ألف عربي (إلى جانب 500 ألف يهودي) وقد كان هذا الوضع عند اندلاع القتال بمثابة وصفة للكارثة، مما أدى إلى ظهور وضعية اللجوء للطرف الخاسر ومع انتهاء القتال وانتصار اليهود فرت الأغلبية الكبرى من العرب الذين قطنوا المناطق التي أضحت دولة إسرائيل أو دُفعوا خارجها.

هنا يثور التساؤل حول العلاقة بين التفكير الإسرائيلي حول موضوع النقل قبيل عام 1948 وما حدث بالفعل خلال الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى. ذهب المعلقون والمؤرخون العرب إلى القول إن هذا التفكير ارتقى إلى مستوى التخطيط المسبق، وإن ما حدث في 1948 كان ببساطة تطبيق منهجي لإيديولوجية صهيونية و«خطة رئيسية» للطرد(50) ومن جانبهم ذهب معلقو ومؤرخو المدرسة الصهيونية القدية إلى القول إن الحديث المتقطع بين القادة الصهيونيين عن «النقل» كان مجرد آمال وأحلام ولم يؤخذ على الإطلاق محمل الجد أو يتم تناوله بشكل منظم، ومن شم فإنه لم يكن هناك تفكير مسبق أو تعمد وراء ما حدث في 1948، وأن خلق مشكلة اللاجئين لا يرجع على الإطلاق إلى تخطيط مسبق بل رجع إلى ظروف الحرب، وضرورات اللحظة، والفوض التي سادت، والمقتضيات والاحتياجات العسكرية الفورية، والأهواء الشخصية وما إلى ذلك(51).

بالنسبة إلي فإنه لدي شعور بأن التفكير حول النقل والإجماع شبه الكامل الذي تبلور حوله في الثلاثينيات وبداية الأربعينيات لا يعكس تخطيطا مُسبقا ولم يسفر عن سياسة أو خطة رئيسية للطرد؛ حيث لم يدخل اليشوف ووحداته العسكرية حرب 1948، التي بدأها الجانب العربي، ولديه سياسة أو خطة للطرد؛ وفي المقابل فإن النقل كان محتما ومتضمنا في الصهيونية التي توجهت إلى تحول أرض كانت «عربية» إلى دولة «يهودية»، وهذه الأخيرة لم يكن لها أن تبرز دون إبعاد ضخم للسكان العرب؛ ولما كان من شأن هذا الهدف أن يثير بشكل تلقائي مقاومة بين العرب، فإن ذلك أقنع قادة اليشوف بأنه لا يمكن الإبقاء على أغلبية عربية - أو أقلية عربية كبيرة - ذات طابع عدائي، إذا ما كان للدولة اليهودية أن تنشأ وتستمر في الوجود في أمان. وبحلول عام 1948 كانت فكرة النقل تشيع في الأجواء. إن التفكير

في موضوع النقل الذي سبق الحرب أسهم في حل العقدة من خلال تهيئة الشعب اليهودي والأحزاب السياسية والتشكيلات العسكرية، وإجمالا العسكريين والمدنيين، لما وقع بعد ذلك، فالتفكير خلال الثلاثينيات والأربعينيات حول النقل أسهم في تهيئة القلوب والعقول للتكيف مع تنفيذه عام 1948، ومن ثم فإنه عندما حدث تقبله الشعب اليهودي، باعتباره أمرا طبيعيا لم يكن من الممكن اجتنابه، باستثناء أصوات قليلة عبرت عن احتجاجها.

إن حقيقة أن عرب فلسطين (والدول العربية) رفضوا قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم وقاموا بشن حرب، بهدف القضاء على الدولة اليهودية في المهد، تطورت إلى حرب أهلية شاملة في وقت قامت فيه الدول العربية بغزو فلسطين وهاجمت إسرائيل في مايو 1948 أدى إلى تقسية قلوب اليهود تجاه العرب الفلسطينين؛ حيث نظر إليهم على أنهم أعداء حتى الموت، وأنه إذا ما استوعبوا داخل الدولة اليهودية فإنهم سيصيرون بمنزلة الطابور الخامس. ومن ثم فإن عمليات الطرد التي حدثت من وقت لآخر خلال الرحيل الجماعي للفلسطينين أثارت القليل من الاستغراب، وقد عنى كل هذا أن قادة اليشوف والأحزاب، والسكان قد قبلوا في منتصف الحرب، من دون استياء أو احتجاج يذكر، القرار الحساس سياسيا وعسكريا الخاص بعدم السماح للاجئين العرب بالعودة.

وعند هذه النقطة، بدأ بعض قادة اليشوف في العودة إلى الوراء في محاولة للبحث في العلاقـة بين ما حـدث فعلا (بحلول خريف 1948 أُخرج مـا بين 400 ألف و500 ألف عربي من أماكنهـم) والتفكير في مفهوم النقل خـلال الثلاثينيات والأربعينيات. وفي سـبتمبر 1948 ذكر إسحاق غروينبوم، وزير الداخلية الإسرائيلي: «في رأيي... ليس هناك حاجة لمناقشة عودة اللاجئين (مادام تجدد القتال أمرا ممكنا)»:

في الماضي كان لدينا خطة، تتمثل في أنه إذا كان من الممكن أن ننقل السكان العرب إلى الدول العربية (المجاورة) فإننا مستعدون للمشاركة في نفقات إعادة توطينهم بالمساعدة والتمويل. الآن كذلك، فإنني لا أرى أي خطأ في هذه الخطة... (52).

# الموجة الأولى: النزوح العربي (ديسمبر 1947 - مارس 1948)

مع صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين في التاسع والعشرين من نوفمبر 1947، وقعت هجمات عربية عشوائية ضد اليهود في الطرق، ونُصب أول كمين على الطريق في اليوم التالي بالقرب من كفر سيركين، حيث هوجمت حافلتان مما أدى إلى سقوط سبعة يهود قتلى بطلقات نارية (1). وشهد اليوم ذاته إطلاق قناصة في يافا النار على المارة في تل أبيب. من جانبها، أعلنت اللجنة العربية العليا - التي رفضت صراحة القرار وأي توجه نحو التقسيم - إضرابا علما لمدة ثلاثة أيام بدءا من الأول من ديسمبر، مطلقة بذلك العنان الخضب الجماهير. وفي الثاني من ديسمبر أقدمت مجموعة إجرامية، لم تعترضها القوات البريطانية، على مهاجمة مركز تعترضها القوات البريطانية، على مهاجمة مركز

«رحل العرب الذين أخلوا المدن بشكل كبير بسبب الهجمات اليهودية (من قبل الهاغاناه، والإرغون، والهستدروت) أو نتيجة للخوف من هجمات وشبيكة، فضلا عن سيادة الشعور بالضعف والعرضة للخطر»

اللولف

تجاري يهـودي جديد في القدس، وباشرت عمليات نهب وحرق للمتاجر وهاجمت اليهود. وقام القناصة بإطلاق النار في حيفا، كما وقعت هجمات في أطراف تل أبيب في مناطق متاخمة ليافا وضواحيها. وسادت أجزاء من فلسطين حالة من الفوضى في وقت بدأ فيه التصعيد يذهب في اتجاه حرب أهلية شاملة. أسست اللجان الوطنية منذ العام 1936 في المدن العربية لتتولى إدارة ما يتصل بالحياة والصراع في كل موقع، وبدأت التشكيلات المكونة من العناصر غير النظامية في العودة إلى الظهور في التلال، في وقت أعادت فيه اللجنة العربية العليا فرض نفسها كقائد للكفاح الوطني. بمبادرة العرب بالهجوم واقتصار اليهود على الدفاع، الذي تخلله بشكل متزايد قيامهم بأعمال انتقامية. ومع قيام مسلحين عرب جهاجمة السيارات والشاحنات اليهودية، بدأت قوات الهاغاناه منذ نهاية ديسمبر بحماية قوافل السيارات وضواحي المدن والمستوطنات الريفية، ولم يدع المهاجمون على الإطلاق أنهم يستهدفون فقط المقاتلين، بل كان كل يهودي هدفا مشروعا. وسرعان ما اتسعت رقعة القتال من عدد محدود من المراكز المدنية إلى أجزاء مختلفة من الضواحى. من جانبها، ردت الهاغاناه باستهداف - وبشكل محدد ودقيق - الإرهابين المعتدين أو المليشيا الإرهابية أو القرية المعنية، غير أن ذلك قد ثبت أنه من الصعب الالتزام به غالبا، وفي جميع الأحوال فإنه بحلول شهري فبراير - مارس 1948، ومع فشل الهاغاناه في قمع المهاجمين، بدأت في التخلى عن هذا الأسلوب الراقى وضربت الطرق والقرى الفلسطينية من دون تمييز، وإن كان ذلك بدرجة من درجات الضبط الذاتي وكعمل انتقامي. وفي الوقت ذاته عادت كل من إرغون وشترن، بشكل منفرد، إلى إستراتيجية أعوام 1937 - 1939 القائمة على زرع متفجرات في الأسواق المزدحمة ومواقف الحافلات، وهو ما رد عليه العرب بالقيام بتفجيرات في مراكز تجمع السكان اليهودية خلال شهري فبراير ومارس (الهجمات بالقنابل على مركز البريد الفلسطيني، وفي شارع يهودا، ومباني المؤسسات الوطنية في القدس). كذلك لجأت الهاغاناه في بعض المناسبات وبشكل غير متعمد إلى الإرهاب، كما كانت عليه الحال في الهجـوم على فندق سـميراميس بالقدس في يناير 1948، وإن تمسـكت بصفة عامة بسياسة استهداف المُذنب، وكانت تحرص في كل الأحوال على قصر استخدام العنف على المجال الجغرافي للمناطق المعروف عنها أنها مصدر للعنف العربي. بدءا من يناير 1948، وتماشيا مع قرارات الجامعة العربية الصادرة في ديسمبر 1947 والداعمة للتدخل غير المباشر، بدأ متطوعون (بعضهم من الجنود العراقيين والسوريين والبعض جنود سابقون) في التسلل إلى داخل البلاد، غالبا تحت راية جيش الإنقاذ الذي شُكل حديثا، وشنوا أولى هجماتهم الواسعة النطاق على مستوطنات يهودية بهدف تدميرها والاستيلاء عليها (ومن بين ذلك كفر سزولد في الجليل، وكفر بوريا في جوش عتصيون بوسط البلاد).

خلال شهري فبراير ومارس، ومع إسراع البريطانيين في خطاهم للاستعداد للانسحاب وتخليهم بشكل متزايد عن مقاليد الحكم، تزايدت حدة المعارك بين المليشيات العربية واليهودية خاصة على الطرق. وبالنظر إلى التداخل الجغرافي المين السكان، وتواجد القوات البريطانية في أغلب المناطق، وطبيعة العمل السري لمليشيات القوى المتصارعة، تضمن القتال خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 خليطا من كل من حرب المليشيات والحرب النظامية والإرهاب. وفي المناطق الريفية، تمكن العرب من تحقيق النصر من خلال قيامهم، على نحو متقطع، بسد الطرق التي تربط المراكز السكانية اليهودية الرئيسية بالتجمعات النائية، خاصة في غرب القدس التي ضمنت 100 ألف يهودي، وجوش عتصيون (جنوب بيت لحم) والكيبوتسات (في الجليل الغربي) والمداخل الشمالية للنقب. وعلى الرغم من قيام الهاغاناه باستخدام الشاحنات المصفحة لحماية القوافل، فإن التكتيكات المتطورة لقوة النيران العربية تغلبت على هذه العقبة، يضاف إلى طال البريطاني التدريجي وتزايد هجمات إرغون والهستدروت على القوات البريطانية أديا إلى عدم قدرة أو رغبة البريطانيين في حماية طرق النقل التي يستخدمها اليهود.

أدت سلسلة من الأكمنة الناجحة التي نصبتها العصابات غير النظامية خلال الأيام الأخيرة من شهر مارس 1948 إلى تدمير القوافل المتجهة إلى خلدة والنبي دانيال ويحيام، الأمر الذي استنزف على نحو خطير أسطول المركبات المدرعة الذي استحدثته الهاغاناه كبديل مؤقت للحماية، مما أثار مخاوف بن غوريون من احتمال سقوط القدس الغربية التي أضحت محاصرة.

وفضلا عن تلك الهزائم على الطرق، أسهمت مجموعة من العوامل في الإسراع بانتقال الهاغاناه إلى الإستراتيجية الهجومية في مطلع شهر أبريل 1948 ومن بينها: وصول الأسلحة سرا من تشيكوسلوفاكيا، إعادة تنظيم الهاغاناه، المؤشرات القادمة من الولايات المتحدة حول تخليها عن التقسيم، الانسحاب البريطاني الظاهر للعيان واحتمالات الغزو الوشيك من قبل الجيوش العربية، ومنذ ذلك التاريخ فإن النزوح الجماعي العربي بدأ يسير قدما. فبنهاية شهر مارس فر ما يقرب من 100 ألف عربي، أغلبهم من الطبقات العليا والمتوسطة في يافا وحيف والقدس والقرى في المناطق التي مثل اليهود فيها الأغلبية من قبيل: وادي الأردن والسهل الساحلي، إلى مناطق التجمعات العربية في الشرق، بما في ذلك الناصرة، ونابلس وبيت لحم، أو غادروا البلاد تماما.

مع بدء العد التنازلي لتبني حل التقسيم، بدأت العائلات العربية الغنية تشعر بالتوتـر والقلق، ووفقـا لبعض المصادر فإن عددا منهـا كان يرغب في الرحيل عن الناصرة منذ الأسبوع الأول من نوفمبر 1947 (2). غير أن عملية الفرار الحقيقية بدأت مع اليوم الأول للقتال. ففي الثلاثين من نوفمبر، كان لدى استخبارات الهاغاناه تقارير عن "إجلاء سكان عرب من المناطق الحدودية في القدس ويافا(3). كذلك نقلت مصادر الاستخبارات اليهودية في الأول من ديسمبر أخبارا عن هروب عائلات من عدة مناطق متاخمة لحدود يافا عا في ذلك المنشية(4)، وأوردت تقارير أخرى معلومات عن مغادرة العرب في اليوم ذاته للحى اليهودي في صفد (5)، ومن قريتي الشيخ مونس والجماسين المتاخمتين لتل أبيب، أيضا جرى طرد مُلاك الأكشاك والباعة الجائلين من العديد من الأسواق اليهودية في منطقة تل أبيب الكبرى(6). وخلال أيام كانت هناك عملية مشابهة تجرى في المدينة القديمة بالقدس، حيث أجلى العرب الذين كانوا يعيشون داخل الحي اليهودي وفي المناطق المحيطة به (يُذكر أن بعض المنازل المحيطة كان قد سُيطر عليها من قبل رجال المليشيات العربية)<sup>(7)</sup>. وبحلول التاسع من ديسمبر نقلت مصادر استخبارات الهاغاناه أن «اللاجئين العرب كانوا ينامون في شوارع يافي»، وأن «العائلات ميسورة الحال غادرت المدن الساحلية في اتجاه الداخل، أما الأغنياء فيهاجرون إلى سورية ولبنان وحتى إلى قبرص»(8). وبعد انقضاء يومين، نقل مستشارو بن غوريون للشؤون العربية إليه أن «العرب يفرون من يافا وحيفا، والبدو يفرون من شارون (السهل الساحلي). من جانبهما، ذكر كل من جوش بالمون وعيزرا دانين - وهما من كبار ضباط استخبارات الهاغاناه - أن العرب يهربون من قراهم للعيش مع أقاربهم في مناطق أخرى، في حين اتجه الفلاحون الذين سبق لهم الذهاب إلى المدن إلى العودة لقراهم الأصلية. وذهب بالمون إلى حد التكهن بأنه قد جرى إخلاء كل من حيفا ويافا بسبب «نقص الطعام».

فضل دانين خنق العرب في الحضر اقتصاديا من خلال تدمير الحافلات والشاحنات والسيارات، وقطع الطرق المؤدية إلى فلسطين، وحصار الموانئ الفلسطينية (9)، وقد كان لدى بن غوريون اقتناع بأن العرب في يافا وحيفا، «جـزر في أراضٍ يهودية»، واقعون تحت رحمة اليشوف ويمكن دفعهم إلى الموت جوعا (10).

وطبقا لإلياس ساسون (إلياهو)، مدير القسم العربي في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية، فإنه بحلول الحادي عشر من يناير 1948 كانت الروح المعنوية للعرب منخفضة في كل المدن والمناطق الريفية الداخلية، وقد كتب ساسون للملك عبدالله في شرق الأردن:

الجوع، والأسعار الباهظة، والفقر تبدو مستشرية على نحو مخيف، وهناك خوف ورغب في كل مكان، والهرب مؤلم، من منزل إلى منزل، ومن حي إلى حي، ومن مدينة إلى أخرى، ومن قرية إلى قرية، ومن فلسطين إلى الدول المجاورة. إن عدد أولئك الذين أُبعدوا يُقدر بالآلاف (11).

# سياسة اليشوف دىسمبر 1947 - مارس 1948

دخل اليشوف الحرب من دون أن تكون لدية خطة أو سياسة مسبقة تتعلق بالتعامل مع المدنيين العرب الموجودين بينهم، غير أنه مما لا شك فيه أن قادته خلال الثلاثينيات والأربعينيات كانوا يعتقدون أن الدولة اليهودية المأمولة ستضم أقلية عربية كبيرة، وقد أكدوا دائما أن السكان العرب سيُعاملون باعتدال وعلى قدم المساواة مع الآخرين. بيد أنه بحلول نوفمبر 1947 لم يعد هؤلاء القادة سعداء بالإبقاء على مثل هذه الأقلية الكبيرة (ما يقرب من 400 ألف عربي إلى جوار 500

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

ألف يهودي). وفي هذا الصدد كتب يوسف نحماني، مدير مكتب التمويل اليهودي في شرقي الجليل ومن قدامى الناشطين المدافعين عن الصهيونية، في يومياته:

كانت الفرحة في قلبي ممتزجة بالحزن، الفرحة لأن الشعوب (في العالم) اعترفت في نهاية الأمر بأننا أمة لها دولة، والحزن لأننا فقدنا نصف هذه الدولة... و... أن لدينا 400 ألف عربي (12).

ولكن على الأخيرة أن تتعاطى معها بأفضل ما يمكنها. وعلى الرغم من أن عددا من وكان على الأخيرة أن تتعاطى معها بأفضل ما يمكنها. وعلى الرغم من أن عددا من القادة أضمروا بعض الأفكار حول كيفية قيام اليهود، في المستقبل، بالتخطيط لرحيل على الأقل - بعض أفراد تلك الأقلية العدائية غير المرغوب فيها، والتي تنشر عدم الاستقرار، فإنهم احتفظوا بتلك الأفكار في قرارة أنفسهم. غير أن العرب لم يتركوا لهم فرصة للتدقيق في المشكلة، حيث فصلت ساعات معدودة بين تبني قرار التقسيم وإشعالهم فتيل الحرب.

خــلال الأســابيع الأولى للعنف لم يكن من الواضح بالنسـبة إلى أغلب المراقبين مــن اليهــود، والبريطانيين، والعرب أن الشــعبين قد دخلا بالفعــل في حرب، حيث ســاد الاعتقاد بين معظمهم أنهم يشاهدون تكرارا لموجات «الشغب والاضطرابات» العابرة التي عرفتها أعوام 1920 و1929 أو 1936. وخلال الفترة من ديســمبر 1947 حتى يناير 1948، ناقش عدد من كبار قادة حزب ماباي (بمن فيهم شمعون بيرسكي (بيريز)، وأفراهام هارتســفيلد، وليفي شكولنيك (أشــكول)، وزلمان ليفشتز (ليف)، مستقبل السياسة الاستيطانية للدولة اليهودية، وقد تمخضت المناقشات عن مشروع تحت مســمي «خطوط عامة لخطة تنمية الاستيطان الزراعي خلال الأعوام الثلاثة تحت مســمي «خطوط عامة لخطة تنمية الاستيطان الزراعي خلال الأعوام الثلاثة الدولة، ولم تأخذ المناقشــات بكثير من الاهتمام مناخ العنف، أو الحرب، الذي كان الدولة، ولم تأخذ المناقشــات بكثير من الاهتمام مناخ العنف، أو الحرب، الذي كان يتجلى للعيان خارج غرفة الاجتماعات، مما كان من شأنه أن يغير كل شيء. فالتقرير للصادر عنهم افترض دخول قرار التقسيم حيز التنفيذ كما تمت صياغته.

وخلال اجتماع الثالث والعشرين من ديسمبر، تناول يوسف ويتز المشكلة . الديموغرافية قائلا: لقد كنت دائما من أنصار النقل، ولكن اليوم لن نقوم بإثارة هذا الموضوع ولـو عن طريق التلميح. ومع ذلك فإنني أعتقد أن جزءا من السـكان العرب سـيهاجر من تلقاء نفسـه، وأيضا نتيجـة لرغبة حكام البـلاد المجاورة الذين سـيحتاجون إليهم (المقصود المهاجرون). فمنطقة بيت شـيان (بيسان)، على سـبيل المثال، سـتصبح خالية من بدوها في المسـتقبل، حيث إنهم يرغبون في اللحـاق بقبائلهـم عبر الأردن، وينطبق الشيء نفسـه عـلى آخرين مثلهم في مناطق أخرى.

افترض ويتزعلى الدوام أن حدود الدولة اليهودية ستظل على النحو الذي حدده قرار التقسيم.

وأضاف: «إن الدولة اليهودية لن تكون قادرة على البقاء مع وجود أقلية عربية كبيرة داخلها، وأنه لا يجب أن تتجاوز نسبتها 12 – 15 في المائة من إجمالي السكان». في المقابل، أعتقد أن نسبة اليهود يمكن زيادتها - على الرغم من معدل الزيادة الطبيعية العربية «المرتفع بشكل مفرط» - خلال فترة تتراوح بين عشرة أعوام واثني عشر عاما من خلال الهجرة اليهودية الضخمة. وقد افترض المشاركون، سواء خلال المناقشات أو في التقرير النهائي، أن «الخطوط العامة» ما يلى:

- أ انه لن تكون هناك مصادرة لأراض فلسطينية من قبل الدولة.
- ب ان الدولة ستوفر للعرب موارد مائية كبيرة (20% من إجمالي المصادر المتاحة).
- ج انه على الأقل في الأعوام الأولى سيمثل العرب نسبة 35% من سكان البلاد. وعلى الرغم من أفكار ويتز، فإن نقل السكان لم يُطرح أو يُقر<sup>(13)</sup>.

بيد أنه طوال الأشهر الأولى من الحرب كانت هناك أيضا رغبة كامنة لدى المسؤولين الصهيونيين وضباط الهاغاناه في أن يبقى أقل عدد ممكن من العرب في البلاد، ومن وقت لآخر جرى طرح مقترحات ملموسة للتوصل إلى مثل هذه النتيجة. ففي الرابع من يناير 1948 كتب دانين ديفيد هاكوهين، إحدى الشخصيات المرموقة في حزب ماباي، يعتقد أن النقل هو السبيل الوحيد، ومن جانبي فإنني أتفق معه... (14) ورجا كانت التوصية التي تقدم بها، في أوائل شهر يناير، ضابط الهاغاناه زفي أورباخ شاذة من حيث صراحتها، وإن لم يكن الأمر كذلك من حيث النوايا: «أقترح... أن نضع

خزان مياه يافا خارج الخدمة... مما يؤدى إلى إجبار عدد كبير من العرب على مغادرة المدينة» (15)، كذلك كان الوصف الذي قدمه بن غوريون، في السابع من فبراير، لزيارته الأخيرة للقدس أيضا شاذا ولكن في الوقت ذاته كاشفا:

منذ دخولك إلى القدس عبر مهان يهودا وشارع الملك جورج ومي شاريم - لا تصادف أي أغراب [المقصود عرب]، وإنها مائة في المائة يهود. فمنذ تدمير القدس على أيدي الرومان فإنها لم تكن يوما يهودية أكثر مما هي عليه الآن، وفي العديد من الأحياء العربية الغربية [في القدس] لا يمكن رؤية عربي واحد. ولا اعتقد أن ذلك سيتغير... وما حدث في القدس... يمكن أن يحدث في أجزاء كثيرة من البلاد إذا ما قمنا بتشديد قبضتنا... وإذا ما قمنا بذلك فإنه من الممكن جدا في الأشهر الستة أو الثمانية أو العشرة من الحرب أن تحدث تغيرات كبيرة في تركيبة السكان في البلاد (16).

تُظهر النظرة السريعة إلى هذا الوصف تضمنه كلا من التوقع والرغبة في آن واحد. أما على صعيد السياسة الرسمية فإنها كانت تفترض استمرار بقاء أقلية عربية كبيرة داخل الدولة، وهو ما تضمنته مسودة بيان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في الثاني عشر من ديسمبر 1947:

إن عدة آلاف من العرب سيعيشون في الدولة اليهودية. نحن نريدهم أن يشعروا، منذ هذه اللحظة، أنهم سيكونون آمنين على حياتهم وممتلكاتهم شأنهم في ذلك شأن المواطنين اليهود الآخرين، وذلك شريطة أن يلتزموا بالسلام (17).

وبشكل مماثل، وزعت الإدارة العربية في الهستدروت (اتحاد الغرف التجارية السني هيمن عليه حزب ماباي) خلال يناير 1948 على الأقل منشورين على «العمال العرب» يناديان بالسلام والتعاون بين البروليتاريا (الطبقة العاملة) العربية والإسرائيلية. وقد نص المنشور الثاني على ما يلى:

ان العهال العرب، سواء أكانوا موظفين أم فلاحين، في الدولة اليهودية سيصبحون مواطنين لهم حقوق وواجبات مساوية لغيرهم... ففي هذه الدولة لسن يوجد مكان للتمييز... أيها العمال: لا تسمحوا أن يجري تضليلكم وجركم كالأغنام التي تسير خلف الراعي إلى حتفها (18).

كانت الفرضية العامة التي سادت خلال الأسابيع الأولى للحرب أن الدولة اليهودية المقبلة ستخرج إلى الوجود وبداخلها أقلية كبيرة من العرب، وبالتأكيد فإن اليشوف لم يدخل الحرب بخطة رئيسية تهدف إلى الطرد، ولكن التطورات خلال الأشهر التالية - والتي كان أكثرها أهمية النزوح الجماعي العربي الواضح والهجمات العربية على المستوطنات اليهودية وضواحيها وطرقها - كان من شأنها أن تؤدى إلى تأكل تلك الفرضية تدريجيا. لم يكن النزوح الجماعي في حد ذاته نتاجا لتفعيل خطة أو سياسة يهودية ما، وإنما للتغير المستمر للحقائق العسكرية والنفسية على أرض الواقع في كل قطاع وعلى مدار الوقت. تلك الحقائق كانت تُحددها في بعض الأحيان التغيرات في إستراتيجية وتكتيكات الهاغاناه، والتي كانت بدورها بمنزلة ردود فعل على إستراتيجية العرب وتكتيكاتهم وأعمالهم.

قد يكون من المفيد في هذا الخصوص إلقاء نظرة على تطور الإستراتيجية والتكتيكات العسكرية التي تبناها اليشوف خلال المرحلة الأولى من الحرب الأهلية. فأثناء الأيام الأولى للحرب، جرى الاتفاق في لجنة الدفاع (الجهاز السياسي الأعلى المشرف على شؤون الدفاع والذي ضم ممثلين من الأعضاء المحليين للهاغاناه والوكالة اليهودية والهستدروت والمجلس الوطني، ورئاسة أركان الهاغاناه) على ما يلى:

إن التفجيرات أو الثورات لا يجب أن يُنظر إليها على أنها بداية عدوان عربي منظم ومخطط ونظامي... إن السكان العرب لا يريدون الإخلال بحالة السلام والاستقرار، كما أنه ليس هناك قرار بعد (من قبل القيادة العربية) بالدخول في الحرب. وقد نظرنا إلى هذه الثورات على أنها ذات طابع محلي... وكان قرارنا أننا لا نريد أن تسفر تصرفاتنا عن تشجيع اللجنة العربية العليا والمفتي على جرف طبقات أوسع من الشعب العربي في دائرة العنف.

اتخذت لجنة الدفاع وقادة الهاغاناه قرارا ضد «توسيع دائرة العنف» (19. وجاء هذا الخط منسجما مع التوجه الفكري للجنة خلال النصف الأول من نوفمبر 1947، قبل اندلاع القتال. وفي الثالث عشر من نوفمبر تركز النقاش حول الخطة البديلة التي أعدتها الهاغاناه، والتي كانت تفترض حدوث هجوم من العرب الفلسطينين على اليشوف عساعدة ما - من حيث العناصر البشرية والتسليح - من الدول

المجاورة، وفي هذا الخصوص أوضح ياكوف دوري، رئيس هيئة أركان الهاغاناه، أن الخطة تتضمن قيام الأخيرة بتوجيه ضربات انتقامية ضد مرتكبي الاعتداءات أو من يحتمل قيامهم بذلك، وكذلك ضد أهداف عربية مماثلة لتلك التي يُهاجمها الإرهابيون العرب، من قبيل الطرق ووسائل النقل. من جانبه، ذكر غاليلي، رئيس هيئة الأعضاء المحليين للهاغاناه، كيان شبه عسكري يقع بين اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (ووزير دفاعها بن غوريون) من جانب، ولجنة الدفاع من جانب آخر، وأيضا رئاسة أركان الهاغاناه:

من مصلحتنا في حالة اندلاع الاضطرابات ألا يمتد العدوان [المقصود العنف] لفترة زمنية أو على نطاق جغرافي واسع، ومن هذا المنطلق فإن أكثر الإجراءات الدفاعية أهمية يتمثل في الرد في الأماكن التي نتعرض فيها للهجوم، حيث سيكون هذا أفضل الطرق لإخماد النيران.

وأضاف غاليلي، الذي كان يقوم عمليا بمهام نائب وزير الدفاع في اليشوف، أنه إذا كان من الصعب القيام بعمليات انتقامية فعالة في الوقت والمكان الذي يقع فيهما الهجوم العربي، فإنه يلزم على الهاغاناه أن يكون لديها خطط جاهزة لمهاجمة:

أولئك... غير المذنبين بشكل مباشر... من أماكن... أشخاص... قرى... تميل إلى العنف ضد اليشوف... ولكن الهاغاناه لم تُشكّل للعدوان، ولا ترغب في أن تستعبد أحدا، فهي تُقدر الحياة، وتريد أن تقصر ضرباتها فقط على المذنبين، وألا تشعل النيران، بل تطفئها... أحيانا تشكل القيم الأخلاقية عبثا خلال عمليات الهاغاناه... لكن يلزم علينا أن نأخذها بعين الاعتبار (20).

استمرت اللجنة خلال الأسبوع الأول من القتال في التمسك بسياسة «عدم نشر الحرائق» وضد «عدم التمييز» في العمليات الانتقامية، وهو ما أوضحه بن غوريون بقوله: «سنقوم بالانتقام بإحراق سياراتهم وليس ركابها... فقد يجري ردعهم في حالة تدمير ممتلكاتهم». وعلى غرار موشي شابيرا (من حزب هابوئيل هاميزراحي) كان بن غوريون يخشى أن يؤدي رد فعل مبالغ فيه من قبل الهاغاناه إلى دفع الجماهير العربية، التي لم تكن حتى الآن متورطة في القتال، لمساندة الحسيني ورجاله المسلحين. من جانبه، عبر يوسف ياكبسون، مالك بستان للحمضيات وشخصية

مرموقة في الهاغاناه مدينة تل أبيب، عن خشيته من نتائج إقدام الهاغاناه على تدمير البساتين لما قد يستتبعه هذا من قيام العرب بالرد بالمثل.

فضلا عن بن غوريون وغاليلي وشابيرا الذين مثلوا فريق الاعتدال الذي يقف في منتصف الطريق، كان هناك تيار متشدد متبلور ومسموع بقوة. فقد أوضح أشكولنيك (أشكول) أنه ربها يكون الوضع من الثلاثين من نوفمبر حتى 1 - 2 ديسمبر قد ترك أملا أن تقتصر جهود اليشوف على التعامل مع انفجار انتقالي مؤقت، غير أنه لم يعد من الممكن التمسك بذلك، ووفقا له: «من الآن فصاعدا، إذا ما حدث شيء فإننا يجب أن نرد بأقصى قوة، العين بالعين، إن لم يكن (في الظروف الحالية) العين بعينين»، ومن جانبه ذكر إيلياهو إيلياشر (يهودي شرقي وأحد وجهاء الحالية) العرب لا يريدون الاضطرابات ويفضلون الهدوء، ولكن في ضوء طبيعة العربي البدائية عندما تقوم بتقديم تنازلات فإنه يرى أنك ضعيف...»، وكان من شأن أحداث القدس أن تفتح شهية العرب، كذلك أوضح يوسف سابير (من حزب هايه ود هيزراحي) أنه: «بعد مرور عدة أيام [من العنف العربي] من دون رد، يجب علينا ألا نستمر في سياسة ضبط النفس هذه»(21). وعلى الرغم من تلك الآراء يجب علينا ألا نستمر في سياسة ضبط النفس هذه»(21). وعلى الرغم من تلك الآراء وتجنب الإضرار بالشعب»(22).

بيد أن الإستراتيجية الدفاعية التامة التي تبنتها الهاغاناه سرعان ما تجاوزتها الأحداث، لتتغير جزئيا خلال الأسبوع الثاني من ديسمبر. وفي ضوء تزايد عدد الهجمات العربية واتساع نطاقها الجغرافي، والخسائر اليهودية المتصاعدة، والشعور المتزايد بأن أتباع الحسيني بدأوا يستحوذون على تأييد الجماهير العربية (على الرغم من، وربما بسبب، سياسة «ضبط النفس» التي انتهجتها الهاغاناه)، فقد أدى كل هذا إلى تصاعد ضغط الرأي العام من أجل تبني «إستراتيجية أكثر حيوية»، وساعد على ذلك أيضا الضغط الذي مارسه اليمين التصحيحي، الذي لم يكن ممثلا في لجنة الدفاع للوكالة اليهودية أو في قيادة الهاغاناه. ففي السابع من ديسمبر، طالبت محطة «صوت صهيون المحاربة» التابعة للإرغون أن تكف الهاغاناه عن الدفاع وتنتقل إلى الهجوم على كل من العرب و «البريطانيين النازيين» (23). وتمثل الدفاع المؤشرات التي عكست التشدد في مواقف الهاغاناه في التعليمات التي صدرت

من عمليات رئاسة أركانها في التاسع من ديسمبر إلى لواء إسكندروفي، المسؤول عن السهل الساحلي من جنوبي حيفا حتى شمالي تل أبيب. طالبت التعليمات به «مضايقة» و«شل» حركة المرور في طريق «قلقيلية - رأس العين - الطيرة - فلهلما - يهوديا»، كما صدرت الأوامر للوحدات باستهداف السيارات أو كل من السيارات والركاب (على الأرجح أرييل شارون والركاب (على الأرجح أرييل شارون الشاب) قامت بنصب كمين لسيارتين. وقد روى إيريك عن إلقاء قنابل كوكتيل مولتوف عليهما مما أدى إلى احتراق الجرحى العرب داخلهما وموت ستة منهم. وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بي «الكراهية» وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بي «الكراهية» وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بي «الكراهية» وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بي «الكراهية» وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بي «الكراهية» بسبب تذكرهم للاعتداءات العربية السابقة على القوافل اليهودية.

قامت عمليات رئاسة أركان الهاغاناه، خلال الأشهر التالية، بتوجيه هجمات القوات صوب وسائل النقل العربية، فبين الفينة والفينة كانت تأمر بتوجيه ضربات في أيام بعينها في طرق محددة (26)، وفي أوقات أخرى، عندما تتزايد الخسائر اليهودية البشرية من جراء الأكمنة العربية، كانت الأوامر تشير إلى ضرورة الانتقام في طرق محددة من دون إعطاء مزيد من التفاصيل (27)، وفي بعض الأحيان تعلقت الأوامر بهاجمة حركة المرور العربية على جميع الطرق. وقد كان وراء إصدار مثل هذه الأوامر «التزايد في الهجمات على وسائل نقلنا في أجزاء مختلفة من البلاد»، والهدف منها هو «إسكات أو التخفيف من أنشطة العدو»، لكن مع قرب نهاية شهر مارس صدرت أوامر مضادة بتعليق أو إيقاف تلك الهجمات (28).

خلال اجتماع الأعضاء المحليين للهاغاناه، في العاشر من ديسمبر 1947، علق غاليلي على التغيير المحدود الذي حدث بقوله: «لقد حان الوقت للدفاع النشط، والثأر، وإنزال العقاب» (29)، وكان اجتماع لجنة الدفاع في اليوم التالي حاسما في هذا الصدد، حيث أوضح غاليلي أن «الفرضية القائلة بأن اللهب إما سينطفئ أو يُخمد لم تتحقق، بل تزايدت سيطرة المفتي على الجماهير العربية في حين أصاب الشلل معارضيه، وحقيقة الأمر أن تردي الأوضاع يتطلب منا إدخال تغيير ما على... سياساتنا... ولكن ليس تغييرا جوهريا... إن خسائر العرب لم تردعهم عن القيام بهجمات جديدة، كما أنهم فسروا عدم قيام الهاغاناه بعمليات انتقامية على أنه بهجمات خديدة، كما أنهم فسروا عدم قيام الهاغاناه بعمليات انتقامية على أنه علامة ضعف، والأكثر من ذلك فإن العالم ربما يبدأ في الاعتقاد أن قوة اليهود غير

كافية للاستمرار، كما أنه في داخل اليشوف أيضا ستنعدم الثقة في أننا قادرون على مواجهة العاصفة». وتشكك الناس في قوة وقدرة الهاغاناه قد يدفعهم إلى مساندة التصحيحيين الأكثر ميلا للقتال. وفي هذا السياق اقترح غاليلي أن تستمر الهاغاناه في الدفاع عن نفسها بـ «الطريقة التقليدية» مع قيامها بشن «عمليات انتقامية ضد أهداف عربية، خاصة مهاجمة وسائل النقل العربية... والممتلكات الخاصة لقادة ومحرضي المهاجمين».

من جانبه، أوضح بن غوريون أن الاضطرابات كانت حتى ذلك الوقت محصورة في ثلاث مدن رئيسية: يافا، وحيفا والقدس، فضلا عن النقب الشمائي. في حين أن المجتمعات الريفية العربية لم تكن متورطة في القتال، ومن ثم يلزم على اليشوف أن يكون حريصا على عدم إثارتهم. كان قلقا من أن تسفر أعمال انتقامية تنفذها الهاغاناه عن صدامات بين البريطانيين واليشوف، («يجب ألا نندفع إلى الحرب مع الجيش البريطاني»). وفي المقابل، ذكر شابير أنه: «منذ أسبوع كنا قد قررنا أن عملياتنا الانتقامية يجب ألا تتضمن مهاجمة الأشخاص، وأعتقد أن هذا يجب أن يتغير الآن». أما برل ربيتور (الناشط الاشتراكي في حزب أهدوت هافودا) فقد طالب بعمليات ثأرية «أكثر جدية» وإن كانت تأخذ في الحسبان «الاعتبارات فقد طالب بعمليات ثارية «أكثر جدية» وإن كانت تأخذ في الحسبان «الاعتبارات على البعد الأخلاقي قائلا: «يلزم علينا أن نستمر في ضبط النفس في ردود أفعالنا لاعتبارات أخلاقية، فمن الضروري أن تكون تلك الأعمال مختلفة تماما عن عمليات «القتل» التي يقوم بها العرب، حيث إن الأخلاقيات يجب أن تكون لها الأولوية لدينا» التي يقوم بها العرب، حيث إن الأخلاقيات يجب أن تكون لها الأولوية لدينا» أكثر «جدية».

مع تعاظم حجم الخسائر اليهودية، أضحى صانعو القرار والقادة المحليون في بعض المواقع أكثر قسوة، وذهب اثنان من كبار مستشاري بن غوريون العسكريين في التاسع عشر من ديسمبر، يوحنن ريتنر وفريتز إيسنشتادت (شالوم إيشت)، إلى القول إنه في مقابل «كل هجوم عربي يجب علينا أن نرد بضربة قاسية سواء بتدمير مصدر الهجوم أو طرد سكانه وأخذ مكانهم»(31). وخلال اجتماع لجنة الدفاع اليوم السابق ذُكرت أسماء قرى عربية محددة باعتبارها مُذنبة، وحث

إلياهـو إلياشر على «اقتلاع جذور» أبـو كبير من يافا حتى يكون ذلك «درسـا» للمجتمعات الحضرية، أما بنيامين مينتز (زعيم حزب بعاليا أغودات إسرائيل الأرثوذكسي) فقد أشار في حديثه إلى قرية في النقب، مطالبا بأنه «إذا ما سنحت الفرصة لطرد سكانها بالكامل وتدميرها فإن ذلك يجب أن يُنفّذ». كما دعا ريفتن إلى «تشديد سياسة الانتقام». في المقابل، عارض شابير (عمدة بتاح تكفا وأحد كبار ملاك بساتين البرتقال) عملية تدمير القرى حتى «الصغيرة منها»، مذكرا ما حـدث في ليديس الذي يقدم مادة دسـمة للتفكير وفقا له (\*). وفي نهاية المطاف، فإنه وفقا لتعبير غاليلي جرى التوصل إلى توافق على انتهاج سياسة أكثر تشددا من الخط الذي تبناه ريتنر - إيشت - إلياشير، ولخص ما جرى التوافق عليه على النحو التالى: «لم يعد كافيا الاقتصار على استهداف المنازل، ولكن يلزم أن يشمل ذلك أيضا الأشـخاص، وكان المقصود... أن يدفعوا الثمن ليس فقط من ممتلكاتهم ولكن أيضا من أرواحهم...»، وقال إن أبوكبير يجب أن «تعاقب بشدة»، وأن على الهاغاناه عموما أن تتعامل بـ «قسـوة أكبر» في دفاعها عن المواقع والمواكب (على أن تكون العمليات الثأرية بعد ذلك أقل حدة). وأضاف غاليلي في وصفه للتوافق وتحديد موقفه: «ليس في نيتى ولا أقترح أن يكون الدم العربي، من الآن فصاعدا، وفي أي مكان وفي كل الأحوال، مباحا سفكه بسهولة»(32).

في أعقاب ذلك، طُرحت من وقت لآخر على الطاولة مقترحات اتصلت بتسوية هذه القرية أو تلك أو سلسلة القرى العربية بالأرض، ولكن تم تجاهل أغلبها. في أواخر شهر يناير 1948، أعدت قيادة الهاغاناه في منطقة القدس وثيقة تحت عنوان «خطة عامة للحملات في المنطقة خلال شهر فبراير» تضمنت سلسلة من الخطوات لتحقيق الأمن على امتداد طريق القدس - تل أبيب وكذلك داخل القدس ذاتها. وقد شملت الإجراءات المقترحة «تدمير طرق المواصلات العربية، تدمير أهداف شخصية (ذات قيمة اقتصادية)، تدمير قرى أو أهداف تطل على مستوطناتنا وتهدد خطوط النقل الخاصة بنا»، ومن بين العمليات التي اقتُرح تنفيذها:

<sup>(\*)</sup> قرية ليديس في شمال غرب براغ بجمهورية التشيك، والتي دُمرت تماما في عملية ثأرية العام 1942 في أعقاب اغتيال رينهارد هيدريش الذي شغل آنذاك منصب قائد المكتب الرئيسي لشرطة الرايخ ولعب دورا محوريا في تهجير وقتل اليهود في أوروبا. قُتل الرجال الذين تزيد أعمارهم على السادسة عشرة، ونقل النساء والأطفال إلى المعسكرات المخصصة لليهود، في الوقت الذي دمرت فيه القرية بالكامل وسويت تماما بالأرض [المترجم].

تدمير التجمع الجنوبي [من المنازل] في عسلين، تدمير التجمع الجنوبي في بيت نتيف، عملية تدمير في ساريس، عملية تدمير في قريتي عناتا وشعفاط، تدمير الجبعة، وفي حالة الانسحاب البريطاني «احتلال القسطل» والعديد من الأحياء في القدس (قطمون، الشيخ جراح، المنطقة اليونانية، المنطقة الألمانية... إلخ) (33). هذه المقترحات لم يُعمل بها حتى حلول شهر أبريل 1948 - وكانت بمنزلة البذور التي أينعت خلال المرحلة الثانية من الحرب الأهلية.

قد يمثل تنظيم الهاغاناه لدوريات مكثفة - وإن لم تكن عدائية - في محيط القرى العربية وداخلها في مناطق مختلفة من البلاد أول التطبيقات العملية لمقررات اجتماع لجنة الدفاع في الثامن عشر من ديسمبر 1947، حيث جرى توزيع مطبوعات تحمل تحذيرات باللغة العربية. كان الهدف منع انخراط القرويين في العرب، وفي البداية قامت عناصر الدوريات بتوزيع المنشورات خلال الأسبوعين الثالث والرابع من شهر ديسمبر في القرى المحيطة بالقدس وعلى بدو شمالي النقب، وتضمنت الرسالة الموجهة إليهم: «تقضي الأعراف القديمة بالمجازاة والعقاب (على الجرائم)، ونحن أيضا سنعمل وفقا لذلك»، وبشكل واضح كان لتلك المنشورات المناطق الأخرى (35)، مما دفع إلى إصدار التعليمات بتوزيع منشورات مشابهة على المناطق الأخرى (35).

حققـت دوريات الهاغاناه نتائج ايجابية، عـلى الأقل في القدس، فطبقا لضابط الاستخبارات في لواء ايتزيوني:

إن كلا مــن الصراعــات السياســية بين القــوى العربية المختلفــة في البلاد مــن جانــب، والخوف الذي نشرتــه دورياتنا الاســتطلاعية في عــدد من القرى مــن جانب آخر، دفعا، ولايــزالا، بعض القرى لإجراء اتصالات مع المســتوطنات اليهودية المجاورة تضمنت مقترحات بعقد محادثات للتوصل إلى اتفاقيات سلام. وبالفعل، جرى التوصل إلى مثل هذه الاتفاقيات مع بعض القرى، في حين لازالت المحادثات جاريــة مع أخرى. وقبل أن يُتخذ القرار بنشر دوريات فإنه يلزم على كل ضابط اســتخبارات أو مــن يتولى القيادة أن يأخذ بعــين الاعتبار آراء زعماء اليهود المحليين. وبالنســبة إلى القرى التي قامت بالفعل بالتوقيع على اتفاقيات سلام، لا يجب نشر الدوريات.

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

تضمن الأمر الصادر في هذا الخصوص النص بالتفصيل على القرى التي جرى التوصل إلى اتفاقيات معها أو كانت المحادثات مازالت جارية بشأنها (القسطل، صوبا، قطنة، صور باهر، المالحة، وعين كارم)(36).

وفي 18 ديسمبر، لخصت الهاغاناه التغيير المحدود الذي أُدخل على إستراتيجيتها كما يلي:

خلال الأسبوع الأول من الاضطرابات قمنا بعمليات دفاعية قوية في نفس مكان وتوقيت أي هجوم عربي، وامتنعنا عن القيام بعمليات ثأرية عنيفة كان من الممكن أن تؤدى إلى مساعدة من يحرض على القتال. كما قمنا بمطالبة العرب بالحفاظ على السلام... وكان علينا أن نبحث في كل مرة عن أسباب اندلاع العنف وعما إذا كانت محلية، أم عرضية أم ثانوية... ومع ذلك فإن انتشار الاضطرابات والإرهاب أجبرنا على أن نقوم بعمليات دفاعية قوية ضد مراكز العنف العربي. وهذه هي المرحلة التي نوجد فيها حاليا. ويلزم النظر إلى الأعمال الانتقامية في كل من كرتيا، بلد الشيخ، وادي رشميا، الرملة، وطريق القدس - الخليل، في هذا السباق (37).

رصد البريطانيون بسرعة - وإلى حد ما بطريقة سابقة لأوانها - التغير في إستراتيجية الهاغاناه، وذهبوا إلى القول إن «أعمال الشغب العربية التلقائية وغير المنظمة» كان من الممكن إخمادها إذا لم يكن اليهود قد لجأوا إلى القيام بعمليات ثأرية مستخدمين الأسلحة النارية. وفي هذا الخصوص كتب آلان كانينغهام، المندوب السامي البريطاني: «إن إستراتيجية الهاغاناه التي كانت قائمة في البداية على الدفاع وضبط النفس سرعان ما حل محلها مفهوم العمليات المضادة». ووفقا له فإن اللجنة العربية العليا لم تكن تسعى في البداية إلى القيام «بتصعيد الأمور بشكل جدي»، غير أن ردود الأفعال اليهودية قد اضطرتها إلى تنظيم أعمال عنف والارتقاء بمستوياتها. وقد اعتبر كانينغهام بعض الأعمال الثأرية اليهودية - مثل الهجوم على حافلة عربية في مدينة حيفا في الثاني عشر من ديسمبر 1947 - بمنزلة «جريمة في حق التحضر». في يفرق بين عمليات الهاغاناه وما قام به الإرغون والهستدروت من عمليات.

شكل التغيير التدريجي في الإستراتيجية منذ ديسمبر 1947 - من الناحية العملية - تطبيقا جزئيا لـ «خطة مايو» (أعدت خلال شهر مايو 1947) التي مثلت الخطة

الرئيسة للدفاع عن اليشوف حال اندلاع اضطرابات جديدة على غرار ما حدث في 1936 - 1939. تضمنت الخطة اللجوء - في حالة الضرورة - إلى «تدمير وسائل النقل العربية، ونسف المنازل التي يسكنها العرب الإرهابيون وطرد سكانها» (39).

تضمن التغيير الذي بدأ في الأسبوع الثاني من ديسمبر شن غارات انتقامية على أماكن تجمع المليشيات وضد القرى التي يتخذون منها قواعد لشن هجماتهم على المستوطنات وطرق النقل. وشمل ذلك: قتل الرجال المسلحين والذكور الذين ألقوا السلاح، شن هجمات محددة - لا تستثني أحدا - على وسائل النقل العربية كرد على الهجمات العربية على وسائل النقل اليهودية، القيام بدورات نشطة داخل القرى العربية وفي محيطها بهدف الردع، على ألا يُؤذى القرويون وسكان المدن الذين عبروا عن رغبتهم في العيش في سلام. إلا أنه لم يوجد أي أثر لسياسة تتصل الطرد أو النقل. وفي أغلب العمليات كانت هناك أوامر للقوات بتجنب إيقاع مسائر في صفوف النساء والأطفال والشيوخ، وهو ما حاولت القوات الالتزام به أغلب عملياتها. وفضلا عن ذلك نص منشور عُمم بشكل واسع من قبل لواء ليفانوني (اللواء الشمالي للهاغاناه والذي انقسم فيما بعد إلى لواء غولاني ولواء ليمارمليل) على ما يلى:

يجب علينا على قدر الإمكان تجنب قتل المدنيين، وبذل قصارى جهدنا لاستهداف المجرمين أنفسهم، وحاملي السلاح، ومنفذي الهجمات... نحن لا نريد أن ننشر الفوضى مما قد يؤدى إلى توحيد العرب خلف المفتي وعصاباته، فأي مذبحة للعرب لا تميز بين المقاتلين والمدنيين ستؤدي إلى اصطفاف الجموع العربية وراء مثيري الاضطرابات (40).

وكانت هذه في الواقع سياسة اليشوف - الهاغاناه حتى نهاية مارس 1948. تضمنت الإستراتيجية الدفاعية المعدلة بعدا آخر تمثل في العملية الخاصة بالتخطيط لعمليات اغتيال للقادة السياسيين الفلسطينيين وزعماء المليشيات، وحملت الاسم الرمزي «عملية زارزير» Operation Zarzir. ففي بدايات شهر باير أمرت قيادة الهاغاناه جميع الوحدات باستهداف وقتل بعض القادة المنتمين الى معسكر الحسيني. وفي هذا الصدد، أمر غاليلي جميع الوحدات، من دون حاجة

إلى تصديق مسبق، باغتيال مجموعة من الأشخاص من بينهم: رفيق التميمي، وحسن سلامة، وأميل الغوري، وعيسى بندك، وعبدالقادر الحسيني، وكمال عريقات، وصبري عابدين، والشيخ محمد غر الخطيب، وحسن شيبالك، وعبدالله أبو ستة، وتضمنت الأوامر أن تحرص الوحدات على أن تجعل الاغتيال يبدو على أنه قد نُفذ من قبل عرب آخرين، كما أنها كانت تمنع أن تتم العمليات داخل دور العبادة أو في المستشفيات (14)، بيد أنه من الناحية العملية لم تُوجه طاقات كافية لتنفيذ عملية زارزير، حيث نُفذت محاولة واحدة لاغتيال الشيخ غر الخطيب (شخصية بارزة في حيفا موالية للحسيني) الذي أصيب إصابات بالغة في كمين نصبته له خارج مدينة حيفا فرقة تابعة للبالماخ في يناير 1948.

على الرغم من رفض بن غوريون كل المساعى التي بذلها عدد من الشخصيات لتبنى عملية تدمير القرى، بما يعنى بالضرورة طرد سكانها، كجزء من سياسة الأعمال الانتقامية الروتينية، فإنه جرت بالفعل تسموية قريتين بالأرض خلال الفترة مـن نوفمـبر 1947 حتى مارس 1948، وجرى الاسـتناد إلى الظروف غير العادية في كلتا الحالتين. فالحالة الأولى وقعت في أعقاب هجوم عربي متوحش في التاسع من يناير، قام خلاله أفراد من مليشيات تابعة لقرية عرب صقرير (عرب أبو سويرح) بقتل أحد عشر من فتيان الهاغاناه كانوا يقومون بدورية خارج غان يافني. أوصى ضابط استخبارات الهاغاناه المحلى بما يلى: «يجب تدمير القرية تماما وقتل بعض رجالها»(42). وقد صدق زياما ديفون (قائد القسم العربي باستخبارات الهاغاناه) على العملية وتضمـن التصديق ما يلى: «أن العرب في المنطقة يتوقعون عملا انتقاميا... وعدم الرد من جانبنا سيُفسر على أنه علامة ضعف»(43). في العشرين من يناير صدر الأمر التنفيذي للعملية متضمنا: «... تدمير البرر... تدمير القرية تماما، قتل الرجال البالغين، وتدمير التعزيزات التي تصل»(44)، غير أن العملية بالشكل الذي تمت به قد انتهت في الخامس والعشرين من يناير من دون سفك دماء، حيث كان العرب قد قاموا بإجلاء النساء والأطفال قبل ذلك بعدة أيام، كما أن الثلاثين رجلا الذين بقوا لحماية القرية لاذوا بالفرار لدى سماعهم بقرب وصول القوات المَغيرة، فوجدت قـوات الهاغاناه القرية «خالية» وبدأت في تدمير المنـازل وجرارين والبئر المجاورة، . «يلاحـظ أن القرية اختفت تماما من حيز الوجود باسـتثناء بعض الشـواهد» (45). وبشكل واضح تركت العملية أثرا عميقا، حيث كتب ضابط في جهاز استخبارات الهاغاناه: «ستظل ليلة الرعد عالقة في ذكريات القرى العربية الأخرى لفترة طويلة»، والأكثر من ذلك فإن سكان عرب صقرير كانوا غاضبين من عدم «تجرؤ أي قرية أخرى على القيام بمساعدتهم، وتساءلوا عن إمكانية قيام العرب بالحرب بهذه الطريقة» (يُذكر أن بعض القرويين عادوا إلى الموقع فور تنفيذ العملية، غير أنهم سرعان ما غادروها بنهاية شهر مارس) (47).

خلال شهر فبراير قامت قوات الهاغاناه بتدمير قرية قيسارية وطردت سكانها (انظر التفاصيل فيما بعد).

مَثل الـرد الرئيسي من قبل الهاغاناه على الهجـمات العربية حتى نهاية مارس 1948 في الضربات الانتقامية سـواء ضد وسـائل النقل أو باتجاه قرى محددة، وقد طُرحـت سياسـة الثأر برمتها خـلال اجتماع على مدار يومـين (1 - 2 يناير 1948) ضم بن غوريون ومستشاريه للشؤون العسكرية والعربية. كان الدافع إلى إثارة هذا النقاش، إلى حد ما، سلسلة من الهجمات التي قامت بها الهاغاناه سواء من دون تصديق أو بطريقة تدل على الإعداد السيئ، أسفرت عن مقتل مدنيين أبرياء. فالقاعدة الرئيسية ممثلت في تجنب امتداد الحرائق إلى مناطق لم يجر المساس بها، ومحاولة ضرب «المذنب»، وأن يتم الثأر بشكل يشابه بقدر الإمكان العمل الأصلي في التوقيت والمكان والطبيعة (48). وقد جرى تضمين التعريف الذي أسفر عنه النقاش حول هذه السياسة وما تضمنه من تطوير على منهاجية الهاغاناه في مذكرة من صفحتين مؤرخة بالثامن عشر من يناير 1948 أرسلها يادين إلى جميع الوحدات تحت عنوان «تعليمات لتخطيط العمليات التي يجري تنفيذها». نصت المذكرة على أن تُختار أهداف العمليات الثأرية من بين أولئك الذين جرى حصرهم ل «خطـة مايو 1946» ولكن مع أخذ نقطتين بعين الاعتبار: (أ) «عدم التسـبب في امتداد الاضطرابات إلى مناطق بعيدة لم تصل إليها بعد...» و(ب) يجب بذل جهد لضرب المذنب (مع الاعتراف باستحالة استهداف الأفراد المعنيين بدقة)، والتمييز بين القرى العربية الصديقة وغير الصديقة». وقد أوضح الأمر الوسائل التي تُسـتخدم خلال العمليات - تخريب، نصب كمائن وغيرها - وأنواع الأهداف التي تُستهدف: نسف المنشات العامة والمنازل، التعرف على قادة العصابات وقتلهم، إنهاك تجمع

سكاني بإطلاق النار عليه وزرع الألغام، إعداد كمائن لضرب وسائل النقل إلى ومن التجمع السكاني، عمليات عقابية ضد قرية لضرب المقاتلين الذكور فيها»، وقد نصت التعليمات على أن كل الهجمات يجب أن تحصل على موافقة رئاسة أركان الهاغاناه، كما أولت المذكرة اهتماما خاصا بمهاجمة الأهداف الاقتصادية، بما في ذلك «مطاحن الحبوب، المخازن والمستودعات، مضخات المياه، محطات التزويد بالمياه، الآبار، والورش...»، والهجمات على وسائل النقل العربية كعمليات انتقامية لمهاجمة السيارات اليهودية، كما جرى النص على أنه لا يجب في أي حال من الأحول ضرب «الأماكن المقدسة، والمستشفيات، والمدارس»، وطلب إلى قادة الألوية وقادة المدن إعداد خطط وقائمة بالأهداف تُعرض على رئاسة أركان الهاغاناه (49).

مَثلت إحدى نتائج اجتماع يومي الأول والثاني من يناير في تعيين مستشارين للشــؤون العربية مراكز قيـادة كل كتيبة وفرقة ولواء، بناء عـلى اقتراح مقدم من بن غوريـون(50). وفي أعقـاب ذلك أصدر غاليـلى تعليمات مفصلة تـم مَقتضاها إلـزام القـادة في الألوية والمناطق المدنية بأخذ رأي هؤلاء المستشـارين في «اختيار الأهداف... والأساليب التي يجري اتباعها في تنفيذ الهجمات»، كما أصبح من الضروري أن يقوم القادة - عند طلبهم التصديق من رئاسـة الأركان - بإرفاق الرأي الكتابي للمستشار المعنى (51)، وفي تعليماته الخاصة بـ «التخطيط للعمليات التي يجـرى تنفيذها»، بتاريخ 18 يناير، أمر يادين قـادة الألوية وقادة المدن بأخذ رأى مستشاري الشئون العربية قبل الشروع في أي من العمليات التي لا تتطلب تصديقا من رئاسة أركان الهاغاناه (52). وخلال شهر مارس جرى توسيع اختصاص هؤلاء المستشارين ليشمل تقديم الرأي للقادة الإقليميين للهاغاناه حول سبل التعامل مع المجتمعات العربية في الأقاليم التي يعملون بها(53). ومن بين المستشارين الذين عُينوا: إيمانويل فريدمان («مانو» في الجليل الشرقى)، ويوسف فين (وادي الأردن)، واليشا سولز (وادي بيت شيان)، وتوفيا أرازي (حيفا)، وأمنون ياناي (لواء كارميلي في الجليل الغربي)، وشيمشون مشهابتز (لواء إسكندروني في وادي حيفر)، وغيورا زيد (لواء غولاني)، وصمويل زاغورسكي (أيضا في لواء غولاني).

على الرغم من حدوث تطور باتجاه القيام بردود انتقامية أكثر قوة في العديد من المناطق، ظلت الإستراتيجية القومية للهاغاناه على حالها من دون تغيير حتى

نهاية شهر مارس 1948، باعتبارها إستراتيجية تقيد بقدر الإمكان مجال انتشار الاضطرابات وتتجنب الأعمال الانتقامية في مناطق لا تجري بها أعمال قتالية. فمنذ البداية كان الهدف هو تجنب حرب شاملة بين السكان اليهود والعرب. فإثارة العنف بشكل متعمد في مناطق ظلت هادئة حتى ذلك الوقت كان من شأنها أن تضع اليشوف في مواجهة مع البريطانيين - وهو آخر شيء كان يسعى إليه بن غوريون في مرحلة العد التنازلي لإقامة الدولة - وربا قد يقود أيضا إلى حرب مع الدول العربية. وفضلا عن ذلك، فإن الهاغاناه شعرت خلال شهري فبراير ومارس بأنها منتشرة بشكل كبير على الأرض بما لا يبرر فتح جبهات قتال جديدة. وقد لخص بالمون هذا الوضع في الأول من يناير 1948 على النحو التالي: «هل نريد أن يصبح الشعب العربي متحدا ضدنا أم أننا نرغب في الاستفادة من... وضعية انقسامه؟ هل نريد أن ندفع بكل العرب للعمل ضدنا، أم منحهم فرس.. وضعية انقسامه؟ هل نريد أن ندفع بكل العرب للعمل ضدنا، أم منحهم للا تـزال هناك مناطق غير مضطربة في البلاد، ولا توجد ضرورة لضرب منطقة ظلـت هادئة لفترة طويلة... يجب علينا أن نركز على المناطق التي نحن فعلا في طالـت هادئة لفترة طويلة... يجب علينا أن نركز على المناطق التي نحن فعلا في حالة حرب فيها».

خلال اجتماع يومي الأول والثاني من يناير 1948، وجه كبار مسؤولي القسم العربي في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية انتقادات قاسية للهجمات التي شنتها الهاغاناه خلال شهر ديسمبر على روميمه وسلوان في القدس، وفي النقب بالقرب من كفر يافيتز، والخصاص في الجليل. وتركزت الانتقادات على الحالة الأخيرة، حيث قامت قوات البالماخ في ليلة 18 - 19 ديسمبر بتفجير منزل، مما أسفر عن مقتل ستة من بين النساء والأطفال. كما قضى عدد من العرب في هجوم متزامن على منزل قريب، وفي هذا الخصوص ذهب كل من دانين وغاد ماكنس (خبير في الشؤون العربية) إلى أن الهجوم على الخصاص قد وسع من نطاق القتال بشكل غير ضروري ليمتد إلى منطقة كانت هادئة حتى تاريخه، فقد كانا يحدوهما الأمل في أن تسفر سياسة التقييد اليهودية في هذا الخصوص عن تمكين قادة المعارضة في أن تسفر سياسة التقييد اليهودية في هذا الخصوص عن تمكين قادة المعارضة العربية من التصدي لميل الحسيني للقتال، والذي يحظى بتأييد عربي. وفي هذا الخصوص كتب بن غوريون إلى شيرتوك موضحا أن الهجوم لم يكن مرخصا به، الخصوص كتب بن غوريون إلى شيرتوك موضحا أن الهجوم لم يكن مرخصا به،

وأن الهاغاناه اعتذرت عن مقتل المدنيين (54). من جانبه، وبخ دانين القائد المحلي للهاغاناه على رغبته في الحفاظ على الروح المعنوية عالية بين مقاتليه صغار السن مما دفعه إلى القيام بذلك (55).

طالب يوسف سابير في لجنة الدفاع بتوقيع عقاب صارم على الضابط المسؤول. وعلى الرغم من موافقة بن غوريون من حيث المبدأ على ذلك، فإنه عبر عن اعتقاده أنه مـن الأفضل ترك الأمور ذات الطبيعة «القضائية» و«التأديبية» إلى الهاغاناه نفسها للتعامل معها (56). يذكر أن الهجوم كان في إطار عملية انتقاميــة لمقتل يهودي يدعى زلمان ينتمي إلى كيبوتس معيان باروخ والذي كان بدوره عملية ثأر في أعقاب إطلاق النار على عربي قبل ذلك بعدة أيام. وقد حاول كل من القادة اليهود المحليين وخبراء الشـؤون العربية منع تنفيذ الهجوم على الخصاص، غير أنه جرى تجاهل رأيهم من قبل إيغال ألون. ولم يكن لدى رئاسة أركان الهاغاناه في تل أبيب أي معلومات مسبقة عن العملية<sup>(57)</sup>. أما الأمر التنفيذي للعملية فتضمن «استهداف ذكور بالغين» (أو «الذكور البالغين») في الخصاص وقتل «ذكور بالغين» (أو «الذكور البالغين») في قصر الأمير فاعور»، حيث تردد أن قاتل زلمان يختبئ هناك. و«لم يحدد قائد العملية عدد الذين قتلوا في حجرات المنزل فقد كان إطلاق النار عشوائيا وجرى تفجير المنزل [في الخصاص] بقاطنيه، كما جرى تدمير منزل مجاور جزئيا»، وفي المقابل امتنع مهاجمو القصر عن إطلاق النار على النساء في طريقهم. وفي أعقاب العملية فر عدد كبير من سكان الخصاص من ديارهم، كما طالبت القرى المجاورة الجماعات غير النظامية مغادرتها، ووفقا لما أورده ديان، ناشـد سكان الخصاص الهاغاناه «التوصل إلى سلام»(58)، وكان المغرى وراء ذلك أنه على الرغم من أن استخدام القوة كان في حد ذاته أمرا كريها فإن استخدامها، من وقت إلى آخر، كان على المدى البعيد مفيدا. وقد كتب دانين معبرا عن ضيقه في هذا الخصوص إلى ساسون: «إن الجيش [المقصود الهاغاناه] يقوم عا يحلو له على الرغم من نصائحنا» (59)، وأيا كان الأمر فإن الغارة تسببت في الهروب في بعض المناطق المجاورة، وتواترت معلومات عن قيام يزدي، الضابط العربي في صفد، بإرسال , والدته وشقيقته إلى «بيروت» لتكونا بعيدتين عن منطقة الخطر (60). على الرغم من أنه لم يجر محاكمة أو توقيع جزاء تأديبي على أحد، فإن النقد لعملية الخصاص كان له أثره، حيث صدرت الأوامر من رئاسة أركان الهاغاناه إلى الألوية بالامتناع عن العمليات غير المرخص بها. وفي التاسع عشر من ديسمبر، على سبيل المثال، أصدرت قيادة لواء إسكندروني تعليمات لجميع الوحدات التابعة له «بتوقيع جزاءات تأديبية في أي حالة تتضمن مخالفات للأوامر الخاصة بالعمليات الانتقامية، والتركيز على أن هدفنا هو الدفاع وليس الإساءة إلى العلاقة مع ذلك الجزء من المجتمع العربي الذي يريد السلام»(61).

فيما يتصل بالنقب، أوضح بن غوريون في اجتماع اللجنة المركزية لحزب ماباي، فيما يتصل بالنقب، أن الهاغاناه كانت مسؤولة بشكل كبير عن «نشر الحرائق هناك»، حيث دخلت وحدة تابعة لـ «البالماخ» في قرية شعث العربية وأشاعت الخوف وأدى ذلك إلى اندلاع القتال(62).

فضلا عن تلك العمليات غير المرخصة أو المبالغ فيها، تضمن رد الفعل اليهودي على الهجمات العربية كذلك بعض الأعمال الوحشية. فكل من الإرغون والهستدروت لم يبديا إلا القليل من الشعور بوخز الضمير على قتلهم للعرب بشكل عشوائي، فبالنسبة إليهم «العربي» - أي عربي - هو العدو ومن ثم هو هدف مشروع (كما كان الحال بالنسبة إلى اليهود في أعين أفراد المليشيات العربية)، وعلى الرغم من أنهم لم يستهدفوا على الإطلاق النساء والأطفال، فإنهم قاموا بشكل متعمد بزرع القنابل في الحافلات والمحال بهدف قتل غير المقاتلين، بما في ذلك النساء والأطفال، كما أقدم كل من الإرغون ومجموعة شترن على ارتكاب أعمال وحشية عشوائية، فطبقا للهاغاناه قامت فرقة من إحداهما في العاشر من فبراير 1948 بإيقاف حافلة عربية يستقلها عمال بالقرب من بتاح تكفا، وإجبار ركابها على مغادرتها ثم قتل عرب آخرين، من بينهم امرأة، كانوا يعملون في بستان بالقرب من أبو الفضل (عرب السطرية بالقرب من الرملة) قتلوا في بداية شهر فبراير (على الأرجح) على يد مسلحين ينتمون إلى الإرغون (63).

أقلقت فكرة القتل المستمر لغير المحاربين قادة الهاغاناه، ومن وقت لآخر جرى الغاء هجمات خوفا من أن تسفر عن أعمال وحشية (كما كان عليه الحال عندما

بدأت وحدة في تدمير مباني في كفر عقب شهالي القدس، بيد أنها قررت الانسحاب عند سهاعها «أصوات وضجيج أطفال» صدرت من داخل منزل كانت على وشك تدميره (65). بيد أن الأكثر شيوعا كانت حالات السلوك المبالغ فيه، ففي الثاني عشر من يناير 1948، قامت مجموعة من المسلحين التابعين لكيبوتس رامات هاكوفيش و مخالفة للأوامر الواضحة من الهاغاناه - بإطلاق النار على سيدتين عربيتين، رجا كانتا تزرعان في حقل، بالقرب من الكيبوتس مما أدى إلى إصابة إحداهما ورجا تكون ماتت. وعلى الرغم من أن الواقعة كانت موضع تحقيق داخلي، فإنه يبدو أن أحدا لم يعاقب (60)، كما أنه طبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه أقدم حراس من أن أحدا لم يعاقب (60)، كما أنه طبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه أقدم حراس من أن يصدر عنهما أي سلوك استفزازي» (60). وفي الرابع والعشرين من يناير 1948 أستقل أربعة عناصر من البالماخ سيارة أجرة في طبرية وقتلوا سائقها العربي (الذي رجا كان على صلة بالمسلحين غير النظاميين) (60). ورجا كان بن غوريون يشير إلى مثل هذه الأفعال عندما انتقد خلال اجتماع للجنة الدفاع في بداية شهر فبراير «الأعمال المدنه ضد العرب» (60).

أُجري تحقيق لاحق في عملية مقتل سائق سيارة الأجرة (70). وفي مطلع فبراير أوصى ضابط رفيع المستوى في الهاغاناه بأن تنشئ المنظمة «جهازا مختصا» له القدرة على إصدار أحكام في القضايا «ذات الصلة بالحياة والموت» (71)، وبحلول منتصف فبراير قرر غاليلي أنه من الممنوع على وحدات الهاغاناه قتل العرب من أجل الاستحواذ على سياراتهم أو ممتلكاتهم «حتى إن كان هذا سيكون مخصصا لاستخدام الكنيست» (72).

على الرغم من كل ذلك، مثلت تلك الحالات حوادث استثنائية، حيث إن عمليات الهاغاناه كانت عادة مرخصا بها وخاضعة بشكل فعال لرقابة رئاسة الأركان، والأكثر من ذلك - وبغض النظر عن وجهة النظر البريطانية في عمليات الهاغاناه سعت رئاسة أركان الهاغاناه خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 إلى أن تجعل عمليات وحداتها «نظيفة» بقدر الإمكان. وعلى الرغم من استعدادها للقبول بالفرضية العلمة بأن الضربات الانتقامية ضد وسائل النقل والقرى ستؤدى لا محالة إلى إصابة وقتل الأبرياء، فإن الأوامر كانت تُصدر بشكل متكرر لكل وحدات

الهاغاناه لتجنب قتل النساء والأطفال والشيوخ، كما أنها في تعليماتها الخاصة بكل عملية كانت رئاسة الأركان تضمن أوامر بعدم الإضرار بغير المقاتلين، وهو ما ظهر على سبيل المثال خلال الهجوم على قرية «سلامة» (خارج حيف) في بداية يناير 1948، عندما منع غاليلي على وجه التحديد استخدام مدافع الهاون لأنها قد توقع خسائر في صفوف غير المقاتلين (73).

في الثامن من يناير أشاد بن غوريون بأن الريف العربي ظل حتى ذلك التاريخ، وعلى الرغم من الجهود المبذولة لإثارته، هادئا بشكل عام، وأنه من مصلحة اليشوف أن يظلل كذلك، الأمر الذي كان يتوقف إلى حد كبير على أعمال اليشوف ذاته: «يلزم علينا أن نتجنب الأخطاء التي يمكن أن تُسهل على المفتي إثارة القرى» (74). في علينا أن نتجنب الأخطاء التي يمكن أن تُسهل على المفتي إثارة القرى» في هدم في المعال بالريف تمثلت سياسة الهاغاناه طوال شهري فبراير ومارس في «عدم إشعال فتيل القتال في مناطق لم نهاجم بعد فيها»، وفي الوقت ذاته القيام بهجمات قوية على القواعد المعروفة التي تهاجم اليهود فضلا عن الطرق العربية في مناطق متعددة (75). وانطبقت السياسة نفسها على منطقة النقب. فوفقا ليوسف ويتز رئيس لجنة النقب (جهاز الإشراف الإقليمي لليشوف): «فيما يتصل بالعرب جرى تحديد سياسة: نحن نمد أيدينا للسلام، كل بدوي يريد السلام سيكون آمنا، ولكن تحديد سياسة: نحن نمد أيدينا للسلام، كل بدوي يريد السلام سيكون آمنا، ولكن إذا ما جرؤ أحد على التصرف بطريقة مخالفة فإن نهايته ستكون مريرة» (76). وقبل ذلك بأسابيع قليلة أصدر ناخوم سريغ، قائد لواء النقب، تعليمات لضباطه تضمنت:

أ) إن مهمتنا أن نبدو في نظر العرب كقوة حاكمة تعمل بفعالية ولكن بعدالة وإنصاف. ب) يجب أن نشجع العرب على الاستمرار في حياتهم كالمعتاد. ج) يلزم أن نتجنب إصابة النساء والأطفال بالضرر. د) علينا أن نتجنب الإضرار بالعرب الأصدقاء.

من الناحية العملية عنى ما تقدم السماح للعرب برعي قطعان الماشية في حقولهم أو في الأراضي العامة ومنعهم من القيام بذلك في «حقولنا» عن طريق «إطلاق النار على القطيع» وتجنب إصابة الراعي أو مصادرة القطيع. إن عمليات التفتيش في التجمعات السكنية يجب أن تتم «بأسلوب مهذب ولكن حازم... وإذا كان التفتيش يجري بسبب محاولة الاستهداف قواتنا فمن المسموح لكم قتل أي

رجل في حوزته سلاح». إن عمليات التفتيش للمزارعين العرب في الحقول القريبة من المستوطنات اليهودية يجب أن تجرى «بأدب ظاهر، ويُفضل أن تكون مصحوبة بتوضيح لأسبابها، فضلا عن تشبجيع العرب على الاستمرار في تأدية أعمالهم ...». وفيلما يتصل بتفتيش السيارات العربية فإنه يلزم أن يكون «بأدب وحزم» وتتم فقط مصادرة الأسلحة، الزي العسكري، وبطاقات الهوية، والممتلكات المسروقة. وإذا كانت الأسلحة للدفاع عن النفس (مسلس واحد أو قنبلة يدوية) فيتم مصادرتها والسماح للسائق أو الراكب عواصلة طريقة، أما إذا كانت «هجومية» (ألغام، أسلحة رشاشة... إلخ) فيلزم احتجاز مالكها بغرض استجوابه من استخبارات الهاغاناه، ويجب مصادرة أو تدمير السيارات التي يُشتبه في أنها تعود إلى المجموعات غير النظامية، وفي حالة مقاومة العرب للتفتيش، تستخدم القوة، بما في ذلك «الترهيب، الضرب، وحتى الإعدام» (77).

على الرغم من أن لواء النقب كان أكبر وأقوى قوة في النقب الشمالي، فلم تكن المنطقة تحت سيطرة يهودية تامة وذلك لمجموعة من الأسباب: معاناة اللواء من نقص السيارات (خاصة مركبات النقل الكبيرة)، تواجد الجيش البريطاني في المنطقة، الحجم الكبير للمنطقة وعدم توافر الطرق، العداء العربي، تناثر السكان وأغلبهم من البدو. وفي المقابل فإن المزارعين العرب والبدو الذين قطنوا السهل الساحلي (وبدرجة أقل أولئك في مرج ابن عامر ووادي الأردن) كانوا تحت السيطرة اليهودية التامة خلال الشهور الأولى من الحرب الأهلية. وبالنسبة إلى العديد منهم، فإنه على الرغم من العمليات القتالية التي دارت على مقربة منهم وما رافقها من شعور دائم بالخوف، فقد استمرت الحياة على النهج العادي بقدر الإمكان خلال هذه الأشهر. وفي هذا الخصوص وفرت سلسلة من المستندات الخاصة بمنطقتين فرعيتين للهاغاناه منذ شهر يناير نظرة متعمقة حول طبيعة العلاقات العربية - اليهودية على النطاق المحلى في ذلك الوقت.

استمر عدد من العرب، الذين عملوا حراسا في السهل الساحلي المنخفض، في العيش ومزاولة أعمالهم في البساتين المملوكة لليهود (على الرغم من أن بعضهم . غادر المكان بدافع من الخوف). وقد علق إفرايم (أحد الضباط في حي فرعي) على

ذلك بقوله: «في رأيي لا يوجد سبب للخوف من تركهم في الوقت الحالي يعيشون في أماكن عملهم، فوجودهم يمكن أن يكذب ما يقوله أنصار الحسيني الذين يسعون إلى إشاعة الاضطرابات: العرب مكنهم العيش بين اليهود من دون أن يصيبهم أذى، أما إذا طردوا من أماكن عملهم فإنهم على الأرجح سيلتحقون بالعصابات نتيجة لافتقارهم إلى العائد المادي، فضلا عن سيطرة الرغبة في الانتقام بسبب طردهم من عملهم»، والأكثر من ذلك عبر إفرايم عن اعتقاده بضرورة السماح باستمرار قدوم العهال اليوميين القادمين من القرى المجاورة للعمل في المنارع المملوكة لليهود، الأمر الذي يفسر، ولو جزئيا، الهدوء الذي ساد قرى تلك المنطقة (وقد توافقت آراء ضباط استخبارات الهاغاناه المحليين حول ضرورة استمرار السماح للعرب بالعمل في المزارع المملوكة لليهود). في المقابل، فإنه حذر من «السماح للعرب بحرية الحركة في المناطق المكتظة بالمباني والمستوطنات خاصة في ساعات الليل»، وأوصى بزيادة الدوريات مع تجنب «الأعمال التي من شأنها إثارة الآخرين»: «إن دوريات الجيش يجب أن تجبري اتصالات وحوارا مع العرب في أقل الحدود الممكنة في حالة عدم وجود شخص في الدورية يجيد اللغة العربية، إما في حالة وجود مثل هذا الشخص فإنه يجب عليه أن يتبع أسلوبا وديا، وفي حالة قيام القرويين بهجمات، فإن جميع الاتصالات يجب أن تتوقف»(<sup>78)</sup>.

ويبدو أنه حتى منتصف شهر يناير كان العهال العرب يقضون الليل في المستوطنات اليهودية. غير أنه منذ ذلك التاريخ أصدر قائد الهاغاناه أمرا يمنع نوم العرب رعاة الماشية ليلا في المستوطنات اليهودية (79)، ومع ذلك استمر عمل العرب في المستوطنات بأمر من غاليلي (الذي كان أيضا عضوا في كيبوتس ناعان الذي يقع في الحي الفرعي نفسه الصادرة فيه التعليمات)، على أن يوقف في مناطق وأوقات محددة فقط إذا ما كانت هناك ضرورة أمنية قصوى (80)، وقد انزعج إفرايم من تقرير عن قيام قائد محلي للهاغاناه في راماتيم (مدينة يهودية تقع في الحي الفرعي الخاضع لسلطته) بمنع عرب أبو كشك من البيع والشراء في متاجر المستوطنة وإقدامه على تدمير منتجاتهم وحظر إحضارها إلى داخل المدينة، مما دفع إفرايم إلى إصدار تعليمات تقضي بعدم القيام بمثل هذا الأفعال من دون الحصول على موافقة من سلطة أعلى إلا في حالة وجود ضرورة أمنية فورية (81).

شهد حي فرعي آخر في السهل الساحلي في بداية يناير إصدار ضابط أوامر لنوابه بعدم القيام «بإيقاف عام للعمال العرب في مناطقهم إلا في حالة صدور أمر يخالف ذلك» (82). وفي الواقع فإنه في منطقة أو منطقتين، بما في ذلك الحي الفرعي للسامرة، استمر عمل العرب في الحقول ومزارع العنب والبساتين اليهودية حتى شهر أبريل 1948، وفقط في نهاية هذا الشهر أصدر نفتالي أمرا بوقف عمل العرب في زخرون ياكوف، وغيفات أدا، وبات شلومو، مما أثار احتجاجات فورية مفادها أنه في ظل غياب عمالة يهودية كافية ستفسد المحاصيل. وكانت الحجة المقدمة من نفتالي أن العرب لا يشكلون خطرا أمنيا في الوقت الحالي، لكن إذا ما تغير الموقف فأنهم سيتوقفون عن المجيء للعمل بحض إرادتهم (83).

كان يجري تطبيق سياسات مختلفة في مناطق مختلفة، وتوقف الأمر بشكل كبير على الموقف الأمني في كل منطقة وكذلك على القادة المسؤولين. ففي القدس، على سبيل المثال، صدرت أوامر في بداية يناير تمنع بيع اليهود للسلع إلى العرب، وحُذِّر أصحاب المحال من العقاب في حال المخالفة (84). وبالفعل، قام رجال الهاغاناه بتذكير العرب العاملين في مؤسسات يهودية، منذ منتصف ديسمبر 1947، بالأمر الصادر من ضابط الاستخبارات والقاضي بأنه في حالة استمرارهم فإن حياتهم قد تكون معرضة للخطر (85).

بحلول شهر مارس كان هناك سوالان متداخلان: كيف يمكن التعامل مع المجتمعات العربية المتبقية في المناطق اليهودية، وكيف يمكن التعامل مع ممتلكات أولئك الذين رحلوا من قبل؟ (86). فيما يتصل بالملكية، لم يكن أي من رئاسة أركان الهاغاناه أو أعضائها المحليين راضيا عن الترتيبات التي جرى تبنيها محليا، حيث حدثت عمليات سلب ونهب وتخريب متعمد من قبل الجيران اليهود (والعرب) والوحدات العسكرية. وقام بعض قادة الهاغاناه المحليين بتعيين «مراقبين» للممتلكات العربية (87). وإزاء هذا الموقف تعالت المطالبة بضرورة تبني منهج منظم وشامل على المستوى الوطني. وفي هذا الخصوص قام رئيس الأركان بتأسيس «لجنة وطنية لممتلكات العرب» في الأسبوع الأخير من شهر مارس ضمت كلا من غاد ماكنس (مالك بستان للبرتقال)، وإزرا دانين (أحد

المصادر المحنكة لاستخبارات الهاغاناه في حديرا) (على وإسحاق غويرتز (عضو في كيبوتس شفاييم)، بالإضافة إلى ديفيد هورويتز (مساعد مدير الخزانة للوكالة اليهودية)، وأوكلت لهذه اللجنة المسؤولية عن الممتلكات التي هُجرت (88).

كان من شأن واقعة مقتل ستة عرب في الأول أو الثاني من شهر مارس 1948 في حاجز على الطريق أقامه لواء إسكندورني أن تعيد طرح الموضوع الخلافي المتصل بالمجتمعات العربية التي مازالت باقية (89). وجاءت مجموعة من الضغوط المحلية من قبل المستوطنين والوحدات العسكرية لتؤثر في النقاش، فقبل الرابع عشر من مارس سُرق جوادان من شفاييم وأرسلا إلى طولكرم، وحامت الشكوك حول عرب مازالوا يعملون في المستوطنة أو بالقرب منها. وفي هذا السياق وجه المدعو على قاسم، أحد المتعاونين العرب، نقدا لاذعا للمستوطنين اليهود على تشغيلهم لعرب غير موثوق بهم وتساءل عن أسباب عدم طردهم. وقد أعقب ذلك مباشرة إطلاق نار استهدف منازل في شفاييم ومناطق مجاورة في شافي زيون وريشبون من بستان برتقال قريب قيل إنه يقطنه مائة وخمسون من العرب، وقد اشتكي أحد أعضاء الكيبوتس مطالبا بضرورة صدور «أوامر واضحة حول وضع العرب في المنطقة» (90). وفي أواخر مارس أصدر جهاز استخبارات الهاغاناه أمرا بالمنع التام لحركة العرب داخل المستوطنات اليهودية من دون تصريح خاص»(91). وفي تطور أكثر مغزى اشتكى ضباط لواء إسكندروني من أن العزلة المفروضة على قرية الشيخ مونس يجري التحايل عليها وكسرها ليلا من جانب العرب الذين يناورون لتجنب دوريات الهاغاناه وحواجزها على الطرق، الأمر الذي رد عليه قائد اللواء بالقول بأن المسألة يجرى التعامل معها من قبل رئاسة أركان الهاغاناه (92).

في مطلع شهر مارس أصدر غاليلي أوامره إلى خبراء الشؤون العربية بوضع خطوط عامة لسياسة محددة في هذا الخصوص (93)، واستنادا إلى توصياتهم أصدر في الرابع والعشرين من مارس أمرا شاملا إلى جميع قادة الألوية على النحو التالي:

الموضوع: العرب المقيمون في الأراضي المجاورة.

إن موقف الكنيست (الهاغاناه) فيما يتصل بالعرب الذين يعيشون في المناطق المخصصة للدولة اليهودية أو في جيوب المناطق اليهودية المتصلة، ينبع

<sup>(4)</sup> اسمها العربي الخضيرة [المحررة].

من السياسة العربية للحركة الصهيونية والتي تتمثل في: الاعتراف للعرب بجميع الحقـوق والحريات داخل الدولـة العبرية من دون تمييز، والعمل بجد من أجل التعايش بحرية واحترام.

لكن يمكن الخروج عن هذه السياسة خلال المعركة، فقط إذا ما فرضت متطلبات وظروف الأمن ذلك.

لقد قامت القيادة العليا بتعيين لجنة مسؤولة عن تحديد قواعد السلوك تجاه التكتلات العربية داخل مناطق السكن اليهودي الممتدة في كل منطقة (على سبيل المثال الأمور المتعلقة بالتموين، والانتقالات، وهويات الشخصية)، وذلك بالتنسيق مع قائد اللواء المعني أو من ينوب عنه، وذلك وفقا لهدف يقضي بأن احتياجات الأمن يلزم تلبيتها بشكل صارم، وكذلك رفاهية واحتياجات العرب الذين يعيشون في قطاع يهودي.

ضمت عضوية اللجنة التي عرفت منذ ذلك الوقت فصاعدا باسم «لجنة الأمور المتصلة بعرب الجيوب»: دايان، وماكنس، وبالمون (من قسم الاستخبارات في الهاغاناه)، وأضيف إليهم دانين بعد يومين (94). وقد شكلت تلك الخطوط العامة بشكل فوري أساسا لشكوى من قبل لواء إسكندروني اتصلت بكمين نصبته البالماخ في منطقة اختصاصه، وقد ترتب على هذا الكمين، الذي مات خلاله ثلاثة أو أربعة من العرب، إجلاء سكان وادي الحوارث، المنتمين إلى قبيلة بدوية شبه مستقرة جنوب حديرا، وتضمنت مذكرة لواء إسكندروني ما يلي:

أقدمت هذا الصباح فرقة من البالماخ على تنفيذ عملية بالقرب من كفر حاييم تخالف الخطوط العامة التي نتبعها كأساس لعلاقاتنا مع العرب... وقد ولد ذلك سخطا كبيرا بين العرب في المنطقة الذين سبق أن وعدهم المتحدث باسم الهاغاناه بعلاقات سلمية حقيقية... ففي مناسبات سابقة مشابهة قمنا جنع المنشقين (الإرغون وحركة شترن) من تنفيذ عمليات ضد العرب الذين نحتفظ معهم بعلاقات حسن جوار... وإنه لمن المؤسف أن تكون البالماخ هي الطرف الذي يعيقنا عن تنفيذ هذه السياسة (95).

تثلت الصعوبة التي واجهتها الهاغاناه خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 في أنه في الوقت الذي سعت فيه إلى المحافظة على الهدوء في كل

مكان يمكن فيه تحقيق ذلك، فإن عملياتها الانتقامية - التي أسيء توجيهها في بعض الأحيان وكان مبالغا فيها في أحيان أخرى - ساعدت على انخراط مزيد ومزيد من العرب في الاضطرابات المتعاظمة. وقد ساد الشعور بأن عملا ثأريا قويا وشاملا هو فقط ما يمكنه أن يرهب ويهدئ العرب، بيد أن الأعمال الانتقامية أسفرت عن إصابة الأبرياء إلى جانب المذنبين مما ولد مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام وجعل المجتمعات العربية أكثر استعدادا للاستجابة للدعوات القتالية والوطنية التي وجهها الحسيني، على الرغم من ممانعتهم المبدئية للانخراط في المواجهات (96).

يمكن القول إجمالا إن العمليات التي نفذتها الهاغاناه حتى نهاية شهر مارس انسجمت مع المبدأ العام المتصل بتقليل رقعة انتشار المواجهات، على الأقل على المستوى الجغرافي، بقدر الإمكان، ومع تعاقب الشهور مالت هذه العمليات إلى أن تكون أكثر شراسة في ضوء قيام وحداتها بمارسة مهامها في إطار تشكيلات أكثر عددا وفعالية، وتزايد حجم الخسائر اليهودية، فضلا عن الشعور المتزايد لدى اليشوف بأنه أضحى منخرطا في صراع حياة أو موت، ولكن فيما يتصل بالفترة الزمنية ما بين ديسمبر أصحى منخرطا في صراع حياة أو موت، ولكن فيما يتصل بالفترة الزمنية ما بين ديسمبر قصر الانتقام - بقدر الإمكان - على من يقومون بالهجمات، السعي إلى تضييق المجال الجغرافي للصراع (97). وفي الثالث من شهر فبراير عام 1948 تحدث بن غوريون عن السيطان اليهودي المأمول في النقب بالكلمات التالية: «إن القبائل العربية التي تعيش الاستيطان اليهودي المأمول في النقب بالكلمات التالية: «إن القبائل العربية التي تعيش في سلام معنا، لن نحاربها ولن نصيبها بالأذى، ولكن سنزودها بقليل من الماء بما يمكنها من زراعة الخضروات، وستبقى حيث هي» (98)، وبعد مرور ثلاثة أسابيع صرح غاليلي:

... إن هناك أهمية قصوى لانتقاء الأماكن التي تستهدفها العمليات الانتقامية، حيث يجب علينا التمييز بين القرى المتورطة في الهجمات علينا وتلك التي لم تقم بذلك بعد. وإذا كنا لا نريد أن يتشكل تحالف بين العرب في البلاد والأجانب (المقصود القوات غير النظامية) فإنه من الأهمية بمكان التمسك بهذا التمييز.

راود غاليلي الأمل في أن تحدث احتكاكات، وربها صراعات، بين القرويين والعناصر الأجنبية غير النظامية (وو)، وقد ساد هذا التوجه بدرجة كبيرة جميع

مستويات التسلسل القيادي، ففي بداية مارس (وعقب حادثة شملت جنودا من البالماخ) كتب ميشائيل شاهام (ضابط أمن النقل في رئاسة أركان الهاغاناه) إلى آلون: «هناك حاجة لتحديد قواعد السلوك الخاص بأمن المواصلات بغية تجنب حدوث استفزازات غير ضرورية قد تكون نتأنجها في بعض الأحيان مأساوية وتثير العاصفة في مناطق مازالت هادئة...» (100)، وقد نبعت هذه السياسة جزئيا من اعتبارات أخلاقية، وكانت في جزء آخر نتيجة لضعف الهاغاناه، وبشكل عام فإنها كانت ترجع إلى الاعتقاد السائد، على الأقل حتى نهاية شهر مارس، بأن الهاغاناه يجب أن توقف نيرانها لأن البريطانيين لن يسمحوا بحدوث تغيير جذري في توازن القوى العسكرية بين اليهود والعرب قبل انسحابهم من فلسطين.

## سياسة عرب فلسطين خلال الفترة من نوفمبر 1947 حتى مارس 19<del>48</del>

تضمنـت الدعاية الصـادرة عن كل من الوكالة اليهودية والهاغاناه خلال الأسهر الأولى للحرب الأهلية اتهاما للمفتي بشـن حرب منظمة وعدوانية ضد اليشـوف. غير أن الحقيقـة كانـت مخالفة لذلـك إلى حد كبير على النحو الذي فهمـه أغلب القادة والمحللين اليهود في ذلك الوقت، ففي بداية الأمر كانت الجهود القتالية الفلسـطينية غير منظمة، وتلقائية وتقتصر على مواقع محددة، وظلت لشـهور مشوشة وتفتقر إلى التنسيق، إن لم تكن غير موجهة لهدف على الإطلاق، وفي إفادة من ماكنس لبن غوريون وقـادة الهاغانـاه في 1 يناير 1948 ذكر الأول: «لم يكن العرب مسـتعدين (للحرب)... لعرب هناك من يرشـدهم ... وعلى الرغم من سـعي اللجان الوطنية المحلية واللجنة العربية العليا للسـيطرة على الموقف، فإن التطورات كانت تحدث من تلقاء نفسها»، وأوضح ماكنس أن «أغلبية السكان العرب لم ترد القتال». اتفق ساسون مع هذا الرأي مضيفا أن المفتي أراد (ونظم وأثار) «الاضطرابات» ولكن ليس بهذا المسـتوى وبهذه الأرعاد الخص أحد مستشاري الهاغاناه الموقف على النحو التالي:

تعاظم الشعور في المدن بأنه لا يمكن لساكنيها الصمود ضد القوات الأكثر تفوقًا [اليهود]. أما في الريف فلم يكن الفلاحيون راغبين في البحث عن [أو السيعي إلى] القتال مع اليهود خيارج مناطقهم، وبالنسية إلى أولئك الذين الموجة الأوك: النزوح العربي...

عاشسوا بالقرب من المستوطنات اليهودية فقد نُظر إليهم على أنهم «مساكين» [بؤساء وضعفاء]... وساد جميع القرى الشعور بأن اليهود على وشك الهجوم عليهم... (102).

بعد مرور عدة أيام على اندلاع القتال طلب غاليلي من مستشار جهاز استخبارات الهاغاناه أن يشرح له طبيعة ما يحدث، وقد تضمن رد الأخير ما يلي:

كانت الاضطرابات في جزء منها منظمة من قبل النشطاء المحليين الموالين الموالين الموالين الموالين الموالين الموالين الموالين وبمساعدة من الحشود التي جرت استثارتها، وفي جزء آخر كانت تلقائية ومن دون قيادة... إن اللجنة العربية العليا لا تقود أو تخطط لاندلاع الاضطرابات... كذلك لا يجيب أعضاء اللجنة بشكل واضح على مطالبات القيادة المحليين بضرورة وجود خيط واضح للعمل، حيث اقتصر الأمر على إخطارهم بأن المفتي لم يقرر بعد طبيعة الرد (على قرار التقسيم). وقد بدأت اللجنة والقادة المحليين في تنظيم المدن وبعض القرى لعملية الدفاع (103).

ذهبت الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية إلى حد الاعتقاد أن المفتي نفسه يريد التهدئة وأن ذلك كان أيضا الموقف العربي الرسمي، بيد أن بعض أنصاره، بما في ذلك إميل الغوري، ورفيق التميمي، والشيخ حسن أبو سعود كانوا وراء تنظيم أعمال الشغب «التلقائية» وإشعال نيران المواجهة (104).

جاء الخط الذي تبنته اللجنة العربية العليا - في جزء منه - استجابة لعدم الرغبة العربية العامة في القتال، وقد نُقل عن ضباط القسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه قولهم «إن أغلبية العامة كانت مستعدة لقبول التقسيم...» (105). وأفاد تسوري (أحد ضباط الجهاز) في الشمال بما يلي: «خلال السنوات القليلة الماضية لم تكن لدى الفلاح في الجليل، سواء كان من الغوراني (المقيمين في مستنقعات وادي الحولة) أو من المتاولة (الشيعة) أو مغربي (من أصول مغربية) أي رغبة في أن يكون طرفا في حرب مع اليهود»، وبشكل عام «لم يكن السكان العرب في الجليل قادرين على تحمل العبء الثقيل والممتد زمنيا للقتال نظرا إلى غياب أي شكل من أشكال التنظيم الداخلي» (106).

في واقع الأمر لم يقتصر عدم توافر التنظيم والسلاح على الشمال فقط. فقد حذر الجنرال صفوت (رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية) خلال

شهر مارس 1948 بشكل عام من تشرذم العرب الفلسطينيين مع تكاثر العصابات المسلحة التي لا تدين بالولاء إلى «القيادة العامة»، ومن اقتناء القرويين للسلاح للدفاع عن أنفسهم ضد عرب آخرين وليس ضد اليهود(107). من جانبه، افتقر الحسيني إلى الأدوات اللازمة لشن هجوم شامل على اليشوف الأمر الذي دفعه إلى أن يقصر موافقته على شن هجمات محدودة (جزئيا للضغط على الدول العربية لتهب إلى نجدة الفلسطينيين)، وتشديد الحصار الاقتصادي على اليشوف، وتنظيم المجتمع العربي للدفاع عن نفسـه (108)، وقد أرسـل المفتى - في نهاية شهر ديسمبر 1947 - خطابً إلى د. حسين الخالدي (عضو اللجنة العربية العليا وقائد اللجنة الوطنية لمدينة القدس) نص بشــكل صريح على أن الهدف من الأعمال التي يجري القيام بها هو «إنهاك، وفقط إنهاك، اليشوف وليس شن هجوم شامل عليه» (109). كما أشار إلى أنه فقط في المستقبل، في تاريخ لم يحدد بعد، ستأمر اللجنة العليا بشن مثل هذا الهجوم، ومن ثم فإنه في الوقت الحالي يلزم البدء في الإعداد لذلك (110). ولم يكن الخالدي بحاجه إلى أي ضغوط عليه حيث إنه كان «عصبياء وبائسا، ومتشاعًا». وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه اعتقد الخالدي أنه خلال الاضطرابات التي جرت في 1936 - 1939 «كان العرب ... أكثر استعدادا وجرأة ورغبة في التضحية، أما في الوقت الراهن فإنهم، مقارنة بتلك الفترة، يطالبون بأن يُدفع مقابل لكل عمل يقومون به، ويسيطر عليهم الخوف من اليهود، كما أنهم أضحوا دائمي الشكوي» (111).

لخص كانينغهام الأمور قبيل اندلاع الحرب بدقة على النحو التالي:

تمثلت السياسة العربية الرسمية في اتخاذ موقف دفاعي ضد الهجمات اليهودية إلى حين صدور الأوامر بالهجوم من قبل القيادة الوطنية. أما الهجمات الواسعة الانتشار المستمرة والمتزايدة على اليهود فإنها كانت تعكس بشكل مقارن السلطة الواهية لمعظم اللجان الوطنية وللجنة العربية العليا... فالأخيرة كانت حريصة على التقليل من الهجمات العربية ولكن على الأرجح عدم إيقافها تماما، ومن المعروف أنها كانت تشعر بالقلق من فقدانها للسيطرة... (112).

تركز انتباه المفتي بشكل شبه فوري على عرب حيفا ويافا، كبرى المراكز العربية، - فكلتاهـما كانتا معرضتين للهجوم والحصـار، وفي كل منهما كانت اللجان الوطنية التي مثلت الطبقات التي تمتلك المال سواء المتوسطة أو العليا- تبحث عن الهدوء خشية أن تسفر الاستفزازات ضد اليهود عن أعمال ثأرية تضر بهم أو بممتلكاتهم. في يافا، كانت اللجنة الوطنية وملاك بساتين البرتقال وراء التوصل إلى هدنة، دامت لفترة قصيرة، مع جيرانهم اليهود (113). بيد أن القيادات المحلية فشلت في السيطرة على مجموعات المليشيات التي كانت تعمل عادة في أطراف المدينة (114).

نبع جانب كبير من مخاوف المفتي تجاه المدينتين من التقارير التي أشارت إلى بدء سكانهما في الهرب. وخلال النصف الثاني من ديسمبر 1947 ويناير 1948 بدا وكأن المفتي ومساعديه يسعون إلى تحويل مركز العمليات القتالية باتجاه الريف. غير أن القرويين لم يسارعوا للمشاركة في القتال (115) (بل استمر بعضهم في بيع منتجاتهم إلى المدن اليهودية المجاورة) (130)، وقد اكتشف حسن سلامة، أحد القادة الميدانيين التابعين للمفتي، ذلك أثناء لقائه مع القادة المحليين في منطقة شرق حيفا. ففي الوقت الذي طالبهم فيه بتنظيم هجمات على أحياء في «تل أبيب» (هاتيكفا وبتاح تيكفا)، «عارض الجميع الخطة بقوة» (117)، كما أنه تلقى إجابة مماثلة من اللجنة الوطنية للرملة، حيث أوضح له أعضاؤها أن «الهدوء يسود المنطقة، وأنه اللجنة الوطنية للرملة، حيث أوضح له أعضاؤها أن «الهدوء يسود المنطقة، وأنه إلى أن يقوم اليهود بالبدء في عملياتهم ومهاجمة القرى فإنهم لا يرغبون في البدء بالعمليات»، كذلك كان الرد الوارد من اللجنة الوطنية في اللد عندما طلب منها مهاجمة مستوطنة بن شيمن المجاورة (118).

تلقى عبدالقادر الحسيني، القائد العسكري الرئيسي للمفتي [أمين الحسيني] والمسوول عن منطقة مرتفعات يهودا، إجابات مماثلة خلال اجتماعه مع اللجنة الوطنية في طولكرم. فعندما طلب منهم جمع المال وشراء السلاح و«الإسراع في الدخول في معارك ضد المستوطنات اليهودية»، رد هاشم الجيوسي، رئيس اللجنة قائلا:

نطالب أن تترك أمور هذا الحي (الذي لم يكن عبدالقادر مسؤولا عنه) إلى سكانه. نحن نعرف الموقف جيدا... إن الجانب الغربي من حينا مفتوح وليس هناك وسيلة للدفاع عنه، والمستوطنات اليهودية تحيط به من كل جانب. إذا بدأنا في الاستفزاز فسنخسر القرى الغربية.

وأضاف رئيس الحي أن السكان في طولكرم «لا يريدون أن يتدخل أحد في شوونهم، كذلك فإننا لا نريد أن نكون ضحايا لجرائم كتلك التي حدثت في

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

الماضي» (1936 – 1939) [في إشارة مستترة بالكاد إلى إرهاب الحسيني ضد عرب آخرين أثناء الثورة].

- عبدالقادر: أنا لا أنكر أنه ارتكبت جرائم قبيل إنشاء «المحاكم الكنغرية» (\*)
  وسرقات للمال.
  - هاشم: وماذا عن أعمال القتل؟
  - عبدالقادر: أجل، ويجب علينا تجنب تكرار هذه الجرائم.

وقد كرر هاشم قوله إنه لا يريد أي نصائح، وإنما فقط الأسلحة، التي لم تصل حتى الآن على الرغم من أنه سُدِّد عُنها (119).

وواجه عبدالقادر موقفا مشابها في بتير والقرى المجاورة التي رفضت أن تُستخدم كنقاط انطلاق لهجمات على يهود القدس: «خشية الانتقام» (120). في المقابل، وافق ممثلون عن قرى بالقرب من رام الله على البدء في شن بعض العمليات (121).

وقد اتسمت سياسة المفتي تجاه الريف بالغموض. فطبقا لمصادر استخبارات الهاغاناه أخبر وفدا من قرية مسمية الكبيرة (في الجنوب) «أن يلتزموا الهدوء ولا يتصادموا مع اليهود، إلا إذا ما هوجموا»، مضيفا: «مادامت المساعدة لم تُؤمَّن من قبل الدول العربية يجب تجنب المعركة مع اليهود».

خلال الشرح الذي قدمه إلى بن غوريون، أوضح ساسون أن التغيير في الإستراتيجية العربية، بمحاولة نقل مركز العنف من المدن إلى الريف، جاء نتيجة الضغط الذي مارسه سكان المدن على المفتي. وفي هذا الصدد، اقترح ساسون أن تقوم الهاغاناه بمضاعفة الضغط على المدن بشكل قد يدفع أعيانها إلى طلب التوصل إلى وقف إطلاق نار، ووفقا له فإن الهجمات على القرى لن تفضي إلى شيء حيث إن المفتي سيظل غير مكترث «لموت الفلاحين» (122).

منذ نهاية شهر يناير وعلى مدار شهري فبراير ومارس فرضت الهاغاناه وأبقت على حصار جزئي للمدن الرئيسية، الأمر الذي شكل ضغطا كبيرا على المفتي. وطبقا لأجهزة استخبارات الهاغاناه أصدرت اللجنة العربية العليا في نهاية شهر يناير أوامر للجان الوطنية تضمنت الإبقاء، في الوقت الحالي، على الهدنة وعدم القيام بالتخطيط

<sup>. (</sup>٩) المحاكم الشعبية التي لا تراعى فيها مبادئ القانون والعدالة [المترجم].

أو شـن هجمات كبرى لحين صدور تعليمات أخرى (123). كذلك فإنه بحلول منتصف شهر فبراير أصدر جيش الإنقاذ - الذي تعهد للبريطانيين بإيقاف الهجمات - تعليمات تقضي «بعدم مهاجمة اليهود، والاقتصار فقط على عمليات الدفاع والتنظيم...» (124). وقد أخبر سعيد بك (قائد جيش الإنقاذ في قلقيلية) أحد جلسائه العرب (توفيق أبو كشـك) في بداية شـهر مارس أن جيش الإنقاذ «لا يرغب في الهجوم، وليس لدية أي تعليمات في الوقت الحالي للقيام بذلك، حيث إنه جاء إلى فلسطين للدفاع عن العرب ضد عدوان اليهود»، وفي هذا السـياق شـجع سـعيد بك محدثه على «الاستمرار في الحفاظ على علاقات جيدة مع الجيران اليهود» (125). وقرب نهاية الشـهر ذاته، ذكر القوقجي لأحد العرب الذين لهم صلة قوية باليشـوف أنه بإمكانه «الاسـتمرار في القاوقجي لأحد العرب الذين لهم صلة قوية باليشـوف أنه بإمكانه «الاسـتمرار في العيش بسـلام مع اليهود كما كانت عليه الحال حتى الآن»، وحذر السكان المحليين من البعه في القتـال من تلقاء أنفسـهم (125). من جانبها، أصـدرت اللجنة الوطنية في حيفا (والتـي تعتبر من المعاقل التي تكن مشـاعر عدائية للحسـيني) في الثاني والعشرين من فبراير «البيان رقم 7» الذي طالب «بوقف إطلاق النار وعودة الرجال إلى مواقع عملهم...» (127). ومن غير المرجح أن تكون اللجنة قد أقدمت على مثل هذا الإعلان من دون موافقة مسبقة من اللجنة العربية العليا.

خلال شهري فبراير ومارس بدا وكأن كلا من اللجنة العربية العليا وجيش الإنقاذ يرسلان للفلسطينيين العرب مؤشرات تبين أنه بينها يجب الإبقاء على مستوى منخفض من المناوشات من قبل المليشيات المحلية والقوات غير النظامية وكذلك الهجمات على القوافل اليهودية، خاصة في محيط القدس، فإن القيام بهجوم واسع النطاق على اليشوف كان أمرا غير وارد في الوقت الراهن، وأن التجهيزات لذلك - والتي يجب أن تجرى على قدم وساق، إما قبيل الانسحاب البريطاني مباشرة أو بعده - يلزم الشروع فيها.

## الجهود اليهودية والعربية لصنع السلام ديسمبر 1947 - مارس 1948

بالتزامن مع سياسة الهاغاناه خلال الشهور الأولى والرامية إلى تحديد نطاق وتقييد مستوى العنف، حاولت أجهزة يهودية مختلفة (بما في ذلك القسم العربي

في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية)، وإدارة الهستدروت للعمال العرب، وحزب مابام، والسلطات اليهودية المحلية) الإبقاء على السلام، أو على الأقل وقف إطلاق النار في بعض المناطق، استمرارا للجهود السابقة خلال الأربعينيات التي استهدفت التوصل إلى تعايش سلمي يهودي - عربي (الأمر الذي قابله الطرف العربي بردود أفعال إيجابية في مناطق محدودة من وقت إلى آخر). وبشكل كبير كان الحافز وراء تلك الجهود اندلاع المواجهات خلال شهري نوفمبر وديسمبر عام 1947. وفي الوقت ذاته تولد عن القتال زيادة مطردة في توجهات العرب لتحقيق السلام مع جيرانهم، وأساسا بين المجتمعات التي شعرت بأنها معزولة وتحت التهديد في المناطق ذات الحضور اليهودي الساحق، والتي كانت حريصة على الحفاظ على بقائها.

خلال الحرب الأهلية، أثبتت علاقات الجوار الحسنة أنها أكثر استمرارية في النصف الشمالي من السهل الساحلي، وفي المنطقة الواقعة إلى الشرق من والمتاخمة للتلال الواقعة في السامرة الشمالية. كذلك بُذلت جهود شاقة خلال الأشهر الأولى للسراع من قبل المسؤولين اليهود بقيادة دانين وبالمون للإبقاء على السلام بين اليشوف والعديد من القرى العربية والقبائل البدوية في المنطقة المجاورة مباشرة لتل أبيب، كما بُذلت جهود مماثلة من قبل مسؤولي الهستدروت في منطقة القدس.

في الوقت الذي بدأت فيه سُحب الحرب تتجمع، بادر عدد من القرى شرقي حديرا بعقد «لقاء سلام»، دام أربعة أيام ونصف اليوم، مع جيرانهم اليهود، وحضره قرابة سبعين من النبلاء العرب، بما في ذلك المختار من وادي عارة، وعرعرة، وقبيلة تركمان بالقرب من كيبوتس ميشماروت وأربعين من قادة اليهود المحليين، في حين رفض قادة باقة الغربية - أكبر القرى العربية في محافظة طولكرم - المشاركة.. وقد أكد القادة اليهود والعرب المشاركون على علاقات حسن الجوار الراسخة بينهم، وبادروا بتعيين لجنة دائمة لتسوية الخلافات في حالة نشوبها(128). أسفرت هذه الاتصالات عن تنظيم زيارة لستين من أطفال مدرسة كيبوتس عين شيمر في الثاني والعشرين من أكتوبر إلى مدرسة في خربة السركس، وجرى «استقبالهم بشكل والعشرين من أكتوبر إلى مدرسة في خربة السركس، وجرى «استقبالهم بشكل جيد للغاية»، وكانت هذه الزيارة ردا على أخرى سبقتها أجراها طلبة فصل من خربة السركس إلى عين شيمر وكيبوتس غان شموئيل في وقت مبكر من الشهر نقسه نقسه المحلية أن من شأن بداية القتال نقسه المحلية أن من شأن بداية القتال

في مناطق أخرى في البلاد أن يجعل من تقوية الاتصالات مع الجيران العرب أمرا حتميا. وقد صرحت تلك القيادات بأن «التعليمات الدائمة هي بذل كل الجهود للحفاظ على علاقات جوار حسنة» (130). وبناء على مبادرة من رئيس قبيلة عرب الشمالي، التقى قادة وادي حيفر (ع)، في الثاني عشر من ديسمبر 1947، مع ممثلين يهود؛ حيث أعلنوا رغبتهم في السلام واستمرار العلاقات الجيدة، مطالبين بوعد بألا يقدم اليهود على إيذائهم والحصول على «الحماية للمجلس الإقليمي»، ومن جانبها أعلنت السلطات اليهودية أن الاجتماع حصل على الرغم من محاولات مندوبين من طولكرم «تحريض» هؤلاء العرب ضد اليهود، وقد صرح المجلس الإقليمي بأن اليهود سيحافظون على السلام إذا ما التزم العرب بذلك. وتجدر الإشارة إلى أن مسؤولين من القسم العربي ساعدوا على تنظيم هذا اللقاء (1811). وفضلا عن ذلك، قام القادة اليهود بعمل ترتيبات لتزويد القرى العربية المجاورة بالإمدادات، خاصة الدقيق، في حالة انقطاعها. وفي حين قامت العائلات العربية التي كانت تعيش في حديرا (اليهودية) بالفرار، استمر العمال العرب في المجيء إلى المدينة بغرض العمل (132).

فـور انـدلاع القتال شرعت إدارة العـمال العرب في الهسـتدروت (التي كانت خاملة إلى حد ما حتى ذلك التاريخ) في إجراء اتصالات مع العرب لتشـجيع السـلام بـين المجتمعات المتجاورة؛ حيث كانت الأخوة بين كل عمال الأمم المختلفة من بين أسـس أيديولوجية اتحاد نقابة العمال (الهستدروت)، الذي وزع في 21 يناير 1948 إعلانات موجهة إلى «كل العمال العرب» تحضهم على «العيش في سـلام مع اليهود، وعلى أن يديروا ظهورهم لقادتهم الذين يقودونهم إلى الهلاك» (133).

اتخذت الرغبة في العيش في هدوء وسلام في بعض المناطق أشكالا متعددة في الشهور الأولى للحرب. توصلت عديد من القرى إلى اتفاقات سلام رسمية مع المستوطنات المجاورة أو ضواحي المدن، والتقى أعيان دير ياسين في العشرين من يناير 1948 قادة من غيفات شاؤول، في ضواحي القدس اليهودية، واتفقوا معهم على وضعية متبادلة من عدم الاشتراك الفعلي في الحرب. وقد التزمت دير ياسين بأن تُبعد العصابات أو القوات غير النظامية خارجها، وفي حال ظهورها فيها تقوم بإبلاغ غيفات شاؤول بوجودهم «في أوقات النهار عبر تعليق الملابس... (قطعتان

<sup>(\*)</sup> الاسم العربي هو وادي الحوارث [المحررة].

من اللون الأبيض في وسطهما قطعة من اللون الأسود)، وأثناء الليل من خلال ثلاث ومضات ضوئية... ووضع ثلاثة مصابيح». كذلك تم الاتفاق على تزويد دوريات غيفات شاؤول بكلمة سر متفق عليها، وفي المقابل تعهدت الأخيرة بتحمل مسؤولية تأمين السيارات التابعة لقرية دير ياسين والتي تمر عبر الضواحي (134). وقد أدى أهارون حاييم كوهين (مؤسس إدارة العمال العرب) دورا مهما في التوصل إلى هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات المشابهة خلال شهري يناير وفبراير مع قرى القسطل، وصور باهر، والمالحة (135).

خلال شهري ديسمبر 1947 وينايـر 1948 عبر قادة الشيخ مونس، وصميل (المسعودية)، والجماسين، وعرب أبو كشك، وجليل - خلال لقائهم مع مندوبين للهاغاناه في دار أفراهام شابيرا (في بتاح تكفا) - عن رغبتهم في السلام. وذكروا أنهـم إن لم يتمكنوا من حجب المساعدات عن القوات غير النظامية فسيطلبون مساعدة الهاغاناه، وبشكل واضح تماش الجانب اليهـودي مع محاولات الانفتاح عليه، فقد شهد شهري يناير وفبراير زيارات من قبل كل من بالمون ودانين لعدد من القرى العربية بما في ذلك الشيخ مونس وعرب أبو كشك، وطالبوا السكان بالبقاء في أماكنهم وقبول الحمايـة والقواعد اليهودية، وهو ما لاقى موافقة من بالبقاء في أماكنهم وقبول الحمايـة والقواعد اليهودية، وهو ما لاقى موافقة من قبل القرويين (136). وفي حالة أو حالتين تم التوصل إلى اتفاقات بين مسؤولين يهود أو ضباط الهاغاناه وقطاعات معينة من سكان قرية ما، وليـس القرية بأكملها. فعلى سبيل المثال، في منتصف يناير توصل عشرات العمال من مسكة (في محافظة فعلى سبيل المثال، في منتصف يناير توصل عشرات العمال من مسكة (في محافظة ععلى سبيل المثال، في منتصف يناير توصل عشرات العمال من مسكة (في محافظة يعملون في بساتينهم (137).

خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب اقترب ما يزيد على أربعة وعشرين قرية من المسؤولين اليهود سعيا وراء التوصل إلى اتفاقيات للامتناع المتبادل عن القتال، مدفوعة في ذلك أساسا بالخوف من الهجمات اليهودية أو العمليات الثأرية، وكذلك إلى حد ما بالروابط الاقتصادية التقليدية الذين رغبوا في الحفاظ عليها. ومن بين تلك القرى: قطنة (شمال غربي القدس، والتي أجرت اتصالات مع كيبوتس معالي حاميشا) (138)، ووادي الحوارث (في الوادي الساحلي والتي أجرت اتصالات مع كفر فيتكن) (139)، والمنشية (التي اتصلت بغيفات هاييم بالقرب من

حديرا) (140)، وقيسارية (وقد تواصل أحد وجهائها «توفيق قدودة» مع اليهود المحليين) (141)، وعين كارم (غربي القدس والتي تواصلت مع قادة اليهود في ضواحي بايت فيغان) (142)، وعرب أبو كشك وقرية جماسين (شمال تل أبيب، واللتان أجرتا اتصالات مشتركة مع ضابط شرطة يهودي يُدعي أريل في مركز شرطة رمات غان) (143)، وأرض السريس (واتصلت بالدكتور بوهم رئيس المجلس اليهودي الإقليمي في كفر آتا) (146)، وكفر قرع (واتصلت بكفر غليكسون المجاور) (145).

حاول ضابط بريطاني أن يجمع ممثلين عن العرب واليهود في بيت شيان (بيسان)؛ وفي حين نصح يهوشوا سولز (ضابط استخبارات الهاغاناه المحلي) اللجنة الإقليمية المحلية بالتقاط «اليد الممدودة»، ذهب ضباط آخرون (على الرغم من اهتمامهم بالحفاظ على السلام) إلى النصح به «ضرورة المعرفة المسبقة بمن يطلب السلام من الآخر... فيلزم علينا أن نطلب منهم إرسال مندوبين محترمين، لا أطفال أو أشخاص لا وزن لهم، كذلك فإنه من المهم ألا يكونوا من عائلة واحدة أو من فئة واحدة فقط...» (146).

بشكل عام، جرت الأمور بصورة أكثر وضوحا: حيث اتصل الأعيان والوجهاء العرب، أو التقواء مع المندوبين اليهود المحليين. على سبيل المثال، في السابع من يناير، التقليم عمدة اللد، وبصحبته مختار قرية الحديثة مع رئيس بن شيمين (المدرسية الزراعية الداخلية اليهودية المجاورة والموجودة داخل المنطقة ذات الكثافة العربية)، ووفقا لمحضر الاجتماع الذي أعدته الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه ذكر العمدة: «نحن نريد السلام معكم، وقد جهرنا بذلك في المدينة وضواحيها. غير أنه، كما تعلمون، هناك أشخاص ليس لديهم إحساس بالمسؤولية قد يقدمون على ارتكاب حماقات من تلقاء أنفسهم». وطلب العمدة من رئيس المدرسة عدم نشر حراس على الطريق، بل فقط داخل حرم المدرسة. ومن جانبه طالب الأخير سلطات حراس على الطريق، بل فقط داخل حرم المدرسة. ومن جانبه طالب الأخير سلطات اللد بالسماح للحافلات اليهودية بالمرور في المدينة من دون اعتراضها، وعند هذه النقطة جرى اتصال هاتفي مع شحاتة حسونة (رئيس الميليشيات في اللد) وتضمن الحديث بينه وبين مدير المدرسة ما يلى:

شحاتة حسونة: لقد تحدثنا إلى الأعيان في المنطقة وحذرناهم من أي إيذاء قد تتعرض لها بن شيمن. لقد عشتم بيننا العديد من السنين من دون وقوع أي ثيء سيئ فيما بيننا... لن يتم المساس بقوافلكم. إن السكان المحلين، وبخاصة كبار السن منهم، يريدون السلام، ولكن تصعب السيطرة على الغرباء بتنوعاتهم المختلفة، الذين يفدون على المدينة ويتصرفون من تلقاء أنفسهم.

رئيس بن شيمين: توجد بيننا أيضا عناصر لا تريد الامتثال للأوامر، وتتصرف من تلقاء أنفسها، ولا يمكن أن أتحمل المسـؤولية عنهم بالقدر نفسـه الذي لا يمكنكم به تحمل المسؤولية عن الغرباء (147).

(وحتى 19 مارس، كان قادة اللد يعارضون الهجمات على قوافل بن شيمين) (148). بعد مرور أسبوع على ذلك دارت مناقشة مماثلة بين ضابط في القسم العربي باستخبارات الهاغاناه (على الأرجح ديفيد كارون) وقائد للجنة الوطنية في تل الصافي (قرية عربية كبيرة تقع جنوبي القدس)؛ حيث وعد القائد العربي الحاج محمد خليل العزي بإبعاد «الغرباء» وإبقاء الرعاة العرب بعيدا عن الحقول اليهودية. وأضاف العزي أن الحسيني «لا مستقبل له» وأن «السيطرة» ستنتقل قريبا إلى عبدالله ملك الأردن. وقد أمرت اللجنة الوطنية مجموعة من البدو التي استقرت في تل الصافي منذ خمسة أو ستة أعوام بالرحيل خشية أن يؤدي قيامهم بالرعى إلى صدامات مع اليهود (149).

وبعد مرور بضعة أسابيع استضافت تل الصافي لقاءً بين ممثلين عن الهاغاناه وحسن عبدالعزيز مهنا من المسمية الكبيرة (قرية واسعة ذات نفوذ كبير في الغرب)، وعُقد الاجتماع بجبادرة من مهنا (العضو البارز في أكبر عائلات القرية عيث وعد بأن يسود السلام في المنطقة مادامت عائلته تبقى مسيطرة على القرية وضواحيها، مطالبا بألا يقوم الحراس المصاحبون للقوافل اليهودية التي تمر بالقرية «بالتلويح بأسلحتهم أو تصويبها». وعبر مهنا عن تذمره من القادة اليهود والعرب الذين تسببوا في الفرقة والاضطرابات، مضيفا أن عائلة المهنا قررت بجدية «معارضة الحسيني، وأن يرهنوا مستقبلهم السياسي بالملك عبدالله» (150).

على حين لم تكن كل من تل الصافي والمسلمية الكبيرة بعد في حالة حرب مع جيرانهم اليهود في كيبوتس كفر مناحيم، كان الوضع مختلفا بين قرية صور باهر وكيبوتس رامات راشيل وحي تلبيوت جنوبي القدس، حيث كان هناك تبادل لإطلاق النار. وقد سلعى قادة صور باهر إلى التوصل إلى سلام من خلال عقد لقاء مشترك، مدفوعين في ذلك بالحالة الاقتصادية المتدهورة؛ نتيجة عدم وجود مشترين للفائض

في المنتجات الزراعية التي كان يتم بيعها في الماضي لليهود؛ فضلا عن نقص علف الحيوانات؛ وعدم توافر فرص عمل خارج القرية؛ وانعدام المساعدة من أي جهة عربية (151). ومثل القرية محمود شحاتة (شقيق مختار القرية) وأربعة من مالكي مطاحن الدقيق (الذين تأثرت أعمالهم بالقتال)، في حين شارك موشيه اسحاكوفيتش (قائد رامات راشيل) وإلهنان كلاين (من تلبيوت) عن الجانب اليهودي، وهدف الاجتماع إلى «التوصل إلى وسيلة للحفاظ على وقف إطلاق النار بين تلبيوت وقريتي صور باهر وأم طوبا المجاورتين، وفي الوقت الذي عبر فيه الجانب اليهودي عن عدم رغبته في اندلاع صراع دام، وعد الطرف العربي بما يلي:

أ - عدم قيام سكان القريتين بأي عمل من شأنه الإضرار بمصالح السكان اليهود في المنطقة.

ب - أنهم سيمنعون، حتى ولو بالقوة، أي «غرباء» من الدخول إلى القريتين بهدف مهاجمة اليهود أو التحريض على ذلك... وفي حالة عدم نجاحهم في منع الغرباء من الدخول فإنهم سيقومون على الفور بإخطار موشيه إسحاكوفيتش أو إلهنان كلاين.

في المقابل تعهد ممثلو اليهود بالسماح (بعد تفتيش محتمل) بمرور حافلة نقل عربية محددة (تحمل رقم 282 ذات كابينة حمراء اللون) فضلا عن النساء والأطفال حتى سن الخامسة. وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على عقد اجتماع آخر للمتابعة مع قادة القريتين.

وقد علق القائدان اليهوديان في مرحلة تالية على الاجتماع بما يلي:

أ - أن سكان هاتين القريتين كانوا مدفوعين بالرغبة في تجنب عواقب نهاية حالة الهدنية. ومع ذلك فإنهم لا يعارضون، من حيث المبدأ، استمرار الحرب من قبل العرب.

ب - أن هناك شعورا بأنهم يسعون إلى كسب الوقت.

ت - وجـود انطباع قـوي بأن ملاك مطاحن الدقيـق الأربعة هم الذين دفعـوا إلى عقـد اللقاء أكثر مما كانـت عليه الحال بالنسـبة إلى قادة القرى، بل وصل الأمر إلى سـيادة اعتقاد بأنهم دفعوا مبلغا من المال لمحمود شـحاتة لتنظيم الاجتماع (152). انعقد اجتماع المتابعة في الخامس من فبراير بحضور مختاري القريتين: الحاج أحمد شحاتة (قرية صور باهر)، والحاج محمود (قرية أم طوبا) فضلا عن عدد من الوجهاء العرب. ومثل الجانب اليهودي: إسحاكوفيتش وضابط من جهاز استخبارات الهاغاناه يدعى يتزهر، ووفقا للتقرير الذي أعده الأخير لاحقا كان الاجتماع «وديا للغاية وغلبت عليه الرغبة في الوصول إلى علاقات حسن جوار». وعد العرب بالإبقاء على الغرباء خارج القريتين، مُذكرين بأنهم عمدوا في الماضي إلى «طردهم عن طريق القـوة»، وفي المقابل طالبوا بحرية المرور على الطريق المؤدي إلى القدس والذي يمر عبر رامات راشيل. وقد اتفق الطرفان على السماح بقيام كل من اليهود والعرب بحرث الأرض في الحقول الواقعة بين القريتين والمنطقة اليهودية (153).

خلال الفترة من نهاية شهر مارس، مرورا بشهر أبريل حتى مايو، وفر موسم الحصاد قوة دافعة بين القرويين للسعى في اتجاه التوصل إلى هدنة أو سلام مع الجيران اليهود؛ حيث رغب الفلاحون في أن يسود الهدوء حتى يتمكنوا من الحصول على عائد من محاصيلهم التي نضجت. وقد كان هذا هو التفسير الذي قدمه أحد ضباط القسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه لما رُصد من استعداد، على الأقل من قبل بعض السكان، في قرية الطنطورة (جنوب حيفا) للتوصل إلى وقف إطلاق نار مطلع شهر مايو. (ومثل الخوف الذي تولد على سقوط مدينة حيفا قبل ذلك بأسبوعين سببا آخر لهذا التوجه في حالة هذه القرية)، ووفقا له: «الآن موسم الحصاد وهو ما يمثل سببا إضافيا جيدا للسعي إلى السلام مع اليهود»(154). (من المثير للاهتمام أنه في ذلك الوقت قام يهود من زخرون ياكوف، من تلقاء أنفسهم، بالاتصال بعرب الطنطورة للتوصل إلى اتفاق حـول الحصاد)(155). كذلك فإن قرب هذا الموسـم مثل دافعـا للمحادثات التي جرت في مطلع شهر أبريل بين قرية قاقون وكيبوتس همعبيل. وعلى الرغم من ذلك أضاف مستشارو الشوون العربية للهاغاناه أنه «للتأكد من وجود وقف إطلاق النار... يلزم على كل من قاقون وهمعبيل القيام بالحصاد من حقولهم بشكل متزامن» (156).

أجرى العرب في الشاطئ الشرقي لبحر الجليل أيضا اتصالات باليهود بغية الحصول على ضمانات بأن محاصيلهم لن يصيبها أذى من قبل قوة النيران اليهودية،

وفي المقابل قدموا تعهدات ضمنية بالحفاظ على الهدوء (157). وفي أطراف وادي يزراعيل (مرج أبو عامر بالعربية) اتصل زعماء من قبيلة وفية برئيس كيبوتس غينيغار، طالبين التفاوض على وقف إطلاق نار يمكنهم من جمع محاصيلهم (158). وفي أواخر شهر مايو طلب أحد أعيان العابسية (في الجليل) من الهاغاناه أن تسمح له بالبقاء في قريته؛ حيث يقوم آخرون بجني محصوله والاحتفاظ به لأنفسهم في أثناء غيابه، وعلى الرغم من ذلك «نصحته الهاغاناه بالرحيل» (159). وقد تمت الإشارة إلى الحصاد باعتباره سببا لعدم البدء في العمليات القتالية أو السماح بها من قبل دروز ومسيحيين في منطقة «شفا عمرو» - رمات يوحانان (160). كما تم ذكره من قبل جهاز استخبارات الهاغاناه كسبب لاستعداد بعض القرويين والذي سبق أن فروا من مناطقهم للعودة إليها والقبول بالحكم اليهودي، وفي هذا الصدد تمت الإشارة إلى اللاجئين من قرية الخيرية (شرق يافا)(161).

توافرت لسلسلة من القرى جنوب وجنوب شرقي يافا مصلحة خاصة في التوصل إلى وقف إطلاق النار؛ حيث رغبوا في الاستمرار في العمل داخل المستوطنات اليهودية المجاورة، والذي مثل المصدر الرئيسي لدخلهم، وكان هذا هو السبب وراء الاتصالات المتكررة التي جرت مع الهاغاناه في مطلع شهر مايو من قبل سكان السنديانة، وصبارين، والفريديس الذين كان رجالهم يعملون في حقول ومزارع زخرون ياكوف، بنيامينا، وبات شولومو (162).

مـع اقتراب يـوم 14 - 15 مايو وما كان يحمله الغزو العربي من نذر بالمزيد من الأعمال القتالية، سارعت قرى، بل مجموعات من القرى، في مناطق مختلفة للاتصال بالسلطات اليهودية بغية التوصل إلى هدنة أو الاستسلام وقبول الحكم اليهودي.

في نهاية شهر أبريل وبداية شهر مايو عقد ممثلون من قرية الطيرة (جنوب يافل) محادثات لوقف إطلاق النار مع ضباط الهاغاناه في يافا، غير أنه لم يتم التوصل خلالها إلى اتفاق، فبينما وافق القرويون، بقيادة سلعيد الدجاني، على هدنة، فإنهم رفضوا تسليم أسلحتهم كما طلبت الهاغاناه (163). كذلك فإنه في منطقة القدس طلب ممثلون لقرى: خربة اللوز، وصطاف، وصوبا، وأم الميس من أعيان قرية أبو غوش (المعروفين بعلاقاتهم الودية مع اليشوف) التوسط للتوصل إلى سلام بينهم وبين الهاغاناه، وهو ما رفضوا القيام به (164).

في مطلع شهر مايو زار مختار قرية زرنوقة (بالقرب من رحوفوت) مركز شرطة قطرة، وأعلن أن قريته والقرى المجاورة: المغار، وبشيت، ويبنى، والقبيبة «ترغب في الاستسلام»(165). وبعد مرور أسبوع اقترح أحمد الشوربجي، زعيم عشيرة الشوربجي الأكثر قوة في القرية، أن يتم تسليم بعض سلاح القرية طالب «حماية» يهودية (وهو ما يعنى الاستسلام)(166). كذلك عبَّرت قرية جسر الزرقاء (الغوارنة) في السهل الساحلي عن رغبتها في الاستسلام في مقابل «حماية» الهاغاناه (167). وفي بداية الشهر ذاته نقل لواء إسكندروني أن سكان قرى الخيرية، وساقية، وسلمة التي تم الاستيلاء عليها في عملية حاميتز Operation Hametz (اغبون في «العودة إلى قراهم وقبول الحماية اليهودية»(168). كذلك كانت الحال بالنسبة إلى سكان قريتي كفر لام، والصرفند شمال حيفا؛ حيث وردت تقارير تفيد برغبة سكانهما في العودة إلى ديارهـم التي هجروهـا قبل ذلك بعدة أيام وقبـول الإدارة اليهودية(169). وأيضا في أواخر الشهر أجرى معين صالح خطيب (الذي صُنف على أنه أكبر مالك للأراضي في القرى الدرزية في الصوفية، ودالية الكرمل) اتصالات مع المستشارين العرب لجهاز استخبارات الهاغاناه، ناقلا استعداد القريتين «للاستسلام وتسليم أسلحتهما». كذلك عبر عن «الاستعداد لتسليم أفراد العصابات القليلة فيهما»(170). وفي الوقت ذاته نقلت مصادر الهاغاناه وجود خلاف بين الشباب وشيوخ القرية؛ حيث لم يرغب الشباب في مساعدة الجيش السوري الغازي، ورأوا أنه من الأفضل «الاتصال باليهود وتسليم الأسلحة والاستمرار في البقاء»، في حين عبر الشيوخ عن مخاوفهم من أنه إذا ما تمكن جيش عربي، على الرغم من كل شيء، من الوصول إلى المنطقة، فإنهم سيبدون كـ «خونة» و «سيتم تدمير القرية» (171). في مطلع شهر يونيو كانت القرى الثلاث المقاتلة في جنوب حيفا (الجبعة، وإجزم، وعين غرال) بعد متابعتها الحظ العاثر للعرب، تطلب «البدء في مفاوضات للاستسلام»، وقد حدث الشيء نفسه في القرى شرق عكا ووادي زبولون والتي نقلت التقارير أنها «مستعدة للاستسلام»(172). عانت الهاغاناه على الدوام من مشكلة في التعامل مع الاتصالات الهادفة إلى

<sup>(\*)</sup> كان اسم Hametz مؤشرا دقيقا على القصد من العملية؛ حيث يشير إلى بقايا الغذاء التي تقوم ربات البيوت من اليهود المتدينين بإزالتها من المنازل عند التحضير لعيد الفصح، في إشارة إلى نية التطهير العرقي للفلسطينيين خلال العملية التي شُنت على يافا في الفترة من 28 أبريل حتى 11 مايو 1948. [المترجم].

التوصل إلى هدنة أو استسلام، فغالبا كانت المبادرة تأتي من فريق أو أحد النبلاء في قرية ما، الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات: هل الاتصال جاد وله مصداقية؟ ألا يمكن أن يكون الأمر مجرد تحرك تكتيكي يهدف إلى كسب الوقت حتى يتم جمع المحاصيل أو الانتظار لوصول شحنة أسلحة يمكن بعدها أن تعود القرية للانضمام إلى صفوف المقاتلين؟ ما الهدف وراء الموافقة على وقف إطلاق نار مع جماعة عربية منعزلة، في حين أنه في مناطق أخرى حيث كانت الغلبة فيها للعرب كان هناك رفض لأي شكل من أشكال الهدنة أو السلام؟ ألم يكن من الضروري أن تُحدد سياسة الهاغاناه انظلاقا من الاعتبارات القومية وليس المحلية؟ وفي ضوء تلك التساؤلات، غالبا ما انتهت هذه الاتصالات بإخفاق تام، وبحلول شهر مايو وفي مواجهة الغزو الوشيك من قبل الدول العربية، ذهب تفضيل الهاغاناه إلى عدم المخاطرة بترك قرى عربية - كان إعلانها المفاجئ عن الطاعة والولاء مشكوكا فيه - وراء خطوطها الأمامية.

فضل القرويون في كل الأحوال تجنب إجراء اتصالات رسمية أو اتفاقيات مع الهاغاناه، الأمر الذي كان يمكن وصمه بالغدر من قبل العرب الآخرين، وفقط أقلية ضئيلة منهم هي التي أجرت مثل هذه الاتصالات الرسمية. وفي المقابل امتنع الكثيرون عن البدء بأعمال عنف ضد اليهود ورفضوا، حين طلب منهم ذلك، المشاركة فيها؛ وفضلا عن ذلك منع العديد منهم العناصر غير النظامية من دخول قراهم واستخدامها قواعد لإثارة الاضطرابات. وقد تمثل الدافع الرئيسي لمثل تلك المواقف من عشرات القرى التي لم تشارك في القتال في الرغبة في تجنب الأعمال اليهودية الانتقامية ضدهم.

خلال شهر ديسمبر 1947 طلب بدو عرب البصة من التركمان المقيمين في المنسي المتناع عن مهاجمة اليهود (173). وبعد مرور عدة أيام منع عرب الجلاد سبعة عشر عنصرا من المقاتلين غير النظاميين من مهاجمة مستوطنة كفر يونا المجاورة، وقد تمثل موقف القبيلة في أنه يلزم أولا «قيامهم ببيع أراضيهم والرحيل، وفقط بعد ذلك يمكنهم الموافقة على المشاركة في مثل هذه الأعمال القتالية» (174). ومن جانبهم، رفض سكان القرى الدرزية الكبرى (الكرمل، عسفيا، ودالية الكرامل) المطالبات العربية لهم بمهاجمة المستوطنات اليهودية المجاورة (175).

تشكلت معارضة واسعة ودائمة من قبل العديد من القرى في محافظة القدس للمشاركة في القتال؛ حيث كانت للمصالح الشخصية الغلبة على تلك الوطنية. وبشكل واضح ومنتظم لم يُسمح بالدخول للعصابات المتنقلة (أحيانا بقيادة عبدالقادر الحسيني)، وغالبا ما كان القرويون يرفضون استضافتهم أو تزويدهم بالمؤن، فضلا عن الحديث عن المشاركة في الهجمات. فقد أمر الشيخ عبدالفتاح رئيس قرية المالحة القرويين بإطلاق النار على كل شخص غريب يحاول الاقتراب من «اليهود، أو العرب أو البريطانيين» (176). وفي مطلع شهر يناير 1948 طرد سكان قرية قالونيا عصابة مسلحة ومنعوها من «القيام بأي شيء»(177). وتبادل سكان دير ياسين إطلاق النار مع عصابة متنقلة من غير النظاميين أرادت استخدام قريتهم كقاعدة لمهاجمة القدس، مما أسفر عن مقتل قروي، «وانفجر نساء القرية بالعويل والصياح»(178). وقبيل الثامن والعشرين من يناير، أقدم عبدالقادر الحسيني، على رأس جماعة من 400 شخص مسلح، على إقامة مخيم بالقرب من دير ياسين، ساعيا بشكل ظاهر لتجنيد القرويين، وإزاء «معارضة شيوخ القرية» انتقلت الجماعة إلى بيت جالا(179). ولدى استدعاء مختار القرية من قبل ممثلي اللجنة العربية العليا لسؤاله عن علاقة قريته باليهود، أوضح أن: «القرية واليهود يعيشون في سلام»(180). وبعد مرور أسبوعين على ذلك، وبالتحديد في الثالث عشر من فبراير، دخلت عصابة مسلحة إلى دير ياسين بهدف مهاجمة مستوطنة غيفات شاؤول المجاورة، «وأمام معارضة القرويين لذلك، قامت العصابة المسلحة بذبح أغنام القرية...»(181). ويعد ذلك بشهر، قام وفد من اللجنة العربية العليا ضم رجلين وامرأة (على غير المعتاد) بزيارة القرية في السادس عشر من شهر مارس، طالبا من سكانها استضافة مجموعة من المليشيات العراقية والسورية «لحماية الموقع»، وهو ما رفضه القرويون وعاد الوفد أدراجه خالي الوفاض (182). وتكرر الموقف الرافض من قبل وجهاء القرية مرة أخرى في الرابع من أبريل<sup>(183)</sup>.

في نهاية شهر يناير، رفض سكان قرية صبارين (في الشمال) دعوات أطلقها وفد زائر من مساعدي عبدالقادر الحسيني للبدء في حملة تجنيد، وهو ما أسفر عن خلاف بين الطرفين (184). وفي الدامون القريبة (جنوب شرق حيفا) قام نجل أكبر مالكي الأرض (صادق كرمان) بدفع مبلغ خمسة آلاف جنية إسترليني لجيش

الإنقاذ مقابل مغادرته للقرية (185). وبعد مرور عدة أسابيع اتفقت كل من صبارين، والسنديانة، والفريديس على عدم السماح بوجود أي عناصر غير نظامية (186). كذلك رفضت السنديانة (والبريكة) إقامة حامية في البريكة لقوات جيش الإنقاذ (187).

عارضت اللجنة العربية العليا بقوة مبادرات واتفاقيات السلام المحلية. وعلى الرغم من أن المفتي قد رغب في بعض الأوقات التقليل من مستوى الصراع، فإنه عارض أي تصرف يحمل في ثناياه صبغة السلام، أو الاعتراف باليشوف. وأحبطت اللجنة العربية العليا عددا من جهود السلام المحلية. فعلى سبيل المثال، أفاد المفوض البريطاني لمحافظة الجليل بأن أعيان مدينة بيسان والمستوطنات المحيطة بها كانوا راغبين في التوصل إلى «اتفاق غير رسمى لضبط النفس المتبادل»، وقد قوبلت الفكرة برفض من قبل اللجنة العربية العليا (188). ومع ذلك، مكن القول بشكل عام إنه مع اتساع رقعة القتال تزايدت حدة الشكوك والعداوة بين التجمعات المتجاورة، التي كانت في بعض الحالات تربطها علاقات صداقة، مما أدى إلى تضاؤل إمكانيات التوصل إلى اتفاقات وقف إطلاق نار على المستويات المحلية أو الإبقاء على ما سبق التوصيل إليه بالفعيل. وقد انطبق ذلك على وجه الخصوص عيلى المناطق الواقعة في وسط البلاد، في حين أبقت بعض القرى في الجنوب والشمال على حالة وقف إطلاق النار مع المستوطنات لشهور، بشكل أساس نتيجة الاحتياج المتبادل لحصاد المحاصيل. كذلك سادت حالة مشابهة من عدم القتال ارتبطت بعملية حصاد المحاصيل الحمضية واستندت إلى تفاهمات ضمنية أو صريحة في السهل الساحلي الجنوبي خلال الأشهر الأولى للحرب.

بحلول نهاية شهر مارس سادت حالة من اليأس بين المسؤولين في إدارة العمال العرب في الهستدروت فيما يتصل بإمكانية استمرار اتصالات أو صداقات عربية يهودية، في وقت صرح فيه أبراهام بن تزور (أحد مسؤولي الإدارة) خلال اجتماع عقد في السادس والعشرين من شهر مارس أن القرى الموجودة على طول الحدود بين الدولتين المتوقعتين (اليهودية، وفلسطين العربية) يمكن أن تشكل «جسورا» للسلام والتعاون، مشيرا إلى ما قام به أحد المدرسين في خربة السركس كتجسيد محتمل لهذه الآمال. ومن جانبه تحدث إلياهو أغاسي (مدير الإدارة) عن المنشورات التي يتم توزيعها في وادي حيفر ومنطقة سفوح جبال السامرة، وكذلك تلك الصادرة

عن لجنة الإمدادات اليهودية - العربية التي تعمل في وادي حيفر، ومع ذلك كان الطابع العام للاجتماع عيل إلى التشاؤم. وخلال اجتماع للمتابعة، عُقد بعد مرور أربعة أيام، تحدث المسؤولون بشكل غير واقعي عن إمكانات التعاون العربي اليهودي في مجالات السكك الحديدية ومحطات الراديو وتكرير الزيوت، في الوقت الذي سلموا فيه بأن التعايش اليهودي - العربي في الريف قد أخفق. وقد تركز انتباه المُجتمعين على المواقع التي لايزال العرب يعيشون فيها في مناطق يهودية (وادي حيفر والمناطق المحيطة بالحديرا) وتم الإعداد لزيارة المدينة الأسبوع التالي. وفي هذا الخصوص ذكر إلياهو أغاسي أنه «ربا قد توقف زيارتنا الهجرة الجماعية للعرب من المنطقة». ليس واضعا ما إذا كانت الزيارة قد تمت أم لا (1899). ولكن الأمر الثابت هو أنه خلال أسبوعين قررت الهاغاناه (لأسباب إستراتيجية) عدم السماح ببقاء العرب في منطقة الخضيرة وتم طرد من كانوا يقيمون هناك. انظر الفصل الرابع).

بحلول نهاية شهر مارس نجحت عائلة الحسيني في إخماد الأصوات المعتدلة في المعسكر العربي، وتمكنت من بسط سيطرتها على غالبية عرب فلسطين. غرقت معظم البلاد في أتون الحرب، وكانت الهاغاناه - خاصة على الطرق - واقعة تحت ضغط كبير، فعلى حين ظل العمل بعدد قليل من اتفاقات الهدنة المحلية، سيطر على أغلب القرى العربية عناصر معادية له اليشوف، كما ظهرت في العديد منها وحدات نشطة من القوات غير النظامية. وحتى في الأماكن التي لم تكن فيها السيطرة للحسيني فضل القادة المحليون عدم إجراء أي تعاملات مع اليهود خوفا من عقابه. وقد انعكس ذلك على تصريحات بالمون خلال اجتماع لمديري الإدارة السياسية في الوكالة اليهودية؛ التي أوضحت أن الاتصالات مع العرب قد قُطعت بشكل تام تقريبا، وأنه «بصفة عامة يمكن النظر إلى العرب على أنهم متحدون وراء الحسيني... فاليوم لا توجد تقريبا منطقة من البلاد نستطيع أن نتحدث فيها مع العرب، حتى فيما يتصل بالمسائل المحلية، من أجل تهدئة الأمور وإحلال السلم».

ذهب كل من بالمون ودانين إلى أن الموقف السائد آنذاك كان، إلى حد كبير، نتاجا لأعمال عسكرية لم يتم التفكير فيها بشكل جيد، وردود أفعال مبالغا فيها، فبشكل عام تجاهل القادة العسكريون الخبراء في الشؤون العربية سواء كان ذلك

على المستوى الوطني أو في كل من المواقع على الصعيد المحلي. وأضاف بالمون أن الموقف كان صعبا إلى حد أنه ربما يواجه اليشوف في المستقبل صعوبة في «إثبات أننا لم نكن المعتدين»، باستثناء منطقة القدس التي كان واضحا أن العنف فيها جاء بمبادرة من الجانب العربي. ومن جانبه أضاف دانين: «أنه» كنتيجة للعديد من عمليات الهاغاناه غير الضرورية والتي ضربت بشكل رئيسي العرب «الأخيار» الذين كانوا على اتصال معنا... استمرت الهجرة الجماعية العربية من كل الأماكن، لأن العرب – ببساطة - فقدوا الثقة [بحسن نوايانا؟]».

أدى الموقف السابق إلى انخفاض معنويات العاملين في قسم الشؤون العربية بالإدارة السياسية، التي كانت مهامها تعكس نوعا من الازدواجية: إجراء اتصالات لصنع السلام؛ وجمع المعلومات الاستخباراتية. وأوضح دانين أنه إذا ما استمرت الأمور على ذلك النحو «فإن ذلك قد يقود إلى توقف القسم عن العمل». ومن جانبه ذكر ياكوف شيموني، الذي شغل منصب رفيع في القسم، أن قادة الهاغاناه قد توصلوا إلى نتيجة مفادها «الحرب هي الحرب؛ ولا توجد إمكانية للتمييز بين العرب «الأخيار» والعرب «الأشرار» (190).

# المرحلة الأولى من النزوح ديسمبر 1947 - مارس 1948

أدت أعمال القتال خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 إلى بداية الهجرة الجماعية للعرب الفلسطينيين، ولبحث ذلك سنتناول في مرحلة أولى مجريات الأمور في المدن، لننتقل بعد ذلك إلى الريف.

### المدن

حيفا

تضمن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ضم مدينة حيفا (التي كان يقطنها 65 ألف عربي، و70 ألف يهودي، وبلدية مشتركة) إلى الجزء المخصص للدولة اليهودية، الأمر الذي أصاب - بلا شك - سكانها العرب بالإحباط. وبدأت هجرتهم الجماعية في مطلع شهر ديسمبر 1947، مع اندلاع القتال. وفي هذا الصدد نقلت

وحدة للاستخبارات البريطانية أن كلا من العرب واليهود كانوا يقومون بإخلاء نقاط التماس بين الجماعتين، ويتحركون إلى مناطق مجاورة أكثر أمنا. وقد علق قائد الوحدة (الذي ركز بشكل مثير للاهتمام على تحرك الجانب اليهودي أكثر من الطرف العربي) على ذلك قائلا: إن تلك التنقلات المبدئية للسكان «تقود المرء إلى التأمل في الحجم المحتمل الذي يمكن أن تأخذه هذه المشكلة خلال عملية تطبيق قرار التقسيم». وقد حدثت أول عملية في هذا الصدد في الرابع من شهر ديسمبر، حيث تم إجلاء 250 عائلة عربية من حي الحليصة في الرابع من ديسمبر (191)، وهو أول رحيل جرى رصده. وقد أشار القسم العربي في جهاز استخبارات الهاغاناه في العاشر من الشهر نفسه إلى وجود «عملية إجلاء تتم في مناخ من الهلع من مناطق الحدود (العربية) المجاورة» (192). فالتخلي عن الدار وما يتضمنه من كسر لحاجز نفسى رئيسي يمهد الطريق لتخلُّ محتمل عن القرية أو المدينة، وعن البلاد في نهاية المطاف. وفي الحادي عشر من ديسمبر سبجل كل من دانين وبالمون بداية الفرار من يافا. وقد كانت معظم تحركات العرب خروجا من المدينة تعود إلى القتال (وما صاحبه من أعمال قنص وقصف بالقنابل)، والخوف من أعمال الحرب التي صبغت الحياة في المناطق الحدودية. ولم يُكره إلا عدد قليل من العائلات المسيحية (عبر تهديدات وأوامر الإرغون) التي كانت تعيش داخل أو في أطراف المناطق اليهودية في جبل الكرمل على ترك منازلهم في منتصف الشهر (193). وبحلول الثالث والعشرين من ديسمبر، نقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن «الوضع الاقتصادي في يافا سيئ، وأن ما بين 15 و20 ألف عربي، خاصة من حوران [في سورية] ومصر، فضلا عن الأغنياء، قد غادروا المدينة. أغلقت العديد من المحال والمؤسسات التجارية ... وطلبت اللجنة العربية العليا من اللجنة الوطنية في حيفا التوقف عن القتال... يعيش المسيحيون في يافا في خوف من المسلمين...»(194).

أسست اللجنة الوطنية في يافا في أوائل شهر ديسمبر (الثاني أو الثالث من الشهر) وضمت 14 عضوا برئاسة المسلم رشيد الحاج إبراهيم، والذي استمر في موقعه حتى توقف اللجنة عن العمل وزوالها في أواخر شهر إبريل 1948، وقد كشف خطاب سبق أن وجهه رشيد حاج إبراهيم إلى الحسيني، خلال شهر مايو كشف خطاب عن عدائه الشديد للصهيونية، بل وحتى معاداته للسامية؛ حيث كتب:

أضحي يهود أوروبا رموزا «للانحطاط والغش». ويواجه «العالم العربي التدمير [لأن]... اليهود يريدون الاستيلاء على مصر لأن موسى قدم منها»...، ولبنان وسورية «لأنهم بنوا المعبد من أشجار الأرز، ويريدون العراق لأن جدهم إبراهيم جاء من هناك، كذلك فإنهم يشعرون بأن لديهم الحق في الحجاز لأن إسماعيل جاء منها، ويطالبون بشرق الأردن لأنها كانت جزءا من فلسطين ومملكة سليمان». وتنبأ، بدقة إلى حد ما، بأنه إذا ما قامت دولة يهودية في فلسطين فإنها ستؤسس قوة بحرية وجوية ضخمة، وتُنتج أسلحة نووية تُرهب بها العالم العربي(195). وعلى الرغم من ذلك، فقد جسد إبراهيم، منذ بداية القتال في شهر ديسمبر 1947، الاعتدال وعمل من دون كلل بهدف التوصل إلى وقف إطلاق نار في حيفا.

شن عملاء الحسيني والقوات غير النظامية هجمات متقطعة على اليهود، بدءا من السابع من ديسمبر 1947، من خلال عمل كمائن لحركة السير عبر وادي رشميا، ومنذ ذلك الحين حدثت عمليات تبادل لإطلاق النار بشكل شبه يومي على طول خط التماس بين الطرفين كان العرب هم الطرف البادئ بها في أغلب الأحيان. ومنذ الحادي عشر من الشهر ذاته بدأ الإرغون في إلقاء القنابل على أماكن التجمعات العربية والحافلات. ووقع أول رد انتقامي من قبل الهاغاناه ضد قرية بلد الشيخ، شرق حيفا، في الثاني عشر من الشهر، مما أسفر عن سقوط ستة قتلى عرب؛ وتبعته أعمال أخرى ضد الطيرة والحواسة، وبحلول نهاية الشهر، كان أغلب سكان الحليصة قد تم إجلاؤهم وبقي عدد ضئيل للغاية من الرجال لحراسة الجوار، وانطبق الوضع نفسه على وادي رشميا، الذي تم إخلاؤه بشكل كامل تقريبا. وقد انتقل غالبية السكان إلى أطراف مدينة حيفا الرئيسة التي يقطنها العرب (وادي النسناس، ووادي طليب) في حين قررت بعض العائلات مغادرة البلاد. وأُعلن أن القنصليتين اللبنانية والسورية في يافا قد أصدرتا ثمانية آلاف تأشيرة دخول خلال شهر ديسمبر، وأن «العديد من الآلاف غادروا [بلادهم] من دون تأشيرات أو جوازات سفر» (1960).

رجعت عمليات الهروب في بعض جوانبها إلى التدهور السريع في الوضع الاقتصادي، حيث قفز سعر كيس الطحين خلال شهر ديسمبر من 1.750 إلى 6.500 جنيه إسترليني، «بل وكان من الصعب الحصول عليه حتى بهذا السعر. وأغلقت معظم المحال أبوابها طوال اليوم، وكذلك سوق الخضراوات، وتوقفت وسائل النقل

العامة عن العمل بشكل كامل تقريبا» (197). لقي 105 من العرب حتفهم خلال العنف الذي شهده هذا الشهر في حين أُصيب 248 بإصابات خطيرة.

عملت اللجنة الوطنية المحلية منذ البداية على التصدي لعملية الهجرة الجماعية وسعت إلى إيقافها. ففي السادس من ديسمبر منع إبراهيم أعضاء اللجنة مغادرة المدينة من دون تصريح مسبق (198)، وأصدر في الرابع عشر من الشهر ذاته تحذيرا من الهجرة الجماعية (199). وقد سبقت ذلك بخمسة أيام مناشدة اللجنة الوطنية للجنة العربية إصدار توجيهات للفلسطينيين بعسدم المغادرة من دون تصريح من اللجان الوطنية التي تتبع لها (200).

دفع هذا الموقف اللجنة الوطنية، ممثلةً في السيد أحمد بيه خليل (أحد كبار القضاة)، وعمر طه، إلى السعي وراء توقيع اتفاق لوقف إطلاق النار مع الهاغاناه في الثامن والعشرين من ديسمبر 1947 (2011)، ولكن الاتفاق لم يدم إلا ساعات قليلة. ففي صباح 30 ديسمبر ألقى عنصر مسلح من الإرغون قنابل على تجمع للعرب حول بوابة مصفاة تكرير البترول في حيفا، مما أسفر عن مقتل ستة أشخاص وإصابة ما يقرب من خمسين آخرين. وعلى الفور بادر حشد من العمال العرب، يدعمهم الناجون من الانفجار، بمهاجمة زملائهم من العاملين اليهود بالهراوات والحجارة والسكاكين، مما أدى إلى مقتل 39 يهوديا وإصابة 11 بإصابات خطيرة خلال هذه المذبحة التي استمرت ساعة (202).

شنت الهاغاناه عملية ثأرية قوية ليلة الحادي والثلاثين من ديسمبر 1947 - الأول من يناير 1948 من خلال الإغارة على قريتي بلد الشيخ والحواسة اللتين كان يعيش فيهما العديد من عمال محطة التكرير. وتضمنت التعليمات الصادرة للوحدات المشاركة في العملية «قتل أقصى عدد ممكن من البالغين من الذكور» (203). وبالفعل دخلت الوحدات إلى وسط القرية مطلقة النيران على المنازل، ومدمرة إياها بعد اقتياد الذكور خارجها، وإطلاق النار عليهم. ووفقا لمصادر الهاغاناه، «اضطرت الوحدات الغازية إلى عدم الالتزام بالتوجه الذي تم الاتفاق عليه... وعمدت في حالات قليلة إلى إلحاق الأذى بالنساء والأطفال»، بعد أن تم إطلاق النار عليهم من داخل المنازل. وفي حين قُتل عنصران وأصيب آخرون من عناصر الهاغاناه، فإن من داخل المنازل. وفي حين قُتل عنصران وأصيب آخرون من عناصر الهاغاناه، فإن التقارير الصادرة عن الأخيرة تباينت في تقدير الخسائر العربية لتشير إلى «مقتل

70 عربيا» (204)، أو مقتل 21 (بينهم امرأتان وخمسة أطفال) وإصابة 41 (205). وقد حدت تلك الغارات عديدا من العائلات على الفرار من كلتا القريتين إلى نابلس، وعكا (206).

انتقدت لجنة دفاع اليشوف هذه الغارات؛ حيث ذهب ريفتن إلى القول إن العديد من عمال مصفاة التكرير لم يشاركوا في المذبحة، وإن عددا قليلا منهم قام بحماية اليهود، أما الغارات على بلد الشيخ والحواسة فقد نُفذت من دون أي تمييز، «ولا تتوافر أي معلومات حول من أصيبوا». وفضلا عن ذلك فإن الحادث قد وقع كنتيجة لهجوم بالقنابل دبره الإرغون. وفي المقابل رد بن غوريون على ذلك بالقول إنه: «كان من المستحيل التمييز، فإننا في حرب، وخلال الحروب لا يمكن للمرء أن يميز بشكل فردي، فإذا كان من الممكن التمييز بين القرى فإن ذلك لا يمكن القيام به فيما يتصل بالأفراد» (207).

غداة هذه السلسلة من العنف، سعت اللجنة الوطنية إلى إعادة العمل بوقف إطلاق النار. حيث توقف أغلب العلمال اليهود والعرب عن الذهاب إلى العمل في مناطق العمل المختلطة بما في ذلك البلدية. وبناء على مبادرة من العرب شكلت «لجنة أمن» (تضم ثلاثة ممثلين عن كل طرف) في المكاتب الحكومية ومرافق البلدية والمحاكم. كذلك فإنه خلال لقاء عُقد في الثاني من شهر يناير مع ممثلين عن الهاغاناه، ذكر أعيان عرب، ومن بينهم أحمد بيه خليل، أنهم أصدروا أوامر لتجنب وقوع أحداث جديدة على غرار ما حدث في مصفاة التكرير. كما أعلن رشيد الحاج إبراهيم أن «العرب معنيون بالهدوء في حيفا...» (208). كانت اللجنة الوطنية راغبة في التوصل إلى «هدنة طويلة الأمد» (209). غير أن الناشطين العرب والسياسيين الموالين للحسيني (من قبيل غر الخطيب، وحسن شيبالك، وكلاهما عضو في اللجنة الوطنية لحيفًا) استمروا في تأجيج العنف (210). وكان نصب الأكمنة وتبادل إطلاق النار من المشاهد المتكررة يوميا. وفي أعقاب الهجوم بالقنابل على حافلة ركاب (أسفر عن إصابة أربعة أشخاص)، أقدمت الهاغاناه على تدمير منزلين ومرآب للسيارات، وأطلقت قذائف الهاون ونيران القناصة في المناطق العربية المجاورة، الأمر الذي أسفر عن مقتل العشرات، من بينهم نساء وأطفال، فضلا عن مصرع قائد المليشيا محمد حجاوي، ونائب رئيس البنك الأهلى محمد كنفاني (211). وتوقفت وسائل النقل

العام العربية عن العمل، في الوقت الذي ساد فيه نقص المواد التموينية، واستمر الهروب من المدينة (212). وتوقفت الأعمال التجارية، وأقدم أصحاب المحال على بيع ما لديهم من مخرون لليهود بتخفيض قيمته 25 في المائة من الثمن حتى يتمكنوا من الإغلاق بشكل سريع (213).

على الرغم من إقدام البريطانيين - الذين مثلت حيفا بالنسبة إليهم نقطة محورية لتنفيذ خططهم للانسحاب - على تكثيف دورياتهم مما أدى إلى تهدئة الأوضاع، كان من شأن العمليات الانتقامية التي شنها اليهود النيل من معنويات العرب الذين شعروا بمرارة إثر اكتشافهم «الميزة الطبوغرافية التي تمتع بها اليهود (من خلال وجودهم في أعالي جبل الكرمل)، وتفوقهم في مجال التنظيم والسلاح والمعدات» (214). ووفقا لنمر الخطيب: «شعر عامة العرب في حيفا بضعف موقف المدينة، وبدأ عدد من المقيمين في الرحيل من المدينة، مما كان له وقع شديد على عزيمة أولئك الذين قرروا البقاء» (215).

في الثامن عشر من يناير عاد رشيد الحاج إبراهيم من زيارة إلى دمشق تم خلالها إقرار موقفه المبدئي المؤيد للتوصل إلى هدنة. فقد أخبر أعضاء اللجنة الوطنية أن طه الهاشمي (المفتش العام لجيش الإنقاذ) أيد موقفه في «الامتناع عن القيام بأي أعمال»، أخذا في الاعتبار التفوق الذي تتمتع به الهاغاناه في المنطقة. كما أوضح أنه خلال لقاء إبراهيم مع كل من الهاشمي ووزير دفاع سورية ورئيسها وافق الجميع على «المسار الذي حددناه للعمل...، وركز الهاشمي على أنه يلزم التجنب التام للمواجهات في حيفا، وأن على العرب التصرف فقط بطريقة دفاعية». وفي المقابل فشل إبراهيم في الحصول على موافقة مماثلة من المفتي على وقف إطلاق النار، وهو ما دفعه إلى اقتراح إرسال وفد إلى القاهرة لمحاولة استمالة المفتي (216). وقد هيمنت على اجتماع اللجنة الوطنية محادثات حول المعاناة العربية والهجرة (217). وعبرت اللجنة عن «اقتناعها بأن حيفا تحتاج إلى الهدوء، أو على الأقل ألا تكون في قمة جهود الحرب العربية، وأنه من المصلحة المحافظة على السلام في حيفا لأطول فترة ممكنة» (218).

في تلك الأثناء تجددت الاتصالات بين خليل، وبرفقته عمر طه، مع ممثلي الجماعة اليهودية ياكوف سولومون ونفتالي ليفشيتز. وفي حين طلب سولومون

الإعلان عن التوصل إلى اتفاقية واضحة، ذكر خليل أن اللجنة قررت إرسال وفد بقيادة رئيس أسقف الكنيسة اليونانية الكاثوليكية جورج حكيم للحديث إلى المفتي والتهديد بالاستقالة إذا ما استمر رجال المفتي في تحدي إرادة اللجنة ومواصلة الهجمات (219). وفي تلك الأثناء بدأت هدنة فعلية على أرض الواقع.

توجه حكيم بصحبة كل من الشيخ عبدالرحمن مراد (زعيم الإخوان المسلمين في حيفا) ويوسف صهيون (أحد مناصري الحسيني) إلى القاهرة في العشرين من يناير؛ وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه، طلب رشيد (الحاج إبراهيم) أن يشرح الوفد للمفتي حقيقة أن العديد من قادة المدينة يرغبون في الرحيل إن لم تصدر أوامر صريحة بوقف أعمال العنف في المدينة، وأنه في حال عدم قبول الأسباب والحجج التي يقدمونها فإنهم سيغادرون البلاد، وهذا ما سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفريغ حيفا العربية من سكانها القدامي (220).

اتسم رد فعل الحسيني على تلك المناشدة بعدم الوضوح، وعلى الأرجح كان هـذا الغموض متعمدا. ووفقا لأحد مرشدي الهاغاناه، أوضح المفتي أن المشكلة كانت وطنية وليست محلية، وأنهى الاجتماع باقتراح أن الكفاح العربي ضد اليهود والبريطانيين «يمكن أن ينتهي بتدمير نصف العرب في فلسطين». تمثل مضمون ذلك في أنه يعارض وقف إطلاق النار، وأنه كان مشبعا بمشاعر «تنم على تأييده المطلق للحرب ضد اليهود إلى نهايتها القصوى مهما كانت مريرة أو مهلكة، وقد تركز تفكيره بشكل كامل على كيفية استثمار الشعوب العربية للوصول إلى هذه النتيجة...، فبالنسبة إليه ليس هناك مكان لمفاوضات»(221). وقد تمثلت نصيحته العملية الوحيدة للوفد في «إبعاد النساء والأطفال عن مناطق الخطر للتقليل من عدد الضحايا»(222).

تماشت هذه النصيحة مع الخط العام الذي تبنته اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي اجتمعت في صوفر بلبنان في شهر سبتمبر 1947 للإعداد للقتال المتوقع اندلاعه في فلسطين. تبنت اللجنة بالإجماع قرارات علنية ناشدت البلاد العربية «فتح الأبواب لاستيعاب ورعاية الرضع والنساء والشيوخ من عرب فلسطين وي حال وقوع أحداث في فلسطين تتطلب ذلك» (223). واستند هذا الموقف إلى سببين رئيسين: محاولة تجنب وقوع قتلى ومصابين في صفوف العرب غير المحاربين؛

وتجنب الاعتداء على النساء، وهي رغبة عميقة الجذور في الأعراف والتقاليد العربية (224)، فضلا عن تخليص الذكور البالغين من عبء المعالين الذين يؤدي وجودهم في مناطق القتال إلى إضعافهم في ميدان المعركة. وكما اتضح في النهاية أدت تلك الإرشادات التي تم تبنيها خلال الأشهر الأولى من الحرب (على الرغم من أنه لم يتم العمل بها إجمالا خاصة في المدن) من قبل اللجنة العربية العليا واللجان الوطنية المختلفة وزعماء القرى إلى المساعدة في إطلاق عنان الهجرة الجماعية من فلسطين. وكما سنرى لاحقا، فإنه خلال الحرب الأهلية، وأيضا في بعض المناطق خلال الحسرب التقليدية التي أعقبتها، قامت العشرات من القرى، سواء بتوجيهات من اللجنة العربية العليا، أو اللجان الوطنية، أو حتى من تلقاء نفسها، بترحيل النساء والأطفال والشيوخ. وأهمية عمليات الإجلاء، التي حظيت بتأييد وشرعية بناءً على موافقة الدول العربية والمؤسسات التي كانت تتولى حكم الفلسطينين، لا تحتاج الى المبالغة فيها. فمن خلال تقديم نموذج للسلوك يؤكد على تأمين بقاء الذات، كان لإجلاء المعالين تأثيرٌ محبط على الرجال الذين بقوا في الخلف للقتال أو حماية القرى والمدن، وأدى في الوقت نفسه إلى تأكل دوافعهم للبقاء والقتال، ففي النهاية لم يعد هؤلاء يحمون عائلاتهم.

خلال الاجتماع المشار إليه بادر الحسيني بتسليم الوفد خطابا يتضمن تعليمات للجنة الوطنية «لمعارضة الهجرة الجماعية للعائلات من حيفا، ولتجنب الذعر والارتباك، ولإصدار نداء لأولئك الذين غادروا يطالبهم بالعودة»(225)، كذلك وافق المفتي - على الأقل - على هدنة مؤقتة، لأن «العرب كانوا في حاجة إلى إمدادات... وأساسا لأن البريطانيين مازالوا في حيفا والعرب لا يريدون الصدام معهم»(226). وعلى الأرجح فإن الحسيني تعمد التضارب في رسالته؛ حيث قال الشيء ونقيضه، أو ذكر أشياء مختلفة لكل من حكيم ومراد.

عقب عودة الوفد إلى حيفا في السادس والعشرين من يناير، تجنب حكيم الاتصال مع اليهود أياما، كما أن اللجنة الوطنية لم تتمكن من الاتفاق على خط واضح، سواء كان مؤيدا أو معارضا للهدنة، الأمر الذي عكس من الناحية العملية التضارب الذي تضمنه موقف الحسيني. ومن جانبه، أخبر مراد صحافيين أن الوفد قد سافر فقط لطلب عتاد ورجال؛ وأنه «لم تكن هناك مفاوضات، ولن تكون هناك

مفاوضات، تسعى إلى تحويل حيفا إلى مدينة غير محاربة، وأن «اللجنة الوطنية لحيفا ليست سوى فرع للجنة العربية العليا»، وهو ما عنى بشكل ضمني أن المفتي سيهيمن على قرار اللجنة، وأنه يريد للعنف أن يستمر (227).

وقد استخلص كل من سولومون وليفشيتز، اللذين اجتمعا في نهاية المطاف مع أعيان المدينة، من أرازي المعلومات، حيث عبر عن اعتقاده أن الهدنة الواقعية لن تستمر طويلا، وأن معنويات العرب قد ارتفعت في أعقاب دخول وحدات من جيش التحرير العربي إلى فلسطين. فضلا عن أن اللجنة الوطنية ستقوم بالحفاظ على حالة الهدنة فقط حتى تصبح المليشيات العربية أقوى، أو لحين الانسحاب البريطاني، ولكن ليس بعد ذلك (228). كما أن الجماعات المسلحة ستستمر في عملها من دون تفويض من اللجنة الوطنية. أما فيما يتصل بمسيحيي حيفا فإنهم كانوا مثبطي العزيمة. ونتيجة لعدم توصل اللجنة الوطنية إلى قرار بإنهاء العنف، «بدأ المسيحيون الأغنياء الإعداد للرحيل من حيفا، وكان في مقدمتهم التاجر أمين صهيون المسيحيون الأغنياء الإعداد للرحيل من حيفا، وكان في مقدمتهم التاجر أمين صهيون الخي نقل عائلته وحمل أثاث منزله في شاحنتين كبيرتين إلى لبنان. وفي اليوم ذاته أفصح العديد من المسيحيين عن نيتهم عدم البقاء في المدينة مادامت عصابات الشيخ نمر الخطيب مستمرة في حكمها» (229).

خلال شهر يناير وبداية شهر فبراير ساءت الأحوال الاقتصادية لمدينة حيفا بشكل كبير:

بقي المئات من العاطلين عن العمل في المنازل نتيجة إغلاق مصفاة التكرير، وأيضا خوفا من الذهاب إلى العمل في أماكن أخرى. زادت نفقات المعيشة وأصبح من الصعب الحصول على الدقيق أو الخبر. وترتب على الهجرة الجماعية من المناطق المجاورة للحدود إفراغ حي الحليصة وجزء من وادي صليب من السكان... أما فيما يتصل بالمسيحيين فإنهم يرفضون توظيف حراس من الخارج [خارج المدينة]... وبدأ الناس في مقايضة السلع مقابل الدقيق (230).

استمرت سوق الخضراوات مغلقة، أغلقت المحال الكبيرة أبوابها لمغادرة مالكيها المدينة، أما فيما يتصل بالمحلات الصغيرة ومحلات البقول فاقتصرت مدة عملها على ساعات محدودة في اليوم.

كانت شوارع يافا شاغرة تماما، ولم يكن هناك إلا تاجران مسيحيان يبيعان ما تبقى من بضائعهما تمهيدا للرحيل إلى لبنان. وانعدمت مواد البناء... وانخفضت فترة عمل مصنع قرمان [للتبغ] إلى ثماني ساعات في اليوم مقابل ست عشرة ساعة في الفترة التي سبقت اندلاع الاضطرابات (231).

ظلت القوات غير النظامية خارج نطاق السيطرة، وبادرت بشن هجمات على أهداف يهودية، الأمر الذي استتبعه أعمال انتقامية من قبل الهاغاناه - وهو ما ولّد مزيدا من عمليات الهروب - كما تزايدت التوترات بين المسيحيين والمسلمين نتيجة لغضب المسيحيين من مواقف الأعضاء المتشددين في اللجنة الوطنية من قبيل غر الخطيب، الذي نعتهم «بالخونة وسماسرة اليهود» (232). وهو الاتهام الذي لم يخلُ من جانب من الحقيقة، فكما أوضح يوسف سليم، أحد الأعيان المسيحيين في مطلع شهر مارس:

على اليهود أن يفكروا مليا قبل أن يدفعوا بالجماعة المسيحية في غمار الصراع بينهم والعالم الإسلامي... كما أن عليهم أن عيزوا بين ممتلكات المسيحيين وتلك الخاصة بالمسلمين [وألا يدمروا منازل المسيحيين]... فالجماعة المسيحية مازالت غير متعاونة مع العدوان المسلم...» (233).

بحلول شهر مارس انخفضت الروح المعنوية لدى المسيحيين بشكل رئيسي بسبب دخول القوات غير النظامية الأجنبية (المسلمة) للمناطق المجاورة لهم، وما استتبعه ذلك من هجمات شنتها الهاغاناه، مما أدى إلى «فرار كل عائلة قادرة على الرحيل إلى لبنان» (234). في حين بدأت بعض العائلات في إرسال أطفالها بعيدا، ووفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه فإنه مع بداية شهر فبراير أمرت اللجنة العربية العليا بإبعاد النساء والأطفال عن حيفا، مشيرة إلى أن ترتيبات تُجرى لنقلهم إلى لبنان وسورية (235). وأقرت اللجنة الوطنية ذلك في الثالث والعشرين من مارس، مناشدة اللجنة العليا الإسراع في عملية النقل (236). وفي الثامن والعشرين من الشهر نفسه كان قد تم إجلاء قرابة 150 طفلا «أغلبهم من المسيحيين» إلى دير في لبنان (237). وبليغ عدد المسجلين على قواثم الإجلاء، في منتصف شهر مارس، 2000 شخص، وترددت معلومات في الأيام التالية تفيد بأنه «بناء على تعليمات اللجنة العربية

العليا سيتم إجلاء النساء والأطفال والشيوخ من حيفا» (238). وبالفعل غادرت قافلة مكونة من 15 سيارة، من بينها سبع حافلات، حيفا في الخامس من أبريل في طريقها إلى بيروت وكان أغلب الأطفال على متنها، إن لم يكن كلهم، من المسيحيين (239)، وربا غادرت في الوقت ذاته قافلة ثانية، شملت 200 طفل أغلبهم من المسلمين، توجهت إلى دمشق (240). ومع ذلك فإنه يمكن القول إجمالا إنه تم إجلاء نسبة ضئيلة من أطفال حيفا قبل سقوطها أو التخلي شبه التام عنها بعد مرور ثلاثة أسابيع (241)؛ وقد ساهمت مجموعة من العوامل في ذلك، من بينها: الخلاف بين مسؤولي اللجنة العربية العليا في القدس والمفتي واللجنة الوطنية؛ الصعوبات التنظيمية؛ الافتقار إلى التمويل ونقص الكفاءة؛ التنافس المسلم - المسيحي؛ وتسرد الآباء والأمهات تجاه فراق أبنائهم (242). وفي الوقت الذي تضمنت فيه تعليمات الحسيني إجلاء غير المقاتلين فقط إلى مناطق داخل فلسطين وليس خارج البلاد، تجاهل حكيم واللجنة الوطنية في حيفا تلك التعليمات (263). وقد لعب كل من حكيم، ومريم خليل (شقيقة أحمد بيه خليل) وسحر ناصر (التي تزعمت منظمة تحت مسمى النساء العرب) دورا بارزا في هذا الخصوص.

شهد شهرا فبرأير ومارس اندلاعا متكررا للقتال وهجمات شبه يومية من قبل العرب على وسائل النقل، فضلا عن قيامهم بأعمال قنص (244)، الأمر الذي أعقبته أعمال انتقامية من قبل الهاغاناه أوقعت خسائر كبيرة في صفوف السكان، وأدت إلى انخفاض الروح المعنوية بينهم. وقد تميزت الهجمات اليهودية بكونها أكثر فعالية وفتكا (245). وبصفة خاصة تلك التي استخدم فيها مدافع الهاون. وعلى سبيل المثال، ذُكر أن قذيفة هاون اخترقت منزلا عربيا «وأسفرت عن مقتل قاطنيه بمن فيهم امسرأة وطفلان» (246). وفي بعض الأحيان بلغ الذعر حدا كبيرا كان يصعب معه على العرب الراغبين في الرحيل الحصول على شاحنات لاستثجارها، وقام البعض بدفع مبلغ 50 جنيها إسترلينيا لنقلهم إلى مدينة الناصرة (247). وأورد جهاز استخبارات مبلغ 50 جنيها إسترلينيا لنقلهم إلى مدينة الناصرة (247). وأورد جهاز استخبارات الهاغاناه أنه «بشكل يومي كان هناك العشرات من العائلات تغادر المدينة، وتخلو مئات المساكن من قاطنيها»، وذلك على الرغم من أن المساكن المهجورة كان يتم نهبها على الفور من قبل المليشيات والمدنيين (248). وقد أصدرت اللجنة الوطنية نهو متكرر - بيانات تندد بمن يقومون بأعمال السلب «والذين يستغلون وستخلون يستغلون ياعلى نحو متكرر - بيانات تندد بمن يقومون بأعمال السلب «والذين يستغلون ويقومون بأعمال السلب «والذين يوستغلون ويقومون بأعمال الستغلون ويقومون بأعمال الميور ويقومون بأعمال السلب ويومون بأعمال الميور ويقومون بأعمال السبور ويقومون بأعمال السلب ويومور ويقومون بأعمال السبور ويقومون بأعمال السبور ويومور ويومور ويقومون بأعمال السبور ويومور ويومور

الموقف لمصلحتهم» (249)، ولكن لم يفلح أي شيء، بما في ذلك التحذيرات التي أصدرها القائد البريطاني للمنطقة لإبراهيم والتي عبر فيها عن أنه:

يدين بشدة المستوى المتزايد لعملية إخلاء المنازل في حيفا من سكانها وتحويلها بعد ذلك إلى نقاط حصينة... موضحا أنه إذا ما توافر له الاقتناع في المستقبل بأن تلك المباني يتم استخدامها لإطلاق النار على قوات الأمن البريطانية، فإنه ينوي إصدار الأوامر بتدميرها (250).

على الرغم مما تقدم استمرت عملية هجر العرب لمنازلهم، ونهبها والاستيلاء عليها من قبل العناصر غير النظامية. وعلى سبيل المثال، نقلت استخبارات الهاغاناه أن السكان اليونانيين والأرمن في كريات إلياهو تلقوا أوامر من العرب» بالرحيل إلى المناطق المجاورة «مدة أسبوعين» (251).

مع تعاقب الأشهر تزايدت العمليات الانتقامية التي تشنها الهاغاناه، سواء من حيث الحجم أو فيما يتصل بالخسائر التي نجمت عنها. ففي نهاية شهر فبراير أدخل عناصر من البالماخ سيارة تحوي «300 كجم من المتفجرات» في مرآب عربي للسيارات اشـ تُبه في كونه ورشة لصناعة الأسلحة، وأسفرت العملية عن قتل وجرح العشرات(252). كذلك أغارت وحدة من الهاغاناه على وادي النسـناس في ليلة 4 - 5 مارس، مُحملة بأوامر تقضى «بقتل البالغين من الرجال»، كما اقتحمت العديد من المنازل ودمرت أثاثاتها باستخدام قنابل المولوتوف، وأصابت ثلاثين رجلا «قتل من بينهم 19 بشكل مؤكد» (253). أيضا أوقعت الهاغاناه - في كمين في السابع عشر من مارس - قافلة أسلحة تصطحبها عربات تابعة للجيش العربي، وقد أسفر ذلك عن مقتل العشرات من العرب (واثنين من البريطانيين العاملين معهم) من بينهم محمد بن حمد الحنيطي، القائد الأردني لمليشيا حيفا، قتل في الحادث نفسه اثنين من عناصر الهاغاناه وأصيب اثنان آخران (254)، وأعقب ذلك توجيه الهاغاناه ضربات قوية إلى مدينة حيفا ذاتها، مما أدى إلى تدهور كبير في معنويات العرب(255). ومجددا عادت طوابير الجماهير إلى الاصطفاف أمام كل من قنصليتي لبنان وسورية، ولكن جموع المنتظرين أخطروا بأن الدخول إلى هاتين الدولتين «ممنوع». كما رُفض منح تأشيرات حتى للأشخاص الذين قدموا وثائق طبية تثبت مرضهم (256).

أصدر الجنرال صفوت - الذي تولى مسؤولية القوات العربية في فلسطين بشكل غامض - أوامره لقائد منطقة حيف مهاجمة أهداف يهودية في الكرمل والمستوطنات اليهودية المحيطة بها، بهدف تخفيف الضغط على العرب في المناطق المجاورة (257). بدت الأوامر غير واقعية؛ حيث إن المليشيات العربية كانت بالكاد قادرة على الدفاع عن أنفسها، فما بالك بالقدرة على العمل الدفاعي بشكل متناغم. ومن جانبهم جدد الأعيان، بزعامة حكيم، مساعيهم للتوصل إلى هدنة، بيد أن قادة الهاغاناه (وكذلك بن غوريون) لم يأبهوا بذلك، معللين موقفهم بأن الهدنة لن يتم احترامها من قبل العناصر غير النظامية، وسيستثمرها العرب لتخزين السلاح. وفي كال الأحوال كانت حيفا مكانا تحظى فيه الهاغاناه باليد العليا، والتوصل إلى هدنة سيكون فقط لمصلحة العرب. وفي هذا الصدد دون بن غوريون، على عجَل، في مذكراته: «إن العرب لا يزالون يغادرون حيفا» - في إشارة إلى الرابطة بين معارضة الهاغاناه للهدنة، وفكرة أن الهدنة ربا تؤدي إلى وقف الهجرة الجماعية (258).

شهد النصف الثاني من شهر مارس والأول من شهر أبريل مزيدا من التدهور في الحالة الاقتصادية للعرب. أضحى الأطباء يطلبون «على الأقل 1.5 جنيه إسترليني مقابل كل زيارة منزلية» (ووود). (يلاحظ بشكل عام أنه مع بداية شهر أبريل ساد الشعور في أرجاء البلاد بوطأة هروب الأطباء، وقام كل من اتحاد الأطباء العرب واللجنة العربية العليا عطالبة الأطباء الذين فروا بالعودة مهددين أولئك الذين والبجنة العربية العليا على المنابة الأطباء الذين فروا بالعودة مهددين أولئك الذيق المن عتثلوا بعقاب لم يتم تحديده) (ووود). كذلك أضحت مواد من قبيل الدقيق والخبر أمرا نادرا. وصادرت اللجنة الوطنية الكثير من الدقيق، المخصص من قبل السلطات البريطانية، لتقديمه للمليشيات. ووفقا لتقارير الهاغاناه: «رفض العديد من التجار تقديم جزء من دقيقهم لهذا الغرض، موضحين أن الغرباء (القوات غير النظامية الأجنبية) يلزم أن يتلقوا موادهم الغذائية من الدول المجاورة». وفر بعض أصحاب المخابز إلى صفد، وصادرت اللجنة الوطنية مخابزهم. ومع ذلك استمرت عناصر المليشيات في الشكوى من «الجوع». وكانت القوات البريطانية تبيع السكر والقمح من مخازن الحكومة للعرب. وقد طالبت اللجنة الوطنية في جنين بتخفيض المخصصات التي تقدمها الحكومة البريطانية لعرب حيفا (الدقيق، البيض، السكر، الأرز) نظرا إلى أنه «لم يتبق فيها سوى غانية آلاف شخص». وهو ما دفع الحاج الأرز) نظرا إلى أنه «لم يتبق فيها سوى غانية آلاف شخص». وهو ما دفع الحاج الأرز) نظرا إلى أنه «لم يتبق فيها سوى غانية آلاف شخص». وهو ما دفع الحاج الأرز) نظرا إلى أنه «لم يتبق فيها سوى غانية آلاف شحص». وهو ما دفع الحاج

إبراهيم إلى تحري الأمر، والتأكيد على أن المدينة مازال يقطنها «35 – 40» ألف ساكن عربي، وأن أغلب البضائع الأخرى كانت متوافرة (261). ويذكر أن مصانع التبغ (قرمان، ديك وسلطي) (40) كانت قد نقلت معظم آلاتها إلى قبرص ومصر؛ وامتنع تجار مواد البناء عن فتح حوانيتهم؛ «حيث لم يكن هناك أحد يمكن البيع له». ووفقا لتقارير الهاغاناه، «انشغل الأغنياء (بما في ذلك كبار التجار) بتحويل أموالهم بالعملة الفلسطينية إلى ذهب أو دولارات لتحويلها إلى البلاد المجاورة (262). وتوقفت الهواتف عن العمل في المنطقة العربية نتيجة لقطع اليهود خطوطها (263). وفي ضوء ما سبق توصلت لجنة الدفاع الاقتصادي التابعة للهاجاناه إلى نتيجة مفادها أن حيفا أضحت أبرز المدن العربية في مجال المضاربة وعدم القدرة على التنظيم الجيد (في مجال توزيع الغذاء) (264).

ساهم النقص الغذائي، والإحساس بالضعف العسكري، والعزلة الناجمة عن وجـود المستوطنات على الطرق الرئيسية المؤدية إلى المدينة بشكل رئيسي في انخفاض الروح المعنوية، الأمر الذي كان بدوره من بين دوافع الهجرة الجماعية في صفوف الطبقات العليا والمتوسطة؛ وهو ما ساهم فيه أيضا تلاثي القانون والنظام، حيث قامت العناصر غير النظامية بنهب وترويع السكان المحلين، وتخويف من تم إرسالهم للدفاع عنهم وفقا لما أورده نمر الخطيب الذي انتقد كل من العناصر غير النظامية والبريطانيين الذين لم يتخذو أي إجراءات، وكذلك المدنيون الذين فروا مخلفين وراءهم منازل تشـجع عـلى نهبها (265). «قامت عصابات السلب والنهب بتنظيم صفوفها... وفي شهر مارس أصبحت موجات السلب والسرقة أمرا متكررا في حيفا العربية... ومن يوم إلى آخر تنامى الشـعور بأن عرب حيفا أضحوا على شـفا الانهيار، وعمـت مظاهر الفوضي والاضطـراب كل شيء». تزايدت خطورة الموقف خلال ذلك الشـهر نتيجة لعمليـة الفرار الجماعي لرجال الشرطـة العرب، حاملين معهم أسلحتهم وذخائرهم (265).

ارتبطـت الهجـرة الجماعية، من دون شـك، بالأعـمال الانتقامية التي شـنتها الهاغانـاه، والهجمات العربية وما أثارته من مخـاوف من الأعمال الثأرية اليهودية

<sup>(</sup>ه) أُسست شركة التبغ (قرمان، ديك، وسلطي) في حيف النعام 1929، ويطلق عليها الفلسطينيون «فبركة النخان». يعود اسمها إلى مالكيها: عائلة قرمان من تابلس، السلطي من صفد، والديك من حيفا [المحررة].

التالية، غير أنه بالنسبة إلى الشرائح الأكثر تعليما، خاصة العاملين بالأجهزة الحكومية والمهنيين، كانت هناك اعتبارات أخرى على المدى البعيد دفعتهم إلى الهجرة، فوفقا لإفرايم كريشر (أحد ناشطي حزب العمال - مابام - المدنيين) كان هناك خوف عام من «ارتباك كبير» في المستقبل، مثل السبب الرئيسي وراء هذه المرحلة المبكرة للهجرة الجماعية، مضيف بالتحديد أن العاملين العرب في البلدية ومؤسسات الانتداب انتابهم الخوف من أنه «داخل الدولة اليهودية لن يكون لديهم أي فرصة للترقية في وظائفهم، وأن الأولوية سـُتعطَى لليهود». وقد دعمت من هذا الشـعور حقيقة أن أغلب العرب العاملين في المصالح لا يتقنون الحديث بالعبرية بطلاقة (267). بادرت الإدارة العربية في حزب العهال (مابام) بتحليل الهروب من حيفا، مستندة بشكل جزئ على تقرير كريشر. وفي هذا الصدد لاحظت الإدارة أن العرب «أحسوا بمخاوف فيما يتصل بمستقبلهم»، سواء خلال المرحلة الانتقالية المتقلبة أو تحت الحكم اليهودي، كما تمت الإشارة إلى أنه من بين الذين هاجروا برز بشكل رئيسي «المسيحيون، والمهنيون، الموظفون الرسميون». ووفقا للإدارة، بحلول مطلع شهر مارس كانت العديد من الأحياء المسيحية خالية من سكانها بشكل «شبه تام»، في حين «كانت نسبة الهروب أقل في الأجزاء الشرقية من المدينة، حيث تركزت الطبقات الأكثر فقرا التي وقعت تحت تأثير المتطرفين». ووفقا لهذا التحليل كان المسيحيون قلقين بشكل أساسي حول الفترة الانتقالية، منذ النهاية الفعلية لحكومـة الانتداب والبداية الحقيقية لسلطة الحكومة اليهودية. فقد استشعروا أنهم سيكونون خلال تلك الفترة بين «المطرقة والسندان: عمليات الإرهاب العربية وردود الفعل اليهودية» (268).

على الرغم من انزعاج اللجنة الوطنية من الهجرة الجماعية، افتقرت جهودها إلى الحماسة لوقفها طوال شهر ديسمبر تقريبا. فمن بين الاثني عشر بيانا التي أصدرتها خلال تلك الفترة حث بيان واحد فقط العرب على البقاء. حيث حذرت اللجنة في الثاني عشر من ديسمبر من «عناصر الطابور الخامس» الذين ينشرون الروح الانهزامية عا يؤثر على الأفراد، ويدفعهم إلى «ترك ممتلكاتهم وديارهم التي أضحت فريسة سهلة للعدو الذي استولى عليها واحتلها...»، واختتمت اللجنة بيانها بالقول: «أبقوا في أماكنكم». وفي المقابل لم تصدر اللجنة في أي من بياناتها أوامر بالقول: «أبقوا في أماكنكم». وفي المقابل لم تصدر اللجنة في أي من بياناتها أوامر

صريحة بعدم الرحيل. وخلال الفترة من يناير إلى مارس عام 1948 فشلت اللجنة، بوجه عام، في إصدار أمر أو مناشدة للسكان بالبقاء في ديارهم أو في المدينة، في حين صدرت أوامر عديدة تحث العرب على «البقاء في مواقعهم»، في إشارة واضحة إلى عناصر المليشيات والموظفين (269).

وفقط في النصف الأول من شهر أبريل يمكننا أن نجد مناشدة بالعودة من قبل اللجنة الوطنية لأولئك الذين رحلوا. حيث نقلت استخبارات الهاغاناه في الأول من أبريل حنق من تبقوا من الأعيان على أعضاء مجلس المدينة الذين رحلوا، «وتخلوا عن المصالح العربية في مرحلة تُنقل فيها على وجه التحديد سلطات الحكومة إلى الجهات المحلية»، ويلاحظ أن عمدة المدينة اليهودي شبتاي ليفي، وليس الأعيان العرب، هو من أصدر نداء علنيا لأعضاء المجلس مطالبا إياهم بالعودة (270).

بعد مرور عدة أيام كتب الحاج إبراهيم رسائل إلى أعضاء اللجنة الوطنية الغائبين (جورج طويل في بيروت، أحمد كمال في عنبتا بالقرب من جنين، زكي بك التميمي في دمشق، يوسف صهيون في الإسكندرية) مطالبا بعودتهم (271)، ووفقا لإذاعة فلسطين طالبت اللجنة خلال الأسبوع الثاني من أبريل أصحاب المتاجر الذين فروا بالعودة وإعادة فتح حوانيتهم وإلا تعرضوا لعقوبة سحب تراخيصهم (272). غير أنه في ذلك الوقت كانت قضية عرب حيفا خاسرة، حيث غادر كثيرون، وأضحت المدينة على وشك الانهيار. وكلما زادت الأمور سوءا تعاظمت المحفزات على الهروب. وعلى سبيل المثال نقلت استخبارات الهاغاناه في الثاني عشر من أبريل أن التجار العرب الذين استمروا في البقاء قرروا سرا نقل أعمالهم ومخازنهم إلى يافا (أو مصر أو سورية أو لبنان)، خشية أن تنهبها العناصر غير النظامية. فضلا عن قيام اللجنة الوطنية بفرض ضرائب باهظة عليهم لتتمكن من تمويل المليشيات (273).

وقد يكون من السهل فهم الأسباب الكامنة وراء فشل اللجنة الوطنية في التصرف بحرم لوقف الهجرة الجماعية، فقد افتقرت إلى السلطات القانونية لتقييد الهجرة. والأهم من ذلك أن الهجرة التي سبقت شهر أبريل 1948 شملت بشكل كبير الطبقات الوسطى والعليا (وهي الشرائح التي تشكلت من بين صفوفها اللجنة ذاتها). ومن ثم تعلق الأمر أولا وأخيرا بهروب أقاربهم وأصدقائهم، فضلا عن أن أغلب أعضاء اللجنة أنفسهم كانوا قد فروا. وطبقا لاستخبارات الهاغاناه فإنه بحلول الثامن والعشرين

من شهر مارس رحل 11 من إجمالي 15 عضوا في اللجنة؛ وفشلت الجهود التي بذلها رئيسها إبراهيم لحثهم على العودة (274). بل غادر رشيد الحاج إبراهيم ذاته المدينة مطلع شهر أبريل عاقدا العزم على عدم العودة (275). لم يكن في مقدور من تبقوا الحط من قدر أو إدانة أو معاقبة الراغبين في الرحيل، على الرغم من الضرر الشديد الذي ألحقته الهجرة بالقضية العربية. بلغ الهروب الضخم لقادة المجتمع ذروته، وكانت له دلالات قوية خلال معركة حيفا في 21 إلى 22 إبريل 1948.

### غافا

خصص قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة مدينة يافا العربية، التي ضمت 75 ألف نسمة، لتكون تحت السيادة الفلسطينية. مما يعني أن تصبح أرضا عربية محصورة داخل الدولة اليهودية، تقع اتصالاتها الأرضية مع بقية أجزاء الدولة الفلسطينية تحت سيطرة اليهود، مما جعل السكان يشعرون بالعزلة والضعف. وكما كانت عليه الحال في حيفا، أدى اندلاع القتال إلى التعجيل بعملية الهجرة الجماعية التي كان السبب في اندلاعها قيام رجال المليشيات بعمليات قنص داخل مدينة تل أبيب المجاورة في الثلاثين من نوفمبر 1947. وفي اليوم التالي قام عشرات من العرب بمهاجمة منازل يهودية في حي المنشية، في المنطقة الشمالية المجاورة، فضلا عن إقدام مجموعة عربية في أبو كبير (في الجوار الغربي) على مهاجمة سيارة فضلا عن إقدام مجموعة عربية في أبو كبير (في الجوار الغربي) على مهاجمة اليهودية؛ يهودية وقتل ركابها الثلاثة. وقد أعقبت ذلك بداية الأعمال الانتقامية اليهودية؛ حيث دمر لواء كبرياتي (ش) التابع للهاغاناه منزلا في أبو كبير في الثاني من ديسمبر، كما أضرم عناصر من الإرغون النيران في أربعة منازل بعد مرور أربعة أيام، مما أسفر عن مقتل شخصين على الأقل (276).

وساد الشعور بين سكان يافا بأن الأسوأ ينتظرهم. انطلقت عملية إجلاء سكان المناطق الحدودية ليافا في بدايات شهر ديسمبر. وكما كانت عليه الحال في حيفا، تركزت البداية في الأطراف المتاخمة لوسط المدينة، وقد نقل أحد مرشدي البالماخ

<sup>(\*)</sup> شكله ديفيد بن غوريون العام 1948، وكان واحدا من أصل تسعة ألوية تكونت منها الهاغاناه، وتمثلت مسؤوليته الرئيسية في تأمين المنطقة المحيطة بتل أبيب، كما شارك في عديد من المعارك خلال الحرب العربية - الإسرائيلية العام 1948، وأدى دورا خلال حرب السويس أيضا. [المترجم].

في الأول من ديسمبر أن «عائلات تنقل أمتعتها وتغادر المنشية» (2777). وكشفت معلومات استطلاعية في الخامس من الشهر نفسه عن أن عملية الإجلاء من المنشية مستمرة، كذلك كانت هناك عمليات هروب مماثلة في الأطراف الجنوبية للمدينة، والمجاورة لمناطق بات يام وحولون اليهودية (278). كما رصدت مصادر استخبارات الهاغاناه في الثاني من ديسمبر «عربات تجرها أحصنة محملة بالأمتعة تُغادر أبو كبير متجهة إلى وسط يافا». وأسفرت عملية الهروب من المناطق الخارجية إلى الوسط بدورها عن نشر الرعب والنزوع إلى الفرار بين قاطني المناطق الداخلية (2779) وقد كان للسلوك اليهودي دور في ذلك؛ ففي الخامس من ديسمبر نقل مراقبون بريطانيون أخبارا حول ضرب شخص عربي حتى الموت «على يد حشد من اليهود» بالقرب من دار سينما المغربي، وإضرام النيان في محلات ومنازل مملوكة لعرب في منطقة سوق الكرمل (280)، وبالقرب أو داخل حي هاتيكفا (جنوبي تل أبيب) (281) وقد طاف رجال يرتـدون زي الإرغون مدينة بتاح تكفا المجاورة، وطالبوا بأن يقوم أصحاب الأعمال اليهود «بطرد عمالهم العرب» (282). ومن جانبهم ساهم البريطانيون وإن كان ذلـك بشكل محدود - في عمليـة الإبعاد من خلال تحذيرهم العرب وإن كان ذلـك بشكل محدود - في عمليـة الإبعاد من خلال تحذيرهم العرب القاطنين أو العاملين في تل أبيب بالمغادرة إلى يافا(282).

تعرض اليهود بدورهم في مناطق التماس الحدودية للإبعاد من جراء القتال. ففي منتصف يناير 1948 أصبح ما يقارب سبعة آلاف شخص من دون مأوى. وفسلت الجهود التي بذلتها السلطات لاقتناعهم بالعودة إلى ديارهم (284)، وفي التاسع من ديسمبر نقلت مصادر استخبارات الهاغاناه ما يلى:

كانـت الأوضاع الاقتصادية في يافا متردية. ارتفعت أسـعار الدقيق بشـكل كبـير، وكان اللاجنون العرب ينامون في شـوارع المدينة... وتغادر العائلات الثرية إلى مناطـق في داخل الدولـة في حين يهاجر الأغنياء إلى سـورية ولبنان أو حتى قبرص (285).

صادرت اللجنة الوطنية في يافا «42 فندقا وبيت دعارة» لإيواء اللاجئين (286). وبدأ عامة الناس الذين سبق أن هاجروا في وقت سابق إلى المدينة في التحرك على طريق العودة إلى قراهم (287). وبحلول نهاية شهر ديسمبر نقلت مصادر استخبارات

الهاغاناه أن ما يقرب من «60 في المائة» من مسيحيي يافا قد غادروا (288). وتردد أن بلدية المدينة كانت تحاول - من دون جدوى - إقناع أولئك الذين رحلوا والذين يعيشون في مخيمات في وسط المدينة بالعودة إلى ديارهم وممتلكاتهم، ولكن دون جدوى (289). وعلى الرغم مما نقلته استخبارات الهاغاناه في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر من أن «25 ألف شخص فروا من يافا» (290)، فإن إدارة الشؤون العربية خرجت في مطلع شهر فبراير لتقول إن التقديرات التي ذهبت إلى أنه «من بين 15 إلى 20 ألفا قد غادروا» يافا كانت مبالغا فيها (291).

في السابع من ديسمبر 1947 اتفق كل من يوسف هيكل (عمدة يافا) وإسرائيل روكاح (عمدة تل أبيب) على إصدار نداء لوقف إطلاق النار بما يسمح لسكان مناطق التماس لكل من الطرفين بالعودة إلى منازلهم (وعلى الرغم من ذلك يبدو أن تلك الدعوة المشتركة لم تصدر على الإطلاق)(292). ومن جانبه سعى غر الهواري قائد المليشيات الرئيسية في المدينة - الذي كان يتسم بالاعتدال - إلى منع اندلاع القتال، حيث أصدر أوامر لرجاله بإطلاق النيران فقط في حالة الهجوم عليهم، خاصة أنهـم كانوا يعانـون نقصا في الذخيرة، بيد أن نفوذ الهواري كان محدودا في أبو كبير والتي كانت خاضعة لسيطرة قائد آخر يُدعى أبو لبن(293). وفي واقع الأمر حددت أجهزة استخبارات «الهاغاناه» ثلاثة مراكز للقوى في يافا: الهواري، وهيكل، ومؤيدي الحسيني المحليين الذين كانوا منشغلين بتنظيم عمليات العنف في المناطق المجاورة. كما جابت المجموعات المسلحة الشوارع لترهيب السكان ودفعهم إلى المشاركة في الدفاع عن «القضية الوطنية» (294). وقد أفاد أحد المرشدين العرب لجهاز استخبارات الهاغاناه بأن «اللجنة العربية العليا لم تكن ترغب في أن تصل الاضطرابات المستوى الذي بلغته... وأنهم ارتكبوا خطأ بالدعوة إلى إضراب ثلاثة أيام من دون أن يأخذوا بعين الاعتبار طبيعة الرأي العام العربي». الكثيرون كانوا خارج مقار العمل، ولكن سماعهم عن أعمال القتل والحرق للمنازل في القدس أدى إلى توافر «مناخ موات لمثل هذه الأعمال في يافا أيضا». وسارعت الحشود إلى الشوارع مدفوعة بالرغبة في القتل في حين بقي كل من الهواري وهيكل من دون سلطة فعلية على الموقف(295). سقط كل من الهواري، الذي ربما كان عميلا لجهاز استخبارات الهاغاناه، وهيكل. فر الهواري من البلاد في نهاية شهر ديسمبر (296). ومن جانبها كانت الشخصيات المعتدلة وتلك المعارضة تخشى إقدام الحسيني على شن عمليات إرهابية على غرار ما شهدته الفترة 1937 - 1939 (297).

عارض أغلب الأعيان المحلين الممثلين من قبل اللجنة الوطنية في يافا العمليات القتالية ضد تل أبيب، نظرا إلى إدراكهم عدم قدرة المليشيات من جانب، وخشيتهم الأعمال الانتقامية اليهودية من جانب آخر. كما أنهم كانوا قلقين بشكل خاص على محصول البرتقال في البساتين المجاورة والذي يُصدَّر جزء كبير منه عبر يافا. وقد وصل بهم الأمر إلى حد تنظيم دوريات في المناطق المحيطة لمنع وقوع صدامات (298). وعلى الأرجح سافر هيكل، الذي كان محميا من موسى العلمي الفلسطيني المعتدل المخضرم، إلى القاهرة في مطلع ديسمبر 1947، للحصول على موافقة الحسيني والجامعة العربية على التوصل إلى وقف لإطلاق النار (299)، بيد أن النشطاء في المدينة كانوا مشغولين بإثارة المشاكل وتقويض سلطة اللجنة الوطنية (300).

كما كان عليه الوضع في حيفا، سعى الأعيان في جنوبي يافا في الأسبوع الثالث من القتال للتوصل إلى وقف لإطلاق النار مع مدينة بات يام المجاورة. وفي السادس عشر من ديسمبر عُقد لقاء لهذا الغرض طالب خلاله العرب بأن «يكف اليهود عن قطع المياه عنهم وتدمير منازلهم»، في حين طلب اليهود أن يتوقف العرب عن مهاجمة وسائل النقل الخاصة بهم. وقد انتهى اللقاء بتعهد العرب بأنهم «سيحرصون على ألا يتم إطلاق النار على أحد». في تلك الليلة «عاد التيار الكهربائي» لجباليا للمرة الأولى منذ فترة (301).

ومع ذلك فإن الحسيني الذي كان يعارض بشكل واضح أي هدنة محلية - على الرغم من إدراكه حقيقة أن المدينة ليست لديها فرصة للصمود على المدى البعيد - أراد أن تستمر يافا في شن هجامات على تل أبيب بأقص طاقتها من دون أن يتوافر لها سوى الحد الأدنى من الموارد الخارجية (302). وعلى الرغم من معاناة يافا من نقص في الدقيق والزيت (303)، بدا أن المدينة لم تواجه أزمات غذاء حادة خلال الأشهر الأربعة الأولى من الحرب الأهلية (304)، ومن بين الأسباب التي ساعدت على ذلك قرب القرى التابعة لها (مثل يازور والخيرية) والطرق التي تربطها بالمدينة؛ كذلك فإن الفرار السريع للسكان ترك لمن تبقوا فائضا من كوبونات التموين وكميات كبيرة من المنتجات. ولكن ارتفاع نسبة البطالة (وما صاحبها من الخوف

من السفر للعمل في مناطق معرضة للخطر) (305) كان يعني أن العديد من السكان افتقروا إلى القدرة المالية لشراء المنتجات المتاحة، فضلا عن أنه كان سببا لشيوع الخوف في صفوف الطبقة المتوسطة من «السرقة والنهب» (306) (وقد سُجلت زيادة في معدلاتهما بالفعل). وبحلول شهر مارس لم يكن هناك سوى الميناء مكانا للعمل لايزال قالما) (307). كما شهدت المدينة خلال شهر أبريل نقصا حادا في البترول، الذي تم بيعه في السوق السوداء واصطفت الطوابير الطويلة أمام محطات البنزين (308). كذلك كان هناك نقص كبير في عدد الأطباء والأدوية، في الوقت الذي توقفت فيه خطوط الهاتف عن العمل خارج يافا، وانهارت الخدمات البريدية تماما (309). ومنذ نهاية يناير عجت المستشفيات بالجرحى الذين «أُرسل بعضهم إلى منازلهم» لعدم القدرة على استيعابهم. ولم تتوافر أموال لدفع رواتب الأطباء (310).

وفضلا عن كل ذلك لم تتوافر الإرادة للقتال، وكان من بين أسباب ذلك شكوك الذكور من العرب في إمكان دفع تعويضات أو دعم لأراملهم وأيتامهم (311). وقد دفع كل ذلك العامة إلى تفضيل الفرار.

لم يكن لدى اللاجئين أي أوهام. وكانوا يرفضون أن يعرضوا أنفسهم للخطر بالبقاء في أو العودة إلى المناطق اليهودية، وكان هروبهم تلقائيا وليس منظما. ولم يكن هناك... طائل من محاولة منع الهجرة الجماعية، وكان الناس يهربون إلى نابلس والناصرة وحتى إلى مصر (312).

أدت الإعلانات التي نشرتها الهاغاناه، والتي توعدت بالثار وإنزال العقاب، إلى إضعاف الروح المعنوية بين السكان (313). كما ساد «شعور عام» بأن الحسيني أراد «التضحية بيافا حتى يستثير العالم العربي ضد اليهود والتقسيم» (314). وفشلت الجهود التي بذلتها اللجنة الوطنية ووحدات المليشيات - والتي وصلت إلى حد فرض الغرامات ومصادرة الممتلكات - في الحد من تضخم صفوف اللاجئين (315).

كان تدمير الإرغون سرايا المدينة (التي شملت المركز الرئيسي للمليشيات) في الرابع من يناير 1948 - باستخدام سيارة مملوءة بالديناميت - حدثا رئيسيا أسهم بشكل كبير في إضعاف الروح المعنوية، حيث خلفت العملية وراءها العشرات من القتلى(316)، وتعطلت خدمات البلدية. فرت العائلات من الطبقتين الوسطي والعليا

في حين أغلق رجال الأعمال متاجرهم وعمت البطالة (317). وفي هذا الخصوص أوردت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه:

أضحت أسواق المدينة الرئيسية - التي كانت مزدحمة في الماضي - مهجورة، وخلـت المقاهي مـن روادها، وأغلقت دور السـينها أبوابها، وأقيمت حواجز وأسـلاك شـائكة على الطرق في وسـط المدينة وعلى الحدود. أضحى سكان يافا يعيشـون في حالة مـن الخوف من القنابل اليهودية والهجـمات المتبادلة بينهم وبين العـرب. غادر العديد من سـكان المناطق المحيطة منازلهم، ويقدر عدد الذين غادروا المنشـية فقط بثلاثة آلاف عائلة، توجه أغلبهم إلى المدينة القديمة، أو إلى المناطق المجاورة في النزهة والعجمي، وأضحت المنازل التي اسـتولى عليها الأفـراد بالقوة مكتظة؛ حيث أقام في كل حجرة عشرة أشـخاص أو أكثر، في حين غادرت عائلات كثيرة إلى سورية، لبنان، قبرص، ومصر (318).

تعطلت حركة القطارات من وإلى يافا (319). وترتب على توقف الرحلات اليومية إلى مقار العمل تفاقم البطالة في صفوف العمال، في وقت سادت فيه القيادات المحلية حالة من الكآبة، ولم تكن لديهم ثقة بقدرات فرق المتطوعين الأجانب. وتعالت الأصوات التي عبرت عن الرغبة في استيلاء الملك عبدالله على فلسطين، في حين سعى الحسيني إلى إسكات أصوات المعارضة (320). وقد نقل القنصل اللبناني في القدس قول همكل:

بلغ الوضع في يافا أسوأ حالاته... وأوشك العرب على رفع الرايات البيضاء للاستسلام... نتيجةً لنقص الذخائر، ووصل الشعور العام [الروح المعنوية] إلى مرحلة الانهيار التام في أعقساب الانفجار الكبير (تفجير السرايا)... وفي مقدور اليهود - إذا ما رغبوا في ذلك - الاستيلاء على المدينة بأكملها من دون صعوبات كثيرة. أما الوضع الاقتصادي فإنه سيئ إلى حد لا يمكن وصفه (321).

# كذلك أبلغ أحد المرشدين العرب ساسون بما يلي:

«لا يوجد عمل في المدينة، وكل من كان في مقدوره الرحيل غادر بالفعل، ويسود الخوف في كل مكان، حيث لا يوجد أمن أو أمان. وأضحت السرقة والنهب شيئا معتادا، كما فقدت اللجنة الوطنية سلطتها ومن المتوقع أن تستقيل...(322).

برزت الروح الانهزامية لدى العرب خلال الاتصالات الهاتفية الصادرة من يافا والتي أقدم على اعتراضها وتسجيلها جهاز استخبارات الإرغون، فقد قص سعيد زين الدين (أحد محامي يافا)، على صديق (أو قريب) له في خان يونس التطورات التي أعقبت تدمير السرايا، حيث جُرح اثنان من أقاربه، ولحقت أضرار بالشارع بأكمله. وفي هذا الخصوص سأل الطرف المقيم في خان يونس: «لماذا لا تأتي إلى هنا؟»، وكان رد زين الدين: «سنأتي قريبا».

بعد مرور يومين على ذلك سُرجلت محادثة هاتفية بين كل من عبداللطيف قدومي، وهو ضابط من فرقة النابلسي غير النظامية في يافا، وأبو أحمد في نابلس دارت على النحو التالي:

عبداللطيف قدومي: «أين أبو فياض قدومي؟» أبو أحمد: «لقد ذهب إلى الناصرة».

عبداللطيف قدومي: «أعتقد أن سأعود قريبا إلى نابلس».

أبو أحمد: «إذا ما كان رجالكم في يافا لا يعلمون كيف يتصرفون ويسمحون لليهود بفعل ما يرغبون فيه اتركهم وعُد إلينا».

عبداللطيف قدومي: «حقا إنهم لا يعرفون كيف يتصرفون هنا... سأغادر وأتركهم يفعلون ما بريدون وسأعود إلى نابلس».

وحقيقة الأمر، عكست المحادثات الهاتفية المسجلة على امتدادها خوفا شديدا من اليهود وشعورا بأن الفرار، وما سيتتبعه من فوضي إدارية، أضحى أمرا وشيكا<sup>(323)</sup>. خلال الأشهر الأولى للحرب برز عدد من المليشيات كان بعضها يدين بالولاء للجنة العربية العليا والحسيني، في حين انحاز البعيض الآخر إلى هيكل وغيره من رموز المعارضة. كذلك كانت هناك العديد من المجموعات من العناصر الأجنبية غير النظامية، انتمى بعضها إلى جيش الإنقاذ (وصلت فرقة عراقية في مطلع شهر فبراير) والبعض الآخر كان مستقلا عنه (فيسما يتصل بالمجموعات غير النظامية فإنها جاءت إلى المدينة ثم رحلت، فعلى سبيل المثال، في مارس انسحبت بشكل مفاجئ مجموعة مكونة من 75 - 150 متطوعا سوريا من المدينة (في أعقاب سجن قائدها بتهمية سرقية مؤن من أحد المضازن) وتوجهت إلى طولكرم؛ كذليك رحلت كتيبة عراقية بقيادة عبدالجابر، وتمركزت في معسكر مهجور للجيش البريطاني في وادي عراقية بقيادة عبدالجابر، وتمركزت في معسكر مهجور للجيش البريطاني في وادي

سرار (325). وعلى الرغم من الجهود التي بذلها حسن سلامة لتوحيد المليشيات فإن التوفيق لم يحالفه (326). كذلك سعى مبعوثون من يافا إلى تعبئة مزيد من القوات في منطقتي الخليل ونابلس، الأمر الذي لاقى قبولا محدودا على الرغم من العرض المادي المجزي للمتطوعين (40 جنيها إسترلينيا شهريا). وقد تمخضت إحدى حملات التعبئة في الخليل عن ضم «35 من المعوزين» (327).

سعى كبار أعيان يافا خلال شهر يناير، وربما أيضا بداية شهر فبراير، إلى التوصل إلى هدنة، غير أن الهاغاناه كانت غير راغبة في ذلك. فكما كانت عليه الحال في حيفا. كان لدى الهاغاناه اليد العليا ولم تكن لديها النية في ترك يافا تعيش في سلام مادام لا يسمح العرب في أماكن أخرى (وبشكل رئيس في القدس) لليهود بالعيش في سلام. وفضلا عن ذلك اعتقد القادة العسكريون، على حق، أن التوصل إلى هدنة مع القادة المدنين في يافا لن يؤدي حتما إلى وقف العلميات التي تقوم بها العناصر غير النظامية (328).

كانت الانقسامات التي سادت منذ البداية بين عرب يافا سببا في إخفاق جميع الجهود لصنع السلام. ففي شهر فبراير كتب بن غوريون إلى شيرتوك مشيرا إلى مساعي هيكل، عبر وساطة بريطانية، إلى التوصل إلى اتفاق مع تل أبيب، بيد أن قائد العناصر غير النظامية الجديد عبدالوهاب على شيهاني عارضه. وحينما أوضح عمدة المدينة أنه «من دون التوصل إلى اتفاق سُتدمر يافا بشكل كامل، كان رد شيهاني - وفقا لما أورده بن غوريون - كما يلي: «لا يعنيني تدمير يافا إذا ما تمكنا من تدمير تل أبيب» (329).

كـما كان عليه الوضع في حيف، قامت العناصر غير النظامية بترويع السـكان المحليـين مكررين بذلك خبرة الفترة من 1936- 1939. وفي هذا الخصوص كتب غر الخطيـب: «معظم العناصر التي بقيت مع قائدهم عادل نجم الدين تصرفت تجاه السكان كأنها قوات محتلة؛ حيث قاموا بمصادرة أسلحتهم وبيعها وفرضوا الغرامات والضرائب وصادروا السيارات وباعوها... وكان السكان يخافون من المدافعين عنهم والمنقذين له أكثر من خوفهم من أعدائهم اليهود» (330).

تلاقت مخاوف تجار الموالح في يافا، من أن يقوم اليهود بمنع تصدير محصولهم (331) الذي يعتمد عليه اقتصاد المدينة، مع المخاوف التي راودت أقرانهم اليهود المجاورين

صول النقطة ذاتها، الأمر الذي كان وراء وساطة بريطانية للتوصل إلى اتفاق ودي وصول النقطة ذاتها، الأمر الذي كان وراء وساطة بريطانية للتوصل إلى اتفاق ودي Gentleman's Agreement في ديسمبر قضى بألا يقوم أي من الطرفين بالإضرار ببساتين الآخر أو شاحناته التي تنقل الموالح أو التعدي على تسهيلات التصدير (332). وفي حين وافق قادة الهاغاناه في تل أبيب على هذا الاتفاق تحت ضغط المزارعين اليهود ورجال الأعمال، عارضه الأعضاء المحليون للهاغاناه وكان موضع مناقشات ومداولات واسعة خلال اجتماع عقد في الفترة من 1-2 يناير 1948 بين بن غوريون ومستشاريه. عارض ممثلو القسم العربي (بقيادة ماكنس الذي كان أيضا مالكا لبستان برتقال) فكرة فرض مصار تام على يافا التي طرحها كل من يغاثيل يادين وموشي سنه، وانتهت المناقشات بإعلان بن غوريون عن اتفاق عام على الحاجة إلى فرض «حصار على يافا» على أن يتم تجنب مزارعي وشحنات البرتقال (333).

خلال شهر يناير استمر ملاك البساتين اليهود ممثلين بيوسف يعقوبسن (الذي كان في الوقت ذاته ضابطا رفيع المستوى في الهاغاناه) في الضغط – من دون جدوى - للتوصل إلى وقف إطلاق نار رسمي يشمل المناطق المحيطة بيافا، ورحوفوت، ونيس زيونا، واتهم يعقوبسن الهاغاناه بقتل وإرهاب وسرقة مزارعي البرتقال ونهب ممتلكات العرب، ومن جانبه عارض موشي ديان إبرام مثل هذا الاتفاق؛ حيث تعلق الأمر بالنسبة إليه عنطقة كانت فيها الهاغاناه الأكثر قوة، فضلا عن أن العناصر غير النظامية العربية في مناطق أخرى بالبلاد يمكنها الحصول على تموين من المواد الغذائية من هذه المنطقة إذا ما سادها الهدوء. أما ليفي شكولنيك (أشكول) فقد دافع عن حقيقة أن ثلاثة أشهر من الهدوء خلال فترة الحصاد ستعود بالفائدة على اليشوف، وهو ما عارضه غاليلي ويادين، حيث ذهبا إلى أن مثل هذه الهدنة ستكون في مصلحة العرب في ضوء أن لكل من «يافا وحيفا نقطتي ضعف لديهم». فضلا عن أن التوصل إلى اتفاق يشمل السهل الساحلي كان من شأنه أن يحرر المفتي من عن أن التوصل إلى اتفاق يشمل السهل الساحلي كان من شأنه أن يحرر المفتي من غوريون أنه على الرغم من مساندته بشكل عام لفكرة تقييد رقعة القتال، فإنه «لا عتقد أنه سيُحترم الاتفاق... بل سيُخرق» (1338).

على الرغم مما تقدم، ظل الأعيان العرب يضغطون - عبر وسطاء بريطانيين - من أجل التوصل إلى اتفاق أكثر شمولا فيما يتصل بالحمضيات. وفي هذا الخصوص اقترح

غاليا بنبرة تهكمية التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق نار يشمل «كل منطقة آكلي العمضيات» وليس فقط «منطقة زراعة العمضيات». وقدم شرحا لكل من مزايا وعيوب الاتفاق المقترح: الاتفاق لن يطلق يد القوات اليهودية وفي المقابل سيطلق يد القوات اليهودية وفي المقابل سيطلق يد القوات العربية للقيام بعمليات في الضواحي، وسيحرر اللجنة العربية العليا من الضغوط التي عارسها عليها أعيان يافا، كما أنه سينقل مركز القتال إلى مناطق لا قتلك فيها الهاغاناه ميزة طبيعية، فضلا عن أنه سينخرج يافا من وضعية «الرهينة اليهودية» الأمر الذي ليس لدينا مصلحة فيه. وفيما يتصل بالإيجابيات أشار غاليلي أن سياسة الهاغاناه الدائمة كانت في تقييد رقعة انتشار القتال، وأن اليشوف مهتم كذلك بعدم عرقلة عملية الحصاد وتصدير محاصيله من الحمضيات، فضلا عن أن الهاغاناه كانت على الدوام معنية بالهدوء في المناطق التي خُصصت لتكون عصن أن الهاغاناه كانت على الدوام معنية بالهدوء في المناطق التي خُصصت لتكون تحب السيادة اليهودية، وألا يصيب العرب أذى في تلك المناطق - «لما لذلك من أهمية وقيمة كبيرة فيما يتصل بالعلاقات المستقبلية مع العرب... كما أن ذلك عكن أن يخدم احتياجات الدعاية اليهودية» والأكثر من ذلك هدو أن الهاغاناه كانت راغبة في أن يسود الهدوء عا عكنها من القيام بعمليات التسليح والتدريب (355).

وفي نهاية المطاف لم يُتوصل على الإطلاق إلى اتفاق رسمي بين الطرفين. ومن الناحية العملية لم يُفرض حصار تام على يافا، وبشكل عام استمرت عمليتا الحصاد والتصدير على الجانبين من دون التعرض لأضرار.

كان استيلاء الهاغاناه على المدينة أمرا مستبعدا تماما خلال الفترة الممتدة من شهر يناير حتى منتصف شهر أبريل؛ إذ كان من المفهوم أن البريطانيين سيمنعون وقوع ذلك، ومن ثم قصرت الهاغاناه جهودها على فرض حصار جزئي والقيام بعمليات ثأرية محدودة وتحرشات مرحلية، ممتنعة عن شن عمليات ثأرية واسعة النطاق- باستثناء ما حدث ليلة 12-13 فبراير عندما قامت وحداتها بتوجيه ضربات متزامنة في أبو كبير، وجباليا وتل الريش وقرية يازور القريبة، ما أسفر عن مصرع 13 عربيا، بما في ذلك المختار، وجرح 22 شخصا، وفرار العديد من سكان قرية يازور (366). كذلك شهدت أبو كبير هجوما كبيرا آخر في الثالث عشر من شهر مارس بهدف «تدمير حي أبوكبير» التي أُخليت خلال الأسابيع السابقة من شهر مارس بهدف «تدمير حي أبوكبير» التي أُخليت خلال الأسابيع السابقة من سكانها وقام عشرات من رجال المليشيات بحراستها. قصفت الهاغاناه الحي

بقذائف هاون محلية الصنع (ديفيدكاس) تحدث ضوضاء كبيرة، بالتزامن مع تفجير خبراء المفرقعات عددا من المنازل (337). أسفر ذلك عن «ارتجاج المدينة بأكملها وفرار العديد من سكانها تاركين منازلهم ...وكان للهجوم أثر مُثبط للمعنويات بدرجة عالية» (338). وامتد هذا الأثر إلى مناطق بعيدة حتى وصلت إلى غزة (639). كما جرت عملية أخرى في الرابع والعشرين من شهر مارس على جباليا خلفت وراءها قتيلين وعددا من المنازل المُدمرة (340). وبحلول منتصف شهر أبريل كانت الروح المعنوية لسكان يافا منخفضة للغاية من جراء الأحداث التي شهدتها مناطق أخرى من البلاد وبشكل رئيس دير ياسين. وفي هذا الخصوص كتب أحد سكان المدينة لصديق أو وبيب له في مصر: «إن اليهود قساة. ففي طبريا كما كانت عليه الحال في دير ياسين تصرفوا بطريقة همجية واستخدموا فؤوسا لتقطيع أيدي وأرجل الناس والأطفال. وفعلوا أشياء مُشينة بالنساء، وامتنع كاتب الرسالة عن ذكرها خجلا» (341).

دفعـت تلك الهجمات فضلا عن الهجرة الجماعية وانسـحاب الفرق السـورية والعراقية من المدينة هيكل إلى القيام محاولة أخيرة لإنقاذ مدينته، فسافر إلى عـمان سـعيا إلى إقناع الملك عبد الله بتحريك وحدات الجيـش العربي إلى داخل ياف بحلول الخامس عشر من مايو أو قبيل ذلك(342). ومع حلول منتصف شهر أبريل قدرت مصادر استخبارات الهاغاناه أن خمسين في المائة من سكان المدينة قد فروا بالفعل(343). فشلت الجهود المتتالية التي بذلتها اللجنة الوطنية للحد من تدفق اللاجئين، بما في ذلك قيامها بفرض ضرائب باهظة على من أجلوا (أستحدثت ضريبة أثاث بلغت 12 جنيها إسترلينيا وإضافتها على الضريبة المفروضة على كل شخص رحل)، فقد غادرت معظم العائلات الكبيرة (عائلة أبو خضرة إلى غزة، وعائلتا النابلسي والدجاني إلى مصر، وعبد الواحد إلى بيروت، وعائلة بيدس إلى نابلس). ومما لا شك فيه أن فرار الطبقات الوسطى والعليا أدى إلى مزيد من الانخفاض في الروح المعنوية لدى أولئك الذين بقوا في أماكنهم؛ حيث سادت بينهم البطالة على نطاق واسع وانخرط بعضهم في عمليات سلب ونهب لإطعام عائلاتهم. وعلى الرغم من توافر الغذاء، ارتفعت أسعاره بشكل كبير وارتفع ثمن جوال الدقيق إلى أربعة عشر جنيها إسترلينيا بدلا من سبعة جنيهات قبل ذلك بشهر، كما تدهورت العلاقات بين من تبقى من القادة وأيضا فيما بين المليشيات الموجودة بالمدينة<sup>(344)</sup>.

#### القدس

طبقا لخطة التقسيم كان من المقرر أن تصبح القدس (التي ضمنت 100 ألف يهـودي، و50 ألف عربي أو 85 ألفا إلى 90 ألفا إذا ما أضفنا سـكان القري العربية المجاورة) منطقة دولية، على الرغم من كونها محاطة من كل الجوانب بالدولة العربية الفلسطينية والقرى العربية، التي سيطرت على الطرق المؤدية إليها. وفي هذا السياق ساد بين سكانها اليهود الشعور بأنهم معرضون للهجوم، بل وأنه تم التخلى عنهم. ففور صدور القرار تعرضت الأحياء اليهوديمة خاصة في الجزء الغربي من المدينة لإطلاق النيران من الأحياء العربية، «وخُنقت» المنطقة اليهودية تدريجيا خلال الأشهر التالية من خلال الحصار الذي فرض على الطريق الرئيسي المؤدى إلى تل أبيب. وفي نهاية شهر مارس- وعلى الرغم من تبني نظام القوافل والمساعدات المقدمة من البريطانيين من وقت إلى آخر - كانت الأحياء اليهودية تحت حصار شبه كامل، وعلى الرغم من ذلك كانت الهاغاناه والوحدات الأقل عددا من الإرغون والهستدروت مسلحة ومنظمة بشكل جيد، وخلال المواجهات التيى اندلعت قُصف العرب في المناطق على خط التماس بين الجماعتين - والأحياء العربية شبه المنعزلة في غربي القدس التي هيمن عليها اليهود - بقذائف الهاون على نحو متكرر ما أدى إلى تفريغها من سكانها. (ومع ذلك حدثت عملية إجلاء جـزي لليهود من مناطق التماس: ففي بداية شـهر يناير 1948 على سـبيل المثال أجلي 75 في المائة من قاطني تالبيوت وميكور حاييم في الشمال، فضلا عن ثلث سكان أرنونا وتالبيوت الوسطى)<sup>(345)</sup>.

بعد مرور ستة أسابيع من القتال رصد جهاز استخبارات الهاغاناه محادثة تلفونية بين الدكتور حسين الخالدي (العضو في كل من اللجنة العربية العليا واللجنة الوطنية) وتاجر عربي عُرف على أنه أبو زكي ذكر خلالها الأول: «الجميع يتركونني وحدي. يوجد حاليا ستة أعضاء (من اللجنة العربية العليا) في القاهرة، واثنان في دمشق- ليس في استطاعتي الصمود وحدي طويلا... لقد ضاعت القدس... لم يعد هناك أحد في قطمون، وأضحى حي الشيخ جراح خاليا، ويغادر السكان المدينة القديمة ذاتها. وكل من لديه القليل من المال يسافر إلى مصر أو لبنان أو دمشق» (346). لقد كانت مبالغات الخالدي فيما يتصل بمستوى الهروب تعكس في حد ذاتها درجة

الارتباك التي سادت آنذاك. فقبل ذلك بثلاثة أيام أوردت استخبارات الهاغاناه أن العسرب الذين توجهوا إلى السلطات للحصول على سلاح قد عادوا أدراجهم من دون شيء؛ إذ إنه لم يكن هناك ما يمكن تسليمه لهم. وفي المدينة القديمة، قلب القدس العربية، سادت مشاعر «الإحباط واليأس والفوض»، وعانى أغلب السكان من البطالة. «ردد البعض أنه من الأفضل العودة إلى سلطة الملك عبد الله أو حتى بقاء البريطانيين في البلاد» (347).

في الوقت الذي شارفت فيه المؤن على النفاد كانت العناصر غير النظامية تدفع فاتورة مشترياتها بإيصالات لا قيمة لها. ومن جانبهم عمد أصحاب المحال إلى إخفاء بضائعهم نتيجة فرض «ضريبة تقدر بعشرة جنيهات إسترلينية يوميا» أو ما يعادلها مين بضائع (348). كما امتنع أصحاب حوانيت البقالة عن البيع بنظام الائتمان (949). وفي أعقباب تدمير طاحونة الدقيق ببلدة بيت صفافا، عانت تلك البلدة الواقعة جنيوي القدس نقصا حادا في الخبز، وبحلول يناير 1948 ارتفع سعر كيس الدقيق في القدس (ليصل إلى ستة جنيهات إسترلينية بدلا من 1.20 جنيه) (350)، وذلك على الرغم من توافر السلع الرئيسية الأخرى (351). فخلال هذا الشهر كان السمن النباتي المضرّع يهوديا متوافرا(350) كما تردد أن بعض اليهود كانوا يقايضون السكر في مقابل الخبز والدقيق مع العرب (353).

أدت حالة البطالة الشديدة إلى انتشار عمليات السرقة والنهب، فلم يكن في مقدور الفقراء شراء المنتجات المتوافرة في المخازن (354). وعلى الرغم من توفير الحكومة حصصا من الدقيق للجان الوطنية لتوزعها، سرق العرب شحنات الدقيق من القطارات ما دفع بالمفوض السامي إلى إيقاف الإمدادات (355). وبشكل ظاهر كان هناك أيضا تمييز سياسي في توزيع حصص الدقيق، كما أضافت بعض المخابز «بعض المواد الغريبة والضارة» في الخبز (356). ومن جانبه أقدم مارتن حداد، المفتش العربي المسؤول عن توزيع الدقيق على تجار التجزئة، على سرقة كميات كبيرة منه البيعها لحسابه، كما باع بعضا منها «بأسعار مبالغ فيها» لليهود (357).

نظمت اللجنة الوطنية حملة لجمع الأموال بهدف تغطية نفقات الحرب، ما في ذلك رسوم حراسة على كل المناطق. وقد شعر المسيحيون العرب بأنه يتم فرض ضرائب باهظة عليهم أو يتم ابتزازهم، بيد أن بعض العرب التفوا على ذلك

من خلال تسديدهم من 2-3 جنيهات إسترلينية شهريا مقابل إعفائهم من رسوم الحراسة (ما يذكر بأساليب الفساد التي مورست خلال فترة السيادة العثمانية) (358). كذلك كانت هناك عصابات بين فرق الحراسية استغلت موقعها للسرقة. وفي هذا الخصوص نقل جهاز استخبارات الهاغاناه قيام تلك العصابات أحيانا بالبدء في إطلاق النار لإثارة حالة من الذعر والهرب، ليشرعوا بعد ذلك في نهب المنازل المهجورة (359). أما العناصر غير النظامية فقامت بقطع الطريق على شاحنات التموين وسرقتها، ومن ذلك واقعة سرقة شاحنة محملة بالبيض والدواجن مخصصة للمدينة في مطلع شهر فبراير (360).

أدى وصول اللاجئين القادمين من المناطق المجاورة في الفترة من يناير إلى مارس الله مزيد من التدهور في الأوضاع، ووصل ارتفاع أسعار الغذاء إلى حد دفع بسكان المدينة إلى تنظيم مظاهرة في السابع والعشرين من شهر فبراير ضد اللجنة الوطنية. وأخبر المتظاهرون بأن «يصبروا قليلا حتى يتحقق النصر» (160). أما فيما يتعلق بالأحياء الجنوبية، فاتسم الوضع الاقتصادي في نهاية شهر مارس بالغموض: فمن جانب كان هناك فائض في المنتجات بالمحال نتيجة لبقاء كميات الغذاء التي كانت تباع تقليديا للأسواق اليهودية، وكانت أسعار الخضراوات زهيدة للغاية (على سبيل المثال بلغ ثمن 30 رأسا من الخس عشرة مل (\*)، وعلى الرغم من ذلك لم يكن ممكنا بيع أغلب المحاصيل بسبب الفقر المدقع وعدم قدرة السكان على الشراء، وعلى صعيد آخر لم تتوافر السلع المُعلبة (التي يقبل الأثرياء على شرائها) في حين كان هناك نقص في الأسماك (التي كانت تأتي من يافا) واللحوم. وعمت الفوضي الأجهزة المناوط بها متابعة الأسعار شأنها في ذلك شأن باقي الأجهزة الرقابية، واعتادت عناصر المنسوجات التي كانت تأتي غالبا من خارج فلسطين فأصحبت سلعة نادرة (362).

خلال الشهور الأربعة للحرب الأهلية انعدمت المواصلات بين القدس العربية وباقي فلسطين أو قُيدت بدرجة كبيرة. وفي مطلع شهر أبريل توقفت خطوط

<sup>(\*)</sup> العملة المتداولة في تلك الفترة هي الجنيه الفلسطيني الصادر عن مجلس فلسطين للنقد (التابع لوزارة المستعمرات البريطانية)، والجنيه يساوي ألف مل. كما شاع استخدام كلمة «ليرة» للإشارة إلى الجنيه الفلسطيني، التي قسمت إلى 100 قرش. [المحررة].

حاف النقل على طريقي القدس - ياقا، والقدس - بيت جالا، بينها تقلص عدد الحافلات من وإلى الناصرة إلى حافلتين يوميا (مقابل تسع حافلات قبيل الحرب)، أما فيما يتعلق ببيت لحم، فقد انخفض عدد الحافلات إلى ثلاث يوميا (مقابل اثنتي عشرة قبيل الحرب) (363). وفي داخل المدينة انخفض عدد الأسخاص الذين يستخدمون وسائل النقل العام يوميا بنسبة 90 في المائة (364). ومع حلول شهر أبريل كانت القدس تعاني نقصا حادا في الخبز والملابس والمعلبات، وكثير من مشتقات البترول (365).

يمكن القول إن الهجرة الجماعية للعرب من القدس الغربية بدأت في الثلاثين من شهر نوفمبر، حيث أجلت حافلات ثلاث أو أربع عائلات من الأحياء المختلطة في روميمة التي هيمنت على المدخل الغربي للمدينة ويداية طريق القدس - تل أبيب ووفقا للقسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه، فسر المسافرون موقفهم على أنه «تمهيدي لعمليات (عسكرية) من قبل العرب» (366). وفي اليوم ذاته «نصحت» مجموعة من العرب المقيمين اليهود «بمغادرة المنطقة» (367). وتجدر الإشارة إلى أنه قبل ذلك بأسبوع تلقى سكان منزل يقع في شارع أثيوبيا في وسط المدينة (بالقدس الغربية) «تعليمات» - على الأرجح من قبل سلطات عربية - بترك المنطقة والانتقال إلى أخرى؛ مما عنى أن القتال كان وشيكا (368).

بدأ القتال في الأول من ديسمبر بقيام مسلحين عرب وآخرين يلقون الحجارة عهاجمة منازل يهودية عند بوابة يافا ومحاني يهودا، فضلا عن قيام مجموعة بالهجوم، في الثاني من ديسمبر، على المركز التجاري الجديد في وسط المدينة؛ إذ أسعلوا النيران في عشرات المحال وورش العمل وسرقوا محتوياتها، كذلك جُرح 22 يهوديا. وعلى الرغم من فشل القوات والشرطة البريطانية في التدخل ضد مثيري الشغب فإنه أُلقي القبض على 16 من عناصر الهاغاناه الذين كانوا يتصدون للعرب (وقف). وأشارت التقارير عن تلك الليلة إلى قيام عناصر من الإرغون بنهب محال عربية في القدس الغربية (370) كما أضرمت مجموعة من اليهود النيران في دار سينما ركس والمنازل العربية المجاورة (371). ووجهت الإرغون في اليوم التالي إنذارا إلى مختار لفتا (قرية تقع غربي روميمة) مهددا بقصف القرية بالقنابل إذا ما تعرض أي من اليهود للضرر في روميمة). وشهدت مناطق متعددة من المدينة

إطلاق القناصة النيران على الأحياء اليهودية، الأمر الذي جعل الهاغاناه ترد عليه من وقت إلى آخر. وردا على استفسارات السكان للهاغاناه حول كيفية التصرف - كما كانت الحال من قبل سكان يمين موشي- تمثل الرد في أهمية أن يلزم سكان مناطق التماس أماكنهم (373).

أجلى بعض العائلات العربية في الرابع من شهر ديسمبر من قرية لفتا، كما أجليت عائلات يهودية عدة من حي الطالبية المختلط والمزدهر في وسط القدس الغربية (374). وكان واضحا صدور تعليمات لسكان لفتا من قبل السلطات العربية بإجلاء النساء والأطفال والاستعداد لاستقبال حملة من المليشيات. وفي تلك الأثناء قامت مجموعة مكونة مما يقرب من 20 شابا يهوديا شرقيا وحشد مـن العامة - ضم وفقا لتقديـرات مراقبين تابعين للهاغانـاه ما يقرب من 200 شخص من الأطفال والبالغين من المجتمعات اليهودية الشرقية - بأعمال شغب بوسط المدينة بالقدس الغربية؛ حيث أضرموا النيران في المحال العربية (375). وقد حاولت كل من الشرطة البريطانية والهاغاناه إيقافهم. وأعقب ذلك مغادرة مزيد من العائلات العربية روميمة (376). أما في المدينة القديمة، ففر ما يقرب من 1500 شخص (من إجمالي 3500 يهودي متدينين - أرثوذكس كانوا يقطنون الحي اليهودي) بطريقة منظمة إلى القدس الغربية، في حين انتقلت العائلات العربية التبي كانت تعيش داخل أو في المناطق المحيطة بالحبي إلى المناطق العربية، وسرعان ما استولت عناصر المليشيات العربية المسلحة على منازلهم (وكذلك بعض من منازل الأرمن)(377). وبحلول الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر أضحى تبادل النيران بين مناطق التماس وتلك الواقعة داخل المدينة القديمة من الأمور اليومية المعتادة، وبدأت عناصر المليشيات العربية بنصب الكمائن لوسائل النقل اليهودية على طول طريق القدس- تـل أبيب، في حين ألقى عناصر من الإرغون قنابل على المناطق العربية المزدحمة داخل المدينة (378). ووردت تقارير عن إجلاء عائلات عربية من مناطق قطمون وميكور حاييم. وأخطر الأفراد الذين تم إجلاؤهم من ميكور حاييم كل من قابلهم من اليهود بأنهم تلقوا أوامر بذلك، على الأرجح من قبل السلطات العربية (379). وفي المقابل رفضت العائلات اليهودية في أحياء تالبيوت نصيحة جيرانهم العرب بالرحيل(380). جرت أولى موجات الإجلاء الجماعية من أحياء القدس في ديســمبر 1947- يناير 1948 من قرى ضواحي لفتا والشيخ بدر وفي المنطقة العربية في روميمة. وبصفة مبدئية كانت التعليمات الصادرة لدوريات الهاغاناه تقضي بالمرور في ضواحي مدينة لفتا وعدم دخول القرية مع تعليق لافتات (غالبا تحذّر السكان من البدء في أعـمال العنف)(381). ومع ذلك فإنها تبادلت من وقـت إلى آخر إطلاق النار مع عناصر المليشيات في القرية (382). وفضلا عن ذلك اتسمت العمليات التي قامت بها كل من الإرغون والهستدروت بالعدوانية. ففي منتصف شهر ديسمبر تمركزت عناصر غير نظامية من القرى المجاورة في لفتا بغرض الدفاع عن الموقع وكذلك إنهاك المناطق اليهودية المجاورة. وفي حين كان القرويون المتقدمون في السن يرغبون في السلام، فإن العناصر الشابة كانت، وفقا لمصادر استخبارات الهاغاناه، «أكثر تحمسا» (383). ومع بداية شهر يناير عانت لفتا نقصا في الخبز (384) كما أنه بدأ منذ الثامن العشرين من ديسمبر في إجلاء النساء والأطفال من القرية (385). وعلى الرغم من رحيل أغلب القرويين في مطلع يناير (إلى رام الله)(386)، بقيت العناصر غير النظامية ومنتسبو الجيش العربي. وفي الخامس عشر من يناير، أو حول ذلك التاريخ، صدرت الأوامر إلى القرويين بالعودة إلى ديارهم(387) وهو على ما يبدو ما انصاع له بعضهم أو أغلبهم. وقام عبدالقادر الحسيني بزيارة القرية بعد ذلك بأسبوع وأمر الرجال بالبقاء و«النساء والأطفال وكبار السن» بالمغادرة(388). وبالفعل رُصد النساء والأطفال يغادرون (389). وفي التاسع والعشرين من شهر يناير قامت الهستدروت بالإغارة على القرية وتدمير ثلاثة منازل(390). وفي مطلع شهر فبراير عاد كل أو أغلب سكان لفتا إلى رام الله (وكانوا يشتكون من أن المحليين «يسخرون منهم» وأنهم كانوا محصورين، في لفتا، بين العناصر غير النظامية التي استخدمت منازلهم لمهاجمة اليهود، وبين اليهود الذين قاموا بأعمال انتقامية دمروا خلالها منازلهم وأوقعوا قتلى بينهم)<sup>(391)</sup>.

بهجمات دائرة العنف - التي أدت إلى الإسراع من عملية إجلاء روميمة - بهجمات على طرق مرور اليهود المغادرين للقدس وإقدام الهاغاناه في الرابع والعشرين من ديسمبر على قتل عطية عادل من قرية قالونيا ومالك محطة البترول في روممية والذي عمل مرشدا للعناصر غير النظامية ليخبرها - مستخدما دراجته النارية -

عن القوافل اليهودية (292). وفي اليوم التالي انتقم القرويون لذلك بإلقاء قنبلة على حافلة يهودية. ومنذ ذلك الوقست تم تبادل إطلاق النار بشكل يومي داخل وفي محيط روميمة (ولفتا) وشنت كل من الهاغاناه والإرغون والهستدروت غارات ليلة السادس والعشرين من ديسمبر (393)، كما شن الإرغون غارة أخرى في اليوم التالي أسفرت عن تدمير محطة بترول ومقهى مخلفة وراءها على الأقل خمسة قتلى من العرب (394)، وبشكل ظاهر تم إجلاء بعض السكان تحت حماية بريطانية وبطريقة منظمة (395)، ووصفت تقارير استخبارات الهاغاناه في مطلع يناير روميمة بأنها خالية (396) على الرغم من بقاء بعض رجال المليشيات وعودة السكان على الأقل في زيارات قصيرة للاطمئنان على ممتلكاتهم (397). وقد أدت المكالمات التلفونية والخطابات المتضمنة تهديدات دورا كبيرا في رحيل السكان من المناطق المجاورة (396). وفي ما يتصل بالتغييرات الديموغرافية في المدينة، أوضح قائد الهاغاناه في القدس وفي ما يتصل بالتغييرات الديموغرافية في المدينة، أوضح قائد الهاغاناه في القدس في روميمة ذات الأغلبية العربية كان اليهود يرغبون في الرحيل، «إلا أن الهاغاناه لم تسمح لهم بذلك»، وفي المقابل رحل العرب. واختتم بقوله إن «طرد» السكان العرب سهل مهمة الهاغاناه (900).

قام سكان الشيخ بدر (التي تقع اليوم بين الكنيست وبنياني هاؤوما (١٠٠٠) بالجلاء عن ديارهم في منتصف يناير على إثر عملية انتقامية أو أكثر شنتها الهستدروت (ردا على عمليات قنص من قبل العرب)، أسفرت عن تدمير منزل المختار، الحاج سليمان، فضلا عن غيره من المنازل خلال غارات شنتها الهاغاناه. وأورد جهاز الاستخبارات البريطانية أن الهاغاناه أمرت سكان الشيخ بدر بالرحيل (١٥٠٠). الأمر الذي نفذه الكثيرون منهم في الرابع عشر من شهر يناير (١٥٠١). في حين سلم عدد من السكان مفاتيح منازلهم لجيرانهم اليهود الذين وعدوا بالقيام بحمايتها (١٤٠٤). بيد أن اليهود في منطقة نحلؤوت الفقيرة المجاورة نهبوا القرية. كذلك فإنه في ضوء المخاوف من في منطقة نحلؤوت الفقيرة المجاورة نهبوا القرية. كذلك فإنه في ضوء المخاوف من قيام العناصر العربية غير النظامية بمعاودة السيطرة على الموقع أقدمت عناصر من الهاغاناه على دخول القرية وقامت، من خلال إطلاق النار في الهواء، بطرد «قطاع الطرق» اليهود (الذين قُبض على اثني عشر منهم بالأسلحة البيضاء) (٤٠٥٠).

<sup>(\*)</sup> المركز الدولي للمؤتمرات في القدس.

وفي التاسع عشر من يناير أمّنت الشرطة البريطانية خروج السكان الباقين في الشيخ بدر الذين توجهوا إلى لفتا (404). كما دخلت الشرطة لحماية المنازل التي أُخليت من سكانها. وبمجرد إتمام الرحيل عاد سكان نحلؤون إلى المنطقة وأحرقوا ونهبوا كل ما تبقى (405). إزاء الأحداث التي شهدتها منطقة الشيخ بدر قام عدد من المثقفين اليساريين، من بينهم رئيس الجامعة العبرية جودا ليب ماغنس والفيلسوف مارتن بوبر بمناشدة سكان القدس التوقف عن نهب وقتل العرب (406).

ضمت مدينة الطالبية (جنوب غربي ريحافيا) خليطا من العائلات الثرية اليهودية والعربية (أساسا المسيحية) التي عاشت في تناغم نسبى قبيل العام 1948. بيد أن العمليات القتالية أسفرت تدريجيا عن تقويض التعايش السلمي الذي ساد من قبل، على الرغم من المساعي المبذولة من كل من المجموعتين للإبقاء عليه في مواجهة مد الحرب الذي زحف على المدينة. ففي بداية شهر يناير أسفر اجتماع ضم الجيران العرب عن قرار بمقاطعة الباعة العرب الجائلين، باعتبارهم من «أدخلوا الـصراع إلى المنطقة»، وناشدوا اليهود الانضمام إليهم في ذلك (407). كما اقترحوا تأسيس لجنة مشتركة من الشرطة العربية - اليهودية - البريطانية في الموقع (408). ولكن سرعان ما خضع السكان إلى ضغوط من العرب في الخارج الذين هددوهم بالانتقام «إذا ما استمروا في الإبقاء على علاقات ودية مع الهاغاناه وتقديم مشروب الشاي لعناصرها». كما هددت العناصر غير النظامية ربات البيوت في الطالبية، خلال قيامهن بالتسـوق في منطقة المستوطنة الألمانية المجاورة، بأن «الوقت سيحين للترتيب (من خلال قيامهم بأعمال استفزازية) لقيام اليهود بقتلهم... وأن عديدا من المسيحيين يرغبون في مغادرة ديارهم ومدينتهم بيد أنه قد تم تحذيرهم بأنهم إذا ما أقدموا على ذلك سيُقدم (عرب آخرون) على تدمير منازلهم وسرقة ممتلكاتهم». وطبقا لتقرير من القسم العربي لأجهزة استخبارات الهاغاناه قام اليهود كذلك بتخويف السكان من وقت إلى آخر. وفي مطلع شهر فبراير «طلب» اليهود من بعض العائلات التي كانت تسكن في كرم الرهبان (وهي منطقة مجاورة تقع غرب الطالبية)، أن يغادروا منازلهم. وعلى وجه التحديد دخلت مجموعة مكونة من 10-13 يهوديا منزل جورج مشبك للبحث عنه واتسمت تصرفاتها بالخشونة. كما تلقت عائلة وهبة إنذارا بأن تترك المكان على الفور (409). وبحلول العشرين من فبراير كان

باستطاعة زابولدفسكي أن يكتب في تقريره: «إن الطالبية في طريقها بشكل مطرد لتصبح يهودية على الرغم من بقاء القليل من العرب» (410).

كان الهجـوم الذي شنه العرب في العاشر من فبراير على عين موشى (منطقة يهوديـة تقع شرق الطالبية) حاسـما في هـذا الخصوص. وعلى الرغـم من أنه قد يكون السبب وراء هذا الهجوم قيام اليهود بعملية قنص باتجاه حافلة عربية، فقد مست مواجهته من قبل نيران الهاغاناه والقوات البريطانية، مما خلف أكثر من اثني عشر قتيلا(411). وخلال المعركة (أو بعدها مباشرة) شُوهدت العائلات العربيـة تغادر الطالبيـة حاملة معها أمتعتهـا(412). وفي الحادي عشر من الشـهر طافت سيارة تابعة للهاغاناه المدينة «محذرة العرب من انتقام الهاغاناه، ما دفعهم إلى الفرار». عارضت المؤسسات العربية الوطنية هذا الفرار واستخدمت وسائل الترغيب والترهيب «طالبة من العرب البقاء ومستعدية الجيش البريطاني... وعندما وصلت الشرطة قبضت على ركاب الحافلة». وحقيقة الأمر، كانت السلطات العربية تخسشي بشكل واضح من أنه إذا ما تمكنت الهاغاناه من التمركز في الطالبية فإنها ستتقدم جنوبا لتسيطر على مزيد من المناطق العربية، أو العربية جزئيا، من قبيل المستوطنة الألمانية و«بقعة» (413). وعلى الرغم من أن بعض يهود الطالبية أخبروا جيرانهـم العرب بأنـه «ليس هناك ما يدعوهم إلى الخوف»، فرت ما بين 60 إلى 70 عائلة عربية ولم تبق سوى ثلاث عائلات فقط، الأمر الذي قُوبِل بنقد شديد من قبل السلطات العربية التي وصفت عملية الهرب بأنها «مُخزية ومُتسرعة». فضلا عـن أنه كان هناك حديث عن أخـذ الثأر من «العرب الأغنيـاء الذين تعاونوا مع اليهود في الطالبية»، وعلى الرغم من كل ذلك أخفقت جميع الجهود التي بُذلت لإقناع السكان بالبقاء وتعاظم الشعور بالمهانة (414). قررت اللجنة العربية العليا، وعلى الأرجح قامت بنشر قرارها، بأن كل المنازل التي هُجرت من قبل سكانها في الطالبية سيتم السيطرة عليها وستتمركز بها العناصر غير النظامية (415). ومع ذلك رحل مزيد من العائلات في اليوم ذاته أو الأيام التالية على ذلك(416)، وعلى الرغم من تواتر معلومات عن عودة بعض العائلات (ربما فقط بشكل مؤقت لحماية وأخـذ أمتعتهم) (417)، فإنه من حيـث الواقع كانت المناطق المجاورة قد تم أخليت. وبقي عدد قليل من الرجال العرب، «حازمين أمتعتهم ومستعدين للمغادرة في أي لحظة». بيد أن القائد العربي في المنطقة منعهم من ذلك، كما سعى العرب المتبقون إلى إقناع الهاغاناه بترك الطالبية على الحياد أو كمنطقة بعيدة عن القتال (418). الأمر الذي رفضته الأخيرة ـ وانتهى بهم المطاف إلى الرحيل.

طبقا للهاغاناه، سادت الأحياء العربية في القدس بحلول منتصف شهر يناير حالة من «اليأس والذعر»، فمجرد تناقل شائعة عن إلقاء أو وجود قنبلة يهودية كان السكان يتدافعون للهروب المذعور من كل المناطق المجاورة. وحتى أولئك الذين لا يملكون الكثير من المال بدأوا في الفرار على الرغم من فرض اللجنة العربية العليا لغرامات على أقارب من يترك البلاد. أما فيما يتصل بالمسيحيين، فقد ردد الكثيرون منهم بصوت عال أن «حكم اليهود كان أفضل من حكم المبتزين العاملين لمصلحة الحسيني» (194). وخلال الفترة من ديسمبر إلى فبراير غادر عديد من السكان العرب في أو بالقرب من مناطق الجوار اليهودية في الطالبية وميكور حاييم (جنوبي القدس) وقرية بيت صفافا المجاورة، إما تنفيذا لأوامر عربية (لإبعادهم عن منطقة الخطر أو لإخلاء منازلهم لعناصر المليشيات القادمة) أو بسبب الهجمات اليهودية أو الإخلاء منازلهم لعناصر المليشيات القادمة) أو بسبب الهجمات اليهودية أو الخوف منها (122). وكانت الغارة التي شنتها الهاغاناه على بيت صفافا في الثالث عشر من فبراير والتي قتل خلالها محمود العمري القائد الإقليمي للمليشيات (222) من الأسباب الرئيسية للنزوح من المنطقة. ووفقا لما تردد، أضحت بيت صفافا بعد مرور بضعة أيام خالية بشكل شبه تام (423).

شهد شهر يناير أيضا إجلاء كثير من قاطني المناطق المجاورة في كل من «الشيخ جراح»، ومصرارة، وأبوطور (424). وجرت عملية الإجلاء في الشيخ جراح على مرحلتين: الأولى في الأسبوع الأول من يناير وبشكل تلقائي (425)، والثانية خلال الأسبوع الأخير من الشهر ذاته من جراء غارة شنتها الهاغاناه وأسفرت عن حرق اثني عشر منزلا (426) وأخرى من قبل الهستدروت في اليوم التالي (427). وربا كانت عملية الإخلاء قد جرت جزئيا بتنسيق مع ومساعدة من البريطانيين الذين رغبوا في وضع نهاية لأعمال القتال داخل المدينة وفي المناطق المحيطة والمجاورة لها، التي تمثل مداخل الطريق الرئيسي للخروج من المدينة باتجاه الشمال (428). وكان السبب الأول وراء الرحيل من مصرارة خلال ذلك الشهر هو الخوف من الهجمات اليهودية (429)، فضلا عن استيلاء وحدة من المتطوعين السوريين على المنازل (430)، أما بالنسبة إلى أبوطور

(ذات الأغلبية المسيحية)، فقد تمثل سبب الرحيل في وصول عناصر المليشيا من الخليل والمعروف عنهم «كراهيتهم الشديدة للمسيحيين». وطبقا لمصادر الهاغاناه قام القادمون من «الخليل» بـ «الاستيلاء على أموال المقيمين وسبهم» (431). وبنهاية شهر مارس أُجلي «معظم سكان مصرارة» (432).

فيما يتصل بحى قطمون المزدهر ذي الأغلبية العربية شبه التامة، فقد هُجر بشكل كبير خلال الشهور الأربعة الأولى من الحرب الأهلية، وقامت حفنة من السكان اليهود في الجوار بالمغادرة خلال الأسابيع الأولى من القتال، سواء نتيجة الخوف أو من جراء عمليات الترهيب العربي(433). ورصدت الهاغاناه عربا مسلمين يغادرون الحي منذ العاشر من شهر ديسمبر (434) وأضحت قطمون الجنوبية خالية من السكان- بمساعدة من البريطانيين في عملية الإجلاء- في مطلع شهر ينايـر (435). بيد أن العامـل الرئيسي الذي دفع إلى الهروب خلال الشـهور الأولى كان من دون شك الغارة التي شنتها الهاغاناه في ليلة 5 - 6 يناير، والتي تم خلالها تدمير فندق سلميراميس نتيجلة اقتناعها بأن عديدا ملن قادة العناصر غير النظامية تقطنه وأثه وربما يكون ذلك خاطئا - يضم مركز القيادة العامة للمليشيات في المناطق المجاورة(436). وقد لاقى ما يزيد على أربعة وعشرين، شخصا- ربما من بينهم كثير من العناصر العراقية غير النظامية - حتفهم نتيجة الانفجار (437) (كذلك نائب القنصل الإسباني ماتويل أليندي سالازار). ومن جانبها نفت حكومة الانتداب أن يكون الفندق مركزا لقيادة المليشيات ودانت الهجوم باعتباره «عملية قتل جماعي خسيسة» (438). واستدعى كاننغهام بن غوريون لتوبيخه واصفا ما حدث بأنه «سُبة للحضارة» وناعتا الذين خططوا للعملية في الهاغاناه بأنهم «قتلة». من جانبه أوضح بن غورياون (الذي بدا عليه الانزعاج بشكل واضح) أن «العملية نُفذت من دون سند من التعليمات المركزية» (٤٥٩). كما عبرت الوكالة اليهودية رسميا عن «أسفها للخسائر في الأرواح البريئة» وفي الوقت ذاته انتقدت التصريحات العلنية من قبل حكومة الانتداب والتي لم تدن-وفقا للوكالة- انتهاكات عربية مماثلة (440). وأخيرا أخطر بن غوريون كاننغهام أنه أستبعد ضابط الهاغاناه المسؤول عن العملية - ميخاتيل شيختر نائب قائد منطقة القدس المعروف بشاهام - من القيادة (441).

كان للعملية تأثير مدمر في معنويات سكان قطمون فقد «عمقت من الشعور بعدم الأمان... وسار عديد من الذين تحدثوا عن المسألة الفلسطينية والدفاع عن البلاد حتى آخر قطرة من دمائهم ورؤوسهم محنية في الشوارع لخجلهم من النظر إلى أصدقائهم في أعينهم» (412). وفورا بعد الانفجار أوردت استخبارات الهاغاناه ما يلي:

كثير من العائلات تغادر قطمون، بعضهم إلى مصر والبعض الآخر إلى البنان ... قرر كثيرون أن... الحسيني قد زج بهم في اضطراب هائل ... فالوضع الاقتصادي سيئ للغاية، ولا يوجد بيض أو خبز إلخ... وقد أوقع تفجير المنازل في المنطقة الخوف في نفوس كل سكان قطمون، الذين أقروا بأن اليهود أكثر تنظيما اقتصاديا وأن العرب لا يمكنهم الصمود أمام مثل هذا التنظيم (443).

كان أغلب الفارين من النساء، والأطفال، وكبار السن (444). وقد حاولت السلطات العربية كبح عملية الفرار (445) ما أدى إلى عودة عديد من الشباب - الذين سبق لهم الهروب إلى الحدينة القديمة - إلى قطمون (446). وقد ذكرت هالة السكاكيني أن بعض السكان القدامى تشبثوا بقوة بأماكنهم وأنه «أينما رأوا أشخاصا ينتقلون بعيدا، حاولوا تشجيعهم على البقاء»، مضيفة أنهم كانوا يقولون لهم: «عليكم أن تشعروا بالخجل من الرحيل، فهذا هو بالضبط ما يريد اليهود أن تفعلوه، أن تتركوا دياركم وأن يقوموا هم باحتلالها، وذات يوم ستجدون أن قطمون قد أضحت حيا يهوديا آخر!» (447). وعلى الرغم من ذلك، خلت معظم المناطق من سكانها تدريجيا وانتقلت العائلات إلى المدينة القديمة أو خارج المدينة، في حين توجه عدد قليل منهـم إلى قطمون الجنوبية بجـوار القنصلية العراقية التي قامت كتيبة من الفيلق العربي بحمايتها (448)، ومن جانبهما قامت كل من الهاغاناه والهستدروت بتفجير منازل إضافية في قطمون ليلتي التاسع والثالث عشر من شهر مارس (449). وبحلول منازل إضافية في قطمون ليلتي التاسع والثالث عشر من شهر مارس (449). وبحلول غير نظامية تمركزت في دير سان سيمون بالقرب من القنصلية العراقية المراقية المراقية العراقية العراقية المنائل إضافية في قطمون ليلتي التاسع والثالث عشر من شهر مارس (440).

تقدم مذكرات المدرس والكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني، أحد سكان قطمون ووالد هالة، نظرة عميقة حول الحالة الذهنية الأولئك الذين بقوا في

الجوار، فقد سبجل في السادس عشر من مارس ما يلي: «ربي... أنا لا أعلم كيف سينتمكن من الصمود أمام اعتداء اليهود: إنهم مدربون ومنظمون ومتحدون ومسلحون بأحدث أنواع السلاح؛ أما نحن فليس لدينا شيء» (451). وفي العشرين من مارس كتب:

يقوم اليهود منذ منتصف ليلة الأمس بمهاجمة المنطقة المجاورة لنا بقوة ... قذائف المدافع والرصاص... وحتى اللورد كيتشنر [وزير الحرب البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى] ربا لم يصل إلى مسمعه طوال حروبه ما سمعناه الليلة الماضية... في هذا الموقف، ما الذي يُثير الاستغراب في رغبة السكان في الانتقال إلى منطقة أخرى مجاورة أو مدينة أخرى... الكثيرون هاجروا إلى المدينة القديمة، أو إلى بيت جالا، أوعمان أو مصر وغيرها من الأماكن. فقط القليلون الذين لهم ممتلكات هم الذين بقوا» (452).

بحلول 13 أبريل، وبفترة قصيرة قبيل مغادرته هو وعائلته إلى فلسطين، كتب السكاكيني ما يلي: «صباحا ومساءً نسمع قذائف المدفعية ونيران الأسلحة كما لو كنا في ساحة قتال... لا يمكننا الخلود للنوم، ونقول إنه عندما يحل الصباح سنرحل... من قطمون إلى مكان آخر، أو نغادر البلاد كلها» (453).

قثل العامل الرئيس الذي عجل من فرار الجانب الأكبر من السكان العرب غربي وجنوبي القدس في الهجمات العسكرية اليهودية والخوف منها. وإلى جانب ذلك توفر عامل ثانوي عاد إلى التوترات بين المسلمين والمسيحيين، والمعارضة والحسيني، فضلا عن تلك التي كانت قائمة بين العائلات المسيحية والمعارضة، والتي كانت تحوم حول أغلبها في هذه المناطق شكوك المليشيات وتهديداتها وابتزازها للأموال. وقد سيطر على عقول هذه العائلات شبح أعوام 1936-1939 عندما قام رجال الحسيني المسلحون بإرهاب المعارضة والعائلات المسيحية (454). وأخيرا كان هناك خوف عام من المستقبل.

مع نهاية المرحلة الأولى من الحرب الأهلية أضحى كل من غرب وجنوب القدس يهوديا تماما، ومن تبقى من العرب هناك كانوا من رجال المليشيات المسلمة والعائلات المسلمة الفقيرة، كما فر بعض السكن من مناطق في شرق وشمال المدينة.

#### بداية النزوح الجماعي لسكان المناطق الريفية ديسمبر- مارس 1948

على الرغم من أن الفرار من الريف كان في بدايته محدودا للغاية واقتصر على حفنة من القرى في ديسمبر 1947، فإنه سرعان ما تحول إلى هجرة مطردة - على الرغم من استمرارية محدوديتها - خلال شهري يناير وفبراير 1948. وفي شهر مارس (كما كانت الحال في شالي تل أبيب) تحول الأمر إلى رحيل جماعي. وبشكل عام فإن الهجرة كانت محصورة في مناطق متاخمة للتجمعات اليهودية الرئيسية وكان السبب وراءها يتمثل في الهجمات الانتقامية التي شنتها الهاغاناه (وبدرجة أقل الإرغون والهستدروت) والخوف من مثل هذه الهجمات، فضلا عن أوامر السلطات العربية بإجلاء قرى بالكامل أو النساء والأطفال وكبار السن. وفضلا عن ذلك فإن كثيرا من التجمعات العربية هُوجمت أو حُوصرت وطُرد سكانها من قبل وحدات الهاغاناه، في حين دُفع البعض الآخر إلى الفرار من خلال عمليات الترهيب التي مارسها عناصر الإرغون، وأيضا الترهيب الذي مارسته العناصر العربية غير النظامية في مواقع عديدة.

#### السهل **الساحلي**

تجلت عملية الفرار من الريف خلال تلك الفترة بشكل واضح في منطقة السهل الساحلي، بين كل من تل أبيب وحديرا، حيث شكل اليهود الأغلبية، كما أنه طبقا لخطة التقسيم كانت تلك المنطقة تمثل صميم الدولة اليهودية.

ووفقا لسجلات القسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه تمثلت القرى الأولى التي جرى هجرها بالكامل في التاسع والعشرين من ديسمبر في المخيزن والمنصورة القريبتين من رحوفوت (455). وفر سكان قرية المنصورة (نحو 100 فرد) إلى النعاني وقزازة، أما سكان المخيزن (نحو 200 شخص) فقد فروا إلى قزازة والمسمية. وقد تم إجلاء سكان القريتين في أعقاب هجوم انتقامي من قبل الهاغاناه على قرية قزازة في التاسع عشر من ديسمبر، أسفر عن مقتل قرويين وسقوط عديد من الجرحى، فضلا عن إحداث تدمير جزئي لمنزل المختار، نتيجة لقيام سكان قزازة بقتل ضابط فضلا عن إحداث تدمير جزئي لمنزل المختار، نتيجة لقيام سكان قزازة بقتل ضابط من الهاغاناه قبل ذلك بأيام قليلة، وفي ضوء خوفهم من الانتقام أرسلوا في من الهاغاناه قبل ذلك بأيام قليلة، وفي ضوء خوفهم من الانتقام أرسلوا في

السادس عشر من ديسمبر كثيرا من النساء والأطفال إلى مناطق آمنة في النعاني القريبة. وفي أعقاب هجمة التاسع عشر من الشهر نفسه أُجلي مزيد من النساء والأطفال. وأوضح تقرير للقسم العربي لجهاز استخبارات الهاغاناه أن «الانتقام» (في قلب منطقة ذات أكثرية عربية) «ترك تأثيرا قويا» (456). (يلاحظ أن آخر من تبقى من سكان قزازة طُردوا على أيدي قوات الدفاع الإسرائيلية بعد مرور سبعة أشهر في السادس عشر من يوليو) (457).

في الوقت ذاته تم كذلك إجلاء النساء والأطفال من خربة بيت لد (1 ديسمبر) (659)، وسلمة (خارج يافا في 6 ديسمبر) (659)، وخربة عزون أو تبصر (شمال رعنانا في 21 ديسمبر تنفيذا لأوامر صادرة من نابلس). وقتلت التعليمات الصادرة لخربة عزون في الحفاظ على «علاقات طيبة» مع اليهود ولكن ظاهريا فقط، «ففي اليوم الذي سيحدث فيه انقضاض عربي شامل على المستوطنات اليهودية فإنه سُيجلى كل سكان القرية، وانتظارا لذلك يلزم إظهار البراعة في التعامل» (669). وتقليديا، كانت هناك علاقات طيبة بين سكان القرية وجيرانهم اليهود (1641). أما في الشمال، فقد صدرت أوامر متكررة من اللجنة العربية العليا - خلال شهري يناير وفبراير صدرت أوامر متكرة من اللجنة العربية العليا - خلال شهري يناير وفبراير بالرفض (1948 - إلى الرجال في خربة السركس بإخراج النساء والأطفال، بيد أنها قوبلت بالرفض (1662). وفي الحادي عشر من فبراير تم إجلاء مزيد من السكان من خربة عزون نتيجة الخوف من العمليات اليهودية (663).

في الخامس عشر من شهر ديسمبر 1947 قامت قبيلة عرب البلاونة البدوية - التي عاشت في عدة مخيمات بالقرب من ناتانيا وضمت إجمالا 350 شخصاب بحزم ممتلكاتها والتحرك في اتجاه الشرق لتستقر بالقرب من طولكرم (464)، وكان قد سبق لها أن تلقت الأوامر، منذ 1 أو 2 ديسمبر، من السلطات في طولكرم بالاستعداد للانتقال (465).

كانت أول قرية تُخلى بالكامل في منطقة تل أبيب هي صميل شمالي المدينة، في الخامس والعشرين من ديسمبر. انتقل القرويون إلى الجماسين القريبة ما تسبب، على الأرجح، في تثبيط همم مضيفيهم (466). فقد سبق أن غادر بعض القرويين الجماسين ذاتها في الأول من ديسمبر (467). حيث أصدرت السلطات العربية الأوامر للسكان القرية بالكف عن العلاقات الجيدة الذين عرفوا بها مع اليهود (468)؛ وهو

ما أدى إلى شعورهم بالوقوع في شرك. وعلى حين بدا أنهم طولوا إبعاد العناصر غير النظامية، رصدت الكشافة اليهودية خلال أسابيع وجود «مجموعة صغيرة من العصابات المسلحة» قادمة من الخارج في شوارعها الضيقة شرعت منذ الثاني من ديسمبر في قنص الحافلات اليهودية المارة، الأمر دفع الهاغاناه إلى إرسال دورية للمنطقة التقت في طريقها بشخص عربي بادر بالسؤال عما إذا كان هناك خطر في البقاء، فكان الرد بأنه «ليس هناك ما يدعو إلى الخوف»، فذكر العربي أنه تم أجلي كل النساء والأطفال والحيوانات إلى عرب أبو كشك (قرية كبيرة تقع إلى الشمال) ولم يبق إلا صانعو المشاكل وعناصر المليشيات (منه الله اليوم (أو اليوم التالي) بعداً السكان المتبقون «في الرحيل مذعورين» (400). وفيما يتعلق بمختار القرية، وكذلك مختار صميل المجاورة، فقد تردد أنه أحتُجزا في يافا لقيامهما بالاتجار مع اليهود (120) أما بالنسبة إلى من بقي من السكان فقد رحلوا خلال شهري مارس وأبريل إلى كفر قاسم وجلجولية (400).

كما سبق أن رأينا، في المنطقة الموجودة مباشرة في الشمال، فإن قرية الشيخ مونس الكبيرة، شمالي نهر العوجة، وقبيلة أبو كشك، التي عاشت بين العوجة وهرتسليا- رعنانا، كانتا قد قبلتا حماية الهاغاناه خلال الأسابيع الأولى من الحرب ووافقتا على العيش في سلام وأن تبتعدا عن العناصر غير النظامية. وعلى مدار الأعوام تتعت كل منهما بعلاقات صداقة مع جيرانهما اليهود (يُذكر أن قبيلة أبو كشك ماجسرت إلى فلسطين قادمة من مصر في منتصف القرن التاسع عشر، وفي العام 1948 أضحى أغلب أفرادها فلاحين يقيمون في منازل أو أكواخ على الرغم من أن كثيرين ظلوا يعيشون في خيام). لكن العلاقات لم تكن دائما سهلة بين الطرفين. ففي كثيرين ظلوا يعيشون في خيام). لكن العلاقات لم تكن دائما سهلة بين الطرفين. ففي العام 1946 قام ثلاثة رجال من الشيخ مونس باغتصاب فتاة يهودية. وبالإضافة إلى إحساءات التقاضي، قامت الهاغاناه بإطلاق النار وجرح أحد المهاجمين، واختطفوا أخر وقاموا بخصيه قبل إيداعه المستشفى) (473). وقد أثرت بداية عمليات القتال في يغادرون الشيخ مونس التي كانت تطل على مهبط تل أبيب (مطار سدي دوف) يغادرون الشيخ مونس التي كانت تطل على مهبط تل أبيب (مطار سدي دوف) والطريق الساحلي الرئيسي تل أبيب - حيفاً المروبون مظلب رفيق التميمي والطريق الساحلي الرئيسي تل أبيب - حيفاً المروبون مظلب رفيق التميمي والمروبون مظلب رفيق التميمي والمروبون مظلب رفيق التميمي والطرية واتقين في اتفاقهم مع الهاغاناه، ورفض القروبون مظلب رفيق التميمي والمربوب ون مظلب رفيق التميمي والمربوب ون مظلب رفيق التميمي والمديق التميمي والتقين في اتفاقهم مع الهاغاناه، ورفض القروبون مظلب رفيق التميمي المي المتوروب الميوروب ون مطلب وفيق التميمي التميمي والتقين في اتفاقهم مع الهاغاناه، ورفض القروب ون مطلب رفيق التميمي المهبط واثقين في اتفاقهم مع الهاغاناه، ورفض القروب ون مطلب رفيق التميمي التميمي التميمي المستفية المستفيق المستفيق المستمين الميابع المؤبوب المتعرب والتقين في المهبط المؤبوب المؤبوب المؤبوب المهبوب والمؤبوب المؤبوب ال

(قائد اللجنة العربية العليا في يافا) بأن يؤسسوا لجنتهم الوطنية(475). خلال شهري يناير وفبراير جرى إطلاق نار من وقت إلى آخر (وبشكل غير كثيف) من الشيخ مونس وضواحيها في اتجاه المنازل اليهودية. سارع الأهالي بتقديم تفسيرات مختلفة في حين حافظت الهاغاناه على السلام. ومع ذلك قبلوا بنقل بعض السكان، الذين كانوا يقيمون على الأرجح بشكل مؤقت، إلى قطعة أرض جنوبي نهر العوجا، وسمحت الهاغاناه للقرويين بصيد السمك من النهر (الذي كان متاخما لتل أبيب) (476). وفيما يخص أبو كشك فإنه رفض السماح بدخول العناصر التابعة لجيش الإنقاذ وأوضح لمندوبه أن «عرب المنطقة سيتعاونون مع اليهود ضد أي قوى أجنبية تحاول الدخـول»(477) وعلى ما يبدو تقبل قادة جيـش التحرير العربي للمنطقة، مدلول بك وسعيد بك، علاقات أبو كشك باليهود (أخذا في الاعتبار وضعية أبو كشك الخاصة) بل وكانوا أنفسهم غير متحمسين لفكرة البدء في الأعمال القتالية، ووعدوا بإخطار أبو كشك قبل القيام بأي هجوم واسع النطاق(478). كما نجح توفيق أبوكشك، أحد أعيان العرب، في التوسيط من أجل التوصل لوقف إطلاق نار بين مستوطني مغدال وقرية بيار عدس العربية (479). ونتيجة لخشيته من وحدات جيش التحرير العربي، فرض لواء إسكندروني - بحلول منتصف شهر مارس- حصارا حول كل من قرية الشيخ مونس، وأبو كشك وقريتين صغيرتين قريبتين (جليل الشمالية وجليل القبلية)(480) بل ذهب اللواء إلى النظر في إمكانية شراء عدة منازل في الشيخ مونس لإيواء حامية صغيرة هناك (481). وكان من الممكن آنذاك أن تكون عناصر من اللواء أقامت بالفعل في عديد من المنازل على أطراف القرية(482).

ربما كان للطوق الذي فرضه لواء إسكندروني هدفا إضافيا تمثل في حماية أبو مونس من عمليات سلب محتملة من قبل عناصر الإرغون والهستدروت (483) - علي سبيل المثال، قام رجال مسلحون تابعون للإرغون في الثاني عشر من مارس بخطف خمسة من أعيان القرية. ووفقا للقسم العربي لجهاز استخبارات الهاغاناه أدى ذلك إلى أن «يتعلم العرب أنه لا يكفي فقط التوصل إلى اتفاق مع الهاغاناه؛ وأن هناك «يهودا آخرين» [منشقين] يجب الحذر منهم وربما أكثر من الهاغاناه التي ليس لها أي سيطرة عليهم» (484). خيم الخوف على قرية الشيخ مونس إلى الحد الذي دفع باللاجئين القادمين من صميل والجماسين إلى الرحيل منها في الثاني والعشرين من مارس (485)، وذكر خبراء

الشؤون العربية في الهاغاناه أن «القرويين أنفسهم يرغبون في الرحيل ولكنهم بقوا في أماكنهم تحت ضغط اللجنة الوطنية في يافا» كذلك أفادوا بأن «الشيخ مونس كان ينتظر أوامر من اللجنة الوطنية» (689)، وفي المقابل بقيت سياسة الهاغاناه ثابتة على النحو الذي أعلنه غاليلي: الإبقاء على العرب وحمايتهم في الأماكن المحصورة التي تقع في الأراضي ذات الأغلبية اليهودية (784). وعلى صعيد آخر، تم في الثالث والعشرين من شهر مارس تحرير الأعيان الذين سبق اختطافهم وتسليمهم إلى الهاغاناه التي أعادتهم بدورها إلى الشيخ مونس (689). وعلى الرغم من ذلك تدهورت ثقة سكان سلسلة القرى شمالي نهر العوجا، وخلال الأيام التالية بدأ قاطنو الشيخ مونس وأبو كشك في الجلاء والرحيل إلى قلقيلية وطولكرم (689) بعد تفويضهم ليوسف سوتزي، من مستوطنة بتاح تكفا، للتفاوض مع الهاغاناه لحماية ممتلكاتهم المهجورة (690). وأقام توفيق أبو كشك ورجاله، في الثامن والعشرين من مارس، مأدبة كبيرة قبل الرحيل جمعت أصدقاءهم اليهود، «وغادر الشيخ والعشرين من مارس، مأدبة كبيرة قبل الرحيل جمعت أصدقاءهم اليهود، «وغادر الشيخ المكان والشعب اليهودي بعد أن ألقى كلمة مؤثرة» (691). في حين شرع قادة اليشوف تقريبا على الفور في تخصيص أراضي الشيخ مونس للاستخدام اليهودي (692).

فسر قادة أبو كشك بعد مضي أيام عدة إجلاؤهم باعتباره قد نبع من عدة أسباب: 1- المتاريس التي أقامتها الهاغاناه على الطرق... 2- القيود التي فرضتها الهاغاناه على التحرك سيرا على الأقدام، 3- سرقة [من قبل اليهود؟] السيارات، 4- اختطاف رجال الشيخ مونس من قبل الإرغون (493).

فضلا عن ذلك، رحلت قبيلة عرب السوالمة (494) المجاورة وسكان كل من الجليل القبلية والجليل الشهالية خوفا من الهجمات اليهودية. وطلب سكان الجليل من جيرانهم اليهود العناية بممتلكاتهم ثم استأجروا سيارات يهودية، بموافقة الهاغاناه، لنقل أمتعتهم، بما في ذلك عشرات البنادق والمسدسات، إلى دار شريكهم على قاسم أفندي القريب للاحتفاظ بها (495).

خلال أيام، تواترت معلومات تفيد بأن أولئك الذين تم أُجلوا من أبو كشك والشيخ مونس والمناطق المحيطة بهما يعانون في مخيماتهم في قلقيلية (منطقة جلجولية)؛ حيث لم يجدوا أي مصادر للعيش وبدأت أموالهم في النفاد في وقت عاملهم في جيرانهم الجدد «بعداوة» (496). وفي ضوء الشائعات التي ترددت بأن ممتلكاتهم تنهب فكر بعضهم في العودة (497)، بيد أنهم لم يقدموا على ذلك.

شهدت المنطقة الأبعد شمالا خلال الأسابيع الأولى للقتال عمليات فرار تجاه الشرق بشكل عام، يعيدا عن السنهل السناحلي، من عدد من القبائسل البدوية والعشائر (498) - عرب البلاونة في 15-16 و31 ديسمبر 1947 (499)، عرب الملائحة بالقرب من شيفاييم في 8 يناير (500)، عرب أبو رزق وعرب أبو خضر في 31 يناير-1 فيراير (501)، عرب النصيرات 3 فبراير، عرب الشويكي بالقرب من هرتسليا في 11 فيراير، عسرب الرميلات وعرب الحويطسات في 15 فبراير، عرب الكبارة جنوب الطنطورة 17 فبراير (502)، قبائل عرب الصفصافي الصغيرة وقبيلة صيدون الصغيرة التي عاشت في المرتفعات بين قيسارية وبرديس حنا مطلع فبراير (503)، عرب الحجازي في 25 فبراير، عـرب الكوز في 23 مارس - عرب أمارير، وعرب الحق، وعرب الفلق كلهم رحلوا في 3 أبريل. وتمثل سبب الرحيل في الخوف من الهجسمات اليهودية. بيد أنه تردد أن عرب النصيرات فروا بسبب «عمليات» الهاغاناه، كما فر عرب الشويكي في أعقاب هجوم قامت به عناصر الإرغون على مخيماتهم (504). وقد نظرت الهاغاناه إلى بعض تلك القبائل على أنهم موقعي مشاكل حقيقيين أو محتملين، الأمر الذي قد يكون سببا في «إشعال المنطقة بأكملها» (505) ومن ثم فإنه كان من الأفضل أن «تنصحهم» الهاغاناه بالرحيل. وقد أخليت مخيمات عرب الرميلات (بالقرب من نتانيا وكيبوتس هاماعبيل وكاديها) بعد حملة حرب نفسية قادتها الهاغاناه ضدهم (506). كما أنه رُحُـل قاطنو إحدى اللخيمات التابعة لقبيلة أبو كشـك خلال عملية نفذتها عناصر الإرغون (507). ومن جانب آخر فإنه من الممكن أن يكون إجلاء عرب النفيعات (جنوب غرب حديرا) تجاه الشرق بدءا من 28 مارس في أعقاب تحذير محتمل من اللجنة الوطنية في طولكرم من هجوم يهودي وشيك(508).

في منتصف شهر فبراير تلقت قبيلة عرب وادي الحوارث (وهي قبيلة شبيه حضرية تقع جنوب حديرا تعليهات من مدلول بك (قائد بجيش الإنقاذ) بإجلاء «النساء والممتلكات من المنطقة العربية» (509). وليس من الواضح ما إذا كانوا قد انصاعوا لذلك. وبعد مرور شهر، أسفر كمين نصبته قوات الهاغاناه لسيارة أجرة عن مقتل ثلاثة أو أربعة من عرب وادي الحوارث، ومنذ ذلك الحين بدأوا في الرحيل «مؤكدين أن اليهود وعدوهم منذ البداية أنه لن يصيبهم أذى [إذا ما استمرط في البقاء]» (510)، بيد أن صحيفة «فلسطين بوست» نقلت أن المفوض البريطاني

لحي السامرة (أي. أر. ريفيز) نصح السكان بالرحيل ووفر حراسة عسكرية لأولتك الذين رحلوا بالفعل (511). وقد استمرت عملية الإجلاء آسابيع عدة (512). وفي بداية شهر مايو أوصى الخبراء العرب للواء إسكندروني بتدمير مساكن عرب وادي الحوارث فيما عدا ما بُني منها بالحجارة والذي «عكن أن يصبح صالحا للسكن الآدمي [اليهودي]» (513).

كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى البدو، فر القرويون في شارون خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948، بشكل رئيس بسبب هجمات الهاغاناة أو الإرغون أو نتيجة للخوف من وقوع تلك الهجمات. كما أُجليت قرية الحرم (سيدنا علي) والواقعة على ساحل البحر المتوسط في الثالث من فبراير كذلك بداقع الخوف من الهجمات اليهودية (1843). وفي اليوم ذاتـــه أُجليت قرية المر أو المحمودية ولكن بعض سكانها رجعوا في الخامس عشر من الشهر ذاتــه (515)، ليهربوا مجددا بعد مرور شهر (516). وأخيرا أُخليت أم خالد (شرق نتانيا) بدافع الخوف في العشرين من شهر مارس (516).

كما سبق أن رأينا، لم تكن سياسة الهاغافاه حتى نهاية شهر مارس غيل إلى فكرة الترحيل، بيد أنه كانت هناك مبادرة أو اثنتان غير مرخص بهما قفي بدايات شهر يناير أصدر بعض اليهود في منطقة وادي حديرا- حيفر تحذيرا شديدا لجيرانهم العرب بأن «يغادروا مكان إقامتهم الحالي ...» (518) ومع ذلك، فليس هناك ما يدل على أنه كان لذلك تأثير فوري.

جـرت عملية طرد مُصرِّح بها تعلقت بسـكان قيسـارية (جنوب حيفا)، الذين كانـوا يقطنون ويزرعـون أراضي يهودية وتابعة للكنيسـة الأرتوذكسـية اليونانية. وغادرت عائلـه كبيرة القرية في العاشر من يتاير (519). وعلى إثر الكمين الذي نصبته الهسـتدورت في الحادي والعشرين من شهر يناير لحافلة غادرت من فورها القرية، وقضى خلاله اثنان من العرب وجرح ثمانية (أحد القتيلين وعديد من الجرحى كانوا من سـكان القرية)، رحل أغلبية السـكان إلى قرية الطنطورة المجاورة (520)، وقررت الهاغاناه احتلال الموقع حيث تعلق الأمر بأراض يهودية (521). وفي ضوء خشـيته من العافانين على طرد عناصره، طلب قائد العملية من القيادة العامة الترخيص له بتسـوية القرية بالأرض (522). عارض إسـحاق رابين، رئيس عمليات البالماخ، ذلك

غير أنه تم تجاهل تلك المعارضة. وفي ليلة 19-20 فبراير دمرت الكتيبة الرابعة من البالماخ المنازل، واقتادت ما يقرب من عشرين شخصا عُثر عليهم في الموقع إلى مكان آمن، في حين قام بعض أفراد القوة بنهب المنازل المهجورة (523). وعلى الرغم من مرور أكثر من شهر على ذلك استمر العرب في الشكوى إلى العمد اليهود المحليين من أن أموالهم ومقتنياتهم الثمينة التي سُرقت لم تعد إليهم (524). ووفقا لأهارون كوهين: «بذل عرب قيسارية أقصى ما في وسعهم للمحافظة على السلام... وزود القرويون اليهود في حيفا وحديرا بالمنتجات الزراعية... وفُهم الهجوم في قيسارية- وليس فقط اليهود في حيفا وحديرا بالمنتجات الزراعية... ولهم الهجوم في قيسارية- وليس فقط على الرحيل...» (525).

تجدر الإشارة إلى أن بعض عمليات الإجلاء عُجُّل بها نتيجة أوامر أو نصائح عربية. ففي أواخر شهر ديسمبر أمرت اللجنة الوطنية الإقليمية الحراس العرب في البساتين المحيطة بحديرا (خوفا على سلامتهم) بالرحيل بصحبة عائلاتهم، وقد قام بعضهم بالفعل بذلك (526). كما أُخليت جرملة جزئيا في بداية شهر فبراير «بناء على أوامر من العصابات العربية» وهُجرت في نهاية المطاف مع حلول الأول من أبريل نتيجة الخوف (527). وبالنسبة إلى سكان البريكة (جنوب شرق زخرون ياكوف) فإنهم تلقوا بشكل واضح أوامر في بداية شهر مارس من اللجنة العربية العليا بإخلاء القرية وبُرر ذلك بأنه يمكن استخدامها من قبل العناصر غير النظامية كقاعدة للهجوم على طريق حيفا تل أبيب (528). بيد أن معظم أو كل القرويين صمدوا بشكل واضح في أماكنهم.

### الفرار من مجتمعات قروية أخرى ديسمبر 1947- مارس 1948

في الحادي والثلاثين من مارس 1948 كتب يوسف ويتز- في أعقاب زيارته لمناطق الشمال - إلى أبراهام غرانوفسكي (أو «غرانوت»، رئيس الصندوق القومي اليهودي): «هناك توجه بين جيراننا... لأن يغادروا قراهم»، وأشار إلى رحيل سكان قومية (المعرفون تقليدياً بصداقتهم) (529) والواقعة في مرج ابن عامر (530) والتي فر الجانب الأكبر من سكانها تقريبا في السابع والعشرين من مارس؛ نتيجة لشعورهم

بالعزلة وهشاشة الوضع؛ وربما يكونون قد تلقوا «نصيحة ودية» من جيرانهم في كيبوتس عين حارود، وبقي في القرية 15 رجلا وعدد من النساء لعدة أيام حتى نقلوا مع ممتلكاتهم إلى خارجها بواسطة الجيش البريطاني في الثلاثين من مارس، وأخلت قوات الهاغاناه الموقع تماما (531).

شـجع ويتز هذا «الاتجاه» للرحيل؛ حيث أدرك فـور بدء القتال أن الظروف كانت مواتية لتهويد قطع أرض تم شراؤها وامتلاكها من قبل مؤسسات يهودية (الصندوق القومي اليهودي، PICA) والتي استمرت جماعات المزارعين المستأجرين العرب في احتلالها. لم يكن اليشوف، تحت الحكم البريطاني، بشكل عام قادرا على إبعاد هؤلاء السكان على الرغم من عرضه مبالغ تعويضية سخية. في بعض الحالات قبل المزارعون العرب المستأجرون التعويض واستمروا في احتلال الأرض. وقد ذهب ويتز إلى أن الظروف في مطلع العام 1948 (الحرب، والفوضى، والانسـحاب البريطاني) مكنت أخيرا اليهود من الاستحواذ على هذه الأراض، وعادة ما كانت هناك ضغوط من قبل الجيران اليهود لإبعاد المزارعين المستأجرين لتمكينهم من الأرض. وروى ويتز أنه في نهاية شهر مارس جاء إليه مستوطنون من نحلال ووادي بيت شيان (بيسان) وكفر يحزقيل لمناقشة «مشكلة أراضينا... وتحريرها من المزارعين المستأجرين، وقد اتفقنا على خطوات معينة للعمل...» (532). لم يقتصر دور ويتز فقط على التعبير عن مواقف ساكني المستوطنات اليهودية؛ حيث إنه كان أيضا مُنفذا ومبتكرا للأفكار والسياسات. وقد بدأت أراؤه حول كيفية تسوية هذه المشكلة في التبلور في بداية شهر يناير، فعلى إثر لقائه بموظفى الصندوق القومي اليهودي في الشمال كتب في مذكراته:

أليس الآن الوقت للتخلص منهم [مشيرا على وجه التحديد إلى المزارعين المستأجرين في يوكنعام و دالية الروحاء]؟ لماذا نستمر في الإبقاء على تلك الأشواك بيننا في وقت عثلون خطرا علينا؟ إن شعبنا يدرس [الحلول]» (533).

في العشرين من فبراير لاحظ ويتز أن البدو في وادي بيسان، الذي يمتلك اليهود جيزءا كبيرا من أراضيه، بدأوا في عبور نهر الأردن، وحول هذا الموضوع كتب: «من الممكن أن يكون الوقت قد حان الآن لتنفيذ خطتنا الأصلية: أن ننقلهم هناك» (534).

شرع ويتز خلال شهر مارس - وبمبادرة ذاتية - بوضع خطته موضع التنفيقه وسعى في بداية الأمر إلى استصدار قرار مبدي من رئاسة أركان الهاغاناه بطرة المستأجرين. ومع فشله في ذلك لجأ إلى توظيف صلاته الشخصية في المستوطئات ومع وحدات الهاغاناه المحلية وضباط جهاز استخباراتها، لتنظيم عدة عمليات طرد حيث أقنع يهودا بورستين، ضابط استخبارات الهاغاناه في يوكنعام (جنوب شرقي يافا)، بأن «ينصح» المزارعين المستأجرين وأولتك الموجودين في الجوار (قيرة وقامون) بالرحيل، وقد أنتهى الأمر بتحقيق ذلك بالفعل. وحينئذ قرر ويتز ورفاقه في الشمال محو منازل المزارعين وتدمير محاصيلهم ودفع تعويضات للمطرودين (535). وفي الوقت ذاته نظم ويتز بالتعاون مع مستوطني كفر مازاريك طرد بدو عرب الغوارئة النين يستغلون خليج حيفا، وأيضا طرد جماعات صغيرة من المزارعين المستأجرين في دالية الروحاء والبطيمات (جنوب شرقي حيفا)

بدأ ويتز قرب نهاية شهر مارس الضغط على القيادة العسكرية - السياسية (غاليلي - بن غوريون - شكولنيك) لاتخاذ قرار على المستوى القومي بطرد العرب من المنطقة المخصصة للدولة اليهودية وفقا لخطة التقسيم، ومع ذلك فإن مطاليه المستمرة ومحاولاته لكسب التأييد قابلتها مقاومة أو مراوغة: فالقادة إما رفضوا وإما كانوا غير راغبين في الزام أنفسهم بسياسة عامة للطرد (537). تُرك ويتز ليقوم بصورة شخصية بتشجيع عمليات طرد محلية. ففي السادس والعشرين من مارسه على سبيل المثال، دعا خلال اجتماعه مع موظفي الصندوق القومي اليهودي إلى طرد السكان في قومية والطيرة المجاورتين معلى لا ذلك بأنهم «لا يمكنهم أن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية تسلل العناصر غير النظامية ... يلزم إجبارهم على ترك قراهم على عادى يحل السلام» (538).

أسفرت استراتيجية الهاغاناه القائمة على توجيه عمليات انتقامية قوية خلال الشهور الأولى للصراع عن هرب عدد من المجتمعات الريفية: منصورة الخيط (منصورة الحولة) الواقعة جنوب مشامر هياردين، أُخليت مؤقتا خلال ضربة انتقامية في الثامن عشر من ينلير شهدت حرق خيام وأكواخ وقتل حيوانات المسزارع. وكانت التعليمات الصادرة تتضمن «القضاء على أي شخص يُبدي مقاومة» (539). وأُجلي سكان الحسينية (الواقعة إلى الشامال) تماما كما كانت عليه الحال في قرية العلمانية المجاورة، وبشكل

مؤقت كراد الغنامة وكراد البقارة في منتصف شهر مارس علي إثر ضربة وجهتها البلغاخ ضد الحسينية ليلة 12-13 مارس، حيث أُعلن عن تفجيع عدد من المنازل وقتل عدة عشرات من العرب (من فيهم أعضاء من كتيبة المتطوعين العراقيين ونساء وأطفال) وأصيب عشرون آخرون بجراح، في حين قُتل ثلاثة من أفراد الكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ (540). وقد أدهشت «فظاعة» الهجمة كلا من الجزال ماكميلان (قائد الجيش البريطاني في فلسطين) ويوسف نحماني (مدير الصندوق القومي اليهودي)؛ حيث إنه وفقا للمعلومات الواردة للأخير من مصادره أعدم مختار الحسينية بعد التأكيدات التي تلقاها من القائمين بالغارة بأنه لن يصيبه أذى (541). يُذكر أنه شُنت الغارة في أعقاب مجمات عربية متكروة على وسائل النقل اليهودية في الجوار.

قي موقع آخر في الشمال هُجُرت العديد من القرى إما بصورة كاملة أو جزئية بسبب الشعور بالعزلة والقابلية للتعرض للهجمات اليهودية. وكانت هذه هي الحال بالنسبة إلى خيام الوليد (شمال شرق صفد) التي هُجُرت تقريبا بشكل كامل في الأسبوع الأخير من شهر مارس (542)، وفي الثالث من شهر مارس غادر سكان تل العبيدية (جنوب بحيرة طبريا) إلى منطقة الناصرة. كما أن السكان، خصوصا من المناطق المزدهرة بالقرب من سمخ، رحلوا خلال الشهور الأولى للقتال لأسباب مماثلة، وهو ما فعله كذلك عرب البواطي شمال شرق بيسان، خصوصا بعد هجمة من قبل الهاغاناه. كذلك هُجرت المزرعة، في غربي الجليل، مؤقتا في السادس من شهر فبراير. وقرية وعرة السريس بالقرب من كريات أتا في الثاني عشر من الشهر ذاته إثر وجود العناصر غير النظامية (543).

هُجر ثلاث قرى في حي القدس بشكل مؤقت خلال الفترة من يناير إلى مارس: قلنديا - العسوية - بيت صفافا. وبالنسبة إلى العسوية فقد جاءت الهجرة تنفيذا لأوامر اللجنة العربية العليا (544). أما في بيت صفافا فقد كان ذلك في أعقاب هجمات من الهاغاناه (545)، ومع ذلك تمت عملية تسكين كل السكان فيما بعد.

أسفرت عمليات القتال في الجنوب خلال شهر مارس في مناطق خط أنابيب المياه من اليشوف إلى مستوطنات النقب المعزولة عن هروب المجتمعات القبلية وشبه الحضرية حين قامت العناصر غير النظامية يتفجير خط الأنابيب، الأمر الذي تبعه شن عمليات ثأرية من قبل وحدات البالماخ من قبل وحدات البالماخ (646). وقد هجر سكان قرية شعث الصغيرة (الواقعة قرب كيبوتس غفولوت بجوار خان يونس) بشكل مؤقت

بعد قيامهم في التاسع من شهر ديسمبر بقتل ستة أفراد من غفولوت، من بينهم امرأة، كانوا قد دخلوا القرية بطريق الخطأ (547). وقد عاد السكان لاحقا إلى الموقع. بيد أنه خلال شهر يونيو 1948. فر العديد منهم إثر تدمير مطحنة، وأخيرا دُمرت وهُجرت القرية خلال هجمة قوات الدفاع الإسرائيلية في 22 يوليو 1948، وقد تضمنت الأوامر: تدمير القرية، وكما يبدو، قتل جميع السكان من الذكور (548).

# ردود أفعال السلطات العربية إزاء النزوح الجماعي ديسمبر 1947 - مارس 1948

اتسمت ردود الأفعال العربية إزاء الهجرة الجماعية خلال الشهور الأولى من القتال بالارتباك وعدم التنسيق، مما عكس طبيعة العلاقات بين الدول العربية، وبين الدول واللجنة العربية العليا، وبين اللجان المحلية والمحليات، وبين السلطات المحلية المختلفة والعصابات والعناصر غير النظامية.

بدا النزوح الجماعي في بدايته على أنه مجرد إعادة إنتاج لما حدث في الفترة من 1936-1939، حين هرب ما بين 25-40 ألف فلسطيني بشكل مؤقت من البلاد (549). وكلما كانت عليه الحال آنذاك، فإن أغلب الذين أُجلوا ووصلوا إلى البلاد العربية خلال الشهور الأولى من الحرب كانوا أساسا من عائلات الطبقات المتوسطة والعليا، وبالكاد شُعر بوصولهم الذي لم يشكل عبئا على البلاد المضيفة. وفيما يخص الذين أُجلوا من منطقة السهل الساحلي والشمال، فإنهم توجهوا بشكل رئيسي (على الأقل بالنسبة إلى القادمين من مراكز السكان العربية والقرى في الشرق) إلى داخل فلسطين (الناصرة و«المثلث» (\*). وقد نظر أغلبهم إلى مغادرة الديار على أنه أمر مؤقت.

ومن ثم فإنه حتى نهاية شهر مارس كان للنزوح الجماعي تأثير محدود في الدول العربية ولم يقلق قادتها كثيرا، إن لم يكن على الإطلاق. ولم تقم الدول بعمل أي شيء للتعجيل من الهروب من فلسطين ولكنها شعرت مضطرة إلى قبول الرفاق العرب اللاجئين من حرب مقدسة مع اليهود، كذلك فإنهم لم يفعلوا أي شيء، بداية لمنع دخول اللاجئين. وفي حقيقة الأمر، قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية

<sup>(\*)</sup> المقصود بالمثلث هو المدن الثلاث الكبرى في الضفة الغربية: جنين، نابلس، وطولكرم والقرى العربية التابعة لها. [المحررة].

قبيل الحرب، وفي اجتماعها خلال شهر سبتمبر (في صوفر بلبنان) «أن تفتح الدول العربية أبوابها لاستيعاب الرضع والنساء وكبار السن من بين العرب الفلسطينين وأن ترعاهم إذا ما تطلبت التطورات في فلسطين ذلك» (550). بدأ بعض القادة العرب آنــذاك في إبداء قــدر ضئيل من القلق (551). بيد أن قــرارات الجامعة العربية كانت ملزمة، ومن ثم كان من الطبيعي أن تحجم الدول العربية إجمالا عن منع اللاجئين من دخول أراضيها، عـلى الرغم من أن اللجنة العربية العليا عارضت بشــكل عام النزوح الجماعي وكانت معارضة لمنح اللاجئين تأشيرات دخول (552).

أصدرت اللجنة العربية العليا في الثامن من يناير بيانا كذبت فيه أن تكون قد أصدرت أوامر بإجلاء المدنيين من بعض المناطق، وموضحة أنها تبنت فقط ترحيل الأطفال وكبار السن من القرى الواقعة على خط النار، وأضاف البيان أن على النساء البقاء ومساعدة الرجال المقاتلين (553).

تمثلت المسكلة في أنه ليس فقط المعالين هم من رحل، ولكن أيضا الذكور في سن التجنيد. ومع ذلك فإن أعدادهم كانت قليلة للغاية في البداية لتثير مخاوف جوهرية. ولم تبدأ الحكومات العربية في التعاطي مع المشكلة إلا في النصف الثاني من شهر مارس 1948، فقرابة الثاني والعشرين من ذلك الشهر اتفقت تلك الحكومات فيما بينها على أن تقوم قنصلياتها بمنح تأشيرات فقط لكبار السن والنساء والأطفال والمرضى، كما أمرت لبنان بإغلاق حدودها أمام الفلسطينين فيما عدا النساء والأطفال (554). ومن ثم تردد أنه في الثالث والعشرين من شهر مارس، رفضت القنصليات اللبنانية والسورية في حيفا منح تأشيرات «لسكان حيفا الكثيرين» الذين تقدموا ذلك اليوم بطلبات للحصول عليها (555).

في المقابل كانت المسكلة من وجهة نظر فلسطينية أبعد مما تكون هامشية. فمنذ ديسمبر 1947 كانت اللجنة العربية العليا واللجان الوطنية تقاوم النزوح الجماعي؛ حيث ساد القلق بشكل خاص من فرار الذكور في سن القتال. وفي الرابع والعشرين من ذلك الشهر نقل أحد المرشدين لجهاز استخبارات الهاغاناه وجود توجيه سري (يُفترض أنه صادر عن اللجنة العربية العليا)... منع الذكور العرب القادرين على المشاركة في المعركة من مغادرة البلاد، وتطلب سفر أي منهم إلى الخارج موافقة المفتى شخصيا (556).

وفقا للصادر جهاز استخبارات الهاغاناه، لم يقتصر الرحيا على العائلات الغنية، التي كانت في أغلبها مسيحية، ولكنه شمل أيضا الطبقات العربية الأقل شراء. وفي المقابل كانت اللجنة العربية العليا «تبذل قصارى جهدها لمنع السفر للخارج» وفرضت على أفراد العائلات الذين غادروا إلى سورية أو مصر «ضرائب باهظة» (557). رصد جهاز الاستخبارات العسكرية البريطاني في نهاية شهر يناير قلسق اللجنة من هذه الظاهرة؛ حيث أصدر المفتي أوامره لأولئك الذين رحلوا بالعودة معلنا أنه في حالة رفضهم لذلك «ستشغل منازلهم بعرب آخرين (أجانب) جاءوا لتقديم الدعم (الدفاع)...» (658). وقد استفادت الهاغاناه دعائيا في إذاعاتها باللغة العربية من هروب الأغنياء - في حين أصدر قسم الإرشاد العام التابع للجنة العربية، برئاسة عبد الله الرعاوي، تكذيبا يقول إن "العرب الذين سافروا للخارج غيربوا ولكنهم كانوا فقط يلتحقون بمعسكرات المحاربين (لتلقي التدريب قبل عودتهم للقتال) أو سافروا في مهمات وطنية» (وبشكل واضح لم تكن اللجنة العربية العليا قلقة من حركة السكان من بقعة فلسطينية إلى أخرى، ولكن فقط العربية العابل بلد آخر) (650).

قشلت المشكلة، كما رصدها جهاز استخبارات الهاغاناه، في وجود تغرات كثيرة (صحية، اقتصادية ... إلخ) كان من الممكن استثمارها:

منعت المؤسسات العربية [هروب] الذين رغبوا في الاستقرار في الخارج، ولكنها مازالت لا تمنع سفر أولئك [الذين يدعون] السفر لأسباب أخرى، على الرغم من أن كثيرا منهم، في حقيقة الأمر، سيصبحون لاجئين، بشكل واضح نتيجة لعدم وجود جهاز للبحث في تلك الحالات (561).

كانت اللجان الوطنية تشرف على أمور الحياة اليومية في كل مدينة، وتولي ممثليها، أو المليشيات المحلية، في كل حي مهمات وضع التوجيهات الرئيسية قيد التنفيذ. وإجمالا، حاولت اللجان الوطنية (أحيانا نتيجة لمطالبات اللجنة العربية العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل) أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل) أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل) أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل) أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل أن تقاوم النزوح المنازل (562).

1948 السكان من الإجلاء ومطالبتهم بأن «يحموا منازلهم كما يفعل اليهود» وفي ضوء عودة عدد قليل من الأفراد بعد صدور الأمر "لشباب قطمون بالعودة إلى أماكنهم" بعد مرور أيام عدة على تدمير فندق سميراميس، هددت المليشيا المحلية باللجوء إلى «أهد الطرق»، كما هُدد بفرض الغرامات وتوقيع عقوبات جسدية على أولياء الأمور الذين يحولون دون عودة أطفالهم (1968). ومع نهاية شهر مارس أُجبر عدد كبير من الأشخاص على العودة (1965)، ولم يُصدر تصريح بالمغادرة الأي شخص وسمح لشخص واحد بأن يصطحب عائلته إلى لبنان مع إجباره على سداد مبلغ ألف جنيه إسترليني إلى اللجنة الوطنية وأن يتعهد بأن يعود شخصيا بعد ذلك (1966). أما في حي الطالبية عدينة القدس فقد استنفدت المؤسسات العربية كافة وسائل الإقتاع حي الطالبية عدينة القدس فقد استنفدت المؤسسات العربية كافة وسائل الإقتاع والتهديد للإبقاء على السكان من دون جدوى (1967). وعلى الرغم من قرار اللجنة في عملية الإجلاء (1968)، استمر السكان في عملية الإجلاء (1968)، استمر السكان في عملية الإجلاء (1968)، استمر السكان

في الرابع عشر من ديسمبر 1947 قررت اللجنة الوطنية توجيه «تحذير من حركة الخروج من المدينة» (570). كما قام الشيخ يونس الخطيب، خلال شهر يناير، «بمهاجمة الأغنياء الذين هربوا من المدينة خوف على أن تُطلب منهم أموال لتمويل الذين أصابهم الأذى (خلال القتال)، وأوضح أنه طبقا للقانون الإسلامي تجب مصادرة ممتلكات أي شخص يفر من الجهاد» (571). وفي مدينة يافا أيضا فرضت لجنتها الوطنية غرامات على من يغادر وهددت بمصادرة ممتلكات من يرحل (572).

أصدرت اللجان الوطنية أو المليشيات في المدن، بين الفينة والأخرى، تعليمات إلى القرى المجاورة في الأمور المتصلة بالفرار أو الصمود. فعلى سبيل المثال أمر عبد الجبار (القائد العراقي في الرملة) مطلع شهر مارس 1948، القرويين من عرب أبو رزق بالعودة إلى قريتهم «وإلا يخشوا شيئا» (573). وفي السابع والعشرين من فبراير أمرت اللجنة الوطنية في طولكرم (والتي هيمنت عليها المعارضة) سكان المدينة بد «البقاء في أماكنهم» في حالة وقوع هجوم يهودي (574). وقد أوضح جهاز استخبارات الهاغاناه أنه في بداية شهر مارس لم تكن اللجنة «معنية بخلق مشكلة لاجئين في مدينة طولكرم والقرى المجاورة» (575).

في كثير من الأحوال أصدرت اللجان الوطنية والقادة العسكريون لجيش الإنقاذ للقرويين أوامر بإخلاء القرى لسبب أو لآخر، وعادة، كما كان عليه الوضع في حالة جيش الإنقاذ وقرية صبارين في مطلع شهر مارس (576) والقدس وبيت صفافا تقريبا في الوقت ذاته (577)، رغب رجال المليشيات في أن يُجلى القرويون حتى تكون منازلهم متاحة للعناصر غير النظامية كمواقع أو أماكن للمبيت. وفي أوقات أخرى كان الإجلاء مدفوعا بعدم الرغبة في ترك تلك المجتمعات تحت السيطرة اليهودية، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى الأمر الصادر من اللجنة الوطنية لطولكرم في ديسمبر 1947 والموجه إلى عرب البلاونة بأن يكونوا «على أهبة الاستعداد لترك أماكنهم في أي لحظة» (578). وأيضا الأمر الصادر في شهر فبراير 1948 إلى عرب الفقارة بأن "يرحلوا" (ولكنهم رفضوا) (579). وبشكل عام الأمر الصادر إلى «كل العرب في المنطقة ... بأن يتركوا أماكنهم، وهو ما نُفذ» (580). وصدرت أوامر مماثلة من قبل اللجنة الوطنية في غزة إلى بدو الوحيدات (580).

خـلال الفترة من ديسـمبر 1947 حتـى يناير 1948 لم يؤسـس المفتي واللجنة العربية لحملة واضحة ومتماسـكة وقوية لمواجهة النزوح الجماعي، بل إن التعامل مع ملف الفرار كان في أفضل حالاته يفتقر إلى الحيوية. وربما يعود ذلك إلى حقيقة أن بعض المسـؤولين لم يكونوا مشـغولين بدرجة كبيرة بمشكلة مازالت على مستوى منخفض، كذلك قد يكون من بين الأسـباب أن عائلة الحسـيني لم تشـعر بالاستياء مـن رحيل عديد من عائلات الطبقتين العليا والمتوسـطة المعروفة تقليديا بتأييدها للمعارضة. وفضلا عن ذلك شـملت عملية النزوح الجماعي في مرحلتها الأولى عددا من العائلات المرتبطة بالحسـيني وكثيرا من أعضـاء اللجنة العربية العليا: ومن ثم كان من شـأن إدانتهم بقوة أن يُحدث لغطا داخل معسكر الحسيني. وبشكل عام وفضـلا عما تقدم، كانت قبضة اللجنة العربية العليا ضعيفة في عديد من الأماكن، كلن القادة الفلسطينيون أكثر سرعة في إدانة الفرار من القرى عنه بالنسبة إلى المدن. كـما أن مجرد معارضة المفتي للهروب لم تكن تعني توافر ضمانات بأن اللجان الوطنية والعناصر غير النظامية سـتقوم بفعل الكثير لإيقافه. فكما سبق أن رأينا، كان للقيادات المحلية والمليشـيات غالبا مخاوفها وأولوياتها الخاصة. ففي مناطق عديدة - خاصة في المحلية والمليشـيات اللجان الوطنية في سـعيها إلى إيقاف النزوح الجماعى في المدن - واجهت اللجان الوطنية عقبات جمة في سـعيها إلى إيقاف النزوح الجماعى في المدن - واجهت اللجان الوطنية عقبات جمة في سـعيها إلى إيقاف النزوح الجماعى في

ضوء حقيقة أن كثيرا من الذين رحلوا كانوا من بين أقاربهم ومعارفهم، بل إن أعضاء في اللجان الوطنية كانوا من بين الفارين. ومع ذلك فإن القيادات المحلية وقادة المليشيات (سواء كان ذلك طاعة لأوامر اللجنة العربية العليا، أو بشكل مستقل) لم يشجعوا على الفرار، بل وصل الأمر إلى حد فيامهم بإصدار تحذيرات رسمية وفرض جزاءات. بيد أن كل ذلك كان له أثر ضئيل.

كمن أحد الأسباب الرئيسة في فشل المؤسسات العربية في وقت النزوح الجماعي في الفقرة التي تبنتها كل من الدول العربية، والمفتي، وبعض اللجان العربية فيما يتصل بالنساء وكبار السن والأطفال. ففي بعض الأوقات سمح بشكل واضح، بل شجعت، عملية إجلاء النساء والأطفال وكبار السن من مناطق المعارك الفعلية أو المحتملة لكي يقلل من الخسائر البشرية - وهو ما تماشي مع توجيهات الجامعة العربية قبيل الحرب، وفضلا على ذلك، ربما كان يعتقد، مخطئا، أن رحيل الأفراد المعالين ربما يقوي من دوافع الذكور على القتال.

لم يصدر الحسيني تعليمات مفصلة ومباشرة وشخصية للجان الوطنية للتصدي للنزوح الجماعي إلا بحلول مارس 1948، فقد كتب إلى اللجنة في طبريا:

تُـدرك اللجنة العربية العليا أن عددا كبيرا من الفلسطينيين يغادرون الوطن إلى البلاد المجاورة «الشـقيقة»... بسـبب الوضع السائد... وتعتبر اللجنة ذلك هربا من ساحة الشرف والتضعية، كما ترى أنه يُلطخ حركة الحرب المقدسة وكذلك اسم الفلسطينيين في الدول العربية، فضلا عن أنه يُضعف من مساعدة الشعوب العربية للقضية الفلسطينية، ويترك آثارا ضارة على اقتصاد وتجارة فلسطين بشكل عام....

وقد اشتكت الحكومات العربية للجنة العربية العليا في هذا الخصوص.

لقد درست اللجنة العربية العليا هذه الملف المهم من جميع جوانبه وقررت أن مصلحة الأمة تتطلب أن تستمر أنشطة الفلسطينيين وعملهم داخل بلادهم، وعدم تركها إلا في حالة الضرورة للمصلحة العامة ولأسباب ذات أهمية سياسية أو تجارية أو طبية، جوافقة اللجنة وبالتنسيق مع اللجان الوطنية.

أضاف الحسيني أنه في «المناطق التي يكون فيها خطر حقيقي على النساء، والأطفال، وكبار السن، يلزم عليهم المغادرة لمناطق أخرى بعيدة عن مصدر الخطر»،

أما أولئك الذين يرغبون مع ذلك في السفر خارج البلاد فيجب أن يتقدموا بطلب إلى اللجنة الوطنية التي يتبعونها، والتي ستدرسه وترفعه مشفوعا بتوصية إلى مكاتب اللجنة العليا في القاهرة أو القدس، وستتخذ اللجنة القرار في حينه (582).

تـم توجيه أمر مماثل (أو متطابق) إلى اللجنة الوطنية في القدس تضمن في جوهره أن «المفتي يعلم أن هتاك عـددا كبيرا من العرب يغادرون البلاد، وهو يعارض ذلك لأن النزوح الجماعي يولد انطباعا سينا عن عرب فلسطين لدى الرأي العام في الدول العربية»، وكتب الحسيني محددا أنه فقط الأشخاص الذين لديهم «سبب مهم سياسي أو اقتصادي أو طبي» يمكن السماح لهم بالسفو، موضعا أنه في حالة وجود خطر في جزء من فلسطين يكون من المسموح إخراج النساء والأطفال وكبار السن إلى أجزاء أخرى أكثر أمانا، ولكنه «في أي حال من الأحوال لا يمكن السماح للعرب بترك فلسطين» (583). وقد نقل جهاز استخبارات الهاغاناه في 29-30 مارس أن «اللجنة العربية العليا لم تعد تسمح بتصاريح الخروج لدوافع الخوف الناجمة عن حالة الذعر في البلاد» (584). كما أفاد أحد ضباط الجهاز في الجليل (في الحادي والثلاثين من الشهر ذاته) بأنه: «يُنظر إلى كل عسري يغادر البلاد على أنه الحادي والثلاثين من المحاكمة في سورية. كما أن كل شخص يريد الحصول على خائن، وسيكون معرضا للمحاكمة في سورية. كما أن كل شخص يريد الحصول على تصريح خروج يلزم عليه الحصول على موافقة اللجنة العربية في حيفا» (585)، ولخص تصريح خروج يلزم عليه الحصول على موافقة اللجنة العربية في حيفا» (585)، ولخص الضابط المشار إليه الوضع قائلا إن تلك الأوامر شجعت كلا من سورية وثبنان على إغلاق حدودهما أمام اللاجئين في نهاية شهر مارس (586).

على الرغم مما تقدم لم تتوقف عملية التقدم بطلبات العصول على تأشيرات من القنصليات العربية في فلسطين. وفي هذا الصدد أوضحت مصادر استخبارات الهاغاناه أن القنصليات، بالتعاون مع اللجنة العربية العلياء كانت تحاول وضع عراقيل أمام الراغبين في الرحيل بغية تقليل عدد التأشيرات التي تُصدرها، بيد أن اللجنة كانت توافق على إصدار تأشيرات خاصة في مقابل رشا، الأمر الذي اشتكى منه بعض القناصل (587).

نظر أعضاء اللجنة الوطنية الذين بقوا في فلسطين بشكل عام إلى النزوح الجماعي نظرة شك وريبة، وقد عكست مقالة في صحيفة «الصريخ» الصادرة في يافا بتمويل عراقي بتاريخ 30 مارس المنهج الذي تبناه هؤلاء:

جلب علينا سكان قرية الشيخ مونس الكبيرة وكثير من القرى العربية المجاورة للقدس الخزي والعار بمغادرة قراهم بشكل تام. ولا يمكننا مقارنة هذا النيزوح الجماعي المخزي بالموقف الحازم الذي تتبناه الهاغاناه في المواقع كافة بالأراضي العربية... فالجميع يعلم أن الهاغاناه تدخل المعركة مبتهجة في حين نقوم نحن دامًا بالفرار منها (588).

لخص القسم العربي التابع لجهاز استخبارات الهاغاناه، في يونيو 1948، مواقف وسياسات اللجنة العربية العليا تجاه النزوخ الجماعي خلال الأسابيع الأولى للحرب على النحو التالي:

سبعت المؤسسات العربية إلى محاربة ظاهرة الفرار والإجلاء وكبح موجات الهجرة إلى الخارج، وقررت اللجنة العربية العليبا... أن تتبنى إجراءات للإقلال من الهروب من خلال القيود، والعقوبات، والتهديبات، والدعاية في الصحف والمذياع وغيرها. كما سبعت اللجنة إلى تعبئة المسائدة من الدول المجاورة في هندا الصدد... وبصفة خاصة عملت اللجنة على منع هروب الشباب في سن التجنيب بيد أن أيا من هذه الإجراءات لم يحالفه النجاح ... فأعمال الجهاز العقابي كشفت عن الفساد، فمقابل الرشوة بدأت السلطات في تسليم تراخيص للسفر، ومع النزوح الجماعي خلال شهري أبريل ومايبو انهار الجهاز، واقتصر الأمر فقط على ترديد الدعاية [ضد الفرار] هنا وهناك من دون أن يؤدي ذلك إلى تحقيق نتائج عملية.

شهدت الفترة من ديسمبر 1947 حتى نهاية شهر مارس 1948 بداية النزوح الجماعي لعرب فلسطين من المناطق التي خصصت للدولة اليهودية وأيضا تلك المتاخمة لها، وقد ساهمت دوامة العنف في الإسراع من عمليات الفرار من قبل الطبقتين الوسطى والعليا من المدن الكبرى، خصوصا حيف، ويافا، والقدس، والتجمعات الريفية المحيطة بها، كما أنه دفع تدريجيا، إلى إجلاء العرب قاطني المناطق الريفية الواقعة في قلب أراضي الدولة اليهودية (السهل الساحلي بين تل أبيب وحديدا)، وكان وراء عملية إجلاء جزئي وعلى مستوى صغير لمناطق ريفية أخري شهدت عمليات قتالية ضمت تجمعات يهودية كبيرة (على وجه التحديد: مرج ابن عامر ووادي الأردن).

رحل العرب الذين أخلوا المدن والقرى بشكل كبير بسبب الهجمات اليهودية (من قبل الهاغاناه، والإرغون، والهستدروت) أو نتيجة للخوف من هجمات وشيكة، فضلا عن سيادة الشعور بالضعف والعرضة للخطر. فالشعور الذي ساد هو أن العرب ضعفاء وأن اليهود أكثر قوة. كما كان هناك تآكل مستمر في الثقة بالقوة العسكرية العربية. ولم يفكر على الإطلاق أغلب الذين أُجلوا، خصوصا من بين العائلات الحضرية المزدهرة، في الإقامة الدائمة بالمهجر، وإنما اعتقدوا أن الأمر سيكون مجرد فترة غياب قصيرة المدى زمنيا تشابه ما حدث في العام 1936-1939، والتي دامت حتى نهاية القتال، وحداهم الأمل في أن تحلق الهزيمة باليشوف، كما أنهم توقعوا تدخل، وربها انتصار الدول العربية.

لم تغادر في تلك المرحلة سوى نسبة صغيرة للغاية من اللاجئين بناء على أوامر طرد أو «نصيحة» قهرية من قبل الهاغاناه أو الإرغون أو الهستدروت، وفي المقابل فإن كثيرين (خاصة النساء، والأطفال، وكبار السن) غادروا نتيجة أوامر أو نصائح من القادة العسكريين أو المسؤولين العرب. فالمخاوف المتصلة بسلامتهم كانت وراء تلك الخطوات أكثر منها الاستراتيجية الضخمة للتهجير. وأخيرا، تلقى القليلون أوامر أو نصائح بمغادرة فلسطين، ولكن بصفة عامة كانت الأوامر أو النصائح تتضمن الانتقال إلى مناطق أكثر أمانا داخل البلاد تكون فيها أغلبية سكانية عربية مهيمنة.

خلال تلك الفترة لم يكن لدى اليشوف أو القيادة العربية في فلسطين أو حتى الدول العربية سياسة تهدف إلى تحريك أو نقل العرب إلى خارج فلسطين، وباستثناء المزارعين المستأجرين، فإن عمليات الطرد القليلة التي تمت كانت لاعتبارات عسكرية يهودية. أما الحالات التي أمر فيها القادة العسكريون العرب بأن تُخلى قرى بكاملها فقد كان وراءها اعتبارات عسكرية وسياسية في آن واحد.

وبشكل عام فإنه قبل حلول شهر أبريل 1948 ناضلت القيادة الفلسطينية، وإن لم يكن ذلك بحمية، ضد النزوح الجماعي. وعلى الرغم من أن اللجنة العربية العليا، اللجان الوطنية بشكل عام، عارضوا عملية الهروب، فإنها لم تتوقف.

## الموجة الثانية: النزوح الجماعي الضخم (أبريل - يونيو 1948)

في نهاية شهر مارس نظر اليشوف إلى تطورات الأوضاع نظرة توجس وريبة؛ حيث وجد نفسه في وضع حرج على كل الأصعدة، سياسيا، بدت الولايات المتحدة كأنها تسحب التزامها بالتقسيم وتضغط في اتجاه «الوصاية» عنى تمديد فترة الإدارة الأجنبية إلى بعد تاريخ الخامس عشر من مايو. وعسكريا، كانت الهجمات الفلسطينية على الطرق، التي تعيق القوافل اليهودية، تخنق القدس الغربية ببطء وتهدد بقاء تجمعات المستوطنات النائية. وفضلا عن ذلك، لم يكن من الممكن الوصول وفضلا عن ذلك، لم يكن من الممكن الوصول الأردن أو طريق نهاريا - الجليل الشمالي، الغربية، وفيما وكلاهما هيمنت عليه القرى العربية، وفيما يتصل بنهاريا وكيبوتس الجليل الغربي فقد

«مثلت عملية نحشون حدا فاصلا من الناحية الإستراتيجية وتميزت بتوافر النيـة وبـذل الجهد لتطهـير منطقة كاملة بشكل دائم من القرى المعادية، أو التي يمكن أن تكون معادية»

المؤلف

فصلتهما عن حيفا اليهودية عكا وسلسلة ممتدة من القري العربية. حيفا ذاتها كان من غير الممكن الوصول إليها انطلاقا من تل أبيب عبر الطريق الساحلي الرئيسي نتيجة لسيطرة سلسلة من القرى العربية على الطرف الشمالي. أما كيبوتس مشمار هعيمك العتيق الـذي يقف على الطريق الرئيسي المتجه من المثلث إلى حيف فقد كان بدوره محاطا بالقرى العربية. وإلى الجنوب، في تلال الخليل، كانت المستوطنات الأربع الواقعة في غيوش عتصيون تحت الحصار، في حين خضعت مستوطنات النقب الإحدى والعشرون للحصار بشكل متقطع، فضلا عن تعرض خط أنابيب المياه الحيوى لعمليات تخريب بشكل مستمر. وقد وقعت ثلاث قوافل يهودية كبري (يحيام، والنبي دانيال، وخلدة) في كمائن وتم تدميرها خلال الأسبوع الأخير من شهر مارس، وترتب على ذلك مصرع أكثر من مائة من عناصر الهاغاناه وتدمير الجانب الأكبر من أسطول حافلاتها المدرعة. وأخيراً، فإن الانسحاب البريطاني - الذي كان من شانه أن يزيل آخر مظهر من مظاهر القانون والنظام في المدن وعلى الطرق - كان مقررا بعد بضعة أسابيع، في وقت بدأت فيه الدول العربية المجاورة في عملية التعبئة للتدخل العسكري، مما يعنى أن اليشوف كان يناضل من أجل بقائه على الوجود، حيث قد يؤدي الغزو من قبل الدول المجاورة إلى توجيه الضربة القاضية له.

آخذين هذا الموقف وما يتضمنه من احتمالات، أعد قادة الهاغاناه في بدايات شهر مارس «الخطة دالت» (أو «الخطة د»)، التي كانت بمنزلة برنامج عمل لتأمين الدولة اليهودية الناشئة، فضلا عن الكتل الاستيطانية الواقعة خارج حدود الدولة، ضد الغزو المتوقع في الخامس عشر من مايو أو بعد ذلك. تضمنت الخطة ضرورة حسم المعركة ضد المليشيات والعناصر غير النظامية الأجنبية حتى تكون هناك فرصة لهزية الجيوش الغازية. ولكسب معركة الطرق كان على الهاغاناه أن «تُهدئ» أو تضفي طابع السلام على القرى والمدن التي تهيمن عليها وتم استخدامها كقواعد لشن العمليات العدائية، والتهدئة كانت تعنى استسلام القرى أو تفريغها من السكان وتدميرها. وتمثل جوهر الخطة في ضرورة تطهير أراضي الدولة اليهودية المؤمع قيامها من العناصر المعادية، أو التي يمكن أن تكون معادية، والمتواجدة داخلها؛ وإقامة تواصل جغرافي بين التكتلات الرئيسية للشعب اليهودي؛ وتأمين داخلها؛ وإقامة تواصل جغرافي بين التكتلات الرئيسية للشعب اليهودي؛ وتأمين

حدود الدولة المستقبلية قبيل الغزو المتوقع. وفي هذا السياق، نظرت الهاغاناه إلى جميع القرى باعتبارها معادية إما بشكل فعلي أو محتمل.

لم يكن واضعو الخطة، وعلى رأسهم يادين (قائد العمليات)، على علم عا إذا كان البريطانيون سينسـحبون شيئا فشيئا أو تدريجيا من متاطق مختلفة من البلاد خلال الأشهر والأسابيع التي ستسبق الخامس عشر من مايو، أم أنهم سيقومون بذلك بشكل مفاجئ وكثيف مرة واحدة في هذا التاريخ أو قبله بقليل. وفي كلتا الحالتين رأى يادين تفعيل الخطة في الأسبوع الذي يسبق 15 مايو. وعلى الرغم من ذلك فرضت الحقائق على أرض الواقع (الهجوم العربي الذي قطع خطوط الاتصال، ومحاصرة المستوطنات، والانسحاب التدريجي والمبكر للقوات البريطانية من مناطق واسعة دفعة واحدة) على رئاسة أركان الهاغاناه تقديم موعد تنفيذ الخطة. وكان وضع الخطة دالت موضع التنفيذ بشكل تدريجي خلال الفترة من أبريل - مايو يتطلب تتبع أثر القوات البريطانية في عملية انسحابها في كل حى. وفضلا عن ذلك كانت أغلب العمليات التي عت نتيجة للهجمات أو التهديدات العربية. وبشكل عام، اتبعت وحدات الهاغاناه الأسس الإستراتيجية والتكتيكية التي رسمتها الخطة، ومع ذلك فإنه في جزء منها كان مسار العمليات تفرضه المتطلبات الخاصة للموقف وطبيعة الخطر. دافعت الخطة عن ضرورة وضع نهاية سريعة للحرب الأهلية وحرب المليشيات بين السكان في المناطق المختلطة والتفرغ للحرب التقليدية المباشرة التي انطلقت مع الغزو العربي في 15-16 مايو.

م تكن الخطة دالت برنامجا سياسيا لطرد عرب فلسطين (1)؛ لكنها كانت محكومة باعتبارات عسكرية وتهدف إلى تحقيق أهداف عسكرية. بيد أنه بالنظر إلى طبيعة الحرب واختلاط السكان، كان تأمين الداخل وحدود الدولة اليهودية يعني من الناحية العملية تفريغ المناطق من قاطنيها وتدمير القرى التي كانت تؤوي مليشيات وعناصر غير نظامية معادية. وطالبت الخطة بالقيام "بعمليات ضد تجمعات العدو الموجودة خلف أو داخل أو بالقرب من خطوط الدفاع، بهدف منع استخدامها كقواعد لقوات مسلحة نشطة». وبالنظر إلى حجم فلسطين وطبيعة الحرب، فقد كانت تقريبا كل قرية تقع داخل أو بالقرب من أراضي الدولة اليهودية المقررة تقع على طريق رئيسي أو في منطقة حدودية أو بالقرب من المحاور المحتملة المقررة تقع على طريق رئيسي أو في منطقة حدودية أو بالقرب من المحاور المحتملة

لتقدم الجيوش العربية. وقد قضت الخطة بالإخضاع التام أو الاحتلال الدائم أو التسوية بالأرض للقرى والمدن. وتضمنت التعليمات أن يتم تطويق القرى والتفتيش عن الأسلحة والعناصر غير النظامية الموجودة بها. وفي حالة وجود مقاومة، يتم تدمير القوات المسلحة الموجودة بالقرية وطرد سيكانها، أما في حالة عدم وجود مقاومة فيقتصر الأمر على نزع سلاح القرية وإقامة حامية عسكرية فيها. بعض مقاومة فيقتصر الأمر على نزع سلاح القرية وإقامة حامية عسكرية فيها. بعض القرى المعادية لزم تدميرها «عن طريق الحرق أو الهدم ووضع الألغام بين الأنقاض - خاصة القرى التي «ليس في استطاعتنا السيطرة عليها بشكل دائم». أرادت الهاغاناه منع إمكانية إعادة استخدامها لاحقا كقواعد ضد اليشوف<sup>(2)</sup>.

خولت الخطة كل لواء حرية التعامل مع القرى الواقعة في منطقة عملياته؛ حيث صدرت التعليمات لكل لواء متضمنة:

خلال عملية الاستيلاء على القرى في مناطق عملياتكم، يرجع لكم تحديد ما إذا كان من الضروري تطهيرها أو تدميرها، وذلك بالتشاور مع مستشاريكم للشـــؤون العربية وضابط اســتخبارات الهاغاناه... ويُــصرح لكم قدر الإمكان بتقييد عمليات تطهير وإخضاع وتدمير قرى العدو في مناطق عملياتكم (3).

لم يتم تفسير أو استخدام الخطة من قبل كبار الضباط العاملين في الميدان على أنها تصريح مفتوح لطرد "العرب"، إلا أنها بنصها على الطرد أو التدمير للقرى التي تبدي مقاومة أو تلك التى قد تمثل تهديدا لليشوف وفرت أساسا لعقيدة إستراتيجية وأعطت «تصريحا مطلقا» للقيام بعمليات الطرد من قبل قادة الجبهة والألوية والأحياء والفرق (الذين تعللوا في كل حالة بالضرورة العسكرية)، كما أنها وفرت للقادة العسكرين، بأثر رجعى، غطاء رسميا مُقنعا لأنشطتهم. بيد أنه خلال الفترة من إبريل إلى يونيو، واجه عدد قليل نسبيا من القادة العسكرين المعضلة المعنوية التي تفرضها عملية تنفيذ التعليمات الخاصة بالطرد؛ حيث كان يفر سكان المدن والقرويون عادة قبل أو خلال المعركة، وكان من النادر أن يضطر قادة الهاغاناه إلى إصدار أوامر بالطرد (على الرغم من قيامهم، بشكل أو بآخر، جنع السكان الذين فروا من العودة إلى ديارهم بعد هدوء غبار المعركة).

من الناحية العملية تم وضع «الخطة دالت» قيد التنفيذ خلال الأسابيع الثمانية التي تلت الثاني من أبريك، غير أن معظم الوحدات التي كانت تقوم بالهجمات والهجـمات المضادة لم تكـن على دراية بأنها تقوم في واقع الأمـر بتنفيذ أجزاء من مخطط كبير؛ كان معظمهم يفكر انطلاقا من نوعية المشكلات والأخطار المحلية ومدى تحسن الأوضاع. أما لواء إسكندورني (الذي كان مسؤولا عن السهل الساحلي من شمالي تل أبيب إلى جنوب حيفا)، فقد كان الوحيد الذي ينظر منذ البداية إلى عملياته الهجومية (التي بدأت مطلع شهر إبريل) باعتبارها تنفيذا لأجزاء من «الخطـة دالت». وفي واقع الأمـر، أصدر اللواء أوامر لكتائبه خلال الأسـبوع الأول من شهر أبريل بضرورة «استكمال تنفيذ الخطة خلال الأسابيع التي تلت الثامن من الشهر نفسه»(4)، أما في المناطق الأخرى، فقامت ألوية الهاغاناه بشن هجمات وهجمات مضادة وفقا لروح «خطة دالت» من دون أن تدرك أنها كانت تقوم فعليا بذلك. وخلال عملية نحشون (2-3 أبريل -20 أبريل) في ممر القدس، وفي الشمال، في معارك مشهار هعيمك (4-15 أبريل)، ورامات يوحانان (12-16 أبريل)، وطبريا العربيـة (16- 18 أبريل)، وحيفا العربية (21-22 أبريل)، وعملية يفتاح في الجليل الشرقى (15 أبريل-15 مايـو)، وعملية بن عامي (الجزءان الأول والثاني) في الجليل الغربي (13-22 مايو)، قامت الهاغاناه للمرة الأولى بإخضاع وتفريغ سلسلة كاملة من القرى من سكانها (وتسويتها بالأرض في أحيان كثيرة)، مما أدى إلى تطهير طرق المواصلات ومناطق الحدود.

إذا ما نحينا جانبا الخطة دالت، فلا يمكن العثور على أي أثر لأي قرار من قبل الأجهزة العليا في اليشوف أو الهاغاناه قبيل مطلع شهر أبريل متضمنا سياسة وطنية واضحة «لطرد العرب». وفي حالة ما إذا كان مثل هذا القرار قد تم اتخاذه من حيث المبدأ من قبل اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية أو لجنة الدفاع أو القيادات المحلية للهاغاناه أو رئاسة أركانها، فإنه كان من الضروري أن يكون له أثر في الوثائق. يضاف إلى ذلك - وربما بشكل مثير عند التأمل في الأحداث الماضية - أنه لا يوجد دليل - باستثناء خطاب او اثنين مهمين لكن منفصلين صادرين عن بن غوريون - على وجود أي توقعات عامة في اليشوف لحدوث نزوح جماعي عربي من الجزء اليهودي في فلسطين. وعلى الرغم من أن معظم قادة اليشوف كانوا ينظرون

إلى مثل ذلك النزوح الجماعي باعتباره أمرا مرغوبا فيه، فإنه حتى مطلع شهر أبريل لم يتم اعتبار ذلك أمرا مرجحا أو وشيك الحدوث. وترتب على ذلك أن أدهش بدء النزوح الجماعي حتى أكثر المتفائلين والمتشددين داخل الأجهزة التنفيذية لليشوف، من في ذلك مناصرو ومؤيدو الترانسفير (النقل)، من قبيل يوسف ويتز. فعندما زار يافا في الثاني والعشرين من أبريل 1948 وشاهد بعينه بداية الهروب الجماعي من المدينة سأل نفسه والخوف بداخل أحشائه عن السبب؛ فقد كان يخـشي «أن الأمر ربا يكون مؤامرة تم تدبيرها (بـين البريطانيين والعرب) ضدنا... كما أن عملية الإجلاء ربما قد تُسهل من الحرب ضدنا». وفي اليوم التالي كتب: «شيء ما في عقلي الباطن يخيفني من هذا الفرار»(5). وبعد مرور أسابيع قليلة ذكر بن غوريون لوزرائه: "لقد سقطت عكا ولم يتبق فيها الكثير من العرب، وهذه الظاهرة يصعب فهمها، بالأمس كانت في يافه، لا يمكنني أن أتفهم كيف أمكنهم ترك مثل هذه المدينة...»(6). وكان بن غوريون مندهشا على وجه الخصوص من عمليات إجلاء المناطق الريفية، «إن الافتراض الذي كان سائدا بيننا هو أنه لا يمكن تحريك القريـة من مكانها، لكن الحقيقـة هي أن القرى العربية تـم إجلاؤها أيضا حتى عندما لم يكن هناك أي خطر. على سبيل المثال، لم تكن قرية الشيخ مونس معرضة للخطر، ومع ذلك تم إجلاؤها»<sup>(7)</sup>.

شهد النصف الأول من شهر أبريل حدوث تغير استراتيجي حاسم؛ حيث تم العثور على آثار واضحة لسياسة طرد على المستويين القومي والمحلي فيما يتصل ببعض الأحياء والمواقع الرئيسية، وتم رصد "مناخ عام مؤيد للترانسفير" في الخطب التي ألقاها مسؤولون وضباط صهاينة، كما أن ذلك يبرز أيضا في الأعمال التي قامت بها وحدات الهاغاناه في أماكن مختلفة من البلاد؛ بها يعنيه ذلك من حدوث تغير جوهري في أوساط القيادة السياسية والعسكرية. ففي الفترة من 4 إلى 9 أبريل وتحب وقع الموقف الكارثي في القدس اليهودية وهجمات جيس التحرير العربي على مستوطنة ميشمار هعيمك، فضلا عن الضغوط التي مارستها المستوطنات والقادة العسكريون المحليون، اتخذ بن غوريون ورئاسة أركان الهاغاناه، بشكل يتماشي مع "خطة دالت"، قرارا بتطهير وتدمير مجموعة القرى المعادية أو المحتمل أن تصبح معادية وتهيمن على المحاور الرئيسية. وربا يكون قد تم التوصل إلى هذا

القرار بشكل مبدق مؤقت ووثيق الصلة بأعمال انتقامية في منطقتين محددتين: الطريق الساحلي، وطريق القدس- تل أبيب، أو قد يكون قرارا من حيث المبدأ يتصل بالمناطق التي تم تخصيصها لتقع تحت السيادة اليهودية، وواقع الأمر أننا لا نعلم الحقيقة. وفي كل الأحوال، تم إضفاء الصفة الرسمية والمؤسسية على سياسة تفريغ المجتمعات العربية التي تقع على الطرق المحورية أو المتاخمة لها، وتلك الواقعة على امتداد بعض الحدود من سكانها، وصدرت أوامر من قيادة أركان الهاغاناه إلى قادة الوحدات المعنية ليقوموا بإخراج وطرد - إذا ما كان ذلك ضروريا- السكان المتبقين في المجتمعات على طول محاور الطريق بين تل أبيب وحيفا، وطريق جنين- حيفا (حول مستوطنة مشمار هعيمك) وطريق القدس- تل أبيب، وذلك باستثناء الفريديس، وعرب الغوارنة، (جسر الزرقاء) على طريق تل أبيب - حيفا، وأبو غوش (على طريق تل أبيب-القدس). وعلى الرغم من عدم صدور توجيهات شاملة وعامة حول الطرد من قبل السلطات السياسية الحاكمة أو الأجهزة العسكرية، فإن الأشهر التالية شهدت تبنى وتنفيذ العديد من الضباط والوحدات سياسة الطرد، وجرى تنفيذ عمليات من هذا القييل بشكل فردى. وكما ذكر أحد ضباط الاستخبارات بقوات الدفاع الإسرائيلية على استحياء: «يسهد رأي بأنه يلزم علينا أن نضاعف من طرد العرب من أراضي دولة إسرائيل؛ حيث إن بقاءهم يجعل ممارســة الوظائف الإدارية أكثر صعوبة، كما أن معنويات السكان تتدهور مع كل موجة من اللاجئين» (8).

أبرزت مداولات مستشاري الشؤون العربية للهاغائاه في مركز العمليات المركزي (الإسكندروفي) هذا التحول الجوهري في منطق التفكير بشكل صارخ. فخلال لقائهم في الحادي والثلاثين من شهر مارس بالقرب من نتانيا، ركز المستشارون على حماية الممتلكات المهجورة من قيام اليهود بنهبها. وفي هذا الخصوص وضعوا خطوطا استرشادية فيما يتصل بالحصاد وبيع محاصيل البساتين والحقول التي تم هجرها، ومن بين ذلك تأجيل حصاد الحبوب لمدة أسبوعين «انتظارا لأن يتضح ما إذا كان من الممكن أن يحضر الملاك الأصليون (ويُسمح لهم) بأن يقوموا بجني (المحاصيل) بأنفسهم، فالقرار بشأن عملية الجني ومن يقوم بها تم تأجيله حتى الاجتماع الثاني رالتالي)». وفضلا عن ذلك فإن المستشارين قرروا «إزالة» خيام وأكواخ البدو التي تم هجرها، خشية أن يتم استخدامها كملاذ للنوم من قبل «السارقين والمشتبه

فيهم». وبشكل عام فإن القرار المتصل بعدودة العرب إلى المناطق التي تركوها تسم تأجيله إلى الاجتماع التالي (وطُلب إلى قددة المناطق إقامة حواجز على الطرق "للتدفيق" في العرب الداخلين، بما يعنيه ذلك من إمكانية السلماح لهم جميعا أو بعضهم بالدخول). وإلى أن يتم اتخاذ موقف حول وجود أسلب عسكرية تتصل بالأراضي المملوكة للعرب، يلزم "إبلاغ" الملاك "ووعدهم" بأنه "لا توجد نية للإضرار بممتلكاتهم (أو بحقوقهم في هذه الملكية). كذلك تم تأجيل صدور قرار بشأن الترحيل المحتمل للمزارعين المستأجرين من الأراضي المملوكة لليهود، لحين التشاور في هذا الخصوص مع الصندوق القومي اليهودي. وبعبارة أخرى، فإنه بحلول نهاية شهر مارس كان المستشارون مازالوا غير واضحين فيما يتصل بمستقبل العلاقات مع العدرب المحليين، وقد أوحى ذلك بأن «الوضع القائم» (استمرار العرب في العيش داخل المناطق اليهودية أو عودتهم إليها) سيتم الحفاظ عليه (أو).

مـع معاودة الخـبراء الاجتماع مجدداً- في السـادس من أبريــل- كان قد طرأ تغيير جوهري على السياســة؛ حيث صدر «أمر صريح بألا يُســمح للعرب بالدخول إلى المناطق لجني المحاصيل (الحبوب)»، وأن «أولئك الذين رحلوا من المنطقة لن يكون مسموحا لهم بالعودة»، كذلك تم تخويل المستوطنات الحق في حصاد المحاصيـل العربية التي تم هجرها. كما شــملت السياسـة الجديدة أن يتم «نصح العسرب بألا يحوملوا حول المناطق التي تلم إخلاؤها، وأنه يللزم إفهامهم بطريقة مهذبة عدم قدرتنا على ضمان سلامتهم». كما توصل المستشارون إلى نتيجة مفادها أن: «الاتجــاه العام (المقصود النية) هو طرد العــرب من المنطقة اليهودية». وفيما يتعلق بالمزارعين المستأجرين، قرر الاجتماع بتعبير مهذب - «قبول» عودة الأراضي التي كانت مؤجرة أو مملوكة لليهرود إلى أياديهم، وهو ما يعني طرد المزارعين المستأجرين بعد تقديم تعويض مناسب(10). وتم تعميم توجيهات المستشارين على جميع وحدت لواء إسكندروني(١٤١). وخلال الأسابيع التالية ناقش المستشارون مصير عدد مـن المجتمعات الأخرى: العرب العائديـن إلى وادي فالق، غرب أيفين يهودا، والذين تم الأمر «بطردهم»؛ سـكان خربة عزون (تبصر) الذين تم "تحذيرهم بأنه مـن الأفضل لهم أن يرحلوا". كذلك كان من المتوقع أن يرحل العرب في خربة بيت ليد خلال «يدوم أو يومين»، كما أن وجود حركة للعدرب في مدينة حديرا اليهودية

كان على وشك التوقف<sup>(12)</sup>. وبعد مرور ثلاثة أيام كشف أحد ضباط استخبارات الهاغاناه- من دون تحفظ - عما حدث في خربة بيت لند على النحو التالي: «بعد تلقينا الأمر بطرد كل العرب الذين بقوا في منطقة لواء إسكندروني- تم إخطارهم بذلك (المقصود سكان خربة بيت ليد) وغادروا جميعا المنطقة»<sup>(13)</sup>.

صدرت أوامر مماثلة خلال عملية نحشون (انظر ما يلي) في الفترة من 2-3 حتى 1/2 أبريل، عندما قاتلت الهاغاناه لكسر الحصار المفروض على القدس. ففي البداية منح غاليلي الهاغاناه سلطة «السيطرة على القرى على طبول الطريق القدس شاعار هاغاى (\*) إذا كان قد تم هجرها» وإن لم يكن البريطانيون قد قاموا بالتدخل فيه (14). وبعد مرور عشرة أيام قام جاليلي بتوسيع المهمة آمراً «بتطويق وإنهاك (إلى الحد الذي يدفع إلى الفرار) القرى التي لم يقم سكانها بإجلائها بعد» (15). وفي الثامن عشر من أبريل أرسل ضابط البالماخ (آلون) برقية إلى عمليات رئاسة أركان الهاغاناه تضمنت ما يلي: «من الواضح بالنسبة إلى أننا يجب ألا نستمر في إرسال قوافل [إلى القدس] إلى حين تهكننا من زيادة هجماتنا... على أغلب قواعد العدو المقصود القرى[ وإيقاع الخلل في تنظيمه، وأن نتمكن من نشر اللاجئين في كل مكان ونضمن انسحاب العناصر المسلحة [غير النظامية]» (16).

لم يقتصر الأمر على الهاغاناه في اتخاذ القرارات الخاصة بطرد القرويين العرب. ففي الثالث عشر من أبريل أخطرت رئاسة أركان الهاغاناه كل الألوية بأن لجنة الممتلكات العربية، التي ترأسها آنذاك ماكنس، «مخولة كذلك باتخاذ قرارات ... فيها يتصل بتنقل العرب داخل المناطق اليهودية... والطرد من القرى العربية غير المشاركة في القتال»(17). وقد وافق بن غوريون على هذا التفويض من دون مناقشته خلال لقائه بمستشاري الشؤون العربية بعد مرور ثلاثة أسابيع، وتم الاتفاق على أن «يكون لإدارة الشؤون العربية حرية اتخاذ القرار فيما يتصل بإزالة أي قرية عربية قد تحول دون تنفيذ مخططات اليشوف أو تكون مثيرة للمشاكل»(18).

تحدث بن غوريون، في خطاب عام ألقاه في الرابع من مايو، عن «السهولة الكبيرة» التي هربت بها الجموع العربية من مدنهم وقراهم (في حين لم يتخل اليشوف، حتى تاريخه، عن أي من مستوطناته) قائللا: «إن التاريخ أوضح الآن من هو المرتبط

<sup>(\*)</sup> الاسم العربي هو طريق باب الواد.

بهذه الأرض، ومن لا قائل له هذه الأرض إلا رفاهية يمكن التخابي عنها بسهولة (10) ومع ذلك، يجدر التنويه إلى أن الوكائة اليهودية سلهمت بشمكل كبر في إضعاف الروح المعنوية للعرب. فغلال شهر إبريل أعدت إدارة «الحرب النفسية» التابعة لرئاسة أركان الهاغاناه وسلجلت سنة بيانات بنتها بشكل مسلتمر إذاعة الهاغاناه وأيضا كررتها مكبرات الصوت المثبتة على حافلات، وقد حمل أحدها عنوان السالح ملى تحاربون؟» لاعبا على وتر قرار النخبة الحضرية. «أنتم هنا في مبادين القتال في الوقت الذي فروا هم فيه من البلاد، إنهم يجلسون في فنادق بدمشق ومصر... أيل يوجد اليوم جمال الحسيني؟، وأين يوجد إلميل الغوري؟ ... إنهم يسلتمعون بالحياة في الملاهي الليلية ببيروت مع الفتيات والراقصات...». وتحدث بيان آخر عن العناصر غير النظامية الأجنبية التي ورطت القرى في القتال ثم تخلت عنها بعد ذلك ليواجهوا عمليات السلب من قبل اليهود: «عندما تمنع وسائل النقل... من يبقي البواجهوا عمليات السلب من قبل اليهود: «عندما تمنع تدميرها؟». لم تطلب أي من البيانات أو الخطب المسجلة من العرب الفرار (20). ولكنها كانت جميعها مصممة من البيانات أو الخطب المسجلة من العرب الفرار (20). ولكنها كانت جميعها مصممة هذه الأداة (من دون أن توضح كيفية تحقيق ذلك) (21).

بالتوازي مع التيار السائد المتمثل في «مناخ الترانسفي» والإرشادات العامة للهاغاناه والتوجه الخاص بإبعاد العرب وتدمير قراهم على طول الطرق الرئيسية والمناطق الحدودية، برز على السطح - خلال الفترة من إبريل إلى يونيو- تيار ثانوي أو سياسة مضادة تدعو إلى قرك العرب الأصدقاء والمجتمعسات العربية المحيطة باليهود يعيشون في أماكنهم. تمحور ذلك التيار، الذي لم يصبح على الإطلاق سياسة رسمية لليشوف أو الهاغاناه والذي أثر بشكل طفيف للغاية على الأجهزة التنفيذية خلال العمليات، حول شخص بيخور شتريت (الذي أصبح، منذ الخامس عشر من مايو وزيرا للشرطة وشؤون الأقليات) والمسؤولين في وزارة الأقليات. كذلك لعبت كل من إدارة الشرطة وشؤون الأقليات) والمسؤولين في وزارة الأقليات. كذلك لعبت كل من إدارة الشرطة وشؤون المقيد للنشاط المفرط للتيار الرئيسي.

في الثاني والعشرين من شهر أبريل أصدرت السلطات (على الأرجع القسم العربي بالوكالة اليهودية) مجموعة من الخطوط الاسترشادية الرسمية حول احتلال القسرى المحيطة، وتضمنت النسص على أنه: «أثنساه الأحداث، ربسا نواجه ظاهرة القرى أو الأشخاص المستسلمين الذين يطلبون حماية الهاغاناه والحق في البقاء في المنطقة اليهودية». فإذا كان المطالبون بذلك يعيشبون «في المنطقة الحدودية أو خط المواجهة يلزم نقلهم إلى المناطق الخلفية»، حيث يمكن حمايتهم بشبكل جيد. وبعد إثمام نقلهم إلى الداخل، يلزم تقييد حريتهم في الحركة ولا يجب السسماح لهم بالاتصال بالعرب الآخرين لأسباب استخباراتية. وتم التنبيه على الهاغاناه بتوخي الحسرص "ففي كل حالة يتم فيها طلب الحصول على الحماية اليهودية، يلزم تقييم الأمر بعناية لمعرفة ما إذا كان من الممكن تبرك العرب في أماكنهم أو يجب نقلهم إلى الخلف» (22). ومع ذلك، فإن تلك الخطوط الاسترشبادية لم تؤخذ بشكل عام على محميل الجد من قبل وحيدات الهاغاناه، على الرغم من أنه تهم في نهاية المطاف محميل الجد من قبل لحدات الهاغاناه، على الرغم من أنه تهم في نهاية المطاف السماح لعدد قليل للغلية من القرى المحيطة في ذلك الوقت بالبقاء.

بعد مرور أقل من ثلاثة أسابيع، وفي العاشر من شهر مايو، قدم شتريت مذكرة إلى «إدارة الشعب» (التسي حلت محل الجهاز التنفيذي للوكالـة اليهودية كوزارة لليشـوف وكانت على وشـك أن تصبع خلال أيام «الحكومة الانتقالية لإسرائيل»). ويبدو أن تلـك المذكرة لم تناقش قط مـن قبل هذه الإدارة التي كانت مشـغولة بإعداد إعلان الدولة ومواجهة الغزو الوشـيك. جاءت الوثيقة تحت عنوان: «مذكرة من وزارة شـؤون الأقليات، الموضوع: المشكلة العربية». كتب شتريت في وثيقته إن القادة الصهاينة أعلنوا على الدوام رغبتهم في العيش في سـلام مع جبرانهم ومنحهم «حقوقا مدنية متساوية». والشعب اليهودي الذي عاني لقرون من الاضطهاد سيتم الحكـم عليه طبقا لكيفيـة معاملته الأقلية التي توجد لديـه. ويقع على الحكومة الحديدة مســؤوئية حماية الممتلكات التي هجرها العرب الذين فروا، «للإبقاء على علاقـات طيبة مع أولئك الذين بقوا ويرغبون في البقاء بيننا أو أن يعودوا [للعيش] علاقـات طيبة مع أولئك الذين بقوا ويرغبون في البقاء بيننا أو أن يعودوا [للعيش] بيننا، وقد اعترف شــتريت بأنه ارتكبت «أعمال إجرامية» في أماكن استولى اليشوف عليهــا، ملمحا على وجه الخصوص إلى عمليات السـلب والنهب. غير أنه أضاف أنه على القيادة الصهيونية أن تنظر إلى المستقبل وأن «تقيد من دوافعنا الشريرة».

طالب شتريت بأن يتم وضع المسائل المتصلة بالمعتلكات العربية والمجتمعات العربيية في دائـرة اختصاصاته، عــا في ذلك «إجـالاء القرى»، «عــودة العرب إلى

أماكنهم»، و«إدماج العرب في مؤسسات الدولة واقتصادها إذا ما سمحت الظروف بذلك»، وأخيرا أوضحت المذكرة ضرورة التأسيس لتعاون وثيق مع قوات الدفاع في هذا الخصوص (23).

تضمن أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية وثيقة ثانية تم إعدادها في ذلك الوقت، قد يكون ذلك بواسطة شتريت أو موظفيه، وتتضمن تفصيلا السلوك المطلوب اتباعه من قبل الجيش عند استيلائه على المدن والقرى العربية، فضلا عن النص على ضرورة الإلحاق الفوري لموظف من وزارة الأقليات بفريق العمل التابع للحاكم العسكري في أي منطقة محتلة، وأن تقام اتصالات فورية مع السلطات العربية المحلية، وضرورة إلقاء القبض على القادمين من الخارج والمحاربين ومصادرة الأسلحة والوقود والسيارات التابعة لهم. كما يلزم على السلطات أن توفر الغذاء والرعاية الصحية للسكان إذا ما تطلب الأمر ذلك. وأوضحت الوثيقة أنه يجب على الجميع أن يتذكر أن «التعاون مع السكان المحليين سوف يوفر قوة بشرية مطلوبة في عمليات أخرى». كذلك ركزت الوثيقة على ضرورة حماية دور العبادة والأماكن المقدسة؛ وميزت بشكل دقيق بين المواقع داخل حدود التقسيم والتجمعات خارجها، موضحه أنه داخل الدولة اليهودية يلزم تعيين «محافظين» وليس «حكاما عسكريين» (24).

قثلت الفرضيات التي استندت إليها هذه الوثيقة في أن إسرائيل لن تعارض الوجود المستمر للمجتمعات العربية (المسالمة) داخل الدولة؛ وأنه ستكون هناك أقلية كبيرة الحجم؛ وأن إسرائيل ستكون منفتحة على ملف عودة اللاجئين العرب. غير أن هذه التوجهات لم تكن، ولن تكون، سياسة التيار الرئيسي للقيادة. وبالرغم من ذلك، فإن أيا من بن غوريون أو الحكومة المؤقتة أو الهاغاناه (قوات الدفاع الإسرائيلية - رئاسة الأركان) لم يتبن أو يُعلن عن سياسة معارضة. ومن ثم تُرك شتريت تحت اعتقاد، كلي أو جزئي، أن خطوطه الإرشادية مقبولة لدى بن غوريون ورفاقه، وقام بالتصرف لمدة قصيرة وفقا لذلك. وفي المقابل استمرت الأجهزة الحيوية للدولة (الهاغاناه أو قوات الدفاع الإسرائيلية؛ أجهزة الاستخبارات؛ حركات الكيبوتسات) في العمل بطريقة عكسية (على النحو الذي سنراه لاحقاً) مشجعة االنزوح الجماعي العربي بطرق متعددة، وتطلب الأمر شهوراً من شتريت ليفهم ذلك ويحذو حذو الآخرين وإن كان ذلك على مضض.

كانت فعالية شــتريت محدودة في فرض إرادته المعتدلة؛ حيث حققت الهاغاناه/ قـوات الدفاع الإسرائيلية النصر تلو النصر. وبشـكل عام لم يكن القادة العسـكريون في الضواحس سعداء بالإبقاء على المجتمعات العربية في أماكنها، بما يتطلبه ذلك من إقامة الحاميات العسبكرية والتأمين ضد عمليات السلب من قبل اليهود. ومن ثـم فإنهم لم يفعلوا ذلك. وبالمقابل فإنه في حفنـة من المدن حيث ظلت مجتمعات عربية باقية (يافا، عكا، الناصرة) تم الالتزام بشكل جزئي بخطوط شتريت الاسترشادية، حيث تم ضم موظفين للشؤون العربية إلى طاقم موظفى الحكام العسكريون، وتوفير الغذاء والرعاية الصحية، وتقلصت عمليات السلب والنهب إلى أن تم القضاء عليها تماما. وبطريقة مماثلة قام مسـؤولو مابام، بدعم من شـتريت، بدور فعال في إجبار الجيسش على ترك حفنة من المجتمعات العربية الريفية في أماكنها، بما في ذلك جسر الزرقاء والفريديس. وفي ملحق لـ «الخطة د»، أصدرته عمليات رئاسة أركان الهاغاناه في الحادي عشر من شهر مايو، تم النص على توفير حاميات للقرى والمدن التي تم الاستيلاء عليها، وتأسيس «جهاز خاص لإدارة الشوون (المدنية) في تلك الأراضي»، الأمر الذي ولد توقعات بأن المجتمعات العربية ستبقى في أماكنها. لم ترد في أي مكان تعليمات بـ «طرد العرب» أو ترحيلهم (25). وهنا أيضا مكن أن نلمس بصمات شتريت. في نهاية المطاف ساد مناخ الترانسفير (على النحو الذي سنراه لاحقاً) خلال الفترة من أبريل إلى يونيو: أغلب المجتمعات التي هُوجمت تم ترحيل سكانها، وفي الأماكن التي لم يحدث فيها إجلاء تلقائي كان يتم غالبا طرد سكانها. وفي جميع الأماكن مُنع العرب الذين فروا من العودة إلى ديارهم. كما أنه في مناطق أخرى نُزع سلاح القرى التي استسلمت وتلا ذلك طرد سكانها. رفضت الهاغاناه (والإرغون والهستدروت) في بعض الحالات قبول الاستسلام مما دفع السكان إلى الرحيل. إلا أنه نتيجة لغياب سياسة مركزية واضحة للطرد قامت بعض الوحدات العسكرية بالتصرف بطريقة مختلفة، فكل من لواء غيفعاتي وحاريل يفتاح قام بالتحقق من أنه لم يعد هناك سكان عرب باقون في المناطق التي قاموا بالاستيلاء عليها، أما لواء غولاني فقد تصرف بطريقة أقل تشدداً.

كان للتغير في السياسة الذي حدث في النصف الأول من شهر أبريل أثره كذلك على السلوك إزاء الممتلكات المهجورة، وهو مصطلح انطبق آنذاك على

جميع المناطق المدنية المجاورة والعشرات من القرى، عنازلها وأراضيها. وعثلت المسكلة الأولى التي واجهتها السلطات في هذا الخصوص في عمليات السلب والنهب التي قام بها غالبا الجيران اليهود للمنطقة. وفي البداية كانت رئاسة أركان الهاغاناه قلقة بشأن قرى وقطع أراض محددة، من قبيل تلك الواقعة بين نهر العوجا وهرتسليا(20)، وأصدرت التعليمات لكل لواء بالإشراف على الممتلكات المتوكة في منطقة اختصاصه من خلال تعيين مفتشين للممتلكات المهجورة (27). لكن سرعان ما تبين أن المشكلة تحتاج إلى أن يتم التعلمل معها بشكل مُمنهج وشامل على المستوى «الوطني». ففي منتصف شهر مارس تم تعيين ديفيد وشامل على المستوى «الوطني». ففي منتصف شهر مارس تم تعيين ديفيد وزير للمالية لدولة إسرائيل وعين هورويتز مديرا عاما للوزارة)(28). وبنهاية شهر مارس، قام غاليلي بتعيين لجنة الممتلكات العربية التي ضمت كلا من ماكنس، وهورويتز، ودانين (29).

في الأول من أبريل أرسلت اللجنة، برئاسة هورويتز، نشرة تُخطر الجميع بلا استثناء باختصاصاتها وسلطاتها، وركزت على أن الهدف هو استغلال الممتلكات العربية لتلبية احتياجات اليهود ومتطلباتهم أكثر منه حمايتها. أمر هورويتز من تلقوا النشرة (قادة وحدات الهاغاناه والسلطات المحلية) بضرورة موافاة اللجنة «خلال فترة أسبوع» بحصر «الممتلكات العربية» في المناطق العاملين فيها، بما في ذلك نوعية الملاك (أصحاب أراض غائبون، فلاحون، بدو...الخ.) وقائمة بأسماء اليهود الذين تم منحهم توكيلات من العرب لإدارة أملاكهم (٥٥٥). قامت اللجنة بالبدء في تنظيم عملية حصاد اليهود للحقول المهجورة ومنع العرب من ذلك (١٤٠١، فضلا عن قيامها بالتسجيل المنهجي لأنواع الممتلكات المهجورة (٤٥٠). وخلال شهر أبريل عن قيامها بالتسجيل المنهجي لأنواع الممتلكات المهجورة قيام اليهود بذلك) التي كانت تتسم ببعض التردد في البداية تتم بشكل مُمنهج، على النحو الذي عكسته مداولات مستشاري الشؤون العربية للواء إسكندروني (٤٥٠). أصدر غاليلي تعليماته إلى الألوية بالتعاون مع اللجنة وأخطرهم بأنها «مخولة بإعطاء التعليمات لهم فيما يتصل... بالتصرف إزاء الممتلكات العربية». وكما سبق إيضاحه، فإن اللجنة كانت مخولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية (٤٠٠). وقد ضاعفت اللجنة من أنشطتها مخولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية (١٤٠). وقد ضاعفت اللجنة من أنشطتها مخولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية (١٤٠). وقد ضاعفت اللجنة من أنشطتها مخولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية (١٤٠). وقد ضاعفت اللجنة من أنشطتها مغولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية (١٤٠).

خلال شهري مايو ويونيو بحلول موسم جني للحاصيل، وظافت أرجاء البلاد لتلتقي بالمجالس الإقليمية وتخصص الحقول التي سيتم حصد محاصيلها للمستوطئات، التي تنافست فيما بينها للحصول على المنفعة من وراء ذلك(35).

لكن في ضوء حالة الحرب الأهلية المتقلبة وطبيعة السلطة الناشئة للمؤسسات المحديدة للدولة، لم يكن سلوك الهاغاناه (والمدنيين) تجاه الممتلكات المهجورة في كل موقع على المستوى الذي كانت اللجنة ترغب في أن يكون عليه، حيث استمرت عمليات السلب والنهب. وفي مطلع شهر مايو قدم هورويتز استقالته نظرا لشعوره بالاشمئزاز، معلنا أن اللجنة «لم يكن لها تأثير على مجرى الأحداث»، فقد روعته أعمال النهب، ونفرته عمليات تدمير القرى وتسويتها بالأرض (36).

خلال النصف الثاني من شهر مايو تحولت لجنة الممتلكات العربية إلى إدارة في وزارة شؤون الأقليات، ثم عقب ذلك داخل مكتب الحراسة على الممتلكات المهجورة (وتم تعديل الاسم لاحقا ممتلكات الغائبين) بوزارة المالية. وتم تعيين غويرتز مديرا عاما لها. وبالرجوع إلى الوراء، يمكن القول إنه بينما نجحت اللجنة / الإدارة جزئيا في تنظيم عملية الحصاد، فإنها فشلت في نهاية المطاف في منع أعمال السلب والنهب لمنازل العرب، وظل مصير القرى (تهجير، تدمير ... الخ.) في نطاق اختصاص بن غوريون والمؤسسة العسكرية.

مر المجتمع العربي الذي كانت هجمات «الخطة دالت» موجهة إليه، كما سبق ورأينا، بشهور من التوتر والتآكل. نجح السلاح الفلسطيني، معززا بتدفق منتظم للمتطوعين الأجانب، جزئياً في إنهاك قوى الهاغاناه وقيد بشكل كبير من الستخدام اليهود للطرق. إلا أنه في الوقت الذي ظلت فيه العديد من المستوطنات اليهودية تحت حصار شبه دائم، فشل العرب في الاستيلاء على أي منها على الرغم من محاولاتهم ذلك. والأسوأ من ذلك أن الكمائن التي أعدها اليهود والحواجز التي أقاموها على الطرق عزلت بدورها العديد من القرى العربية وساد شعور عميق بالحصار والقابلية للسقوط في يد الأعداء في مركزين عربيين رئيسيين هما حيفا ويافا. وكان لهروب الطبقات الوسطى والعليا من هاتين المدينتين بالإضافة إلى القدس خلال الشهور السابقة- أثر كبير في إضعاف الروح المعنوية، الأمر الذي ساهم في حدوثه كذلك الانهيار التدريجي للقانون والنظام نتيجة لتدفق المتطوعين ساهم في حدوثه كذلك الانهيار التدريجي للقانون والنظام نتيجة لتدفق المتطوعين

الأجانب وتدهور الأوضاع وتوقع قرب انتهاء الحكم البريطاني. وعلى العكس من اليشوف، فشل الفلسطينيون في إقامة حكم ذاتي حقيقي عندما حان موعد انسحاب البريطانيين.

تزايدت وتيرة عملية التحلل خلال شهر إبريل. فر رجال الشرطة بأسلحتهم؛ وتوقف الموظفون عن الذهاب إلى أعمالهم. وقامت العناصر غير النظامية بسرقة الملكية وبالتحرش بالنساء وترويع السكان، وفي الوقت ذاته لم تكن فعالة عسكريا؛ فقد السكان ثقتهم في قدرتهم على التصدي للهاغاناه، فما بالك بهزيمتهم. يضاف إلى ذلك أن شعور الفلسطينيين بالعزلة «القومية» عن العالم العربي المحيط ما فتئ أن تزايد إزاء رفض الدول العربية التدخل في فلسطين قبل الخامس عشر من مايو، وعدم موافقتها المستمرة على طلبات الحصول على السلاح. وأخيرا فإن النقص في الغذاء والوقود وارتفاع الأسعار وانتشار البطالة كانت كلها عوامل زادت من حدة انخفاض الروح المعنوية.

بشكل عام، كانت الأحوال في القرى أفضل منها في المدن. حيث تمتعت بشكل أو بآخر بدرجة من الاكتفاء الذاتي، كما أن القتال لم يصب كل أرجاء البلاد بشكل حاد. ومع ذلك، تأثرت أغلب القرى، بدرجة ما، بما يحدث في المدن التي كان يتم التطلع إليها إما للقيادة أو للحصول على المعلومات أو الدعم. كان القرويون في ضواحي يافا، وممر القدس، والجليل الشرقي، والنقب يتعرضون للقتال ويعانون من هجمات الهاغاناه، مما كبدهم خسائر كبيرة. وفضلا عن ذلك أثرت مجموعة من العوامل الإضافية على القرويين جاء في مقدمتها: الانزلاق نحو حالة من انعدام القانون؛ الخوف على المحاصيل ومن الهاغاناه والإرغون؛ والقلق بشأن ما يمكن أن يحدث في أعقاب انسحاب البريطانين.

أصابت الهجمات التي شنتها الهاغاناه في شهر أبريل وما ترتب عليها من نزوح جماعي ضخم الدول العربية واللجنة العربية العليا بالمفاجأة. وعلى مدار أسابيع فشل العالم العربي في التعامل مع الموقف، إلى أن وقع النزوح الجماعي من يافا (22 أبريل - أوائل مايو). وبالنظر إلى ضعف وسائل الاتصال والغموض الذي أحاط بالمعركة، تطلب الأمر - على الأرجح - بضعة أيام لمعرفة وفهم مجريات الأحداث، خاصة في المناطق الريفية، وربا لم يشأ بعض قادة الدول التركيز بشكل

كبير على النزوح الجماعي خشية إثارة ضغوط شعبية في اتجاه بدء عملية الغزو قبل الانسحاب البريطاني. وعلى الرغم من ذلك فإنه بلغة الدعاية وكتبرير مسبق لعملية الغزو - التي كانت محل دراسة - لم يكن هناك مادة أكثر مناسبة من النزوح الجماعي والتي يمكن تصويرها للعالم - وهو ما تم بالفعل - على أنها عملية طرد متعمد من قبل اليهود للفلسطينين. حتى إن كانت هناك حالات إخلاء طوعية، فإن ذلك كان يبرهن على أن العرب غير مستعدين للعيش تحت الحكم اليهودي - وهو ما يصب في صالح الدعاية العربية - مما يفرغ النصوص المتصلة بالأقليات في قرار التقسيم من مضمونها. وفي جميع الأحوال لم ينظر أحد إلى النزوح الجماعي على أنه أمر دائم؛ سيعود اللاجتون بالتأكيد خلال أسابيع، على أثر الغزو العربي، أو التدخل البريطاني أو الوساطة من قبل الأمم المتحدة.

أيا كان منطق وسلوك قادة الدول العربية، فإنني لم أجد أي دليل معاصر يُظهر أنهم - أو المفتي - أصدروا أوامر مباشرة أو غير مباشرة تُشجع على الهجرة الجماعية الضخمـة خلال شهري أبريل ومايو. أما فيما يخص القادة الفلسطينيين، فإنه من المفيد ملاحظة أنه على مدار العقود كانت سياستهم هي التمسك بثبات بالأرض ومقاومة طرد أو ترحيل التجمعات البشرية. لكن هناك عاملين مهمين، خلال شهر أبريـل كثفت اللجنة العربية العليا وبعض اللجان الوطنية من ضغوطها على القرى في مناطق عديدة وعلى بعض المدن من أجل إرسال النساء والأطفال وكبار السن إلى مناطق آمنة، وقد امتثلت بعض المناطق لهذا؛ كذلك فإنه في العديد من المواقع أمر القادة العسكريون أو السياسيون بالإجلاء التام للقرى.

خلال شهر أبريل استمرت بعض العناصر غير النظامية، وعلى الأقل بعض اللجان الوطنية، بشكل واضح بناء على أوامر اللجنة العربية العليا، (سواء نتيجة الكسل أو التماشي مع السياسة المقررة) في تشجيع رحيل النساء والأطفال وكبار السن من مناطق القتال الفعلية أو المحتملة. وقد سجل بن غوريون هذه الظاهرة وقدم تفسيرا لها (بالنسبة إلى قرى السهل الساحلي): «من الممكن أن يكون ذلك قد تم نتيجة لضغوط قادة العصابات بعيدا عن الاحتياجات الإستراتيجية العربية؛ حيث يتم إخراج النساء والأطفال وتدخل العصابات المحاربة بدلا منها» (37).

في السابع عشر من شهر أبريل أفاد جهاز استخبارات الهاغاتاه عن وجود «أمر عام» بإبعاد النساء والأطفال من الأحياء المتاخمة للمناطق اليهودية في القدس (38). وبالفعل أمرت اللجنة الوطنية في القدس في الثاني والعشرين من الشهر نفسه - استنادا إلى منشور من اللجنة العربية العليا - فروعها في الأحياء المعيطة (الشيخ جراح، وادي الجوز، مصرارة، قطمون، وغيرها) بإرسال النساء والأطفال وكبار السن «إلى مناطق أكثر بعدا، بعيدا عن المخاطر»، وحذرت اللجنة من أن أي معارضة لهذا الأمر سيتم النظر إليها على أنها «عقبة في طريق الحرب المقدسة... حيث إنها ستعيق أعمالها في النظر إليها على أنها «عقبة في طريق الحرب المقدسة... حيث إنها ستعيق أعمالها في التماس) قد «أجلوا بالفعل أغلب النساء والأطفال إلى أريحا» (30)» وقرابة التاسع عشر من الشهر تم تسجيل إجلاء نساء وأطفال وادي الجوز (11). وجرت عمليات مماثلة في مدن أخرى؛ حيث تم ترحيل عدد من النساء والأطفال من يافا عبر البحر (22). وتلقت مدن أخرى؛ حيث تم ترحيل عدد من النساء والأطفال من يافا عبر البحر (23). وتلقت مدن أخرى؛ حيث الموافقة بالقرب من الحدود منع الأردن أوامر من الجيش العربي مطلع شهر مايو بإجلاء النساء والأطفال، ربنا في إطار الاستعدادات لغزو عربي (33). وقد رصد شهاز استغبارات الهاغاناه في التاسع من مايو هذه العملية (44).

كانت عملية إجلاء الأشخاص المُعالين أكثر وضوحا في الريف؛ حيث قامت أغلب القسرى المحيطة بالقدس بإجلاء نسسانها وأطفالها خلال الفسترة من أواخر مارس إلى بدابات مايو<sup>(24)</sup>. فالعديد من النسساء والأطفال تم إجلاؤهم من القسسطل إلى صوبا وبيت سسوريك نهاية شسهر مارس<sup>(34)</sup>. وقسد نُقل عن كمال عريقسات (زعيم إحدى الجماعات المسسلحة) طلبه من سسكان بيت نقوبا إجلاء «عائلاتهم إلى عمواس» غير الجماعات المسسلحة) طلبه من سسكان بيت نقوبا إجلاء «عائلاتهم إلى عمواس» غير شسمال المدينة)، فمع دخول ثلاثمائة من العناصر غير النظامية العراقية قامت بإجلاء نساتها وأطفالها أ<sup>34)</sup>. وكانت قالونيا (بالقرب من القسطل) قد أجلت النساء والأطفال تقريبا في العاشر من أبريل قبل أن تسسقط في أيسدي الهاغانان (<sup>36)</sup>. كذلك كان العال بالنسبة إلى صوباء التي قامت بإجراء مماثل في ذلك التوقيت (<sup>30)</sup>. وفيما يخص قلنديا النساء وألغال القدس) والتي كان قد تم إخلاؤها بالكامل خلال شهر يناير ثم عاد سكانها أبيها، فإنها قامت بإجسلاء أغلب نسسائها وأطفالها بحلول الحادي عشر من شسهر أبريل <sup>30)</sup>. كما أنه بحلول نهاية شسهر أبريل كان معظم أو كل نسساء وأطفال قرية

شعفاط قد رحلوا (52). وقامت المائحة (جنوب غرب القدس) بترحيل النساء والأطفال إلى الولجة، وتم الترحيل من عين كارم إلى بيت جالا وبيت لحم (53). كذلك أعيد نقل النساء والأطفال من بيت إكسا (غرب المدينة) لتوفير مكان لمائتين من العناصر العراقية (54). وفي الوقت ذاته، أجلت العيسوية نساءها وأطفالها بناء على أوامر من الجماعات المسلحة (55). أما فيما يتصل بكل من قرية أبوديس، والطور والعيزرية (غرب القدس) فقد تم تفريغها من النساء والأطفال لترك المكان للعناصر العراقية غير النظامية (56). ويبدو أن كل ذلك تم استجابة للأمر العام «بإجلاء النساء والأطفال من جميع القرى في منطقة القدس حتى لا يعيقوا العمليات [الهجومية] (57).

تـم انتهاج النموذج نفسـه في كل من الغرب والشرق. ففـي الثامن من أبريل نقلت الإدارة العربية باستخبارات الهاغاناه بدء عملية إجلاء النساء والأطفال من صرفند الخراب (بالقرب من الرملة) على الأرجح بسبب ضغط العناصر غير النظامية الأجنبية (58). كذلك كانت الحال بالنسبة إلى مجدل يابا في منطقة الرملة، والتي قامت بإجلاء النساء والأطفال خوفا من هجوم الهاغاناه (59). وفي مرج ابن عامر أجلت زرعين النساء والأطفال في أعقاب غارة قامت بها الهاغاناه بداية شهر مايو(60). أما في الجليل الشرقي، فقد تلقت الدوارة والعايسية أوامر بإجلاء النساء والأطفال لـترك المكان للعناصر غيير النظامية (٤٥). وكان من الواضح أن سـقوط حيفا العربية (21 - 22 أبريل) قد أطلق العنان لعمليات إجلاء للنساء والأطفال من العديد من القرى المجاورة (62). ففي الرابع والعشرين من الشهر ذاته أصدر جيش الإنقاذ أوامره لسكان قرية الفريديس (جنوب حيفا) بإجلاء نساتهم وأطفالهم «والاستعداد لإجلاء القرية بالكامل» (63). وعلى بعد عدة كيلومترات إلى الشهال تم إجلاء نساء وأطفال قرية الطيرة بمساعدة الجيش العربي إلى نيوردورف بالقرب من حيفا، ثم بعد ذلك إلى الأردن (640). كذلك تم إجلاء المُعالين من خربــة السركس بالقرب من حديرا (إلى باقة الغربية، جت) (65). أما فيما يتصل بنساء وأطفال قنير فقد بدأ إجلاؤهم في الثاني والعشرين من شهر أبريل بناء على «أوامر عليا» (١٥٠). وفي مطلع شهر مايو تم إجلاء أم الزينات (67). وإلى الشمال من حيفا تم إجلاء الكابري تماما الله. وسبق ذلك يعدة أيام صدور الأوامر للمجتمعات العربية حول روش بينا (في الجليل الشرقي) بإجلاء نساتهم وأطفالهم، على أن يتولى الرجال حراسة المواقع (68).

في جميع الحالات ثبت أن عملية إجلاء المُعالين كانت دائمة؛ حيث أعقبها بوقت قصير استيلاء الهاغاناه/قوة الدفاع الإسرائيلية على المواقع وما تبعه من إجلاء تام وتدمير. غير أنه في بعض الحالات اتسمت عملية الإجلاء بقصر مدتها، حيث كان الدافع وراءها هو مخاوف من هجوم يهودي وشيك، ومع تلاشي الخوف عاد النساء والأطفال مجددا. فعلى سبيل المثال، تم إجلاء النساء والأطفال في قرية عراق السويدان في النقب الشمالي بداية شهر مايو لليلة واحدة ثم عادوا في اليوم التالي (70).

ترتب على الغـزو الذي قامت به الدول العربية حدوث عمليات إجلاء جديدة قامت بها المجتمعات العربية الأخرى للمُعالين فيها خشـية أن يتورطوا بدورهم في الحرب. وعلى سبيل المثال، قام سكان قرية قسطينة بإبعاد نسائهم وأطفالهم تقريبا في الخامس عشر من مايو (بيد أنهم سرعان ما رجعوا من تل الصافي بعد اكتشافهم عدم وجود مياه كافية في القرية)(71).

خلال النصف الثاني من الحرب استمرت عمليات إجلاء النساء والأطفال، وإن كانت بمعدلات أقل - حيث فهم العرب في ذلك الوقت أن ذلك كان بشكل حاسم لمصلحتهم. فعلى سبيل المثال، أصدر جيش الإنقاذ أوامره بإجلاء النساء والأطفال من كل من معلول والمجيدل غالبا لإفساح المكان للفرقة الوافدة للاستعداد لعمليات عدوانية متوقعة (27). وقامت القريتان بإرسال النساء والأطفال إلى الناصرة؛ وقد جرت عمليات مماثلة في القرى الأخرى بالمنطقة (67). وفيها يتعلق بقرية معلول كان من الواضح أن جيش الإنقاذ غضب من إعلان القرويين استعدادهم للتعاون مع أي حكومة تتولى مقاليد الأمور، وأنهم لن يشاركوا في الحرب. وقد أدى ذلك إلى قيام قوات جيش الإنقاذ بضرب القرويين وقتل الماشية والغنم، وهو ما أدى بدوره إلى عملية هروب مذعورة من قبل السكان (74). وفي الرابع والعشرين من يونيو قام عرب المزاريب وعرب صيدا (من قبائل مرج ابن عامر البدوية) بتجميع مقتنياتهم والرحيل في أعقاب «تهديد صارم صادر عن مركز قيادة جيش الإنقاذ في الناصرة» (75). وفي اليوم التالي (ربما في إطار الاستعداد لتجدد الأعمال بإجلاء نسائهم وأطفالهم (76). وفي اليوم التالي (ربما في إطار الاستعداد لتجدد الأعمال القتالية بنهاية الهدنة الأولى) أمر قاوقجي القرويين في منطقة الناصرة بأنه «من القتالية بنهاية الهدنة الأولى) أمر قاوقجي القرويين في منطقة الناصرة بأنه «من القتالية بنهاية الهدنة الأولى) أمر قاوقجي القرويين في منطقة الناصرة بأنه «من القتالية بنهاية الهدنة الأولى) أمر قاوقجي القرويين في منطقة الناصرة بأنه «من

الآن فصاعدا يتعين عليهم قضاء الليل خارج القرى» (777). أما فيما يخص البدو الذين أقامـوا خيامهم على المنحدرات الجنوبية لجبـل طابور (بالقرب من قرية دبورية)، فقـد تلقوا أوامر «بنقل خيامهم باتجاه الشـمال داخل المرتفعات» (788). وبعد مرور شـهر على ذلك (أثناء الهدنة الثانية) أمر قاوقجي سـكان كفـر مندا بإجلاء القرية التي كانت آنذاك تحت سيطرة قوات الدفاع الإسرائيلية وذلك تمهيدا لمهاجمتها (790)، وأصدر جيش الإنقاذ أمرا مماثلا للقرويين في مجد الكروم بعد مرور شـهر لأسـباب وأصدر جيش الإنقاذ أمرا مماثلا للقرويين في مجد الكروم بعد مرور شـهر لأسـباب مشابهة (680). واستمر هذا التوجه في جميع الأماكن حيث تم إرسال نساء وأطفال دير أيوب (بالقرب من اللطـرون) إلى مناطق داخلية (181). كما جرى في الحادي والثلاثين مـن أكتوبر إجلاء سـكان قرية دمرة (بالقـرب من غزة) لنسـائهم وأطفالهم على الأرجح تحسبا للتقدم المرتقب لقوات الدفاع الإسرائيلية (820).

خلال الفترة من شهر أبريل - مايو أجلى ما يزيد على عشرين قرية بشكل تام بناء على أوامر من القادة العرب العسكريين المحليين أو الحكومات أو اللجنة العربية العليا، وقد رجع ذلك في أغلب الأحوال إلى أسباب تتصل بالإعداد للغزو العسكري، فصدرت الأوامر لعرب السطرية (بالقرب من الرملة) إما من قبل القادة العسكريين المحليين أو اللجنة الوطنية - بالإجلاء التام قبل حلول نهاية شهر أبريل. وفي التوقيت نفسه غادر سكان قرية بيت دجن لتحل محلهم قوات عراقية غير نظامية (83). ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه عن العرب في حيفا قولهم إن «جميع القرى الواقعة بين حيفًا وتل أبيب تلقت أوامر من مركز القيادة العامة العربي بإجلاء قراهم في أقرب وقت ممكن استعدادا لغزو (عربي) شامل» (84). وبشكل أكثر تحديدا ودقة، نُقل في منتصف شهر مايو أن «قرى صغيرة» تقع إلى جنوب حيفا تلقت تعليمات بالجلاء «والتحرك إلى منطقة أبعد»، في حين كانت الأوامر للرجال «بالانتقال إلى القرى التي تم تحديدها كمناطق للتجمع» (على سبيل المثال: عين غيزال، إجزم الجبعة)(85). وبناء على تعليمات قائد الجيش العربي تم في الفترة من 11 - 12 مايو إجلاء قرى: شعفاط، بيت حنينا، الجيب، جديرة، بير نبالا، ورافات في منطقة رام الله(86)، كذلك أصدر الجيش أوامره «لجميع سكان» أحياء وسط القدس الشرقية والواقعة خارج المدينة القديمة بالتحرك في اتجاهها، وقد انتقل معهم العديد من العائلات المسيحية في عين كارم بناء على «نصيحة» القائد العسكري المحلى (87). وكانت العيسوية قد تم

إجلاؤها، في الثلاثين من شهر مارس، بعد صدور تعليمات من قيادة اللجنة العربية العليا بذلك. وفي العشرين من شهر مايو أمرت قوات العناصر غير النظامية القرويين في العيسوية، نين، طمرة، كفر مصر، الطيرة، الطيبة وناعورة، وكلها قرى قريبة من جبل فقوعة، معادرة المنطقة (حيث كانوا يخشون بشكل واضح من انضمامهم إلى اليشوف) (88). يُذكر أنه قبل ذلك بعدة أسابيع أمرت قيادة «العناصر غير النظامية» (المقصود على الأرجح اللجنة العربية العليا) بإجلاء قرى سرين، عولم، حدثا، ومعنو المجاورة لأسباب مماثلة (89).

باتجاه الشسطال يبدو أن أمرا سيوريا قد صدر للعرب الذين قطنوا المناطق الحدودية بين فلسطين وسورية بالابتعاد عنها في إطار الإعداد للغزو العربي (90). ضغط السوريون على سكان قرية النُقيب (عرب الرقيبات) في الساحل الشرقي لبحيرة طبريا (والمعروفون تقليديا بعلاقاتهم الودية مع كيبوتس عين غيف) ليرحلوا غير أنهم امتنعوا عن القيام بذلك لبضعة أيام (91). وفي أعقاب غيارة قامت بها الهاغاناه في نهاية شهر أبريل على قرية سمخ بدأ سكان الرقيبات في الرحيل خوطًا من اليهود، وقد طلب منهم وسيط من الهاغاناه البقاء (92). وعلى الرغم من كل ذلك، فإنه بحلول منتصف شهر مايو، وقبيل بدء الغزو العربي بساعات، تغيرت الأمور. ففي ليلة 13 - 14 مايو طلبت الهاغاناه من القرية قبول الإدارة اليهودية وتسطيع أسلحتها؛ الأمر الذي لم يقبله القرويون وفضلوا الرحيل في اليوم التالي، وقد تلي دُلك تدمير منازلهم (93). وبعد مرور أسبوعين على ذلك، وعلى وجه التحديد في السابع والعشرين من شهر مايو، طردت الهاغاناه عائلة «ذكر الله» الإيرانية التي امتلكت مزرعة واسعة إلى الجنوب من عين غيف، بالإضافة إلى العاملين العرب هناك الذين بلغ عددهم ثلاثين، نصفهم من الأطف ال. حيث إنه «في وقت الحرب، لا مجال للعواطف» كما ورد في سـجلات عين غيف وتم اقتيادهم إلى طبريا حيث أسكنتهم الهاغاناه في فندق. وعقب ذلك أعيد توطينهم في عكا<sup>(94)</sup>.

لم تبدو اللجنة العربية العليا والحكومات العربية حتى الأسبوع الأخير من شهر أبريل منزعجة بشكل كبير من النزوح الجماعي. وعلى الرغم من قيام عزام باشا (الأمين العام لجامعة الدول العربية) خلال شهر أبريل باستخدام الهروب ومذبط دير ياسين (انظر ما يلي) لتسجيل نقاط في حملة الدعاية المناهضة للصهيونية في

الداخل، فإنه بدا وكأنه لم يكن هناك شعور بأن شيئا مهما يحدث. لم تقدم الدول العربية على القيام بأي عمل، وبشكل عام، تصرفت بطريقة لا تزيد من الهجرة الجماعية، ولا توقفها (95).

تنازعت اللجنة العربية العليا خلال شهري أبريل ومايو مجموعة من المصالح المتضاربة. فمن جانب، لم يكن أعضاؤها - الذين كانوا في نهاية شهر أبريل دون استثناء خارج فلسطين - سعداء برؤية التحلل المستمر والهجرة من داخل مجتمعهم، فالنزوح الجماعي خيب أملهم في مقاومة فلسطينية ناجحة لليشوف. ومن جانب آخـر، فإن اللجنة، بقيادة المفتي، أدركت بنهاية شهر أبريل أنها تعتمد على تدخل الـدول العربية. وكان الحسيني يعلم تماما تقلب القادة العـرب، كما أنه فهم أن كلا مـن فـاروق في مصر، وعبدالله في الأردن، ورياض الصلـح (رئيس وزراء لبنان)، والآخرين لا يرغبون بشكل كبير في القتال في فلسطين. ورجا يكون المفتي قد اقتنع، مع قرب الخامـس عشر من مايو، بأنه كلما كانت المأساة كبيرة كان هناك ضغط كبير - من قبل الرأي العام الداخلي، والـدول الأخرى ومقتضيات «الشرف» العربي - عـلى أولئك القادة للالتزام بتعهداتهم بالتدخل. لم يكن هناك ما يكن أن يلزمهم باحترام كلمتهم أكثر من كارثة فلسـطينية كبيرة. يضاف إلى ذلك أن اللجنة العربية بيكن يسـعدها احتمال استسلام المجتمعات العربية وقبولها الحكم اليهودي. وفي ضوء تلك الاعتبارات، التزم الحسيني واللجنة العربية العليا - إلى حد كبير - الصمت فوء تلك الاعتبارات، التزم الحسيني واللجنة العربية العليا - إلى حد كبير - الصمت إذاء حالة النزوح الجماعي المتجلية للعيان.

في ضوء عدم وجود توجه واضح من قبل الدول العربية واللجنة العربية العليا، وقع عبء مسؤولية صنع القرار في هذا الصدد بشكل رئيسي على كاهل القادة المحليين، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين. ومن ثم فقد لزم النظر إلى مواقف هؤلاء فيلم يتصل بعملية صنع القرار الخاص ببقاء أو مغادرة هذه الجماعة العربية أو تلك خلال شهر أبريل 1948. وربا كان القادة المحليون متأثرين في قراراتهم بما كانوا يعتقدون أنه ما تريده اللجنة العربية العليا منهم، كما كانت عليه الحال في حيفا في الثاني والعشرين من أبريل، ولكن بشكل عام كان الأمر متروكا لتقديرهم.

عملت اللجان الوطنية المحلية في أغلب الحالات على كبح جماح عملية الهروب من مناطقهم خلال شهري أبريال ومايو خاصة بين الذكور في سن التجنيد. ففي

مولد مشكلة اللاجئين الغلسطينيين

القدس أمرت اللجنة الوطنية في نهاية شهر أبريل عناصر المليشيات باستيقاف السيارات التي تقل السكان الفارين لتعيدهم أدراجهم (96)، وتم في هذا الصدد إصدار البيان التالي:

هناك أشخاص ينشرون إشاعات مُضلكة أدت إلى قيام بعض العرب بعضاك أشخاص ينشرون إشاعات تساعد العدو الموجود بيننا... وبموجب هذا البيان، تعلن اللجنة أن حالة القدرات الدفاعية في المدن قوية نسبيا، كما تطلب من المواطنين عدم إيلاء الاهتمام للشائعات المضللة وأن يظلوا في أماكنهم (97).

قـررت اللجنـة الوطنية كذلك معاقبـة القـرى التابعة لها والتـي جرت فيها عمليات فرار غير مرخص بها، وصدرت الأوامر للقرويين بـ «البقاء في أماكنهم وعدم الرحيل» (98). وفي ضوء احتلال الهاغاناه في منتصف شهر مايو مناطق في وسط القدس وتهديدهـا «المدينة القديمة»، تواجدت جموع من العرب أمام مقر اللجنة الوطنية مطالبـين بالسـماح لهم بالرحيل، غير أن مسـوولي اللجنة رفضوا ذلك وتم إرسـال عناصر مسلحة لتعقب السيارات التي تقل الفارين من المدينة دون ترخيص (99).

تعاملت اللجنة الوطنية في حيفا مع الموقف بطريقة مماثلة، فطالب رئيسها الأعضاء الذين سبق لهم المغادرة بالعودة (100)، وتوعد أصحاب المحال الذين فروا بإلغاء تراخيصهم (101). كما حاولت اللجنة إيقاف الهروب من خلال فرض غرامات والتهديد بمصادرة الممتلكات. وأجبرت العائلات التي ترحل على دفع ضرائب خاصة (102). ومع ذلك فإن تلك الجهود بدا أنها انتهت مع الهجوم الذي نفذته الإرغون في الفترة من الخامس والعشرين إلى السابع والعشرين من أبريل (انظر ما يلي).

بذلت اللجان الوطنية المحلية في عدد من المدن الأصغر جهودا مماثلة للتصدي لموجة الفرار. ففي مطلع شهر أبريل نقل جهاز استخبارات الهاغاناه قيام صدقي الطبري ببذل «جهود مضنية يائسة لإعادة» أولئك الذين فروا من طبريا (103). ومن وصدرت أوامر إلى العرب الذين فروا إلى حماة بالعودة وهو ما تم بالفعل (104). ومن جانبها منعت اللجنة الوطنية في بيسان الذكور البالغين من ترك المدينة، وتم تعزيز

الحراسة حول المدينة «خوفا من الهروب منها» (105). بيد أن سقوط حيفا العربية أسفر عن مزيد من التآكل في الروح المعنوية وتبع ذلك موجة فرار: «لقد بذلت اللجنة الوطنية في بيسان جهودا كبيرة لكبح الهروب، غير أنها أخفقت على الرغم من الإجراءات القاسية التى اتخذتها ضد الفارين ... ومع ذلك فقد استمرت حالة عدم السماح للذكور البالغين بالرحيل...» (106).

هناك دليل قوي على أنه في مناطق ريفية كثيرة قامت اللجان الوطنية المجاورة، وجيش الإنقاذ، والقادة المحليون، والعمد، بمساع جادة خلال الفترة من أبريل إلى يونيو لتطويق عمليات الفرار (وبالتوازي كانت هناك جهات أقل عددا وسلطة في مناطق أخرى تشجع على الفرار)؛ ففي البيرة، المجاورة لرام الله، منعت العناصر غير النظامية الأجنبية السكان من الرحيال (107)، كما حاول قائد العناصر غير النظامية الأجنبية في برير (في حي غزة) كبح جماح عملية الفرار (108). وفي اللد نُقل في نهاية شهر أبريل أن ضابطا عراقيا أجبر - إلى حد استخدام السلاح - الفارين على العودة(109). كذلك أجبر ضباط من جيش الإنقاذ عائلة المرشد من السنديانة على الرجوع(110). وفي شهال غزة قام رجال مجدل المسلحون بنفس الشيء تجاه القرويين الفارين من بيت دراس(111). كما أصدرت اللجنة الوطنية في مجدل بعد مرور بضعة أيام الأوامر إلى سكان: برق، البطاني الغربي، البطاني الشرقي، ياصور، بيت دراس، وثلاثة قرى أخرى (غربية، شهالية، شرقية) بعدم الفرار «وإلا خضعوا للعقاب». وتلقت عناصر المليشيات المشرفة على الحواجة على الطريق المحيط بمجدل وغزة أوامر بعدم السماح لأي من القرويين بالمرور حاملا أمتعته. كذلك تلقى سكان يبنى تعليمات مماثلة بالبقاء في أماكنهم(112). وفي مطلع شهر مايو منع شكيب وهاب (ضابط كبير في جيش الإنقاذ) سكان شفا عمرو من ترك المدينة. غير أنه وفقا لمصادر جهاز استخبارات الهاغاناه، نجح بعضهم في ذلك بعد قيامهم بدفع رشوة قيمتها مائة جنيه إسترليني (113). ويبدو أنه تم تهديد الراغبين في الرحيل بأنه سيتم مصادرة منازلهم (114). وفي بداية شهر مايو أمرت قرية أم الفحم الكبيرة جارتها الصبارين الأصغر بعدم إجلاء سكانها(115). وإلى الشمال الغربي منع جيش الإنقاذ المتبقين من سكان الطيرة من الرحيل(116). ومجددا هددت العناصر غير النظامية بمصادرة الممتلكات(117).

خلال فترة الهدنة الأولى استمر عدد من القادة العسكريين للعناصر غير النظامية في إصدار الأوامر لسكان القرى بالبقاء، وقد حدث ذلك على سبيل المثال في منتصف شهر يونيو في المنطقة الواقعة جنوب الرملة (118) وفي ترشيحا ولوبيا في الجليل (بناء على تعليمات من القاوقجي) (119). وخلال فترة الهدنة الثانية تردد أن القاوقجي ترك عددا من الفرق الصغيرة في قرى الجليل من المغار إلى المالكية للتأكد من أن الأهالي لن يفروا خوفا (120).

أخبر القاوقجي مختار كفر سابا (بالقرب من كفر قاسم) أنه «يجب عدم هجر المناطق السكنية مادامت هناك علاقات طيبة مع [الجيران] اليهود. وفي الوقت ذاته تحدث عن أولئك الذين أجلوا منازلهم بغضب شديد» (121). ولكن في بداية شهر مايو كان السكان الذين شعروا بأنهم تحت التهديد اليهودي على استعداد للرحيل. صدرت إليهم الأوامر من جيش الإنقاذ بالبقاء في أماكنهم (122). وعندما تحت مهاجمة القرية في نهاية المطاف، في الثالث عشر من مايو، هرب السكان. وعلى الرغم من أنهم أصبحوا في الشتات قام القائد السوري لجيش الإنقاذ بتحصيل خمسة جنيهات إسترلينية من كل فرد (123).

قبل يومين من ذلك، وربا تحت تأثير سقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي الضخم من يافله أصدر المركز الرئيسي لجيش الإنقاذ في رام الله تحريها شاملا للهرب. كما انتبهت الدول العربية أيضا وبشكل مفاجئ للمشكلة. وفي هذا الخصوص رصدت الهاغاناه منذ نهاية شهر أبريل أن عبدالله كان يضغط على اللاجئين من بدو بيت شيان للعودة إلى ديارهم (124). كذلك منع جيش الإنقاذ - في الفترة من 5 - 6 مليو من خلال بيانات رددها المذياع ونقلتها الصحف - سكان منطقة رام الله من ترك ديارهم: «إن منازل القرويين الفارين سيتم تدميرها وستصادر حقولهم. وتم أمر أولئك الذين فروا بالعبودة (125). وصدقت الأردن على هذا الأمر. ووفقا لمصادر الهاغاناه في هذا الخصوص: «يسبعى القادة العسكريون الهاغاناه في هذا الخصوص: «يسبعى القادة العسكريون العرب للحد من تدفق اللاجئين ويتخذون إجراءات قاسية وصارمة تجاههم». وفي العرب للحد من تدفق اللاجئين ويتخذون إجراءات قاسية وصارمة تجاههم». وفي الخامس من مايو نقلت إذاعة كل من راديو القدس وراديو دمشق أوامر جيش الإنقاذ لأولئك الذين فروا منذرة إياهم بـ «العودة خلال ثلاثة أيام» (126). ومن جانبه

استثمر راديو الهاغاناه الموقف وأذاع في السادس من الشهر أنه: «في مسعى لإيقاف الهـرب.. أصدرت القيادة العربية بيانا حذرت فيه من أن ... أي عربي يفر... ســتتم معاقبته بقسوة»(127).

خلال الفترة من الخامس إلى الخامس عشر من مايو أصدر كل من الملك عبدالله وعزام باشا، فضلا عن اللجنة العربية العليا - التي كانت أكثر ترددا - بيانات مماثلة، بطريقة شبه منسقة، هدفت إلى إيقاف الهروب وترغيب اللاجئين في العودة. كذلك كانت هناك مناشدة خاصة، تم تشجيعها من قبل سلطات الانتداب البريطاني، تم توجيهها إلى اللاجئين من حيفا. وفي الخامس عشر من شهر مايو أصدر فايز الادريسي («مراقب الأمن العام» باللجنة العربية العليا) أوامر لرجال المليشيات الفلسطينيين بمواجهة «الطابور الخامس وأولئك الذين يبثون الشائعات التي تؤدي إلى قرار السكان العرب». كما ناشدت اللجنة العربية العليا، في الفترة من 1 - 11 مايو، الموظفين والأطباء والمهندسين الذين فروا العودة، وعاودت المطالبة بذلك مجددا في الفترة من 14 - 15 مايو محذرة الموظفين الذين لن يمتثلوا بفقدان «الأحقية لشغل هذه الوظائف الإدارية في المستقبل». ومن جانبها بدأت الحكومات العربية في منع دخول اللاجئين - على سبيل المثال، على امتداد الحدود اللبنانية (1128).

بنهاية شهر مايو، ومع تدخل جيوشها، قامت الدول العربية (فضلا عن اللجنة العربية العليا) عمارسة الضغوط على مجتمعات اللاجئين في المخيمات على امتداد العدود للعودة إلى ديارهم. ووفقا للإذاعات العربية الموجهة، كانت اللجنة العربية العليا تشير إلى أن «أغلب القرى [المهجورة] أضحت آمنة بفضل الانتصارات العربية» (129 غير أن الاهتمام العربي المفاجئ بالملف جاء متأخرا، كما أنه لم يتم الإعلان عنه كسياسة رسمية، فضلا عن أنه لم يتم ترجمته إلى عمل مُمنهج. يضاف إلى ذلك استمرار لجنة الشؤون السياسية بجامعة الدول العربية في حث الدول الأعضاء على «منح اللجوء... للنساء والأطفال وكبار السن» (في حين طلبت إليهم منعه عن الذكور البالغين) (130). لم يقتصر الأمر على فشل الدول في إيقاف عملية الهروب، وإنما أثبتت عدم قدرتها على التقليل من معدلاتها، لاسيما إعادة اللاجئين. وربما كان اللجوء إلى وسائل أكثر قوة عديم الفائدة أخذا بعين الاعتبار الخوف الفلسطيني من اليهود الناتج عن هجمات الهاغاناه والإرغون والهستدروت، وهو الخوف الذي دعمته الإذاعات العربية طوال الشهور التي

سبقت ذلك بإبرازها فظائع، حقيقية أو مدعاة، قام بها اليهود فلم يكن هناك ما مكنه أن يقنع أولئك الذين فروا بأن يسلكوا الطريق العكسى. وفي كل الأحوال، فإنه بحلول نهاية الشهر وبداية يونيو كان القادة العرب منشغلين بأداء جيوشهم، والخلافات بينهم، والحرب الديبلوماسية ضد الصهيونية في الأمم المتحدة ولندن وواشنطن، أكثر من اهتمامهم مشكلة اللاجئين. وأخيرا مع دخول الهدنة الأولى حيز التنفيذ، في منتصف شهر يونيو، تحول اهتهام الدول العربية بعيدا عن ميادين القتال وتغيرت الظروف بشكل تام. وأضحت الحدود خطوط قتال دائمة بها مناطق تفصل بين الجيوش، كما أن اليشوف المنتصر كان عازما على منع العودة. ومن ثم فإن الضغوط التي مارستها بعض الدول العربية لدفع اللاجئين إلى العودة عبر الحدود كانت، وفقا لاستخبارات الهاغاناه في بداية يونيو، محدودة الأثر(191). وبحلول شهر أغسطس أضحت الدول ذاتها تجادل ضد إعادة اللاجئين خشية أن عثل ذلك «اعترافا بدولة إسرائيل» ويضع العائدين تحت رحمة السلطات اليهودية(132). ولكن في العموم فإن ما فعلته الدول العربية واللجنة العربيـة العليا وجيش الإنقـاذ واللجان الوطنية المحلية والمليشـيات المتعددة - أو ما لم تفعله، سواء لتشبيع أو تقييد النزوح الجماعي - هو أمر ذو أهمية ثانوية، فقد كان اللاعبون الرئيسيون في هذا الخصوص هم اليشوف ومنظماته العسكرية. وكانت عملياتهم هي الباعث الرئيس وراء الهروب ولفهم حقيقة ما حدث فإنه من الضروري دراسة ماذا حدث في الميدان بالتفصيل. سوف أركز على المدن الرئيسة والعمليات الأساسية في الريف وسأبدأ بالمدن حيث مثل سقوطها والنزوح الجماعي لسكانها دافعا قويا حرك عمليات مماثلة من الريف.

## المدن

## طبريا

مثلت طبريا أول مجتمع عربي حضري يسقط، وكانت تلك المدينة مختلطة السكان (6 آلاف يهودي و4 آلاف عربي) على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا تطل على الطريق الشمالي - الجنوبي الذي يربط المستوطنات الداخلية في الجليل مع مستوطنات وادي الأردن الأدنى. وقد ضمن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة تلك المدينة في أراضي الدولة اليهودية.

في الرابع من شهر ديسمبر أطلق الشيخ نايسف الطبري - وهسو من الأعيان البارزيسن في المدينة (ترجع أصول عائلة الطبري إلى عجلسون بشرق الأردن وكانت أكثر عائلات المدينة ثراء واحتراما) (133 - محادثات مع القادة اليهود المحليين من أجل التوصل إلى «اتفاق سلام» (134). وعلى الرغم من ذلك فإن العائلات العربية، أجل التوصل إلى «اتفاق سلام» بدأت في مغادرة ديارها؛ حيث رحل البعض إلى المناطق العربية المجاورة بينما غادر البعض الآخر، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى المجتمع الشيعي الصغير، المدينة نهائيا (135). كذلك فرت العائلات اليهودية من «المدينة القديمة» التي هيمنت عليها الأغلبية العربية، ولم يتبق في مطلع شهر فبراير سوى حي يهودي واحد في المدينة (في حين كانت هناك شقق مهجورة تم ملؤها باللاجئين العرب من المناطق اليهودية المجاورة)، وقد هدد اليهود الذين بقوا في المحكان بالرحيل إن لم تتوافر حماية الهاغاناه سريعا. (وطالبوا كذلك بأن تُصدر الهاغاناه أوامرها لأولنك الذين هجروا «المدينة القديمة» بالعودة، وأولئك الذين ظلوا في المنطقة بالتمسك بأماكنهم) (186).

بذلت عائلة الطبري التي كانت تسييطر على اللجنة الوطنية جهودا مستمرة لإحباط مساعي الشباب المتهور بإطلاق العنان للعمليات القتالية (137)، ودعوا إلى التعايش السلمي (138). وقد أكد يوسف نحماني (أحد قادة المجتمع اليهودي ورئيس مكتب الصندوق الوطني اليهودي في الجليل الشرقي) أنهم كانوا يسعون إلى سلام مستمر على الرغم من أن الشباب اليهودي المتهور كانوا يعملون بدورهم وبشكل مستمر على استثارة العرب، محذرا من أن مثل هذه الأفعال قد تقود إلى «انفجار» و«كارثـة». وطبقا لنحـماني، كان اليهود الشرقيون في المدينـة «عيلون إلى التباهي وقجيد الذات شأنهم في ذلك شأن العرب». وفي هذا الصدد روى تفاصيل الحادث الـذي وقع في الرابع من فبراير نتيجة توجه ثلاثة من اليهود «الشرقيين» المخمورين الى «المدينـة القديـة» وتوجيههم الإهانات إلى بعض الحـراس العرب مما أدى إلى اندلاع شـجار أسـفر عن إحداث جرح طفيف بأحد اليهـود وقامت الهاغاناه بالرد باستخدام القنابل والأسلحة الخفيفة من دون أن يصاب أحد. وفي تلك الليلة أو اليوم التالي التقى رئيس اللجنة الوطنية صدقي الطبري بقادة اليهود في المدينة، بما في ذلك العمدة شـيمون دحان، وتم التوصل إلى اتفاق بعـدم القيام بأعمال عدائية (1890). لم

يكن كل من قادة الهاغاناه المحليين «المفتقدين للوعي» (وفقا لنحماني) و«الشباب» (طبقا لجهاز استخبار الهاغاناه) سعداء بالتوصل إلى هذا الاتفاق (140). وعلى الرغم من ذلك عاد الهدوء إلى المدينة إلى الحد الذي أدهش أحد أفراد الإدارة العربية لجهاز استخبارات الهاغاناه أثناء زيارة للمدينة لرؤيته كيف يتحرك العرب بحرية في الأسواق اليهودية ويستقلون الحافلات اليهودية ويجرون معاملات تجارية مع اليهود، كما لو كانت الجماعتان «لا تعرفان أو تسمعان شيئا عما يحدث بين اليهود والعرب في باقى أرجاء البلاد» (141).

في منتصف شهر مارس انهارت الهدنة الهشة بين الطرفين وسُمع دوي إطلاق النار في وسط مدينة طبريا في الثاني عشر من الشهر في أعقاب محاولة الشرطة اليهودية نزع سلاح عرب. استمر إطلاق النار بشكل متقطع على مدار ثلاثة أيام اجتمع خلالها قادة المجتمعين اليهودي والعربي في مبنى بلديمة المدينة في الرابع عشر من شهر مارس؛ حيث اتهم العرب اليهود باستثارة إطلاق النار، الأمر الذي «أقره» نحماني في مذكراته (142). وعاد الهدوء بعد ذلك وبارك يسرائيل غاليلي الاتفاق الجديد وأخبر القادة اليهود عما يلي: «من الجيد أنكم فعلتم ذلك، حيث إن لدينا العديد من الجبهات ولا يمكن أن نشستت أنفسسنا في أماكن أخرى» (143). وقد تزامن ذلك مع فرار يهود إضافيين من «المدينة القديمة» ومحاولة الهاغاناه إيقاف هذه الموجة من النزوح (144). وعلى صعيد آخر، طلب قائد جيش الإنقاذ في الجليل (أديب الشيشكلي) أن يتولى زمام الدفاع عن العرب في طبريا، إلا أن اللجنة الوطنية التي آثرت الهدوء رفضت الإذعان لهذا المطلب(145). وعلى الرغم من ذلك قامت كتائب من العناص غير النظامية الأجنبية بالتمركز في الأحياء العربية بنهاية شهر مارس. وبداية شهر أبريل. وبحلول منتصف شهر مارس، كانت عمليات الهاغاناه قد أدت إلى نقص كبير في السلع وارتفاع كبير في الأسعار «بما في ذلك الأسماك» مما دفع «العديد من المحال العربية» إلى إغلاق أبوابها(146).

بدأت معركة طبريا النهائية في الثامن والتاسع من شهر أبريل، عندما اندلع إطلاق النار مجددا في منطقة وسط المدينة. وفي العاشر من أبريل قصفت الهاغاناه «السكان العرب [المنطقة السكنية]» بقذائف الهاون(١٤٦). وفي حين فشلت محاولات البريطانيسين للتوصل إلى هدنة، هاجمت الكتيبة الثانية عشرة من لواء غولاني في

الثاني عشر من الشهر واستولت على قرية خربة نصر الدين والشيخ قدومي على قمـة التـل المجاور، مما مكنها مـن أن تهيمن على طبريا من أعـلى وتعزل المدينة عن المراكـز العربية الرئيسـية إلى الغرب (لوبيا والناصرة). وقـد كانت التعليمات الصادرة تتضمن «تدمير تجمعات العدو» في القرية. وخلال المناوشـات على مدار أربع ساعات، والتي واجهت فيها الهاغاناه مقاومة غير متوقعة، هرب أغلب السكان إلى طبريـا وتـم احتلال القرية. وأحصـت الهاغاناه 22 قتيلا من بين العرب وسـتة جرحـى، في حين تم أسر ثلاثة (وفيما يتصل بخسـائر الهاغانـاه فقد اقتصرت على إصابة عنصرين بجروح خفيفة) (184). وقد ادعى العرب أن «دير ياسين ثانية وقعت في نصر الدين» (184)، وبالفعل قتل بعض العناصر من غير المقاتلين - من بينهم نساء وأطفـال - في القرية (185). وعلى صعيد آخر، أدى وصول اللاجئين من نصر الدين إلى إضعاف الروح المعنوية بين عرب طبريا (151). وفي رد فعله على ما حدث كتب نحماني في مذكراته:

لا يمكنتي أن أبرر هذا العمل من قبل الهاغاناه، ولا أدري إذا كان هناك مبرر للانقضاض وقتل مثل هذا العدد الكبير من العرب. لقد ترك فرار النساء والأطفال مذعورين من القرية انطباعا سيئا عليّ (152).

في ضوء عدم تدخل البريطانيين في نصر الدين، قررت الهاغاناه أن تُخضع طبريا العربية والتي تهيمن على الطريق إلى المستوطنات في اللسان الداخلي بالجليل (153). وفي ليلة 17/16 أبريل قامت وحدات من لواء غولاني والكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ (والتي دخلت حديثا إلى المنطقة) بمهاجمة المدينة القديمة مستخدمة قذائف الهاون والديناميت لنسف ثمانية منازل، مما أسفر عن حالة «ذعر كبيرة». وقوبل التماس الأعيان العرب التوصل إلى هدنة برفض قادة وحدات الهاغاناه للتفاوض وعدم قبولهم إلا بالاستسلام (154)، مما حدا العرب على مناشدة البريطانيين لرفع الحصار عن «المدينة القديمة» وبسط حمايتهم على الأحياء العربية. من جانبهم، ذكر البريطانيون أنهم ينوون إجلاء المدينة خلال أيام ولا يمكنهم توفير الحماية فيما بعد الثاني والعشرين من أبريل، مما دفع العرب إلى «الموافقة على الجلاء»، ربما بناء على اقتراح من البريطانيين (155). منذ السابع عشر من أبريل كان العرب - بما في ذلك

أعضاء من عائلة الطبري - قد بدأوا في التدفق خارج المدينة «مذعورين»، وطالب رجال الدين المحليون البريطانيين بمساعدة السكان على «مغادرة طبريا» (156). وقام الكولونيل أندرسون، الضابط البريطاني عالي الرتبة، بإبلاغ ممثلي اليهود أن قواته سيتغادر خلال أيام وأنهم لن يكونوا قادرين على ضمان سلامة العرب بعد رحيلهم، ومن ثم تم اتخاذ قرار بإجلاء العرب من المدينة (157).

في الحادي والعشرين من أبريل، نقل ضابط في الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه أن أحد قادة المليشيات في طبريا (صبحي شاهين) قد غادر المدينة في السابع عشر من الشهر ليعود في اليوم التالي بصحبة «عدد كبير من الحافلات من شركات نقل عربية متعددة في الناصرة». ربا دل هذا على أن فكرة الإجلاء التام قد تبلورت في السابع عشر من أبريل – أكثر من كونها نتاج اقتراح بريطاني في الثامن عشر من الشهر (158). ووفقا لضابط استخبارات الهاغاناه، كان شاهين هو الذي أكد ضرورة إجلاء طبريا، مستخدما «التهديد والقوة»، خاصة أن سبعمائة من السكان كانوا قد «رفعوا الرايات البيضاء» وقرروا البقاء (159).

مع إتمام إجلاء سكان طبريا، كان أغلب قادة اليشوف العسكريين (وربها السياسيين) واقعين تحت تأثير المفاجأة. وقد كان الاضطراب والحيرة واضحين بشكل ظاهر على ما كتبه أحد ضباط استخبارات لواء غولاني خلال اليومين التاليين، من تحليل وشرح، في صفحتين تحت عنوان «لماذا أجلى العرب طبريا؟». فبشكل لافت للنظر، لم يتطرق على الإطلاق إلى أوامر عربية (أو حتى شائعات تشير إلى مثل هذه الأوامر) من «الخارج» أو من «أعلى» أو إلى «نصيحة» من قبل البريطانيين، كسبب للنزوح الجماعي. وتعلق الأمر، وفقا له، بالمحصلة النهائية لتدهور الروح المعنوية. وذهب إلى أن النزوح الجماعي الذي بدأ – وفقا له مباشرة عقب سقوط نصر الدين - كان بسبب: (أ) إحساس بالضعف العسكري نبع من توزع القوة بين ثلاث مليشيات منفصلة وغالبا ما كانت متنافسة، (ب) تدهور الأوضاع الاقتصادية نتيجة لسيطرة الهاغاناه على مداخل الطرق للمدينة وارتفاع الأسعار، (ج) «الفساد» المجتمعي وفرار القادة، (د) عدم وصول الدعم من الخارج، (هـ) ثبات كتائب الهاغاناه في المدينة القديمة، الذي استمر على من التهديدات البريطانية والحصار والمضايقات العربية، (و) سقوط نصر الرغم من التهديدات البريطانية والحصار والمضايقات العربية، (و) سقوط نصر الرغم من التهديدات البريطانية والحصار والمضايقات العربية، (و) سقوط نصر

الدين وما أحدثه وصول لاجئيها من إضعاف للروح المعنوية بما حملوه معهم من «قصص خيالية شرقية» عن فظائع اليهود، ي) هجوم الهاغاناه الناجح في 16 - 18 أبريل، الذي تم خلاله تدمير فندق طبريا (160).

مع حلول منتصف يوم الثامن عشر من شهر أبريل، تم فرض الهدنة كأمر واقع، وفرض البريطانيون حظر تجوال لمدة أربع ساعات. وقاموا (ومعهم رجال أعمال عرب) بإحضار عشرات الحافلات والشاحنات، استقلها السكان، وتوجهت القافلة تحت حراسة بريطانية إلى الناصرة. في حين قامت بعض العائلات بقيادة سياراتها نحو الجنوب باتجاه الأردن. تابع السكان اليهود رحيل جيرانهم السابقين عبر النوافذ والشرفات (161). من جانبها، سجلت الفرقة الثالثة التابعة للبالماخ أن «البريطانيين يجلون كل العرب من طبريا، وأن هناك احتمالا كبيرا لأن تصبح طبريا خالية من العرب غدا» (162). وفي المساء، نقلت دورية تابعة للواء غولاني: «لقد استكملنا عملية الاستطلاع لكل أرجاء المدينة الدنيا، ولا يوجد غرباء ]عرب في الموقع». كذلك أوضحت الدورية أنها تقوم بحراسة المحال والمنازل العربية من أعمال النهب، وأن «الروح المعنوية للجنود عالية» (163).

لكن سرعان ما اختلفت الصورة خلال ساعات، حيث «انقض رعاع اليهود]على المناطق التي تم إجلاؤها [وبدأوا في نهب المحلات... وقد توقفت عملية النهب بعد التدخل المسلح للشرطة اليهودية...» (164). وقد نقلت الإدارة العربية لجهاز استخبارات الهاغاناه أن كلا من السكان اليهود وجنود الهاغاناه شاركوا في «السرقة على نطاق واسع، وكانت هناك حوادث مقززة للسرقة من قبل القادة ومشاجرات بين الأفراد الذين تصارعوا على الغنائم». واستمر النهب بشكل متقطع خلال الأيام التالية وتم القبض على العديد من المجرمين (165)، أصيب عدد منهم بإصابات بالغة على يد قوات الهاغاناه. وقد أدى إطلاق النار من قبل أحد عناصر الهاغاناه على يهودي شرقي (سفارديم) شارك في عملية النهب إلى إصابته وفارق الحياة بعد ذلك. ولاحظ سكان المدينة وأغلبيتهم من الشرقيين «أن الاشكيناز (اليهود الغربيين) يطلقون النار فقط على السفارديم (اليهود الشرقيين «أن الاشكيناز (اليهود الغربيين) يطلقون النار فقط على السفارديم (اليهود الشرقيين)...». استؤنفت عمليات السلب في الثاني والعشرين من أبريل عندما فقدت الهاغاناه والشرطة السيطرة تماما وفي هذا الصدد كتب نحماني في مذكراته:

تحركت مجموعات مكونة من عشرات اليهبود معا لتنهب المنازل والحوانيت العربية... ولم يكن بحوزة عناصر الهاغاناه القوة الكافية للسينظرة على الرعاع بعدما أعظوا بأنفسيهم مثلا سينا... بدا الأمبر كما لو كان هناك سباق بين فصائل الهاغاناه الموجودة في مغدال، وغينوسار، ويافنيل عين غيف الذين قدموا إلى المدينة في سيازات وقوارب وقاموا بتحميل جميع أنواع السلع مسن قبيل الثلاجات، الأسرة، إلخ... وكان من الطبيعي أن تسبعى التجمعات اليهودية في طبريا إلى النصرف بطريقة مشابهة... كان كبار السن من الرجال والنساء، بغض النظر عن كبر سنهم ... المتدينون (وغير المتدينين)، منشغلين والنساء، بغض النظر عن كبر سنهم ... المتدينون (وغير المتدينين)، منشغلين بأعمال السرقة والنهب... فشعرت بالخجل يغطي وجهي» (167).

وموافقة الهاغاناه، عاد عدد قليل من العرب إلى طبريا في 21 - 22 أبريل، تحت حماية بريطانية، لاستعادة ممثلكاتهم(١٥٤).

لم تتلق القوات اليهودية أوامر بطرد السكان العرب، ولم يقوموا بذلك. كما أنهم لم يتوقعوا أن يقوم السكان بالرحيل. ومع ذلك فإنه عندما اتخذ القرار وبدأت عملية الإجلاء بالفعل لم تقدم الهاغاناه في أي تعظة على إيقافها. وخلال ليلة 18 - 19 أبريل طبع قادة الجماعة اليهودية إعلانا يشرح ما حدث. كتبوا فيه أن العرب بدأوا القتال، وأن الهاغاناه قامت بالرد، واستتبع ذلك قرار العرب بالرحيل، وكتب على اللافتات: «لم نقم بحرمان السكان العرب من ديارهم». كما طلبت النشرة من اليهود عدم المساس بممتلكات العرب، حيث «سيأتي اليوم الذي يعود فيه السكان العرب إلى منازلهم...» (169).

بعد مرور ثلاثة أيام، أخبر جمال الحسيني الأمم المتحدة أن اليهود «أجبروا العرب على مغادرة طبريا». وبعد سنوات، اتفق قائد لواء غولاني، بشكل غير مباشر، مع هذا الرأي عندما ذكر أن استيلاء قواته على المواقع العسكرية العربية الرئيسية في المدينة «أجبر السكان العرب على الجلاء»(170). من جانب آخر، اتهم الياس كوسا (محام عربي من حيفا) العام 1949 «السلطات البريطانية بأنها قامت بنقل السكان العرب [في طبريا] بالقوة وبأعداد ضخمة إلى شرق الأردن». فبدلا من استعادة النظام في المدينة بالقبوة، كما كان «واجبهم»، قاموا «بإجبار العرب على هجر ديارهم وممتلكاتهم والسعي إلى اللجموء في الأراضي العربية المجاورة»(171). وعلى ديارهم وممتلكاتهم والسعي إلى اللجموء في الأراضي العربية المجاورة»(171).

الرغم من ذلك، واستنادا إلى الدلائل، فإن قرار إجلاء طبريا قد اتخذ بشكل مشترك بين القادة العرب للحلين والسلطات العسكرية البريطانية. ومن الممكن أن تكون فكرة الإجلاء، تحت حماية بريطانية، قد اقترحت أولا من قبل الضباط البريطانيين، إلا أن الأعيان العرب هم من كان عليهم أن يقرروا البقاء أو الرحيل. وقد كان عدم استعداد البريطانيين، أو على الأحرى عدم قدرتهم، لعرض حماية طويلة المدى وإعلانهم انسحابهم الوشيك بمنزلة الحافز على اتخاذ القرار. أما القرار قبل وفي بداية المعركة من قبل كبار أعيان طبريا، والأحداث الحقيقية أو المزعومة التي بداية المعركة من قبل كبار أعيان طبريا، والأحداث الحقيقية أو المزعومة التي وقعت في نصر الدين (التي عززتها الأخبار عن المذبحة التي سبقت ذلك بأسبوع في دير ياسين) وقيام الهاغاناه بالاستيلاء على قرية المنارة (إلى الجنوب) في العاشر من أبريل، مما أدى إلى قطع الطريق المؤدي إلى الأردن، كل هذه كانت عوامل ساعدت على حدوث النزوح الجماعي (172).

أطلق ستقوط طبريا العربية وإجلاء ستكانها التشرارة الأولى لعمل مماثل في سلسلة من القرى المحيطة بالبحيرة. غادرت عشيرة عرب قادش البدوية (من عرب الدليكا) التي كانت تخيم بالقرب من بوريا (جنوب المدينة) تحت حراســة الهاغانــاه (بنــاء على طلبهــم) إلى ســمخ والأردن(173). وهرب أصحــاب المحال السـوريون في سـمخ (جنوب المدينة) في الثاني عشر من أبريل أو قبل ذلك(174). وشوهدت شاحنات تقل النساء والأطفال تغادر القرية في الرابع والعشرين من الشهر ذاته متجهة إلى لوبيا(175). ورحل المتبقى من السكان في العبيدية (جنوب غــرب بحيرة طبريا) في الحــادي والعشرين من أبريل(176). وأجلى ســكان مجدل (قرية واقعة على ضفة البحيرة شهالي طبريا) من ديارهم بعد أن أقنعهم رئيس المجتمع اليهودي المجاور في مغدال وغينوسار بذلك، وتلقى القرويون مبلغ 200 جنيه إسترليني مقابل ثماني بنادق وذخائر وحافلة قاموا بتسليمها، وتم نقلهم إلى الحدود الأردنية بحافلات يهودية. ومما لا شك فيه أن سقوط طبريا العربية قد ساعد في عملية «إقناع» السكان. كما أن الحث اليهودي سرع من عملية إجلاء المناطق المجاورة في غوير أبو شوشة (176). وتم إجلاء السمرة، في الجزء الجنوبي من البحيرة، جزئيا كرد فعل على سقوط طبريا، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى كل من كفر سبت والشجرة <sup>(179)</sup>.

حيفا

كان سـقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي لسكانها من بين الأحداث الرئيسة في الحرب، فرحيل عرب المدينة، الذين بلغ عددهم قبل الحرب 65 ألف نسمة، مثل بحـد ذاته 10 في المائة من إجمالي عدد اللاجئين العرب. وبالنظر إلى الدور المحوري لحيفا، سياسيا وإداريا واقتصاديا، فإن سـقوطها والفرار منها كانا دافعا رئيسيا لهجرات تالية من مناطق أخرى في الشمال وبقاع أخرى في البلاد، بما في ذلك يافا.

من الضروري النظر إلى النزوح الجماعي من حيف في الحادي والعشرين من شهر أبريل على خلفية قيام المدينة بعملية إجلاء تدريجي لما يقارب 20 ألفا إلى 30 ألفا من سكانها، بمن في ذلك أغلبية الطبقات المتوسطة والعليا، خلال الفترة من شهر ديسمبر 1947 إلى أبريل 1948، فغالبية أعضاء اللجنة الوطنية والمستشارين بالبلدية – بصحبة عائلاتهم – كانوا من بين الذين رحلوا. كانت المدينة معرضة للخطر مع الإغلاق التدريجي لمعسكرات وأجهزة ومكاتب حكومة الانتداب مما أدى إلى ارتفاع حاد في مستويات البطالة خلال شهري مارس وأبريل (1800). تضافر ذلك مع ما خلفته أشهر من المناوشات والقصف والنقص في الغذاء (خاصة الدقيق والخبز) والشعور بالعزلة عن الأرض العربية الداخلية ليثير- بشكل مطرد - أعصاب السكان الباقين ويثبط من عزمهم (181).

نقلت استخبارات البالماخ خلال الأسبوع الأول من شهر أبريل أن 150 عربيا يغادرون المدينة يوميا (182). وفي وقت ما من النصف الأول من الشهر رحل رشيد الحاج إبراهيم (رئيس اللجنة الوطنية) بشكل واضح بعد مشاحنات مع قائد المليشيات الجديد، أمين عز الدين النبهاني، (الضابط الدرزي اللبناني) (183). كما نقلت مصادر استخبارات الهاغاناه أن «أكثر من 100» من عناصر المليشيات معظمهم من السوريين والعراقيين، الذين لم يتلقوا رواتبهم، غادروا المدينة خلال الأسبوع الثالث من أبريل (184). ومما لا شك فيه أن النجاحات التي حققتها الهاغاناه خلال اليوم السابق على ذلك في مواجهة جيش الإنقاذ في معارك مشمار هعيمك ورمات اليوم السابق على ذلك في مواجهة جيش الإنقاذ في معارك مشمار هعيمك ورمات يوحنان (على بعد عدة أميال جنوب شرق المدينة) كان لها أثر كبير. وبحلول الحادي والعشرين من أبريل، عندما بدأت الهاغاناه انقضاضها، كان سكان المدينة الباقون مهبئن للإجلاء.

طبقا للجنرال هيو ستوكويل (القائد العام العسكري البريطاني للقطاع الشمالي) اندلعت المعركة النهائية بسبب العناصر العربية غير النظامية التي قامت بحلول منتصف الشهر:

بتكرار هجماتها في العديد من الأحياء... لتحقيق هدف تكتيكي يسعى للتقدم إلى الأمام من جناحين: وادي النساس ووادي صليب حتى تتمكن من أن تفرج ساقي... الطريق الرئيس في هدار الكرمل... وتعزز مواقع كل من أمين بيك عز الدين ويونس نفعه، اللذين توليا قيادتهما (185).

في السادس عشر من أبريل أسفرت النيران العربية عن مقتل أربعة من اليهود وإصابة خمسة بجراح. وطبقا لمصادر الهاغاناه، فإنه «بدءا من ذلك اليوم ضاعف العرب من استخدامهم لقذائف الهاون»(186).

كان في نية الهاغاناه أن تترك حيفا إلى النهاية في ضوء الوجود البريطاني الكبير هناك، فضلا عن حقيقة أن المدينة كانت حيوية للانسحاب البريطاني من فلسطين المقرر اكتماله في الخامس عشر من شهر مايو، حيث إن الهاغاناه لم تكن راغبة على الإطلاق في الاشتباك معهم. إلا أن الضغط العربي منتصف الشهر، الذي بلغ ذروته مع إعادة الانتشار المفاجئة للقوات البريطانية خارج مناطق التماس في الحادي عشر من أبريل، وقيام العرب في وقت مبكر من ذلك الصباح بإطلاق النار على السيارات اليهودية في وادي رشميا وأماكن أخرى (187) أجبر لواء كارملي على الدخول في المواجهة.

طالبت الخطة «دالت» بضرورة تشديد القبضة اليهودية على المدن المختلطة من خلال:

السيطرة على جميع الممتلكات والخدمات الحكومية، طرد العرب من الأحياء المختلطة بل طردهم جميعا من المناطق [العربية] التي تعرض خطوط الاتصالات في تلك المدن للخطر، أو تلك التي تستخدم كقواعد لشن الهجمات. كذلك، إطالبت الخطة [ بإحكام السيطرة على السكان العرب في منطقة من المدينة تكون محاطة بقواتنا.

أوكلت الخطة للواء كارملي مهمة تحييد حيفا العربية، وصدرت إليه التعليمات على وجه الخصوص بما يلي:

الاستيلاء والسيطرة على كهف إيليا المدينة القديمة، المستوطنة الألمانية، شارع يافا، الأحياء التجارية القديمة والحديثة، شارع الناصرة، وادي رشميا، وأحياء الأكواخ (من قبيل أرض الجمال وقرية بلد الشيخ) (188).

طوال فترة الأزمة كان ستوكويل مدفوعا بشكل رئيسي برغبته في تأمين سلامة قواته وضمان عدم إعاقة عملية جلاء القوات البريطانية عن فلسطين – التي ستجري بشكل رئيسي عبرميناء حيفا. وقد كان منشغلا بشكل خاص بأمن الميناء وخطوط السكك الحديدية ومصفاة البترول. وأخيرا، فإنه كان مهتما بالإبقاء على السلام بين العرب واليهود (1893). وفضلا عن ذلك كان ستوكويل على دراية تامة بأن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة قد خصص حيفا للدولة اليهودية، وأن لواء كارملي أكثر قدوة من خصومه العرب، كما أنه كان متعاطفا بشكل أكبر مع القضية الصهيونية. وفي منتصف شهر مارس خلال اجتماعه مع هاري بيلن، ممثل الإدارة السياسية للوكالة اليهودية في المدينة، وأبا خوشي (شنلر) الرجل القوي ورئيس الشعبة المحلية لحزب ماباي، عبر الجنرال البريطاني بشكل واضح عن «رغبته في التعاون مع [اليهود] بطريقة يمكن من خلالها تسليم حيفا اليهم كمدينة نظيفة». وقام بلين باصطحاب بطريقة يمكن من خلالها تسليم حيفا اليهم كمدينة نظيفة». وقام بلين باصطحاب متوكويل إلى كيبوتس مشمار هعيمك، حيث تناولا الغذاء، وبدأ الجنرال البريطاني متأثرا بشكل ايجابي بما شاهده (190).

في منتصف شهر أبريل، أجرى ستوكويل محادثات مع كل من الضباط العرب واليهود طالبهم خلالها بتخفيف وتيرة هجماتهم، الأمر الذي قابله الطرفان بتقديم «وعود غامضة وغير مفيدة». ولقد أقنعت الاستفزازات العربية في تلك الفترة لواء كارملي (الذي قام بدوره بإقناع المركز الرئيسي للهاغاتاه) بالحاجة للقيام بهحاولة كبرى (الذي قام بدوره بإقناع المركز الرئيسي للهاغاتاه) بالحاجة للقيام بهحاولة استقراء السلوك البريطاني إزاء مثل هذه العملية المحتملة. وطبقا لستوكويل أوضح خوشي أن موقف اليهود «لم يعد من الممكن احتماله»، وأن هدار الكرمل مهددة «بهجوم عربي». ومن جانبه حذر ستوكويل من أن شن هجوم يهودي كبير سيكون «عملا غير حكيم على الإطلاق». وقد نقل خوشي هذا التعليق إلى تل أبيب، الأمر الذي استتبعه التأجيل المؤقت للفكرة. وعلى الرغم من ذلك، كان ستوكويل (ربا جزئيا استنادا إلى حديثه مع خوشي) مقتنعا بأن «صداما كبيرا» على وشك الوقوع،

واعتقد أنه أخذا في الاعتبار بـ «القوة الضئيلة» التابعة له والموجودة في المدينة لن يكون قادرا على إيقاف القتال، فضلا عن إمكانية وقوع خسائر في صفوف قواته. وبناء على ذلك قرر أنه من بين الخيارات الثلاثة المتاحة أمامه - «الإبقاء على مواقعي الحالية في حيفا والجليل الشرقي»، «تركيز قوات الجليل الشرقي في حيفا» أو «الإبقاء على مواقعي الحالية في «الجليل الشرقي» وإعادة انتشار القوات في حيفا على عن تأمين بعض الطرق والمناطق الحيوية لي وتأمين قواتي قدر الإمكان» - كان الخيار الثالث هو الأكثر جاذبية.

أصدر ستوكويل أوامره إلى قواته، اللـواء الملكي الأول والوحدات التابعة له، بإعادة الانتشار مـع حلول «الضـوء الأول لفجر الحادي والعشريان من أبريل»، والتحرك بعيدا عن المواقع داخل مركز المدينة وعن خطوط التماس بين الأحياء اليهودية والعربية، وهو ما تم تنفيذه بحلول الساعة السادسة من صباح اليوم نفسه. وأعقب ذلك مباشرة اندلاع القتال بين اليهود والعرب للسيطرة على المنشآت التي أخلاها البريطانيون على امتداد خطوط المواجهة (192)، ونقل بيلن عن ستوكويل قوله: «لقد أنزل العلم، لينتصر الأفضل» (193).

وفقا لرواية غر الخطيب: «في الصباح الباكر من يوم 21 أبريل أخبر ضابط بريطاني اللجنة الوطنية بعملية إعادة الانتشار البريطانية الوشيكة (194)». وربا تسم توجيه إخطار غير رسمي مماثل للهاغاناه. أما من الناحية الرسمية، فقد قام ستوكويل في العاشرة صباحا باستدعاء القادة اليهود، وأعقبهم العرب، وسلمهم وثيقة معدة سلفا تعلن إعادة الانتشار، الذي كان قد تم إنجازه بالفعل. وطلب ستوكويل من الطرفين إنهاء القتال ووعد بشكل غامض بقيام البريطانيين بالمساعدة في الحفاظ على السلم والنظام. وفي الوقت ذاته أوضح أن قوات الأمن البريطانية ستمتنع عن التدخل في الصدامات (195).

أدت عملية إعادة الانتشار البريطانية المفاجئة إلى عقد مناقشات على عجل في مركز قيادة لواء كارملي. وخلال الصباح وبداية الظهيرة، تشكلت ملامح عملية «تنظيف عيد الفصح»، التي استندت في جانب منها إلى خطة سبق وضعها أواخر مارس «عملية المقسص» نصت على الانقضاض من محاور متعددة على مواقع المليشيات وتحييد قدرة العناصر غير النظامية على إرباك حركة المواصلات والحياة

في الأحياء اليهودية. وعلى حين هدفت «عملية المقص» إلى إحداث التدمير وإيقاع الصدمة أكثر منها إلى الاستيلاء، فإن عملية «تنظيف عيد الفصح» سعت إلى «كسر العدو من خلال هجمات متزامنة من عدة جهات من أجل فتح طرق الاتصالات إلى جنوب المدينة (على سبيل المثال منطقة وسبط المدينة والميناء) والوصول إلى السيطرة على وادي رشميا من أجل تأمين الوصلة البرية بين حيفا والشمال...» (1961). لم يكن من أهداف التخطيط أو من بين توقعاته الاستيلاء على أغلب مناطق حيف العربية، وقد اعتبر قائد لواء كارملي، موشيه كرميل، أن مثل هذا الهدف طموح جدا وعلى الأرجح لا يمكن الوصول إلى تحقيقه بسبب قوة العرب والتدخل البريطاني المحتمل.

قبل أن يكتمل التخطيط لعملية «تنظيف عيد الفصح» تم إرسال وحدة عسكرية للاستيلاء على مبنى لجنة الأحياء العربية الشرقية المعروفة باسم دار النجادة التي كانت تهيمن على جسر رشميا والمدخل الشرقي لحيفا. وقد ترتب على المحاولات العربية لإعادة الاستيلاء على الدار وما تزامن معها من محاولات يائسة طيلة النهار والليل لتعزيز ما تبقس من الوحدة العسكرية المحاصرة في الداخل نشوب معركة ضارية على أحياء الحليصة ووادي رشميا، ونتيجة لانتصار اليهود في النهاية، تم تأمين فتح وصلة الطريق بين حيفا اليهودية والمستوطنات الواقعة إلى الشرق والشمال. وقد كان قتال ذلك اليوم الأصعب والأطول ويمكن اعتباره، بالنظر إلى الوراء، حاسما.

في الوقت الذي شق فيه طابور النجدة الحربية اليهودي طريقه إلى دار النجادة، مدعوما بنيران الهاون لمنع تقدم العدو، انكسرت المليشيات العربية ولاذت بالفرار، وهو ما تبعه فرار الجانب الأكبر من سكان الحليصة ووادي رشميا باتجاه الشمال نحو وادي صليب ومنطقة وسط المدينة. وقد ترتب على وصول اللاجئين المذعورين والمنهكين خلال ليلة 21 - 22 أبريل أثر كبير في نشر مشاعر مماثلة من الذعر والرعب لدى سكان الأحياء العربية في مركز المدينة، حيث قدم لهم سابقة لنموذج السلوك الذي اتبعه الآخرون.

وصل طابور النجدة إلى دار النجادة الساعة التاسعة من صباح الثاني والعشرين من أبريل، وسبق ذلك بساعات - أثناء الليل - قيام ثلاث من كتائب الهاغاناه وكتيبة من البالماخ وأخرى مستقلة بشن هجمات متزامنة على مراكز الدفاع العربية الرئيسية وسط مدينة حيفا على امتداد شارع ستانتون وعلى مبنى مكاتب السكك الحديدية (دار الخوري) في وادي النسناس، ومكتب الاتصالات السلكية، ومقر المليشيات العربية في المدينة بالقرب من موقع السوق القديم. وفي إطار الإعداد للهجوم، أطلقت الهاغاناه منتصف ليلة 21 - 22 أبريل - على مدار خمس عشرة دقيقة - خمسين دورة من قذائف الهاون الثقيلة باتجاه جنوب المدينة، مما أوقع «ذعرا كبيرا... وبدأ النزوح الجماعي». كما تم إطلاق المزيد من القذائف بشكل متقطع خلال الليل وفي صباح الثاني والعشرين من أبريل، ومع بداية فترة ما بعد الظهيرة كانبت الهجمات قد قصمت ظهر المقاومة العربية. قبل ذلك بساعات، في الساعة التاسعة صباحا من الثاني والعشرين من أبريل، مهجورا، الحوانيت مغلقة، ولا توجد حركة سير ... ولم يكن هناك إلا عدد من كبار السن مهجورا، الحوانيت مغلقة، ولا توجد حركة سير ... ولم يكن هناك إلا عدد من كبار السن المرضى من الرجال والنساء يحومون في المكان وهم مرتبكون» (198).

في السباعة السادسية من صباح اليوم نفسه، وقبل ما تقدم، اندفعت مجموعة ضخمية من العبرب إلى الميناء، وبحلول الواحدة ظهرا كان سبتة آلاف شخص قد استقلوا مراكب وأبحروا في اتجاه عكا. في هذا الصدد كتب أحد أعضاء الكشافة التابعة للبالماخ لاحقا:

رأيت أناسا يحملون مقتنياتهم يجرون في اتجاه المبناء وتنطق وجوههم بالارتباك. وقابلت رجلا مسئا جالسا على درجات يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فأجاب أنه فقد أبناءه الستة وزوجته ولا يعلم أين هم. قمت بتهدئته وإخباره أنه يجب عليه ألا يبكي مكذا وهو لا يعلم شيئا بعد [عن مصيرهم]، قلت إنه من الممكن أن يكون قد تم نقل زوجته وأبنائه إلى عكا، لكنه استمر في العويل. فقمت باصطحابه إلى الفندق... وأعطيته جنيهين إسترليني فخلد إلى النوم. وأثناء ذلك وصل أناس آخرون [لاجئون] من الحليصة... \*(199).

وصف غر الخطيب لاحقا حالة الاندفاع المذعور من قبل ســكان الجزء الجنوبي من المدينة إلى الميناء كما يلي:

انتشرت فجأة إشاعة بأن الجيش البريطاني في منطقة الميناء أعلن عن استعداده لحماية حياة أي شخص يترك المدينة ويصل إلى هناك. ومن ثم بدأ اندفاع محموم باتجاه بوابات الميناء، دهس الرجال بعضهم بعضا كما دهست النساء أطفالهن. وسرعان ما امتلات القوارب في الميناء، وليس هناك من شك في أن ذلك كان السبب وراء انقلاب العديد منها.

من جانبه، قدم ضابط استخبارات بريطاني وصفا للمشهد في مدخل الميناء بعد مرور ساعات قليلة:

خلال فترة الصباح كان اليهود يطلقون النار بشكل مستمر على كل العرب الذين يتحركون في كل من وادي النسناس والمدينة القديمة. وقد شمل ذلك قذائمف مدافع، وهاون، ونيران قناصة لا تقوم بالتمييز أصابت نساء وأطفالا كانسوا يحتمون بالكنائس ويحاولون الخروج... عبر البوابات إلى أرصفة السفن... وقامت قوات البحرية الملكية التسي تحمي الأرصفة بإدخال العرب عبر البوابات في دفعات، إلا أنه كان هناك اكتظاظ ضخم خارج البوابة الشرقية من النساء والأطفال العرب في حالة هستيريا وذعر، فضلا عن كبار السن الذين قام البهود بفتح النيران عليهم من دون شفقة. وقد أصيب اثنان من ضباط البحرية الملكية بجراح خطيرة جراء ذلك (201).

في نهاية فترة الظهيرة يوم الثاني والعشرين من أبريل أورد لواء كارماي ما يلي:

أصبح المقر الرئيسي للعرب فارغا. لا أحد يرد على الاتصالات الهاتقية... المستشفيات العربية مليئة بالموقى والجرحي، الجثث والجرحي علاّون الشوارع وليس هناك من يتولى نقلهم نتيجة للافتقار إلى التنظيم والوسائل الطبية، وتخيم حالة الذعر على الشارع العربي (202).

أصدرت قيادة الهاغاناه تعليباتها إلى القوات بمعاملة أماكن العبادة باحترام، خاصة المساجد، والامتناع عن عمليات السلب والنهب (203).

في جميع المناطق، استخدمت الهاغاناه إذاعات باللغة العربية وسيارات مجهزة بمكبرات الصوت، وأعلنت إذاعة الهاغاناه أن «يوم الحساب قد حان» وطلبت من الأهالي «طرد المجرمين الأجانب» و «الابتعاد عن كل منزل وكل شارع وكل حي يحتله المجرمون الأجانب». كما طلبت الإذاعة من السكان «إجلاء النساء والأطفال وكبار السن بشكل فوري وإرسالهم إلى أماكن آمنة» (204). أعلنت مكبرات الصوت

في السيارات أن الهاغاناه سيطرت على كل مداخل المدينة بشكل لا يسمح بوصول أي تعزيزات إلى المليشيات التي مازالت تعد للمعركة، مطالبة العرب بإلقاء السلاح، والعناصر غير النظامية «من سورية، شرق الأردن، العراق بالعودة إلى عائلاتهم» (205).

كانت التكتيكات اليهودية على أرض المعركة مصممة لصعق وسرعة هزيمة المعارضة، كـما مثل إضعاف الروح المعنوية هدفا رئيسًا. وكان من المعتقد أنه إذا كان من المهم الانتصار فإنه مسن المهم كذلك أيضا إحداث التدمير النفسي للوحدات العربية. وفي هذا الخصوص تم اللجوء إلى سيل من قذائف الهاون والحرب النفسية من خلال الإذاعات والإعلانات، والتكتيكات التي اتبعتها كتائب المشاة بالتحرك من منزل إلى آخر، وكانت كلها مسخرة لخدمة هذا الهدف. كانت أوامر رئاسة لواء كارملى للفرقة 22: «قتل كل عربي [من الذكور البالغين] يتم مقابلته»، وإضرام النيران بالقنابل الحارقة في «كل الأشياء التي مكن حرقها، وسنقوم بتزويدكم بلافتات مكتوبة باللغة العربية لنشرها في الطريق» (206). وطبقا للتقديرات البريطانية، فإنه خلال المعركة كان هناك «2000 عنصر من المليشيات العربية في مقابل 400 من الجنود اليهود المدربين المدعومين بعدد غير محدد من الاحتياط». وعلى حين بدا تقديس عدد المقاتلين العرب مبالغا فيه، فإن ذلك المتصل بالقوات اليهودية كان أقل من الواقع. ومع ذلك، فإن العناصر الرئيسية لم تكمن في الأعداد أو قوة النيران، وإنما في الطبيعة الطبوغرافية، والتنظيم، والقيادة، والسيطرة، والتصميم، والروح المعنوية (التي كانت مرتبطة بشكل قوى بعنصر المفاجأة). وقد دخلت حيفا العربية المعركة معنويات منخفضة إلى حد كبير، وبانعدام في الاستعداد من الناحية النفسية، وبافتقار إلى هدف واضح. ووفقا لأحد تقارير الاستخبارات البريطانية عشية المعركة: «أقر العرب صراحة بأن اليهود أكثر قوة منهم في الوقت الراهن». وكان رجال المليشيات غير مدربين أو مسلحين بشكل كاف، كما أنه تم تجاهل أو رفض أغلب المطاليات المتكررة الموجهة لكل من دمشق واللجنة العربية العليا على مدار الأشهر السابقة لإرسال تعزيزات وأسلحة، وذكرت الاستخبارات البريطانية في هذا الصدد:

أن الرحيل المتعجل لأحمد بك خليل، رئيس قضاة المدينة والممثل الوحيد المتبقسي في حيفها للجنة العربية العليه، بحرا إلى لبنسان في الحادي عشر من شهر أبريل كان تجسيدا له مغزاه لرأي العرب المحليين فيما يتصل بنتائج أي عمليات يهودية شاملة في الوقت الحاضر (187).

تماشى تقرير ستوكويل بعد وقوع الأحداث مع ما سبق: «أعتقد أن الرأي العربي المحلي كان يعكس الشعور بأن اليهود سيسيطرون إذا ما قاموا بشن الهجوم». أكد الجنرال البريطاني أيضا على شعور العرب بالعزلة والهشاشة (208).

لم يكن فرار خليل في الحادي والعشرين من شهر أبريل مجرد حدث يعطى مثلا على انخفاض الروح المعنوية. لكن، إذا ما تم النظر إليه في سياق فرار - في اليوم ذاته أو التالي - العديد من القادة المحليين الذين كانوا قد ظلوا في المدينة، عكن اعتباره أحد الأسباب الرئيسة في تدهور الروح المعنوية. فقد لحق بخليل، في بداية فترة الظهيرة، أمين بيك عز الدين، القائد العسـكري للمليشيا في المدينة، ونائبه يونس نفعه، وتلاهم في وقـت مبكر من صباح اليوم التالي مفتش صحة سـابق في حيفا(209). وعلى الأرجح أن خبر رحيل القادة الكبار للمليشيات عرف بشكل فوري من قبل الضباط والعديد من الرتب والأفراد، وخلال ساعات أصبح الأمر معروفا لدى جميع مكونات المجتمع، وقد حرصت إذاعة الهاغاناه على ترويجه (210). ووفقا لما تضمنه تقييم أعده جهاز الاستخبارات البريطاني قرب نهاية شهر أبريل، فإن «الهروب المتعجل لـ «أمين بك عز الدين» كان على الأرجح العامل الفردي الأكثر تأثيرا» في إضعاف الروح المعنوية للمجتمع العربي»(211). وقد ذهب المفوض السامي في الاتجاه نفسه. ففي السادس والعشرين من أبريل خصص كانينغهام برقية كاملة موجهة إلى وزير المستعمرات البريطاني، كريتش جونز، لتناول موضوع فرار القادة العرب من حيفا ويافا(212). وقد تـم التعبير عن وجهة النظر البريطانية حول هذا الموضوع ببلاغة واختصار شـديد في السادس من شهر مايو بالقول: «إن فرار قادتهم، وهو مشهد للجبن في أعلى المستويات، قد أفقد السكان [العرب في حيفا] معنوياتهم (213)». من جانبهم، أرسل الديبلوماسيون الأمريكيون تقارير مماثلة إلى واشنطن تضمنت أن «القيادة العليا العربية بالكامل غادرت حيفا بضع ساعات قبل بدء المعركة»، أما نائب القنصل، ليبنكوت، فقد كان محتقرا بشكل تام للأداء العربي: «إن العربي في حيفا، خاصة العربي المسيحي... وبشكل عام... جبان وليس مهتما قيد أغلة بالمشاركة في معارك بلاده»(214).

تراوحت الخسائر العربية في معركة حيفا بين 100 و150 قتيلا وعلى الأرجح عدد أكبر من ذلك من الجرحى (215). أما خسائر الهاغاناه فكانت 14 - 16 قتيلا وما يقارب الـ 50 جريحا (216).

في وقت مبكر من صباح يوم الثاني والعشرين من أبريل، وعلى خلفية انهيار المليشيات والنزوح الجماعي، طلب أعضاء في اللجنة الوطنية مقابلة ستوكويل بهدف «التوصل إلى هدنة مع اليهود». استفسر الأخير من ضابط اتصال الهاغاناه، المحامي ياكوف سالومون، عن «شروط اليهود للموافقة على استسلام العرب». من جانبه، كان كارميل في غاية الدهشة. حيث إن العرب لم يكونوا على شفا الانهيار، كما أنه لم يكن هناك ما يبرر الاستسلام، وفقا له فإن «فكرة استيلائنا الكامل على حيفا كانت لا تزال تبدو خيالية ولا يمكن فهمها». وعلى الرغم من ذلك، قام كارميل بكتابة شروط وأرسلها إلى ستوكويل الذي قال إنه «وجدها عادلة ... والعرب سيقبلون بها...» (217).

جاءت مناشدة العرب لستوكويل بعد اجتماع للأعيان ليلة 21|22 أبريل في منزل عضو اللجنة الوطنية ورجل المال فريد سعد، وقام المجتمعون الذين أسسوا من أنفسهم «لجنة الطوارئ لعرب حيفا» بصياغة وثيقة ذهبت إلى تحميل ستوكويل المسؤولية عما حدث، وناشدوا القائد العسكري البريطاني التدخل لـ «إيقاف مذبحة العرب» أو أن يسمح بدخول التعزيزات العربية إلى المدينة (218).

هناك روايتان حول ما دار في الاجتماع التالي مع ستوكويل في العاشرة من صباح الشاني والعشرين من أبريل. حضر الاجتماع كل من سيرل ماريوت (القنصل العام البريطاني المعين في حيفا)، وفيكتور خياط (رجل أعمال والقنصل الفخري الإسباني في المدينة)، وإلياس كوسا (المحامي)، وأنيس نصر (قاضي منطقة حيفا)، وجورج معمر (عضو اللجنة الوطنية). وتمثلت الرواية العربية في أن الوفد طلب بشكل مباشر من ستوكويل إيقاف الهاغاناه والسماح بدخول التعزيزات العربية. ورفض ستوكويل قائلا إنه يلزم على العرب قبول «مبدأ الهدنة» (المقصود أن يستسلموا). وقد طالب العرب المسؤول البريطاني بأن يضع ذلك في وثيقة مكتوبة، الأمر الذي أعقبه توقيع كل من ستوكويل و«لجنة الطوارئ» على وثيقة تنص على أنه (المقصود ستوكويل) د على مطالبة العرب له بالتدخل بقوله:

إنه غير مستعد للتصادم مع أي من الطرفين المتنازعين، وأنه لن يسمح للقوات المسلحة العربية بدخول المدينة... وأنه كان فقط مستعدا للعمل كوسيط سلام إذا ما قبل العرب من حيث المبدأ شروط الهدنة.

وأعقب ذلك طلب العرب معرفة شروط الهاغاناه للهدنة (219).

جاء بالرواية البريطانية المعاصرة لذلك وصف مخالف بعض الشيء لمحضر الجلسة، ولم يركسز على المطالبات التي تم توجيهها إلى سستوكويل للتدخل أو السسماح بدخول التعزيزات، لكن على استعداد العرب لقبول هدنة تقوم على الاعتراف بأنه تم بالفعل خسارة المعركة. وفي تقاريرهما لم يذكر أي من ستوكويل أو ماريوت أن الأول قام بالتوقيع على وثيقة. كذلك فإنه طبقا للتقارير البريطانية، سلعى العرب فقط إلى الحصول على مساعدة ستوكويل للتوصل إلى هدنة، غير أن الوفد خشى أن يرى البعض هذا التوجه على أنه استسلام غادر، ومن ثم فإنهم رغبوا في أن تقع المسؤولية على الجانب البريطاني، الأمر الذي كان يعنى أنه يلزم المناورة مع سستوكويل ليقوم بالإعلان أن العرب كانوا «مجبرين على الاستســـلام». حيث يقــوم العرب بالطلب من البريطانيين إمــا محاربة الهاغاناه أو السهاح بدخول التعزيزات، ويرفض ستوكويل، وبناء عليه تذعن اللجنة لشروط الهدنة في ظل الظروف القهرية. وقد مثل ما سببق، على الأقل، الطريقة التي رأى بها ستوكويل الاجتماع: «لقد شـعروا بأنهم لم يتم تفويضهم بأي شـكل من الأشـكال في طلب هدنة، لكن إذا منا قمت بتغطيتهم فإنه يمكنهم القبول بها»، وقد سنجل الجنرال أن العرب «أرادوا منه أن يقول إنه لن يتدخل ضد الهاغاناه ولن يســمح بدخول التعزيزات»<sup>(220)</sup>. ومن تقارير سلتوكويل وماريوت يظهر أن مصالح وآراء البريطانيين والعرب التقت ذلك الصباح، فكلا الطرفين كان يخشى، بل ويعارض، تجدد عمليات القتال الواسبعة؛ وكلاهما فهم أن العرب قد خسروا بالفعل؛ كما خشى الطرفان وقوع مزيد من نزيف الدماء؛ وكلا الطرفين كان يريد الهدنة، وكان على ستوكويل أن «يجاري» ذلك.

طلب العرب الاطلاع على شروط الهاغاناه فقدمها ستوكويل لهم، ثم غادروا لمناقشتها في «منزل خياط». على أن يلتقوا بممثلين بريطانيين ويهود في مبنى البلدية في الساعة الرابعة مساء. ويبدو أنهم شعروا أن القبول الفوري سيعرضهم للاتهام بالخيانة، ومن ثم حاولوا من خلال القنصل السوري ثابت العريس، الذي كان لدية جهاز إرسال راديو، الاتصال باللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق للحصول على تعليماتها، غير أن دمشق لم ترد (221). وعوضا عن ذلك قامت دمشق بدفع الحكومة اللبنانية للتحرك، فقامت باستدعاء الوزير البريطاني في بيروت، هوستون بوسوول، للاحتجاج على إحجام بلاده عن التصرف إزاء «العدوان اليهودي». وفي ذات الوقت قابل الرئيس السوري شكري القوتلي بصحبة كبار وزرائه الوزير البريطاني البريطاني المرتبط المنافي المنافق المنافق

فيليب برودميد وقرأ له رسالتين واردتين من ثابت العريس تضمنتا وصفا للهجوم اليهودي وحذرتا من «مذبحة للأبرياء». واتهم الرئيس السوري البريطانيين «بعدم القيام بأي شيء» مهددا بشكل ضمني بالتدخل السوري. وقد حذره برودميد من الإقدام على مثل هذه «الأفعال الغبية»(222).

لم يكد برودميد يغادر حتى تم استدعاؤه مجددا على الفور، حيث أخبره القوتي أنه في حالة من الحيرة وليطلعه علي برقية جديدة من العربس متضمنة رفض ستوكويل لمناشدة الأعيان له التدخل أو السماح بدخول التعزيزات، وأنهم ينتظرون تعليمات تمهيدا للاجتماع المرتقب في مبنى بلدية المدينة. ذكر الرئيس القوتلي أنه «قلق جدا» بشأن الرأي العام السوري طالبا من برودميد إبداء رأيه حول مضمون التعليمات التي يمكنه أن يرسلها، وما الذي يقترحه برودميد في هذا الصدد. أوضح برودميد أنه لا يعرف الوقائع وحث على الاعتدال، وفي أعقاب ذلك أرسل إلى لندن طالبا القيام بعمل «شيء» يمكن أن «يهدئ من روع القوتلي» (223). ولم يكن القوتلي يدري ما الدي يمكنه أن يقدمه كتعليمات لعرب حيفا الباقين: الاستسلام؟ رفض شروط الهاغاناه؟ البقاء والقبول بالسيادة اليهودية؟ إجلاء المدينة؟ على الخيارات كانت مثيرة للجدل. فامتنع القوتلي ببساطة عن الرد.

في تلك الأثناء، وخلال مراجعته لشروط الهاغاناه، لم يشعر ستوكويل «بالرضاء التام» مما دفعه إلى استدعاء الممثلين اليهود. وحضر بناء على ذلك كل من: بيلن، وسالومون، وموردخاي مكليف (قائد عمليات لواء كارملي) الذين قبلوا بعد المناقشة التعديلات التي أدخلها ستوكويل. نصت النسخة النهائية على المطالبة بنزع سلاح المجتمع العربي (مع تسليمها إلى السلطات البريطانية التي ستقوم بدورها بتسليمها إلى السلطات البريطانية التي ستقوم بدورها بتسليمها إلى السلطات البريطانية التي ستقوم بدورها بتسليمها اللهاغاناه فقط في الخامس عشر من شهر مايو)؛ ترحيسل العرب الأجانب من الذكور في سن القتال؛ إزالة كل الحواجز التي أقامها العرب على الطرق؛ القبض على النازيين الأوروبيين الموجودين في أوساط العرب؛ فرض حظر التجوال لمدة أربع وعشرين ساعة في الأحياء العربية لتأمين عملية «نزع السلاح التامة»؛ فضلا عن:

إعطاء كل فرد في حيفا... الحرية في مباشرة عمله وطريقة حياته، وسيقوم العرب بممارسة أعمالهم باعتبارهم مواطنين متساوين وأحرارا في حيفا كما أنهم سيتمتعون بكل الخدمات شأنهم في ذلك شأن الأفراد الآخرين في الجماعة (<sup>224)</sup>. نقلت السيارات المصفحة البريطانية القادة العرب إلى قاعة المدينة في حين وصل اليهود بطرقهم الخاصة. وقد مثل البريطانيون كل من: سـتوكويل، وماريوت، وعدد ضئيل من كبار الموظفين؛ ومن الطرف اليهودي كان حاضرا كل من العمدة شاباتي ليفي، وسالومون، ومكليف، وعدد من الموظفين؛ ومثل العرب: خياط، سعد كوسا، أنيس نصر، محمد أبو زياد (رجل أعمال)، معمر، الشيخ عبد الرحمن مراد (رئيس جماعة الإخوان المسلمين في حيفا). وفي الخارج كانت الهاغاناه تدفع بوحداتها إلى أحياء وسـط المدينة مبقية عـلى إطلاق متقطع، وإن كان كثيفا، لقذائف الهاون، بغية «الاستمرار في الضغط» على عناصر المليشيا المتبقية من جانب، وعلى الأعيان المجتمعين في مبنى البلدية من جانب آخر (225). طبقا لرواية كل من ستوكويل وماريوت، «وافق الوفدان بالإجماع» على وقف إطلاق النار، الأمر الذي كان يعادل استسلاما عربيا، استهل العمدة ليفي الحديث بإعلان أن «مكونات المجتمعين في حيف ايجب أن تعيش في سلام وصداقة معا». وعقب ذلك قام ستوكويل بقراءة شروط الهاغاناه، وهو ما تلاه مناقشات؛ حيث رغب العرب في الاحتفاظ بالأسلحة المرخصة، كما طالبوا بأن تتولى القوات البريطانية عوضا عن الهاغاناه الإشراف على حظر التجوال والتفتيش من منزل إلى آخر؛ كما أنهم «عارضوا بقوة» أن تنص الوثائق على تسليم الأسلحة العربية إلى الهاغاناه. وقد علق ستوكويل على ذلك الموقف بأنه «كان على الأرجح لحماية أنفسهم من استياء السلطات العربية العليا [أي اللجنة العربية العليا]»(226)، ومن جانبهم، أصر اليهود على الاحتفاظ بالنص كما مَـت صياغته من دون تغيير، لكنهم وافقوا على التوصل إلى حلول وسـط في أغلب القضايا الأخرى، وطبقا لما أورده بيلن، كان العرب «يساومون على كل كلمة» (227).

كان ممثلو اليهود «تصالحيين» وفقا لستوكويل. وقد كان ماريوت، الذي تحول بعد ذلك ليصبح معاديا شرسا للإسرائيلين، أكثر تأكيدا على هذه الصفة حيث كتب: «ترك أعضاء الوفد الإسرائيلي انطباعا جيدا بشهامتهم في النصر، واعتدال شروطهم للهدنة، واستعدادهم للموافقة على التعديلات التي طلب الجنرال ستوكويل إدخالها». كما وصف ماريوت ليفي بأنه رجل «شجاع له شخصيته... كريم وودود، وأن انشغاله الرئيسي كان بالسلام والرفاهية في حيفا»، أما فيما يتعلق بسولومون فقد رأى أنه لا يفتقر إلى التميز وروح الدعابة - على الأقل عندما يكون في الجانب

المنتصر». ووصف ماريوت ضابط اتصالات الهاغاناه (بي ولف ريبك) بأنه «يتحدث بلهجة أكسفورد ولكنه لم يكن مجردا من الذكاء». وعلى الجانب الآخر «ترك الوفد العربي انطباعا مؤسفا». ويكتسب هذا الوصف قوته عند قراءة وصف ماريوت لنفسه وخبرته عن اليهود حيث ذكر أنه شخص:

استقى خبراته من اليهود في رومانيا (حيث كان من المعلوم أنه إذا كان هناك منزل قذر في القرية فإنه منزل لشخص يهودي)؛ وفي نيويورك (حيث كان من النادر الالتقاء بهم في الأوساط المحترمة، وأنه كان ينظر إليهم في دوائر الأعمال على أنهم مخادعون يلجأون إلى الأساليب الملتوية)؛ وفي جنوب أفريقيا (حيث ترجع أصول العديد من العائلات الكبرى، على الرغم من أنهم أصبحوا الآن كاثوليك، إلى سلالة الفارين من محاكم التفتيش المقدسة) (\*).

وفيما يتصل بوجهة نظر ماريوت (الذي جاء إلى الشرق الأوسط حديثا) في العربي، فقد وصفه بأنه: «شخصية رومانتيكية تعيش في الهواء الطلق وتقضي معظم حياتها على ظهر الجمال أو في قيادة الخيول الأصيلة». لكنهم في مبنى بلدية المدينة لم يرتقوا إلى مستوى توقعاته بشكل عام، باستثناء مراد، الذي وصفه ماريوت بأنه «رجل بسيط... أنا متأكد من أنه بعيدا عن «الجهاد» يرغب في السلام». أما خياط فكان «بشكل واضح، حتى لا نقول لافتا للنظر، ثريا ويُقال إنه لا يزال يمتلك متجرا في الشارع الخامس في نيويورك حيث يتم بيع المقتنيات الفنية الثمينة». وفيما يتصل بسعد فإنه «رجل أعمال صعب المراس» يكن كراهية واضحة للبريطانيين. وكتب القنصل البريطاني: «أن الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تصف السيد إلياس كوسا هي أنه «ثائر»:

إنه يعاني من عين صناعية مركبة بشكل سيئ تبرز في لحظات الإثارة إلى الخارج وتُظهر حافة الحدقة بنية اللون. وعلى الرغم من أنه محام فإنني لا أرغب لا في توكيله ولا في رؤيته عثل الطرف الآخر في خصومة.

لم يتقبل ماريوت إعلان كوسا أنه رغم أن العرب قد خسروا جولة فسيكون هناك جولات أخرى (228).

<sup>(\*)</sup> المقصود بذلك محكمة كاثوليكية نشطت بخاصة في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر وكانت مهمتها اكتشاف الهرطقة ومعاقبة القائمين بها. [المترجم].

توقف الاجتماع في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، حيث طلب العرب مهلة أربع وعشرين ساعة لدراسة الشروط، وهو ما اعترض عليه اليهود. وبناء على إلحاح البريطانيين، تم الاتفاق على إعطاء العرب مهلة ساعة. عادت الوفود للاجتماع في الساعة السابعة والربع مساء، حيث أعلن العرب - الذين لم يعد وفدهم يضم سوى الأعيان المسيحيين، نتيجة لبقاء المسلمين، أبو زياد ومراد، بعيدا:

أنهم ليسوا في موقع يخولهم توقيع هدنة، حيث إنهم ليست لهم أي سيطرة على العناصر العربية المسلحة في المدينة، كما أنهم... لا يمكنهم تنفيذ شروط الهدنة حتى لو قاموا بتوقيعها. وكبديل لذلك عبروا عن رغبة السكان العرب في الجلاء عن حيفا... رجال، ونساء، وأطفال (229).

أصيب اليهود والمسؤولون البريطانيون بالدهشة، بل وبالصدمة. ناشد ليفي «بطريقة عاطفية مؤثرة... العرب إعادة النظر في الموقف». وذكر أنه يجب عليهم عدم مغادرة المدينة التي «عاشوا فيها لمئات السنين، وحيث دُفن أجدادهم، وحيث عاشوا لزمن طويل في سلام وأخوة مع اليهود». غير أن العرب أفادوا بأنه «ليس عاشهم خيار آخر» (200). ووفقا لكارميل (الذي أفاده مكليف عن فحوى الاجتماع)، فقد «شحب» وجه ستوكويل عند سماعه قرار العرب، وقام بدوره بمناشدتهم إعادة النظر فيه، وألا يرتكبوا مثل «هذا الخطأ الخطير». كما ناشدهم قبول الشروط قائلا: «لا تدمروا حياتكم من دون مبرر». وعقب ذلك توجه بالسؤال إلى مكليف: «ماذا لديكم لتقولوه؟» ورد الأخير: «إن القرار يرجع لهم [المقصود العرب]» (231). وعند تذكره للأحداث كتب سالومون أنه كذلك ناشد العرب إعادة النظر في القرار ولكن من دون جدوى (232).

جزم المؤرخون الإسرائيليون لتلك الأحداث فيما بعد بأن قيادة عرب حيفا تلقت أوامر من اللجنة العربية العليا بإجلاء المدينة. وقد كتب كارميل أنه في وقت ما بعد الثاني والعشرين من أبريل:

علمنا أنه خلال فترة التوقف [في الاجتماع] اتصل العرب باللجنة العربية العليا للحصول على تعليمات. وتمثلت أوامر المفتي في ترك المدينة وعدم قبول شروط استسلام من اليهود؛ حيث إن الغزو من قبل الجيوش العربية كان قريبا وأن البلاد بكاملها ستقع في أيدي العرب (233).

اعتقد بعض المسؤولين اليهود، الذين أصابتهم حالة من الارتباك إزاء النزوح الجماعي من حيفا، في ذلك الوقت، أن ذلك كان جزءا من مؤامرة عربية أو عربية بريطانية شاملة، كانت كذلك وراء النزوح الجماعي من أجزاء أخرى من فلسطين في نهاية شهر أبريل (234). وفي الثالث والعشرين من الشهر أرسل ساسون برقية إلى شيرتوك الذي كان آنذاك في نيويورك:

من الواضح أن الهروب الجماعي الذي نشهده هنا في فلسطين، كما هي الحال في طبريا وحيفا وأماكن أخرى، ليس نتيجة لمجرد الخوف والضعف. إن الهروب منظم من قبل أتباع الحسيني ويتم تنفيذه بتنسيق مع «المقاتلين» الأجانب بهدف: (1) تشويه سمعة اليهود ووصفهم بأنهم طاردون يقودون العرب خارج أراضي الدوئة اليهودية. (2) إجبار الدول العربية على التدخل بإرسال جيوش نظامية. (3) خلق انطباع لدى الرأي العام العربي والعالمي أن هذا التدخل لانقاذ الفلسطينين المضطهدين.

أكـد ساسـون كذلك على أن هروب القادة العسـكريين العـرب في بداية كل معركـة كان جزءا من مؤامرة «لنشر الاضطراب، والذعر» بين العرب، مما يقودهم إلى الفرار (235).

على الرغم من ذلك، إذا كان ساسون يشير إلى أن النزوح الجماعي كان منظما أو نتيجة لأوامر قادمة من الخارج، فإن وزن الأدلة المتوافرة يشير إلى عدم صحة ذلك. فكما رأينا، حاولت القيادات المحلية وفشلت في الحصول على تعليمات من دمشق؛ حيث فضلت الأخيرة الالتزام بالصمت. كما أنه لا يوجد أي دليل مقنع على أن هناك تعليمات جاءت من الحسيني أو اللجنة العربية العليا. وببساطة، تُرك عرب حيفا ليقرروا بأنفسهم (206)، ومن المحتمل أن مؤيدي الحسيني المحليين، الأعيان المسلمين متصرفين بالطريقة التي اعتقدوا أن اللجنة العربية العليا/الحسيني، كان يريد أن يجري التصرف بها- قاموا بإكراه زملائهم من الأعيان المسيحيين المجتمعين في بلدية المدينة بعد الساعة السابعة يوم الثاني والعشرين من أبريل على رفض الهدنة أو أي شيء تفوح منه رائحة الاستسلام والقبول بالحكم اليهودي، ومالوا إلى الإجلاء. ومما لا شياد فيه أن ذكريات الفترة 1936-1939 والإرهاب الذي مارسه المفتي ضد رموز المعارضة/المسيحيين كانت ماثلة بشكل كبير في الأذهان.

## مولد مشكلة اللاحثين الفلسطينيين

وإذا كانبت الأدلة المتوافرة تقود إلى الاعتقاد بأن القرار الأصلي بالجلاء نبع من القيادة المحلية، فإن هناك وفرة في الأدلة التي تشير إلى أن اللجنة العربية العليا ومؤيديها المحليين قد اعتمدوا هذا القرار بأثر رجعي في الأيام التالية وحثوا على استمرار عملية الإجلاء، وفي الخامس والعشرين من أبريل نقل ليبنكوت أن «القادة المحليين الذين يخضعون لسيطرة المفتي يحثون كل العرب على ترك المدينة»، مضيفا في اليوم التالي: «يتردد أن اللجنة العربية العليا تأمر العرب بالرحيل» (237)، وهدو الأمر الذي اتفق معه المراقبون البريطانيون. أما كانينغهام فقد أخبر كريتش جونز في الخامس والعشرين من أبريل أن «السلطات البريطانية في حيفا قد يكون جونز في الخامس والعشرين من أبريل أن «السلطات البريطانية في حيفا قد يكون أديها انطباع بأنه تم حث عرب حيفا على الإجلاء التام من قبل جهات عربية عليا، وأن سكان المدينة أنفسهم ضد ذلك». وكانت الفرقة البريطانية السادسة المجوقلة أكثر وضوحا في هذا الصدد:

إن أحد الأسباب الممكنة لتفسير أوامر الجهة التنفيذية العليا [أي، اللجنة العربية العليا] بإجلاء حيفا هو تجنب إمكانية أن يتم استخدام عرب حيفا كرهائن خلال العمليات المستقبلية بعد الخامس عشر من مايو. فقد هدد العرب بقصف حيفا عن طريق الجو».

أشار المركز الرئيس للقوات البريطانية في الشرق الأوسط بشكل مشابه إلى «أن إجلاء سكان حيفا بواسطة اللجنة العربية العليا... يحرج اليهود بشكل كبير» (238). وفضلا عن ذلك فإن أغلب القادة الذين بقوا شيجعوا سيكان المدينة على الرحيل (ورجما أكدوا لهم على عودتهم القريبة وراء الجيوش العربية المنتصرة، إلا أنني لم أجد دليلا على ذلك). أتخذت عملية الحث شيكل التهديدات والتحذيرات والشيائعات في والشيائعات المخيفة. لا يمكن التقليل من الأثر التراكمي لمثل هذه الشيائعات في التشجيع على الهروب.

أكثر الشائعات انتشارا كانت تلك القائلة بأنه سيتم أخذ العرب الباقين في حيف كرهائن من قبل اليهود في حالة قيام العرب بهجمات مستقبلية في مناطق يهودية أخرى. وهناك أيضا جزء من الدعاية، يشير إلى الثواب والعقباب عند قيام العبرب بإعادة الاستبلاء على المدينة، يشير إلى أن

الأسخاص الذين بقوا في حيفا اعترفوا بشكل ضمني بأنهم يؤمنون بجبداً الدولة اليهودية. ويُزعم أن فيكتور خياط هو المسؤول عن هذه التقارير. وفقا لوحدة تابعة للاستخبارات البريطانية. ولكن وفقا لمصادر بعض وحدات الجيش البريطاني (القسم الأمني الميداني رقم 257 و317) إذا لم تكن تلك «الشائعات والدعاية قد نُشرت من قبل أعضاء اللجنة الوطنية الذين بقوا في المدينة، فإن العديد من العرب «لم يكونوا ليغادروا خلال الفترة من 22-28 أبريل» (239).

وحتى التاسع والعشرين من أبريل رُوي أن أعضاء اللجنة الوطنية كانوا «في أغلب الأحوال» يشجعون الأهالي على الرحيل، وربا قدم فريد السعد استثناء؛ حيث أخبر لبينكوت أن أعضاء اللجنة الوطنية كانوا يخبرون الناس «أن يحكموا عقولهم فيسما إذا كان يلزم البقاء أو الرحيل» (240)، أما معظم أعضاء لجنة الطوارئ فكانوا مشخولين بالتشجيع على الرحيل وفي تنظيم قوافل الخروج، وعندما اعترضت نقطة تفتيش الهاغاناه قافلة مكونة من ثلاث إلى أربع شاحنات في طريقها إلى الناصرة، اشتكت اللجنة من أن البريطانيين لا يحترمون وعدهم الذي قطعوه في 22-23 أبريل استكت اللجنة من أن البريطانيين لا يحترمون وعدهم الذي قطعوه في 22-23 أبريل المساندة عملية الإجلاء (241).

تابعت استخبارات الهاغاناه من جانبها أيضا تطورات الأوضاع: «يروى العرب في حيف أنهم تلقوا أمرا من اللجنة العربية العليا بالرحيل من المدينة بأسرع ما يمكن وعدم التعاون مع اليهود»(242).

في الوقت الذي تتحدث فيه القيادة العربية الحالية في حيفا إلى رجالنا عن إعادة الحياة إلى طبيعتها، فإن سياستها الواقعية هي أن تقوم بأقص ما عكن إعادة الحياة إلى طبيعتها، فإن سياستها الواقعية هي أن تقوم بأقص ما عكسن للإسراع بالأخلاء... وتسروي الدوائر العربية العليا أنها تلقت تعليمات صريحة لإجلاء العرب من حيفا. والسبب وراء ذلك ليس واضحا لنا... وتفسر الجماهي العربية بأنه ينبع من احتامال قيام قوات شرق الأردن بارتكاب مذبحة شاملة (بالمدفعية، الطائرات، وغيرها) (243).

ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن العرب يتلقون «خطابات تهديد» تتضمن أوامر بأن يرحلوا؛ وإلا فإنه سيتم «اعتبارهم خونة ويُحكم عليهم بالإعدام»(244).

وقام الجهاز بتقديم وصف دوري لآليات اللجنة العربية العليا في تشجيع النزوح الجماعي. ففي الخامس والعشرين من شهر أبريل نقل حيرام أنه بعد ظهيرة 23 أو 24 أبريل توجه سالومون ومعمر معا إلى «اللاجئين» في شارع عباس وحثوا النساء والأطفال والرجال الذين تجاوزوا الأربعين على «العودة إلى ديارهم». وفي الوقت الذي كان فيه أولئك على وشك القيام بذلك ظهر الشيخ مراد وشخصية مسلمة أخرى على المسرح، وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه أخبر مراد اللاجئين:

تطوع الجيش العربي بتوفير 200 شاحنة لنقل اللاجئين إلى مكان آمن خارج حيفا، حيث سيتم تسكينهم وإعطاؤهم الطعام والملابس من دون مقابل، وهددهم بأنهم إذا بقوا في حيفا فسيقتلهم اليهود ولن يستثنوا نساءهم وأطفالهم».

وقد كان لذلك تأثيره في تغيير الحشد لرأيه واتجه العديد إلى نقطة الإجلاء في المرفأ (245).

لم يمثل إعلان الإجلاء من قبل الأعيان مساء الثاني والعشرين من أبريل مفاجأة مذهلة. فعشرات الآلاف، من فيهم أغلب أفراد الطبقتين الوسطي والعليا في المدينة، كانوا قد رحلوا خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مطلع أبريل 1948. وفي 21-22 أبريل كان لدى الأعيان مثل حديث أمام أعينهم، ذلك الخاص بطبريا. وبحلول مساء الثاني والعشرين من الشهر كان الآلاف قد صوتوا عمليا لصالح الرحيل من خلال الفرار المذعور من مركز المدينة إلى الأحياء المجاورة المحصنة، ثم بعد ذلك الهرب إلى الميناء ومنه عن طريق القوارب إلى عكا. وهكذا قدم الفارون لقادتهم طريق الخروج من المعضلة المتمثلة من جانب في استمرار المعركة الميئوس منها، ومن جانب أخر في القبول المشين للحكم اليهودي.

كانت هجهات الهاغاناه في 21-22 أبريل باستخدام قذائف الهاون مخططة بشكل أساسي لإضعاف الروح المعنوية مما يؤدي إلى تلاشي المقاومة والوصول إلى استسلام سريع. ولا يوجه دليل على أن القادة المنخرطين في تلك الهجمات كانوا يأملون أو يتوقعون أنها ستقود إلى نزوح جماعي ضخم (على الرغم من أن الأحداث في طبريا قبل ذلك بأربعة أيام كانت ماثلة في أذهانهم). لكن كان من الواضح أن الهجوم، وبصفة خاصة القصف، قد حث على النزوح الجماعي. ووفقا للرواية

الرسمية التي قدمتها الهاغاناه لاحقا: «أدت قذائف الهاون (عيار 3 بوصات) التي تم إطلاقها على ميدان السوق (حيث الزحام الشديد... إلى نشر الذعر والهلع، واندفعت الحشود داخل الميناء منحية رجال الشرطة جانبا لتقوم بتحميل القوارب والفرار من المدينة» (246).

غادر ما يقرب من 15 ألف عربي على الأرجح حيفا بين 21 و22 أبريل، أغلبهم عن طريق البحر، أو البر إلى عكا ولبنان قبل أن يُعلن الأعيان عن قرار الإجلاء. وبحلول ليلة الثاني والعشرين كان هناك من 30 ألف عربي إلى 40 ألفا مازالوا في المدينة (وفقا للجنة الطوارئ بلغ العدد 37 ألفا)(247). وافق ستوكويل على المساعدة في إجلائهم. ومنذ الثالث والعشرين من أبريل بدأت طائرة تابعة للبحرية الملكية وأسطول صغير من الحافلات، تحت حراسة سيارات مدرعة، في نقل النازحين إلى عكا. واستمرت الطائرة حتى الثامن والعشرين من الشهر تعمل متنقلة عبر خليج حيفا، في حين سلكت الشاحنات، في قوافل، الطريق الساحلي عبر نقاط تفتيش متتالية تابعة للهاغاناه والبريطانيين والعرب. غادرت العشرات من العائلات المصرية حيفا على مركب شراعى مستأجر باتجاه الإسكندرية، وغادر سوريون باتجاه لبنان على مركب آخر. وفي الوقت ذاته نظمت لجنة الطوارئ ومقاولون عرب قوافل خاصة من الحافلات، قام البريطانيون بتأمينها، نقلت مئات العائلات إلى عكا، والناصرة ونابلس (248). وبحلول الحادي عشر من مايو نقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن «عملية الإجلاء من حيفا مازالت مستمرة». وعلى الرغم من أن عددا من اللاجئين عاد لفترة قصيرة، فإن ذلك كان لاستكشاف ما يحدث لممتلكاتهم أو لأخذ بعض المقتنيات التي تركوها وراءهم(249). وفي المقابل عاد «عدة مئات» بشكل دائم خلال النصف الأول من شهر مايو كان أغلبهم من بين عمال مصفاة التكرير وغيرها من المؤسسات الحكومية(250).

في بداية عملية الإجلاء الجماعية ذهب القادة العرب إلى حد طلب تعاون السلطات اليهودية في تنظيم الرحيل نتيجة شكواهم من عدم قيام البريطانيين بتوفير وسائل نقل كافية. وقد استجاب بيلن بحماس لذلك: «لقد أجبت بأننا سنكون سعداء للغاية بتقديمنا لهم كل مساعدة يحتاجون إليها» (251).

بيد أن بيلن لم يكن في تلك المرحلة عثل القيادة اليهودية المحلية، التي كانت تشعر، في جانبها الأعظم، بالارتباك وعدم الراحة إزاء هذا الرحيل الجماعي، فالعديد

من مســـؤولي البلدية (وبشكل واضح الهاغاناه) سعوا خلال الفترة من 22-28 أبريل إلى إقناع العرب بالبقاء. ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن أحد الضباط اليهود كان يقـوم «بدعاية في أوسـاط اللاجنين في منطقة عباس تهـدف إلى إقناعهم بعدم المغادرة»(252). وقد تذكر سالومون في وقت لاحق أنه في صباح يوم 23 أبريل ذهب إلى شارع عباس ووادي النسناس بعد تلقيه «تعليمات بأن يتوجه إلى الأحياء العربية ويناشد العرب عدم الرحيل». وعلى الرغم من أنه لم يحدد مصدر هذه التعليمات (الهاغاناه، أو شبتاى ليفي أو شخص آخر) فإنه أشار إلى أنه كان بصحبة «ضابط مـن الهاغاناه». وعلى الرغم من التحذيرات التي تلقاها من أصدقائه من أن الوضع هناك مازال خطيرا فقد «تنقل من شارع إلى آخر ليخبر العرب... لا ترحلوا، إلا أن المحصلة النهائية كانت رحيل العديد من العرب في نهاية اليوم وفي الأيام القليلة التالية...» (253)، وقد يكون الرجل الذي صاحبه هو توفيا ليشانسكي (ضابط استخبارات رفيع المستوى في الهاغاناه)، الذي أشار لاحقا إلى شيوع «جو من الانزعاج... فكلما استولينا على مدينة... هجرها العرب. ماذا سيقول العالم؟ لا شك أنهم سيقولون: هكذا هم اليهود، والعرب لا يمكن أن يعيشوا تحت حكمهم»، وأشار ليشانسكي إلى مساعيه لإقناع العرب بالبقاء في أماكنهم (254). وقد كانت تلك الجهود ملحوظة حيث نقل راديو بغداد في الخامس والعشرين من أبريل أن «الهاغاناه تحاول إقناع العرب بالبقاء في حيفا»(255). كما أشـارت الشرطة البريطانية في الثامن والعشرين من الشهر نفسه إلى أن اليهود «يبذلون كل مسعى ممكن لإقناع السكان العرب بالبقاء والعودة إلى حياتهم الطبيعية...»(256).

الأمر الذي اتفقت معه الاستخبارات العسكرية البريطانية:

أصبح الإجلاء العربي الآن شبه كامل. وعلى الرغم من أن اليهود بذلوا جهودا كبيرة لمنع الإجلاء التام، إلا أنه بدا أن دعايتهم كانت محدودة الأثر. وخلال محاولتها كبح النزوح الجماعي للعرب لجأت الهاغاناه في حالات عديدة إلى التدخل الفعلي... وتم بث مناشدات عبر الإذاعة اليهودية، كما تم إصدار نشرات تصب في الاتجاه نفسه، وقامت الهستدروت بتوزيع نشرة تناشد العرب الذين كانوا أعضاء بالمنظمة سابقا العودة. وعلى الرغم من ذلك، ظل العرب إجمالا غير عابئين لمثل هذه الدعاية (257).

ذكر ليبنكوت، نقلا عن فريد السعد، أن قادة الهاغاناه قاموا «بتنظيم حملة دعاية واسعة لإقناع العرب بالعودة»، لكن العرب لم تكن لديهم ثقة في اليهود، كما قال السعد (258). وهو الشيء نفسه الذي لاحظه مراسل التايمز في المدينة: «يرغب اليهود في أن يعود العرب مجددا إلى حياتهم الطبيعية، إلا أن عملية الإجلاء استمرت... ويبدو أن أغلب العرب يشعرون بأنه لا يوجد ما يستحق البقاء من أجله» (259). ونُقل كذلك أن القساوسة والراهبات كانوا أيضا يناشدون المسيحيين البقاء (260).

اعتقد كل من البريطانيين، بمن في ذلك كانينغهام، وليبنكوت - على الأقل في البداية - أن يهود حيفا أرادوا أن يبقى العرب أساسا لأسباب اقتصادية. حيث خشوا على «المستقبل الاقتصادي للمدينة» عندما تغادرها الطبقة العاملة العربية، وفقا لما ذكره المفوض السامي (261). وبشكل أكثر وضوحا كتب ليبنكوت أنه إن لم يتمكن اليهود من إقناع العرب بالبقاء أو العودة «سيحدث نقص حاد في القوة العاملة» (262)، (كذلك أوضح ليبنكوت أن اليهود رغبوا في بقاء العرب «لأسباب سياسية، تتمثل في الرغبة في إظهار أسلوب التعامل الديمقراطي» (263). وقد نقلت الوحدات البريطانية أن «اليهود كانوا مضطرين لتسيير المصانع والأماكن التي استلزم الأمر عملها بعناصرهم بدلا من العرب الذين كانوا يعملون فيها سابقا، وقد ثبت أن النتيجة لم تكن مرضية في أغلب الأحيان بالنسبة إليهم، حيث إن العمالة العربية كانت أقل تكلفة» (264).

م تكن الهاغاناه تشعر بالنفور من رؤية العرب يقومون بالجلاء، على النحو الذي أوضحه قول مكليف ردا علي سوال ستوكويل حول إعلان قرار الإجلاء من قبل الأعيان العرب خلال اجتماع قاعة المدينة في الثاني والعشرين من أبريل، حينما قال: «لا تعليق». كذلك يمكن أن نجد دليلا آخر على ذلك في البيان الثاني الصادر عن الهاغاناه في حيفا، الذي تم نشره في المدينة وتحدث عن عملية التدمير الجارية «للعصابات العربية» ودخول وحدات الهاغاناه إلى الأحياء العربية. حيث تم إصدار الأوامر إلى القوات (والسكان المدنيين اليهود) باحترام «أماكن العبادة العربية. وأنه سيتم بذل جميع الجهود لعدم دخول المساجد أو إطلاق النيران عليها أو منها أو الستخدامها لإيواء الجنود». منع البيان كذلك أعمال السلب والنهب «لممتلكات العرب المهجورة،... [التي يمكن] إعادتها إلى ملاكها القانونيين عندما يحين الوقت...»،

التوقف عن الهرب وحثهم على العودة (265). وفي الواقع، كان تقييم جهاز استخبارات الهاغاناه في الأيام التي تلت بداية النزوح الجماعي العربي كما يلي: «في أعقاب الخطوات التي قام بها رجالنا في حيفا، ودعايتنا وتحذيراتنا، فر العديد من العرب على طريق الزوارق والطائرات إلى عكا» (266). وقد كان قادة لواء كارميلي على علم قاطع بأن النزوح الجماعي سيحل مشكلة اللواء الرئيسية: تأمين حيفا اليهودية بأقل قدر ممكن من القوات ضد الهجوم من خارج المدينة، في الوقت الذي يلزم الإبقاء على عدد كبير من القوات داخلها للحماية من تمرد عدد كبير من السكان العرب عيل إلى أن يكون معاديا (267).

على الرغم مما تقدم، كانت الصورة بسيطة وفقا لأغلب المراقبين البريطانيين في الأبام التي تلت الثاني والعشرين من أبريل: كان اليهود راغبون في بقاء العرب، في حين كانت القيادة العربية المحلية عاقدة العزم على رحيل جماعي كامل. وتمثل الاستثناء الوحيد الذي سبعله البريطانيون في الإرغون، التي دخلت بعض مناطق وسط مدينة حيفا في الثالث والعشرين من أبريل. ووفقا للفوج الأول لحرس كولد سبتريم البريطاني، تمثلت سياسة الإرغون في «الدفع بالعناصر المسلحة داخل السوق وغيره من الأماكن التي لا يزال يقطنها عرب...لحسم الموضوع من خلال خلق المزيد من اللاجئين وموجة جديدة من الرعب» (268).

كان الوضع في حيف في الفترة من 23 أبريل حتى أوائل شهر مايو غير واضح بل ومعقد. فقد أدى تركيز البريطانيين فقط على المناطق المحاصرة وشبه المعزولة وتصميمها فقط على شيء واحد - وهو الخروج الآمن - إلى فشلهم في متابعة الإطار الشامل للأحداث. تبدل السلوك اليهودي الأولي إزاء النزوح الجماعي خلال أيام؛ وما نقله ضباط الاتصال اليهود إلى البريطانيين لم يتطابق دائما مع الحقائق على أرض الواقع أو مع سلوكهم المتغير بشكل سريع. فالقيادة اليهودية المحلية أرادت في البداية وبصدق بقاء العرب (وحرصت على أن يدرك البريطانيون ذلك). إلا أن الهجوم الذي تم شنه في 21-22 أبريل قد أوقع الأحياء العربية في أيدي الهاغاناه، مما همش دور القادة المدنيين، لما يقارب الأسبوعين، فيما يتصل بالتعامل مع السكان العرب. وفي الوقت ذاته تغير سلوك بعض هؤلاء القادة المحليين بشكل مع السكان العرب. وفي الوقت ذاته تغير سلوك بعض هؤلاء القادة المحليين بشكل مع السكان العرب. وفي الوقت ذاته تغير سلوك بعض هؤلاء القادة المحليين بشكل مع السكان العرب والفرصة التاريخية التي وفرها النزوح الجماعي لتحويل عبدري وأصحبوا يرحبون بالفرصة التاريخية التي وفرها النزوح الجماعي لتحويل

حيفا بشكل دائم إلى مدينة يهودية. وكما ذهب مراقب يهودي مُطلع إلى القول بعد مرور شهر: «بدأت رياح جديدة في الهبوب مفادها أن الأمور أفضل وأسهل من دون العرب، وتغير كل شيء خلال أسبوع» (269). وفي الوقت ذاته فهم قادة الهاغاناه منذ البداية أن إجلاء العرب سيسهل ويحسن بشكل كبير موقفهم الاستراتيجي ويقلل من عبء العمل.

أدى انسحاب البريطانيين من وسط مدينة حيفا في الحادي والعشرين من أبريل وانتصار اليهود، إلى سيطرة الهاغاناه على المناطق العربية حتى الثالث من شهر مايو. وخلال تلك الفترة التي كانت فيها قوات لواء كارملي القليلة نسبيا قلقة من إمكانية تدخل القوات العربية من الخارج، كان عليها القيام بعمليات عسكرية معقدة في ظروف فوضى شاملة: أن تبحث وسط مئات الآلاف من العرب الخائفين في أحياء مهجورة أو شبه مهجورة ويسودها الخراب عن المقاتلين السابقين والأسلحة؛ وأن تنظف المنطقة من القذائف التي لم تنفجر والألغام. وكل ذلك كان يجب القيام به بسرعة، في وقت استمر فيه آلاف اللاجئين في مغادرة المدينة؛ لتتفرغ الكتائب لمهام أخرى سواء كانت دفاعية أو هجومية. وفي الوقت ذاته كان على السلطات اليهودية أن توفر الطعام وأن تعيد الخدمات الأساسية للعرب الذين بقوا، والذين تعرضت بنيتهم التحتية وخدماتهم للانهيار. وفي هذا السياق مثلت الإمدادات بالخبز والماء مشكلة كبرة.

استمرت العملية الأمنية التي قامت بها الهاغاناه - بما في ذلك فرض حظر التجوال، التفتيش، الاستجواب، وحجز صغار الذكور البالغين (270) قرابة أسبوع، وبحكم الظروف فإنها تضمنت قدرا كبيرا من السلوك التعسفي والبغيض. فقد تم إخراج السكان العرب من المنازل أو الشوارع، ولم يسمح لهم بالعودة إلا بعد التفتيش الدقيق للمناطق - سمحت القوات للنساء والأطفال بالعودة أولا يليهم الذكور بعد إخضاعهم لعملية استجواب، وسارت العملية ببطء وحملت معها الذكور بعد إخضاعهم لعملية استجواب، وسارت العملية ببطء وحملت معها السلب والنهب، الترويع، والضرب. وقد فضل البريطانيون والهاغاناه - بتبريرات غير محايدة - نسب تلك التجاوزات إلى الإرغون. ويلاحظ أن عمليات السلب والنهب والنهب الترويع، مايو كانت «تتعارض مع التصريحات الرسمية والسرقة التي استمرت حتى شهر مايو كانت «تتعارض مع التصريحات الرسمية

التي ناشدت العرب العودة إلى حيفًا»، وأيضًا مع «روح إسرائيل»، وفقًا لمصطلحات «غرفة حيفا اليهودية للتجارة والصناعة»(271). وقد تم تناول الوضع خلال الاجتماع الــذي عُقد في الخامس والعشريــن من أبريل بين القادة المحليــين العرب واليهود. وهـو اجتماع دُعي إليه لإيجاد الوسـائل التي يمكنهـا أن تخفف من وطأة الموقف على عرب المدينة، فضلا عن مساعدة أولئك الذين يرغبون في الرحيل. وعلى الرغم من أن مضمون الاجتماع والبيانات التي تم الإدلاء بها خلاله يعارض النزوح الجماعي، لم يقم أي من المشاركين اليهود (ومن بينهم: ليفي، سالومون، بيلن، ديان) بتجديد المناشدات السابقة للسكان بالبقاء. ومع ذلك قامت الهاغاناه في صباح اليوم ذاته بإخراج عناصر الإرغون من وادي النسلناس قسرا نتيجة لتجاهلهم تحذيراتها وارتكابهم عمليات «سلب منظم» (272). وخلال عملية تبادل النار جُرح على الأقل عنصر من عناصر الإرغون بجراح خطيرة. وطبقا لأحد التقارير، كانت عملية النهب قد امتدت إلى «كنيستين»، وعيادة طبية، وتم سرقة آلتي بيانو، ثلاجات، سيارات<sup>(273)</sup>. وطبقا لجورج معمر، ظلت الظروف المعيشية للسكان العرب «كارثية» ولم تتوقف عن «الانحدار إلى الأسوأ». وقد اشتكى من عدم سماح قوات الهاغانياه ليه بتوزيع الدقيق عيلى آلاف العرب الذين تم إيواؤهم بشيكل مؤقت في المكان المخصص للسوق (أغلقت جميع المخابر العربية في 21-22 أبريل). كما ذكر أن عمليات السلب والسرقة انتشرت وتزايدت. فخلال قيام الهاغاناه بتفتيش المحال، قامت بكسر أبوابها وتركتها بعد ذلك فريسة لمن يقوم بأعمال النهب من العرب واليهود. كما أن «المنازل في وادي النسناس تم نهبها بالكامل، فهل كانت هذه نية اليهود في حيفا؟، تساءل معمر، مضيفا أن سليمان قطران أحد الأعيان العرب ضُرب صباح ذلك اليوم: في حين تعرض عرب آخرون للسرقة خلال عمليات التفتيش والتحقق من الهوية، واختتم معمر بقوله: «لو كان شعبنا يفكر [سابقا] في البقاء بالمدينة، فإن هذا التفكير تم تدميره بالكامل».

ذكر مشارك عربي آخر، جبورج الطويل، بقوله خلال الاجتماع السابق، في الثالث والعشرين من الشهر: «إذا كانت هناك ظروف مناسبة فإن العرب سيبقون»، مضيفا: «حاولت بعد الاجتماع إقناع السكان بالبقاء، ومع ذلك فإنني أقول بحزن إن الهاغاناه كانت قاسية، حتى لا أستخدم كلمة أعنف». وأوضح

الطويل للمشاركين كيف قامت الهاغاناه بتفتيش داره، خاتما بقوله: «توصلت إلى نتيجة مفادها أنني سأغادر المدينة إذا ما كان علي أن أقضي حياة ذليلة هنا» (274). وقد أخبر ديبلوماسي أمريكي الهاغاناه أنه بعد مرور أربعة أو خمسة أيام على إدارتها للمدينة «لم يعد العرب راغبون في البقاء... فهم من جانب يخشون أعمالا انتقامية تجاههم من قبل المؤسسات العربية، ومن جانب آخر ليسوا متأكدين من سلوك اليهود إزاءهم» (275).

نتيجة لغياب الفهم الكامل لما يجري، وصف العرب ما وصل إليه الأمر على أنه انفصال مؤقت بين المدنيين اليهود المحليين والسلطات العسكرية، الذي عكس - بل كان جـزءا من - انفصال أكبر نطاقا بين تلك السـلطات ليـس فقط في عملية صنع القرار في اليشوف بل أيضا التنفيذ والعمل خلال الحرب. ففي حيفًا، وعلى مدار أيام، كانت السلطات المُدنية تقول شيئا في حين تفعل الهاغاناه شيئا مختلفا تماما. والأكثر من ذلك، تصرفت وحدات الهاغاناه في الميدان ذاته بطريقة غير متناسقة غالبا ما كانت تفتقر إلى الذكاء مع السـكان العرب. فأولئك الذين تعايشـوا مع المدنيين اليهود لعقود كانوا غير معتادين على السلوك العسكري اليهودي أو قواعده، التي لم يتم رفع العمل بها إلا في الثالث من شهر مايو (276). لم يفهم العرب أسباب الافتقار إلى القوة من جانب السلطات المدنية خلال الأسبوعين السابقين. وقد مثل انعدام الفهيم هذا صميه الحوار الذي دار خلال اجتماع الخاميس والعشرين من أبريل؛ حيث اشتكي فيكتور خياط من أن العسرب كان يتم منعهم من العودة إلى ديارهم التي تم تفتيشها. وهو ما كان يخالف الوعود التي قدمها القادة المدنيون قبل ذلك بيومين. وخلال الاجتماع نفسه طمأن سالومون العرب إلى أن «أوامر صدرت بالفعل من قائد الهاغاناه تتضمن إمكانية عودة كبار السن والنسناء والأطفال إلى ديارهم في هذا المساء ذاته»(277). وعلى الرغم من ذلك، جاء الخامس والعشرين من الشهر والعبرب مازالوا ممنوعين من العودة إلى منازلهم. وقد وصف خياط الموقف بأنه «مشين وجدير بالازدراء للمجتمع اليهودي». ومن جانبه طمأن بنهاس مارغولن، عضو في المجلس البلدي، العرب بأنه سيتم «قريبا» تصحيح الأوضاع. وهو ما علق عليه نصر بقولة: «بحلول الوقت الذي تسـيطرون فيه على الموقف لن يكون هناك عربي واحد في حيفا».

وقد خاطب توفيا أرازي، ضابط استخبارات الهاغاناه، المشاركين في الاجتماع، باسم الهاغاناه، بقوله: «إننا نبذل جهدا فائقا لإعادة الأمور إلى الوضع الطبيعي»، واختتم حديثة بالقول:

أصدرت الهاغاناه أوامر صارمة [ضد السرقة]، ومن المحتمل إطلاق النار على السارقين... كما أن النساء وكبار السن والأطفال يجب أن يعودوا إلى منازلهم... غير أنهم لا يمكنهم القيام بذلك في كل الأماكن في الحال؛ حيث إنه يلزم أولا تنظيف المدينة من العصابات العربية. وهذا لمصلحة العرب أنفسهم (278).

في غفلة من القادة اليهود، جددت لجنة الطوارئ في اليوم ذاته مناشدتها للبريطانيين التدخل. وطلبوا من ستوكويل إعادة فرض الإدارة البريطانية في وسط مدينة حيفا لتحقيق «الأمن والنظام». وفضلا عن ذلك طالبت اللجنة بدإبعاد أعضاء القوات المسلحة اليهودية عن الأحياء العربية». معللة ذلك بأنه سيعيد ثقة العرب، «ويقلل من عدد النازحين ]وهي حجة غريبة [ أخذا بعين الاعتبار أن أعضاء اللجنة أنفسهم كانوا يشجعون على النزوح الجماعي» (279). وقد استمرت ازدواجية لجنة الطوارئ حتى منتصف شهر مايو وبروز خياط باعتباره الشخصية العربية الأكثر سيطرة. وقد نقل الكرمل أنه كان يستمر في تشجيع جلاء السكان من خلال «تقليل» حصة الخبز التي ترسلها المستودعات الخاضعة لسيطرته (في حين حقق فوائد من ذلك) (280).

شهدت ظروف المعيشة في الأحياء العربية في 27 - 28 أبريل تحسنا كبيرا؛ حيث سُمح لأغلب الذين بقوا في المدينة بالعودة إلى منازلهم على الرغم من استمرار العمل بالأحكام العرفية، وكان يلزمهم تصريحات تنقل خاصة للانتقال من حي إلى آخر يحصلون عليها بعد الاصطفاف في طوابير انتظار طويلة والخضوع لاستجواب دقيق. كانت أغلب المناطق العربية محرومة من الكهرباء (مما يعني عدم القدرة على سماع المذياع)، فضلا عن عدم وجود صحف عربية، أو حافلات، ولم يكن مسموحا للعرب بقيادة سيارات (دافعت الهاغاناه عن ذلك بخشيتها من قيام عناصر الإرغون بمصادرتها). ظلت عمليات الاعتقال وتفتيش المنازل أمرا شائعا. وقد ذكر أهارون كوهين أن زيادة أو انخفاض، أو ثبات عدد السكان العرب في حيفا

توقف إلى حد كبير على «سياسة المؤسسات اليهودية»، بغض النظر عن المناشدات المستمرة من قبل الأعيان العرب لاستكمال الجلاء (281). وقد نشرت الهستدروت في الثامن والعشرين من شهر أبريل مناشدة باللغتين العبرية والعربية موجهة لعرب حيفا للعودة إلى سياسة التعايش السلمي مع اليهود، والبقاء في المدينة:

لا تدمروا منازلكم... وتخسروا مصادر دخلكم وتجلبوا على أنفسكم كارثة بالرحيل... إن مجلس العمال في حيفا والهستدروت ينصحانكم لمصلحتكم بالبقاء ... والعودة إلى عملكم المنتظم (282).

بيد أن العرب لم يتجاوبوا مع هذا النداء. وقد نقلت الشرطة البريطانية وجود طوابير انتظار طويلة في الميناء بحثا عن أماكن على القوارب المتجهة إلى عكا: «بعض العائلات بقيت ونامت على جوانب الأرصفة عدة أيام في انتظار فرصة للفرار (283). وبعد مرور عدة أيام على استثناف الإدارة المدنية لم تتحسن الأوضاع كثيرا، وبادرت كل من لجنة الممتلكات العربية وجولدا ماثير، التي شغلت منصب رئيس الإدارة السياسية بالإنابة في الوكالة اليهودية، بتعيين لجنة محلية من اليهود للاهتمام بالعرب الباقين ورعاية الممتلكات العربية. وقد توصل اجتماع مشترك ضم غولدا ماثير ولجنة الممتلكات العربية، واللجنة المشكلة حديثا إلى ضرورة: «معاملة السكان العرب الباقين باعتبارهم مواطنين لهم حقوق متساوية». وقد شكلت اللجنة المحلية عددا من اللجان الفرعية حسنة النية (لجنة السجناء والمحتجزين، لجنة الإشراف عددا من اللجان الفرعية حسنة النية (لجنة السجناء والمحتجزين، لجنة الإشراف على الأماكن المقدسة، وغيرهما) (284). ومع ذلك لم يبد أن هناك شيئا قد تغير. ونقل كارملي في نهاية الأسبوع الأول من شهر مايو ما يلى:

إن عـرب حيفا في حالـة يأس. لا يعلـم أحد منهم مـاذا يفعل. وأغلب المسـيحين ينتظرون رواتبهم الحكومية ويفكرون في الرحيل. وكل من يبقى ينظـر إليه على أنـه خائن. أما عن الأوضاع الصحيـة في المدينة، فإنها مزرية. أغلب المنازل اقتُحمت ونُهبت. ولاتزال جثث ملقاة في بعض المناطق...

كان الخوف من استيلاء الجيوش العربية على المدينة ومعاقبتهم بتهمة الخيانة من بين أسباب رحيل من تبقى (285). ومع ذلك عاد عدد محدود من العائلات إلى المدينة - بتشجيع من البريطانيين - بعد انتقالهم بشكل مؤقت إلى عكا (286).

ومن جانبه وجه الحزب الشيوعي الإسرائيلي في العاشر من شهر مايو اتهامات للسلطات تضمنت أن عرب حيفا المتبقين (4 آلاف) مازالوا يفتقرون في أغلبهم إلى المياه الجارية والكهرباء، كما أن القمامة لا تُجمع، بل تتكدس على جوانب الطرق، واستمرت عمليات نهب الممتلكات، وظلت العديد من المحال مغلقة، ولم تعاود مكاتب التوظيف فتح أبوابها، وفُرضت قيود صارمة على حرية الحركة، مما جعل السكان العرب يعيشون في «نظام سجون» (287).

خلال الأسبوع الذي تلا هجوم الهاغاناه في 21-22 أبريل عكست الأوضاع في الأحياء العربية، بشكل أو بآخر، حالة الاضطراب وتبعات الحرب، غير أنها تفاقمت نتيجة الوضع العسكري والسياسي العام في فلسطين، وأيضا بسبب أوضاع محلية خاصة - استمرار عملية الإجلاء، استمرار السيطرة البريطانية على بعض أجزاء المدينة، وجود وحدة من الجيش العربي في معسكرات حول المدينة، احتمال شن هجوم عربي من الخارج، وانهيار الخدمات البلدية والحكومية. وفضلا عن ذلك، اتسمت الأعمال التي قامت بها الهاغاناه لإحكام قبضتها على حيفا بتعسف وقسوة الحكم العسكري، مما أسهم بالتأكيد في استمرار النزوح الجماعي.

ولكن، هل كانت الأعمال التي قامت بها الهاغاناه خلال الفترة من 23 أبريل إلى أوائل شهر مايو مدفوعة بالرغبة في الحث على الرحيل؟ على مستوى المركز الرئيسي لقيادة كارملي، لم تصدر أوامر على الإطلاق - على حد علمنا - للقوات بالتصرف بطريقة تدفع إلى الفرار. على العكس، صدرت أوامر - وإن كانت متأخرة إلى حد مما - تمنع عمليات النهب، كما وُزعت منشورات تدعو العرب إلى التزام الهدوء والعودة إلى العمل، وإن لم تطلب بشكل واضح بقاءهم في المدينة (1888). ولكن إذا كانت هذه هي السياسة الرسمية، فقد كان هناك بالتأكيد اتجاه خفي يناقض كانت هذه هي السياسة الرسمية، فقد كان هناك بالتأكيد اتجاه خفي يناقض الاتجاه الظاهر ويؤيد الفكر الداعي إلى الطرد بشكل عائل منهج الإرغون. فقد كان العديد من عناصر الهاغاناه متأثرين بالفكر القائل بأن النزوح الجماعي يعتبر شئيا جيدا بالنسبة إلى اليهود» ويلزم تشجيعه. ويمكن العثور على آثار هذا الفكر في مقر القيادة العامة للواء كارملي من خلال مذكرات يوسف ويتز التي خطها في مقر القيادة العامة للواء كارملي من خلال مذكرات يوسف ويتز التي خطها في الفترة من 22-24 أبريل، التي قضاها في حيفا. ففي الثاني والعشرين من الشهر كتب: «أعتقد أنه يجب استثمار هذه الحالة الذهنية [التي تميل إلى الهروب] بين

العرب، ويلزم علينا أن نضغط على السكان الآخرين لا ليستسلموا [ولكن ليرحلوا]. يجب علينا إقامة دولتنا». وفي الرابع والعشرين من الشهر ذهب ويتز للقاء مساعد كارميل الذي أخبره أن قريتي بلد الشيخ وياجور المجاورتين أُجلي سكانهما بالكامل، وأن عكا «ترتجف» من الوضع. وفي هذا الصدد كتب ويتز: «كنت سعيدا أن أسمع منه أن هذا المسار تبنته قيادة الهاغاناه، والمقصود بذلك تخويف العرب مادام الخوف يدفعهم إلى الفرار» (289). وحقيقة الأمر أنه كان هناك تداخل في المصالح اليهودية - كما رآها ويتز، ومن شابهه في التفكير من قادة اليشوف - ورغبات القادة العرب المحليين واللجنة العربية العليا، التي اعتقدت أن النزوح الجماعي من المدينة سيخدم القضية الفلسطينية (أو على الأقل فإن عدم رحيل السكان سيصب في مصلحة القضية اليهودية). وبدا أن ويتز قد ضرب على وتر قابل للاستجابة في مركز قيادة كارملي. وكان ذلك مفهوما عسكريا وسياسيا: أن حيفا من دون العرب يسهل الدفاع عنها وأقل أثارة للمشاكل، بالمقارنة بحيفا التي تضم أقلية عربية كبيرة.

تحركت الهاغاناه في الأيام التي أعقبت 21-22 أبريل لإحكام قبضة اليهود على المدينة من خلال تأمين مداخلها وفتح الطرق المؤدية إلى سلسلة المستوطنات الواقعة في الجنوب والشهال، والشرق. وقد كانت قرية بلد الشيخ وقريتان أخريان تدوران في فلكها (ياجور والحواسة) تهيمن على طريق الخروج إلى الشمال والشرق، أما بالنسبة إلى المخرج الجنوبي فكانت تسيطر عليه قرية الطيرة التي كان يدعمها بشكل كبير اللاجئون من حيفا.

في الرابع والعشرين من أبريل هاجمت الهاغاناه بلد الشيخ، كما هوجمت الطيرة خلل اليومين التاليين. وليس من الواضح ما إذا كانت الهاغاناه قد أرادت أن تطلق شرارة النزوح من بلد الشيخ، ومع ذلك فإن أسلوب الهجوم والمفاوضات اليهودية – العربية - البريطانية التي تلته تجعل الأمر يبدو على أنه كان يهدف إلى تحقيق ذلك. وهو ما فهمه على الأقل المراقبون البريطانيون المعنيون.

أجلي السكان جزئيا من بلد الشيخ والحواسه المجاورة على إثر الضربة الانتقامية التي وجهتها الهاغاناه في ليلة 31 ديسمبر 1947-1يناير 1948 (290). وقد ترتب على انسحاب وحدة الجيش العربي المتمركزة في القرية، في مطلع شهر أبريل أن هُجر العديد من المنازل في أطرافها الجنوبية، حيث انتقل السكان إلى مركز القرية (291).

وفي ذلك الوقت كان معظم سكان الحواسة قد غادروا منازلهم (292). وبعد مرور أسبوع أو أسبوعين رحل معظم سكان ياجور في رد فعل على التقارير الواردة حول مذبحة دير ياسين. وبحلول نهاية شهر أبريل أضحت القريتان (الحواسة وياجور) يقطنهما بشكل رئيسي العناصر غير النظامية (293). وبشكل واضح أدى سقوط حيفا العربية إلى إطلاق شرارة عملية إجلاء كبرى للنساء والأطفال في بلد الشيخ؛ حيث توقع القرويون، طبقا للمراقبين البريطانيين، هجوما من قبل الهاغاناه (294).

في الصباح الباكسر ليوم 24 أبريل طوقت وحدات الهاغانساه القرية، وبدأت في الساعة الخامسة صباحا إطلاق قذائف الهاون من عيار ثلاث بوصات فضلا عن المدافع. رجا بعد فشل طلبها في أن تسلم القرية أسلحتها. وقد قام عديد من الذكور الشباب بالفرار «تاركين وراءهم النساء والأطفال». لم يكن هناك «عمليا أي رد» من داخل القرية. وفقا لتقرير وحدة بريطانية وصلت إلى موقع الأحداث بعد ذلك بساعة، وفرضت لاحقا وقف إطلاق النار. وخلال الاجتهاع الذي أعقب ذلك بين ممثلي الهاغاناه والعرب والبريطانيين في مصنع أسمنت نيشر طالبت الهاغاناه بأن يسلم القرويون أسلحتهم، وقد سُلمت بالفعل «22 بندقية قديمة ومسدسات عديمة الجدوى»، فضلا على مدفع قديم، وفي المقابل طالب العرب بهدنة (وفي رواية أخرى «طلبوا حماية الهاغاناه» (295). وبعد مرور ساعات قليلة أخبر ضابط استخبارات الهاغاناه مختار قرية الحواسـة أنه «لا يهمه إجلاء القرية»، ومع ذلك فإن السـماح للسكان بالبقاء مشروط بالتسليم الكامل للأسلحة (296). وقد مُنحت القرى الثلاث مهلـة حتى الثانية بعد الظهر، وكان من الواضح أن القادة المحليين قد طلبوا تدخل البريطانيين، وقد بادر الأخيرون حينثذ، إما بنصح (297) أو بأمر (298) القرويين بالاستعداد لإجلاء بلد الشيخ (وربما انطبق ذلك أيضا على القريتين الأخريين التابعتين لها)، وتبع ذلك دخول20 حافلة نقل تابعة للجيش البريطاني إلى القرية. ومع تحذير السكان الباقين من أن الهاغاناه «ستقصف الموقع استقلوا الحافلات واتجهت القافلة - تحت حراسية بريطانيية - إلى الناصرة. وبحلول فترة ما بعد الظهييرة كانت القرى الثلاث قد أفرغت بشكل شبه تام من سكانها (299). ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه انه في التاسيع والعشرين من الشيهر تبقى ما يقرب من 30 عائلة في الحواسة، 20 في بلد الشيخ، و20 في ياجور. وتنقل هؤلاء بدورهم من مكان إلى آخر أو طُردوا (300).

ليس هناك أدنى شك في أن سقوط حيف العربية والأخبار التي ترددت عن النزوج الجماعي لسكانها أقلقت بشكل كبير سكان المواقع الثلاثة، كما أنها زودتهم بنموذج للتصرف. وفضلا عن ذلك فقد كان جليا أن ضغوط الهاغاناه والبريطانيين قد ساعدتهم على اتخاذ قرارهم (301).

فيما يتصل بالطيرة التي أعاقت، خلال شهر، المواصلات على طول الطريق بين تل أبيب وحيفا- فقد هاجمتها الهاغاناه بشكل محدود ليلة 21-22 أبريل من أجل «منع المساعدات التي كانت تقدمها لعرب حيفا»، وفقا لما ورد في أحد التقارير البريطانيــة(302). أدى ذلــك إلى عملية إجلاء عفوية للنســاء والأطفال(303). وفي فجر الخامس والعشرين من أبريل قصفت الهاغاناه الطيرة فترة قصيرة (304). وشــنت في الساعات الأولى من اليوم التالي هجوما كبيرا، باستخدام قذائف الهاون والمدفعية، هدف بشكل واضح إلى الاستيلاء عليها. وتمكنت وحدة مشاة من الوصول إلى الأطراف الشرقية والاستيلاء على مواقع على منحدرات الكرمل المطلة على القرية - غير أن النيران البريطانية أوقفتها. وفي فترة الهندوء المؤقتة التي تلت ذلك جرت عمليـة «إجلاء منظم» إلى عـكا لغير المقاتلين من سـكان القرية على متن حافلات تابعــة للفيلق العربي، وبقى الشــباب من الذكــور. وفي الوقت ذاتــه كانت خربة الدامـون، الواقعة إلى الجنوب، قد طوقتها الهاغاناه من دون قتال، وأقامت الأخيرة حامية بها وزودت السـكان، الذين بقوا آنذاك فيها، بتصاريح مرور خاصة (305). وفي مطلع شـهر مايو رتب البريطانيون لعملية «إجلاء منظم» أخرى من الطيرة شملت ستماثة شخص باتجاه جنين ونابلس (306). وبقى مثات الرجال الذين نجحوا في الدفاع عن القرية حتى شهر يوليو، عندما سقطت على أيدي جيش الدفاع الإسرائيلي، وتم إجلاؤهم بالكامل.

في تلك الأثناء، وعلى وجه التحديد في ليلة 25|26 أبريل شنت الهاغاناه غارة شديدة على عكا المكتظة باللاجئين الوافدين من حيفا، قذفت خلالها المدينة بقذائف الهاون والمدفعية، مما أسفر عن تدمير ثلاثة منازل في ضواحي المنشية، والاستيلاء لفترة قصيرة على تل الفخار التي تطل على المدينة من ناحية الشرق. كما سقطت قذائف الهاون على سبجن عكا، ما أدى إلى فرار جماعي للمسبجونين. وقد تدخلت القوات البريطانية وفتحت النيران على قاعدة الهاغاناه في كيبوتس عين هاميفراتس

وتل الفخار، مما أدي إلى انسحاب الهاغاناه (307). ومع ذلك أحدثت الغارة حالة هلع وفرار من المدينة (308). ووفقا للتقييم العام الذي قدمته فرقة حرس كولدستريم، أراد اليهود فتح مداخل الطرق إلى حيفا، وأنهم «سيستمرون على الأرجح في قصف المناطق المحيطة بحيفا للدفع باتجاه إجلاء السكان العرب» (309).

كان لسقوط حيفا أثر مدوً ليس فقط في الشمال ولكن في كل أرجاء البلاد. حيث أعلن يوم حداد في اللد أغلقت فيه أغلب المحال أبوابها لتسجيل «المذبحة الكبيرة» (310). ومن جانبه نقل كارميل إقدام القرى المحيطة بحيفا على إجلاء نسائها وأطفالها (111). أما الوكالة اليهودية فقد لخصت الموقف على النحو التالي: «مثل إجلاء السكان من حيفا (إضافة إلى الاستيلاء على طبريا) نقطة تحول أثرت بشكل كبير على الروح المعنوية للعرب في الداخل والخارج...» (312).

في منتصف مايو، بقي نحو 4 آلاف عربي في حيفا؛ انتهت أكبر، ورجما أهم موجات النـزوح في الحرب، من حيـث تأثيرها في رحيل المجتمعات الأخـرى. أضحت حيفا مدينة يهودية. وخلال أسابيع، نفذت السلطات اليهودية مشروعين حضريين مهمين: حشـد السكان العرب الباقين في حيين في وسـط المدينة؛ والتدمير المنهجي للمنازل العربية في عدد من المناطق.

في الثامن والعشرين من يونيو 1948 أمر قائد الجبهة الشمالية، الجنرال موشيه كارميل، بتعبئة القوات لكل من الأسباب الأمنية (كانت الحرب لاتزال مستمرة، كلما أن العرب الذين عثلون طابورا خامسا محتملا عكن الإشراف عليهم بشكل أسهل إذا ما قُيدت حركتهم)، والحاجة إلى استيعاب المهاجرين (فمنذ صيف عام 1948 كانت هناك حاجة متزايدة وماسة إلى المساكن التي عكنها إيواء المهاجرين اليهسود الوافدين)، وقد حدث ذلك يومين فقط قبيل الانسحاب المقرر للقوات البريطانية المتبقية في مناطق داخل حيفا وخارجها (قاعدة رامات ديفيد الجوية، مجمع معسكرات كرداني، وثكنات شبه جزيرة حيفا وخارجها في حي بات غاليم، منطقة الميناء، والعديد من المعسكرات في الكرمل عا في ذلك ستيلا ماريس). وطبقا لكارميل، توقعت الخطة «دالت» احتشاد العرب في وادي النسناس ووادي صليب قبل حدوثه. وأوضح كارميل الحاجة إلى تنفيذ العملية بمصطلحات عسكرية إستراتيجية (من دون أن تُذكر احتياجات الإسكان) (1878). وفي الأول من يوليو أمر

القائد العسكري في منطقة حيفا وحداته بطرد العرب من «الكرمل الفرنسية، والمستعمرة الألمانية، وغيرهما»، إلى وادي النسناس ووادي صليب، على أن يتم الانتهاء من العملية بحلول الخامس من الشهر (100). وقد استُدعيت لجنة الطوارئ (خياط، شحادة صلاح، توفيق طوبي، بولص فرح) (4) والتي رفضت في البداية، ثم اقتنعت بالمساعدة في تنفيذ عملية الحشد والتجميع، حيث هدد الجيش باستخدام القوة في حالة عدم التعاون (2015). بدأت عملية «الترانسفير» في الثالث من يوليو (316). بمع العرب في وادي النسناس وفي عدد صغير من المنازل في شارع عباس، ولم يتطلب العدد تخصيص منازل إضافية في وادي صليب (التي تُركت خالية تماما لتسكين اليهود). ومن جانبهم أثار موظفو وزارة شؤون الأقليات العديد من العقبات (2017) كذلك رجال الدين المسيحيون (316)، وعلى الرغم من ذلك تم الانتهاء من العملية خلال أيام. وبحلول منتصف شهر يوليو كانت الإدارة العربية في جهاز استخبارات خلال أيام. وبحلول منتصف شهر يوليو كانت الإدارة العربية في جهاز استخبارات وادي النسناس، تماشيا مع الخطة دالت» (319).

بعد مرور أيام على سقوط حيفا صاغت إدارة الشؤون الفنية وإدارة التنمية العمرانية التابعتان للبلدية، بالتعاون مع قائد قوات الدفاع الإسرائيلية في المدينة، ياكوف لوبليني، مقترحا «للتنفيذ الفوري» يهدف إلى تجديد مساحات كبيرة في وسط المدينة والشوارع الكبرى، وبعد أن نصت في مقدمتها على مقتبس من سفر الجامعة (3/3) «يحين وقت لللله» بدأ المقترح المعنون بـ«مذكرة لأعمال تحسينات عاجلة في حيفا» كما يلي:

1 - إن النزوح الجهاعي للسكان العرب من حيفا والإجلاء الكامل تقريبا للمدينة، والأحياء العربية المجاورة الموجودة بينها وهدار الكرمل يقدم فرصة استثنائية لأعمال تحسين لها صلة بالتدمير. وهذه الأعمال يمكنها أن تصحح من الظروف الأمنية، وشبكة الطرق، والوضع الصحبي في المدينة. وحقيقة أن المباني التي كانت محددة للهدم قد تأثرت خلال تلك الفترة بشكل كبير

<sup>(۞)</sup> ورد الاسم في الكتاب الأصلي «نابلس فرح» Nablus Farah، والأرجح أن المقصود هو بولص فرح، وهو من أبرز أسماء الحركة العمالية في فلسطين. ولد في حيفا عام 1912، وتوفي فيها عام 1993 [المحررة].

<sup>(\*\*)</sup> سسفر الجامعة هو أحد أسسفار العهد القديم (أو التناخ)، والإشسارة هنا إلى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثالث، التي ورد فيها: «للقتل وقت وللشفاء وقت، للهدم وقت وللبناء وقت». [المحررة].

مـن آثار القتال وأصبح من الـضروري تدميرها بمقتضى قوانين البلدية المتصلة بالمبانى الخطرة، تسهل وتقدم سببا إضافيا لتنفيذ الأعمال المطلوبة.

وفي ضوء هذا الوضع، أضحت عملية إعادة التجديد ملحة:

فحقيقة أنه تم البدء في الأيام الأخيرة في توطين [اليهود] القادمين، و[اليهود] اللاجئين [من مناطق أخرى في فلسطين] ومؤسسات الدولة في المناطق الخالية في المدينة، وإدراكا بأن المدينة لا يحكن أن تظل مهجورة وخالية، ونحن نتوقع جميعا موجات من الهجرة الوافدة فضلا عن عودة الكثير من العرب الذين هجروا حيفا، كل هذا يجب أن يحفزنا على القيام بالأعمال الضرورية من دون تأخير.

إن أغلب المباني التي تم النص على هدمها كان قد سبق تحديدها في العديد من الخطط في الفترة التي سبقت الحرب؛ كما أن هناك مباني أخرى شيدت بشكل غير قانوني. وقد أكد مُعدو المذكرة على عنصر العجلة لأن مثل تلك الفرصة «قد لا تتكرر»، وأيضا لأنه سيكون من الأرخص، فيما يتصل بدعاوى التعويض المتوقعة، تنفيذ عمليات الهدم بسرعة، كما «يمكن للمرء أن يفترض أنه بسبب عدم وجود أدلة لن يُرفع الكثير من دعاوى التعويض». وقد تضمنت القائمة التفصيلية للمباني المقرر هدمها 46 «منزلا صغيرا» في حي فارديا، والتي كانت تعرض المرور والصحة للخطر (بسبب عدم توافر الصرف الصحي)؛ 15 مبنى تقع بين شارع ابن جبيرول وهرتزل؛ 17 مبنى في شارع ابن رشد؛ 214 مبنى في شارع الملك جورج الخامس - فضلا عن هدم أحياء الأكواخ في وادي رشميا والحواسة (300).

في السادس عشر من يونيو التقى بن غوريون مع يريل فريدلاند، مدير مصنع وضابط رفيع المستوى في الهاغاناه، وحثه على التعامل مع هذا الملف «بشكل فوري عقب الجلاء البريطاني النهائي» (321). وعلى الفور أمرت شعبة التخطيط في قوات الدفاع الإسرائيلية بالبدء في عمليات الهدم:

لتوفير طريق مناسب وآمن... بين هدار الكرمل والمنطقة الصناعية في المدينة والكريوت [الضواحي الشمالية]، لتأمين الطريق إلى الميناء، وللتقليل من القوى العاملة التي تتطلبها عملية حراسة المدينة حاليا (322).

بدأت عملية الهدم في الأسبوع الثالث من شهر يوليو، مع دخول الهدنة الثانية حيز التنفيذ، مما جعل وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي، من فيهم المهندسون، متفرغة للعمل. وعلى الفور عبر الأعيان العرب المتبقون عن تضررهم من ذلك، مشيرين إلى أنهم لم يُستشاروا أو يعوِّضوا (232). وقد رد العمدة ليفي بقوله إنه لا يعلم من المسؤول عن ذلك، ولماذا تجري عملية الهدم، مضيفا أنه ليست له أي مسؤولية مالية في هذا الخصوص؛ (وقد عكس ذلك الرد خشيته من أن تتم مقاضاته). وعلى مدار شهور لم تكن الأسس القانونية التي ارتكزت عليها العملية واضحة إلى أن طرح شتريت الموضوع على مجلس الوزراء في الأول من شهر سبتمبر. ومع ذلك تفادى بن جوريون الرد مكتفيا برد مخادع، قائلا إن الموضوع هو مسؤولية المسؤول الرسمي عن الأراضي المحتلة (324).

في تلك الأثناء أشرك ليفي في العملية بعدما أقنعه وزير الداخلية بأهميتها وضرورتها - وهي العملية التي أطلقت عليها قوات الدفاع الإسرائيلية «عملية شيكمونا». وقد وضع حدا لقلقه فيما يخص قضية التعويضات؛ وشرح غروينبوم الموقف باعتبار العملية سياسية وليست مدنية، ومن ثم فإنه ليست هناك تعويضات يلزم بها القانون (325)، وقد استمرت عملية الهدم على نحو غير منتظم خلال الصيف وأُنهيت بشكل تام في أكتوبر (326).

يافا

في الساعات الأولى من صباح الخامس والعشرين من أبريل شن الإرغون ما عُرف في ما بعد بأنه هجومه الرئيسي في الحرب - الانقضاض على يافا، أكبر المدن العربية في فلسطين. وطبقا لغورني: «أعطى العرب قيمة ليافا لأسباب تاريخية ونفسية أكبر من المدن الفلسطينية الأخرى باستثناء القدس» (327). وقد أخضعت خطة التقسيم المدينة للحكم العربي داخل المنطقة ذات الهيمنة اليهودية على السهل الساحلي؛ وتحكّم موقعها الجغرافي في ظروفها وطريقة عملها طوال الأشهر الأولى للحرب. وعند بداية المعركة النهائية، كان لايزال يقطنها ما يقرب من ثلثي عدد سكانها قبيل الحرب، والذي تراوح بين 70 ألف نسمة و80 ألفا (328)، كما كان هناك ما يقرب من البريطانيين على وشك الرحيل، ولا يمكنهم حمايتهم فيما بعد 14- 15 مايو.

اعتقدت الهاغاناه طوال فترة الحرب الأهلية أنه لا حاجة إلى الهجوم على يافا بشكل مباشر. فعلى الرغم من أن عملية إطلاق النيران المتقطعة من المدينة قد تسببت من وقت إلى آخر في مضايقة جنوب تل أبيب، فإنها لم تشكل تهديدا إستراتيجيا. وقد كان لدى الهاغاناه اعتقاد بأن شعور السكان بالعزلة والحقائق التي فرضها الحصار سوف تقود حتما إلى تركيع شعبها؛ وأنها ستسقط من تلقاء ذاتها كالثمرة الناضجة لحظة الانسحاب البريطاني. ولم تدع الخطة دالت إلى الاستيلاء على يافا، بل الضغط على سكانها والاستيلاء على ضواحيها في المنشية، وأبو كبير، وتل الريش (330). فشل مخططو الهاغاناه تماما في توقع للنزوح الجماعي لسكانها لا سيما التخطيط له.

لم تكن للهاجاناه وحدها الكلمة النهائية، فمنذ مطلع شهر أبريل، عندما بدأت الهاغاناه هجومها، كان الإرغون يتطلع إلى تحقيق إنجاز رئيسي، وقد رجع ذلك جزئيا إلى الرغبة في إثبات أن الهاغاناه ليست القوة العسكرية الوحيدة الفاعلة لليشوف. وكانت الاعتبارات السياسة جلية للعيان (331). وفي هذا الخصوص كان بيغن يدرس اختيار القدس الشرقية، و«المثلث»، وتلال ميناش، وجنوب شرق حيفا ويافا، وفي الثالث والعشرين من أبريل وقع اختيار قادة الإرغون على يافا التي نظروا إليها باعتبارها «سرطانا» في الجسد السياسي اليهودي ووبالا على تل أبيب التي كانت مركزا لقوة الإرغون.

حشد الإرغون ما يعادل سـت سرايا عسكرية من عناصره، وأخرج مدفعي هاون من عيار 3 بوصات - سبقت سرقتها من البريطانيين عام 1946 - من مخبئهما، مـع عدد وفير من القنابـل. وفي الصباح الباكر ليوم 25 أبريل ضرب الإرغون ضربته مهاجما حي المنشـية في الطرف الشمالي لمدينة يافا، بهدف التقدم عبره إلى الطرف الجنوبي على البحر، بشكل يفصله عن المدينة. وإذا كانت الأمور سارت على ما يرام لكان من الممكن حينئذ مهاجمة يافا ذاتها. وقد تزامن الهجوم مع إطلاق ستار من قذائف الهاون على المنشية ومركز مدينة يافا.

كانت المدينة في حالة معنوية يرثى لها؛ وشعر سكانها «بعدم الأمان... وفقدان الأمل» (332). فقد مرت عليها أسابيع شهدت خلالها أعمالا انتقامية قامت بها الهاغاناه شملت إطلاق قذائف الهاون (333). في نهاية شهر أبريل كان الطعام، باستثناء الدقيق،

لايـزال متوافرا. وبالمقابل كان هناك نقص حاد في الوقود وارتفاع للأسـعار بشـكل خيـالي، كما أن خطوط الاتصالات الهاتفية كانت مقطوعة بشـكل عام (334)، في حين توقفت تقريبا عملية النقل من المدينة وإليها. كان أغلب أفراد الطبقتين الوسـطى والعليا قد غادروا؛ أما فيما يتصل بالمليشيات فقد كانت منقسمة وجامحة، وعمت البطالة وتدهورت التجارة وتزايدت حالات الإفلاس (335). وفي اليوم السـابق للهجوم تدافع الكثيرون على البنوك لسـحب أرصدتهم، مـما أدى إلى إغلاق البنوك أبوابها خلال بضع ساعات بعد نفاد الأموال منها (336).

أثناء تقدمها في الخامس والعشرين من أبريل، من منزل إلى منزل، واجهت قـوات الإرغون مقاومة عنيفة وتوقف الهجوم على المنشية. وأعقبت ذلك إعادة الإرغون تجميع قواته وتغيير تكتيكاته ليعاود الهجوم في السابع والعشرين، مخترقا المنطقة، ليصل إلى شاطئ البحر، الأمر الذي كبده 40 قتيلا وضعف هذا الرقم من الجرحى. أما سكان المنشية فقد لاذوا بالفرار باتجاه الجنوب (حي العجمي وجباليا) تحت وطأة قذائف الهاون، وفي مواجهة قوات المشاة.

فاق الهجوم على المنشية - من حيث الأهمية والنتائج - القصف الذي تزامن معه، وبشكل لا ينقطع تقريبا على مدار ثلاثة أيام بقذائف الهاون، على حي العجمي، ومناطق أخرى في وسط مدينة يافا: السجن، المركز الرئيسي للبريد، شارعي الملك جورج وبطرس<sup>(337)</sup>. وقد كان من شأن سقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي لسكانها أن ضاعف من انخفاض الروح المعنوية لسكان يافا (338). ووفقا لنمر الخطيب، شعر عرب يافا بأنهم قد حان دورهم (390). وقد أدى الهجوم البري والقصف المستمر بقذائف الهاون إلى كسر معنويات المدنيين والمقاومة العسكرية. بعد انتهاء المعركة بقليل كتب بيغن مدعيا أن عناصر المدفعية كانت لديهم

بعد انتهاء المعركة بقليل دنب بيعن مدعيا ال عناصر المدفعية دانت لديهم تعليهات بتجنب إصابة «المستشفيات، والأماكن الدينية» والقنصليات (340). غير أنه أخذًا في الاعتبار أن القائمين على تصويب وإطلاق القذائف كانوا من الهواة، فإنه حتى مع افتراض وجود قيود عليهم كان ذلك عديم المعنى والفائدة. وفي كل الأحوال فإن أهداف أيام القصف المتواصل الثلاثة - التي أُطلق خلالها 20 طنا من الذخائر - كانت واضحة على النحو الذي حدده أميخاي باغلين (قائد العمليات) قبل اندلاع الهجوم: «منع وسائل النقل العسكرية في المدينة؛ كسر الروح المعنوية لقوات اندلاع الهجوم: «منع وسائل النقل العسكرية في المدينة؛ كسر الروح المعنوية لقوات

العدو؛ وإحداث حالة من الارتباك بين المدنيين؛ مها يؤدي إلى هروب جهاعي». وقد صُوبت القذائف بكثافة باتجاه منطقة الميناء، وميدان الساعة، والسبجن، وشارع جورج، فضلا عن حي العجمي (341). وبعد مرور عدة أيام كتب كانينغهام: «يجب أن يكون واضعا أن الهجوم الذي قام به الإرغون باستخدام الهاون لم يميز بين أي شيء وآخر، وكان مصمما لخلق حالة من الذعر بين السكان المدنيين» (342). وفي واقع الأمر، واستنادا إلى مصادر استخبارات الهاغاناه، وقعت أغلب الخسائر في صفوف المدنيين (643). ووصف جاك دو رينيه (ممثل الصليب الأحمر في فلسطين) حالة الذعر التي سيطرت على الطاقم الطبي في يافا بالكلمات التالية:

بدأ الفرار سريعا. وفي المستشفيات فر سائقو سيارات الإسعاف بصحبة عائلاتهم في تلك السيارات من دون أدنى مراعاة لواجبهم. والكثير من الممرضات وحتى الأطباء تركوا المستشفى فقط بما يرتدونه من ثياب وفروا إلى الريف (344).

استنادا إلى عمليات استجواب الأشخاص الذين قُبض عليهم، نص تقرير استخبارات الإرغون بتاريخ 28 أبريل على ما يلي:

لقد سـقطت قذائفنا في العديد من المواقع الرئيسية، على مقربة من مكتب البريد، وإلى جوار مبنى البلدية... وقرب الميناء، وقد أصيب مقهى في سوق الخضراوات مما أسفر عن مقتل العشرات من أفراد العصابات [العناصر غير النظامية]. وأفاد السجناء الذين وقعوا بين أيدينا بأن أكثر من 200 شخص يعرفونهم قد قضوا خلال القصف... أدى القصف إلى تعطيل حركة الحافلات داخيل يافيا وتلك المتجهة إليها، مما شيل دخول المؤن الغذائية. وتحولت الفنادق إلى مستشفيات. وأحدث القصف ذعرا كبيرا، مما أدى إلى امتلاء الميناء عجموعات ضخمة من اللاجئين، وحتى عملية الصعود إلى المراكب تحت في حالة من الارتباك.

وأضاف التقرير أن قوات الشرطة في المنشية هربت متخلية عن الشعب (345). من المرجح أنه عند نقطة معينة من المعركة عرف سكان يافا أن عناصر الإرغون هي من يقوم بالهجوم، الأمر الذي شكل عاملا إضافيا أسهم في حدوث النزوح الجماعي؛ كانت ذكريات ما حدث في دير ياسين قبل أسبوعين حاضرة في أذهان الجميع. وقد أكد المتحدثون باسم الإرغون لاحقا أن ذلك كان عاملا رئيسيا في الإسراع بالنزوح الجماعي (346).

في كل الأحوال، قتلت النتيجة الرئيسية للهجوم على يافا في إثارة عملية فرار واسعة بين جموع الناس، عبر البحر أو البر، غالبا تحت حراسة بريطانية، إلى الضفة الغربية وإلى الجنوب باتجاه غزة. كما أنه عقب الهجوم أُغلقت المحال والأسواق، وتوقفت وسائل النقل وامتلأت الشوارع والمستشفيات والفنادق بالمصابين وجثث القتلى؛ في وقت لم يبق فيه بالمدينة أطباء أو ممرضات تقريبا. وقد أعاق نقص الوقود عملية نقل المصابين إلى نابلس (347). ومع حلول الثامن من شهر مايو لم يكن هناك إلا طبيب واحد وممرضة في مستشفى المدينة الحكومي الرئيسي (348). وسجل جهاز استخبارات الهاغاناه منذ مطلع شهر يناير تتابع خروج القوافل التي تنقل العائلات والأثاث من المدينة.. (349).

ذهب المراقبون البريطانيون إلى أن أحد الأسباب الرئيسية وراء النزوح الجماعي ذهب المراقبون البريطانيون إلى أن أحد الأسباب الرئيسية وراء النزوح الجماعي حيما كانت عليه الحال في حيفا وطبريا - تمثل في فرار القادة المحركة، وحتى قبل المعركة، اتسمت يافا - أكثر من المدن الأخرى - بتفكك القيادة. ففي شهر أبريل كانت هناك سبعة مراكز للسلطة منفصلة ومختلفة، بل ومتنافسة ومتداخلة المسيؤوليات: البلدية؛ اللجنة الوطنية؛ ممثل المفتي (توفيق التميمي)؛ النجادة، المليشيا المحلية وقيادتها، الوحدات غير النظامية المتعددة والتي لا تنتمي إلى المدينة، والقائد المستقل المعين من قبل اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية. وكان من شأن هجوم الإرغون أن يُطلق العنان لعملية التفكك وفرار القادة. وفي هذا الخصوص سبحل غورني العبارة التالية: «إنه من المثير للشفقة رؤية كيف تم على فرار القادة العرب كمحفز على النزوح الجماعي، مشيرا إلى أن العمدة (هيكل) على فرار القادة العرب كمحفز على النزوح الجماعي، مشيرا إلى أن العمدة (هيكل) المضاء اللجنة الوطنية غادروا المدينة» (أما وزارة الدفع فقد نقلت إلى كبار السوزراء في الحكومة البريطانية، وإن كان ذلك ليس دقيقا تماما، أن «كل القادة العرب غادروا المدينة التي تبدو ساكنة سكون الموت» (352).

في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، في نهاية شهر أبريل، ذهب شيرتوك إلى القول بأنه في كل من طبريا ويافا «فُرض النزوح الجماعي للسكان من قبل القادة العسكريين العرب كمظاهرة سياسية وعسكرية... لقد أمرت القيادة العربية الشعب بالرحيل». أما فيما يتصل بوضع يافا فإن هناك أدلة ضئيلة على مثل هذا التأكيد (353)؛ حيث يبدو أن عملية عكسية حدثت، فالقصف «أسفر عن نتائج تخطت التوقعات»، فقد ولَّد «فزعا وخوفا بين السكان» مما أطلق عملية الهروب (354)، والتي أدت بدورها إلى انهيار التشكيلات غير النظامية التي لاذت بالفرار (355).

ترتب على هجوم الإرغون على يافا، والذي أعقب سقوط حيفا المرير، وضع البريطانيين في موقف صعب، أدى إلى إشعال فتيل أزمة محدودة داخل الحكومة البريطانيية، حيث لام القادة العرب، داخل فلسطين وخارجها، البريطانيين على ما حدث في حيفا، وادعوا أن ستوكويل تآمر مع الهاغاناه، أو على الأقل تصرف بطريقة عادت على اليهود بالفائدة بإقدامه بشكل مفاجئ على إعادة انتشار قواته خارج مركز المدينة؛ ومنع دخول التعزيزات العربية؛ وعجزه عن وقف هجوم الهاغاناه الذي - وفقا للادعاءات العربية - تضمن القيام بمذابح؛ وتشجيعه على عقد هدنة ارتقت إلى مستوى الاستسلام. وبشكل عام دفع العرب بأن البريطانيين هم من كانوا يسيطرون - رسميا وقانونيا - على فلسطين حتى الخامس عشر من مايو، مما يعني أنهم كان عليهم أن يتصرفوا من هذا المنطلق (356).

رفض كل من كانينغهام وستوكويل ووزير الحرب البريطاني الاتهامات العربية، وأوضح الأخير بشكل مختصر أنه:

بعد الهزيمة في حيفا، ورغبة في تبرير عدم كفاءتهم، يتهمنا القادة العرب نحن بمساعدة اليهود ومنع العرب، على الرغم من أن الهزيمة كانت ترجع أساسا إلى المسلك الجبان المفتقر إلى الكفاءة من قبل القادة العسكريين العرب، ورفضهم الأخذ بنصيحتنا بضبط النفس، وقد أدى ذلك... إلى تدهور كبير في العلاقات البريطانية -العربية (357).

شعرت الحكومة البريطانية بقوة بهذا التدهور الذي جاء في وقت كان فيه الانسحاب البريطاني من فلسطين وشيكا، الأمر الذي قاد بشكل مباشر إلى صدام بين

بيفن وقادة الجيش، وما تلاه من تدخل بريطاني في معركة يافا. شعرت الخارجية البريطانية بأن ما حدث في حيفا قد أضعف موقع بريطانيا على امتداد العالم العربي. وفي مساء الثاني والعشرين من أبريل استُدعى رئيس هيئة الأركان العامة الإمبراطورية، الفيلد مارشال (المشير) مونتغمري، إلى مقر رئاسة الوزراء، حيث أُجبر على الإقرار بأن جنرالاته لم يخبروه على الدوام بالأحداث في حيفا. وثارت مشاعر بيفن الذي ذكر أن 23 ألف عربي قُتلوا والموقف كارثي. ورد مونتغمرى بأنه سيعمل على التأكد مما يحدث (358).

اجتمع كل من كليمنت أتلي (رئيس الوزراء) وبيفن ومونتغمري في العاشرة من صباح اليوم التالي بمقر رئاسة الوزراء، وكان بيفن - وفقا لرواية المشير - «في حالة أكثر هياجا»، حيث ذهب إلى أن الجيش كان عليه أن يوقف الهاغاناه: «إن مذبحة العرب وضعته في موقف صعب مع كل الدول العربية»، واختتم بيفن هجومه بقوله «إن الجيش خذله» (359). ومن جانبه - ووفقا لروايته الشخصية - طلب مونتغمري من بيفن سحب الاتهام - الذي تم توجيهه رسميا إلى وزير الدفاع (أ. ب. ألكسندر)، كما هاجم طريقة معالجة بيفن لأزمة فلسطين قائلا إن «وزير الخارجية يحاول الآن أن يجعل من الجيش كبش الفداء». هدد مونتغمري - وفقا لروايته الشخصية - بالاستقالة والكشف عن الأسرار أمام مجلس اللوردات، وقد وصف تصرفه هذا بأنه «وضع الأمور في نصابها»، وكان كل من ألكسندر وأتلي مضطرا إلى الدعوة إلى عقد اجتماع آخر في مقر رئاسة الوزراء في السابع من شهر مايو.

على النحو الذي انتهت به الأمور، شعر مونتغمري ببعض السعادة، وذهب أتلي إلى أن مونتغمري أعطى اهتماما كبيرا «لجملة في سياق... نقاش»، وانتقد افتقار الجيش إلى معلومات محدثة، ومن جانبه ظل بيفن على موقفه بأنه كان على الجيش «ألا يفقد السيطرة على المنطقة المحيطة بحيفا، وأن يسمح بطرد مثل هذا العدد الكبير من العرب...». وطبقا لما أورده مونتغمري، انتهى الاجتماع بشكل ودي وجميع الحاضرين «يضحكون... لقد عالج أتلي الموقف بشكل رائع، وكان من المستحيل الغضب من إرني بيفن لمدة طويلة». ومع ذلك لم يتلق مونتغمري أي اعتذار. وظل كل من ستروكويل وماريوت (الأخير لمساندته الأول) في مرمى انتقادات وزارة الخارجية (360).

وإذا ما نحينا الشـجار داخل الحكومة جانبا، تمثلت النتيجة الرئيسـة لسقوط حيفا في تدخل بريطاني قوي في يافا سـعى إلى «التعويض» عن الـدور البريطاني المزعوم في حيفا واسـتعادة الهيبة والسمعة التي خسرتها بريطانيا في العالم العربي. فعندما وصلت إلى لنـدن الأخبار الأولى عن هجوم الإرغون عـلى يافا أصبح بيفن «في حالة هياج شـديدة... وأصدر تعليماته إلى رئاسة الأركان العامة الإمبراطورية... للنظر فيما يمكن عمله لعدم تمكين اليهود من احتلال يافا، أو لإخراجهم منها إذا ما كان الاحتلال قد تم بالفعل». وقد دفعته الخشية من تكرار ما تم فعله في حيفا إلى أن يسـلك طريقا جانبيا بدلا من القنوات الرسمية (وزير الدفاع والمفوض السامي) لمحاولـة دفع الجيش إلى التحرك (160). في السـابع والعشرين من أبريل أخطر الجيش البريطاني - الذي لم تكن لديه خطوط اتصال مع الإرغون - عمدة تل أبيب (يسرائيل روكاح) وجهاز اسـتخبارات الهاغاناه أنه ينوى «الإبقاء على يافا بأي ثمن، خاصة في ظل حقيقة استيلاء اليهود على حيفا».

وبدأ تحرك الجيش البريطاني بالفعل في اليوم التالي، حيث دخل 4500 جندي، ومعهم الدبابات إلى يافا، في حين حامت الطائرات النفاثة فوق الرؤوس وفجرت النيران، رست بعض السفن الحربية في المرفأ، كما قصفت مدافع الهاون مواقع الإرجون، وخلال المفاوضات الثلاثية التي ضمت البريطانيين، الهاغاناه، والإرغون، طالب البريطانيون بانسحاب الإرجون من المنشية. وتم التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن في الثلاثين من أبريل، وانسحبت بالفعل عناصر الإرجون بعد قيامها بتفجير مركز للشرطة المحلية، وسيطرت القوات البريطانية على المدينة. وقد ذكرت تقارير استخبارات الهاغاناه أن الإرغون ترك وراءه «جثثا عربية مشوهة بشكل كبير» (663)، وأن البريطانيين عمدوا إلى نهب المنازل المهجورة (644).

طبقا لما أورده بيغن، حاولت القوات البريطانية كبح النزوح الجماعي، فذكر:

لقد حاولوا تهدئة سكان بافا الذين أصابهم الرعب... وأعلنوا بشكل متكرر
أنهم سيدافعون عن بافا بكل قوتهم العسكرية. غير أن كل جهودهم للتهدئة
باءت بالفشل... ولم بكن هناك ما يمكنه منع الإجلاء التام للمدينة (365).

مثلت عملية «حاميتز» أحد الأسباب لعدم نجاح البريطانيين، فقد تضمنت العمليـة هجوم الهاغاناه - خلال الفترة من 28 إلى 30 أبريل - على سلسلة من

القسرى شرقي يافا، بهدف السيطرة على: اليهودية، كفر عانة، ساقية، الخيرية، سلمة، يازور، بيت دجن، فضلا عن قرية تل الريش، التي وفرت ليافا وصلة إلى الأراضي العربية الداخلية إلى الشرق اللد والرملة. وطبقا لأمر الاستعداد الصادر عن رئاسة أركان الهاغاناه كان هدف العملية هو «أستكمال تطويق وعزل يافا وفتح الطريق أمام القوات اليهودية إلى اللذ»، ولم يكن هناك أي نص واضح حول المعاملة المتوقعة لسكان تلك القرى في الأمر الصادر، والذي تحدث فن «تنظيف المنطقة» (366). في المقابل نص الأمر التنفيذي النهائي على أن «يُسمح بالرحيل للسكان المدنيين في المناطق التي يتم الاستيلاء عليها، بعد تفتيشهم بحثا عن الأسلحة»، وحذر الجنود من إلحاق الأذى بالنساء والأطفال «بقدر الإمكان»، ومن السلب و «الأعمال غير الملتزمة، والسرقة، والإضرار بدور العبادة»، على أن ينقل السجناء إلى مقر رئاسة اللواء (367).

خلال الفترة من 28 \_ 30 أبريل اســتولت الهاغاناه على الخيرية، ســاقية، سلمة، ويازور، وقد تم الاستيلاء على الثلاثة الأولى من دون قتال. وأرجع جهاز استخبارات الهاغاناه عدم المقاومة من قبل السكان إلى سابق هزيمة الجيوش العربية في طبريا، وحيفا، ورمات يوحنان، ومشمار هعيمك، قاتلة: «من الجلي أن العرب ليست لديهم أى رغبة في الحرب... وأنهم سيكونون مستعدين للعودة إلى قراهم وقبول الحماية اليهودية»(368). أما فيما يخص اليهودية وكفر عانة فلم تهاجَما، كما أنه تم الاســتيلاء على تل الريش لفترة قصيرة والتخلي عنها نتيجة لهجوم مضاد. وقد أصيب السكان في جميع القرى (ما في ذلك اليهودية وكفر عانة)<sup>(369)</sup> بالذعر، وفروا مع اقتراب قوات الهاغاناه أو فور بدء إطلاق النار، ففي الخيرية وجدت الفرقة 32 رفات أربعة رجال وثلاث نساء وبادرت بدفنهم، كما احتجزت لفترة قصيرة حفنة من الرجال والنساء والأطفال(370). وأعدم على الفور اثنان من الذكور البالغين الذين تم احتُجزوا لاتهامهم بقتل أحد عناصر الهاغاناه(371). وعندما زار بن غوريون قرية سلمة في 30 أبريل لم يجد هناك «سوى امرأة عجوز عمياء»(372). وبعد مرور يوم أو اثنين قام بعض شباب العصابات من حي هاتيكفا في تل أبيب بحسرق العديد من المباني بها (373)، أما فيما يخسص يازور فقد خرجست منها الهاغاناه تحت ضغسط البريطانيين، ولكن بعد زرع الألغام في مبانيها وأزقتها<sup>(374)</sup>.

نسبت كل من الإرجون والهاغاناه الانهيار السريع لمقاومة المناطق الريفية المحيطة بيافا، وهروب سياكني القرى، إلى هجوم الإرغون على المنشية، وما ترتب عليه من كسر الروح المعنوية لسيكان يافا ونزوحهم الجماعي. بدوره، زاد سيقوط هيذه القرى من إضعاف الروح المعنوية لدى السيكان المتبقين في المدينة، والذين تيراوح عددهم بين 15 ألف شيخص و 25 ألفا(375). فقد كانيت يافا معزولة تماما، وتلاشيت أي إميكان لأي دعم عربي. في وقت لم يعد مين الممكن فيه الاعتماد على الضواحي الريفية التي كانت تمدها بالطعام (376).

سادت حالة من الارتباك في يافا. وفضلا عن وجود لواء من القوات البريطانية، وصلت عناصر غير نظامية من الرملة وقامت، وفقا لما تردد، بالعمل على كبح جماح النزوح الجماعي أو على الأقل بين صفوف الشباب في سن القتال (377). وفي الثامن من شهر مايو أو قبل ذلك بقليل أمرت اللجنة العربية العليا موظفي البلدية بالبقاء في أماكنهم (378). غير أنه في ذلك الوقت كان رجال المليشيات يفرون (379)، والقادة المحليون يتفاوضون مع البريطانيين لترتيب إجلاء بعض السكان المتبقين «بحرا إلى بيروت». طلب آخرون المساعدة البريطانية في المغادرة عبر المناطق التي توجد بها قوات الهاغاناه، الأمر الذي وافق عليه قائد لواء إسكندورني، دان إيفن، مما أسفر عن مغادرة الآلاف (380). أدرك الجميع أن الوجود البريطاني كان أمرا مؤقتا، وذكر كانينغهام: «نحن في موقف ضعيف إذا ما حاولنا ثني الأهالي عن الجلاء، حيث لا يمكننا ضمان سلامة العرب بعد أسبوعين في حال شننا عملية مضادة ضد اليهود» (381).

بحلول الثامن من شهر مايو كانت يافا مدينة أشباح تقريبا، مع وجود قوافل من السكان ترحل بشكل يومي، وكانت السيطرة على شوارعها للجنود البريطانيين ورجال جماعات المليشيات الذين يقومون بعمليات نهب. قامت عصابات بسرقة المخازن، عادة بعد رشوة الحراس البريطانيين (382). ولم يبق في المدينة سوى خمسة آلاف ساكن من بينهم العديد من «المرضى، والفقراء، والمعاقين، وكبار السن» (383). وقد قدم ضابط استخبارات في لواء كيرياتي صورة بليغة للمدينة التي تحتضر:

سادت الفوض والانهيار مدينة يافا. هرب العمدة [هيكل] من المدينة. أغلقت كل الإدارات البلدية والبنوك والمستشفيات الحكومية... كما تم إخلاء مبانى المحكمة. شغلت قوات الجيش البريطاني مكاتب البريد، في حين استمرت

عمليات السلب والنهب، وعمدت عناصر غير نظامية - عراقية فيما يبدو - بكسر أبواب المحال وسرقة الطعام من منطقة الميناء. وبدا أن الجنود [البريطانيين] يشاركون كذلك في عمليات السلب. تناقصت إمدادات الطعام والوقود (384).

كتب كانينغهام في الاتجاه نفسه: «كل المستشارين وأعضاء اللجنة الوطنية تقريبا فروا». ومن الواضح أن الأعيان المثقفين كانوا يأملون أن يسيطر اليهود ويعيدوا النظام، غير أنهم خشوا الإفصاح عن ذلك علنا (385). ومن جانبه، كتب غر الخطيب أن فرقة اللجنة العربية العليا التي وصلت نهاية شهر أبريل بقيادة ميشيل عيسى، «تصرفت كأن المدينة ملكها، وشرعت في سرقة السكان ونهب منازلهم، وأضحت حياة الناس بلا قيمة، ولوث شرف النساء، وقد شجع كل ذلك العديد من السكان على الرحيل...» (386). وقد اختتم كانينغهام تحليله بقوله: «إن ما حدث في يافا كان نتيجة لعمل عسكري سابق لأوانه حُذر العرب منه بشكل متكرر، حيث إن مثل هذا العمل العسكري من جانبهم لم يكن ليسفر إلا عن إضافة مزيد من المعاناة للعرب في فلسطين...» (387).

في الحادي عشر من شهر مايو كتب العمدة هيكل من غرفته في فندق فلادليفيا في عمان طالبا من البريطانيين منع احتلال اليهود ليافا (888). غير أنه في اليوم السابق كان لـواء كرياتي قد أصدر أمر الاسـتعداد لـ «عملية درور»، بما يعنيه ذلك من الاسـتيلاء الوشـيك على المدينة - متضمنا تعليمات تفصيلية تتصل بفرض حظر التجوال، تفتيش السكان الباقين مع إمكان تجميعهم في حي أو اثنين، اعتقال المقاتلين السابقين، منع السلب، وحماية دور العبادة (889). في الثاني عشر من شهر مايو انتقل أعضاء «لجنة طوارئ عرب يافا» (أمين أندروس، صلاح الناظر، أحمد أبو لبان) إلى تل أبيب، حيث التقوا ضباطا في لواء كرياتي لتمهيد الطريق للسـيطرة اليهودية ومناقشة شروطها. وقد وعدهم قائد اللواء (ميخائيل بن جال) بأن الاحتلال سيكون خفيف الوطأة، وأنه لن تكون هناك «محاكمات عسـكرية أو أعمال انتقامية»، وأن الهاغاناه سـتقتصر على القبض على الأشـخاص الذين يمثلون تهديدا للسـلام، وقد سـأل أندراوس: «ما مصير أولئك الذين غادروا يافا أخـيرا ويرغبون في العودة، هل سـيتم السـماح لهم بذلك؟»، وأجاب بن غال: «اتفقنا على أننا سـنبحث طلب كل مواطـن من يافا يرغب في العودة بالتنسـيق معهم [لجنة الطوارئ]، وبما يتفق مع مواطـن من يافا يرغب في العودة بالتنسـيق معهم [لجنة الطوارئ]، وبما يتفق مع مواطـن من يافا يرغب في العودة بالتنسـيق معهم [لجنة الطوارئ]، وبما يتفق مع

السجلات البلدية (التي تثبت أن الشخص المعني كان بالفعل من سكان المدينة، وفي حال عدم وجود أي سبب خاص لاعتباره خطرا فإنه لن يُعنع من العودة...» (690). وخلال اجتماع المتابعة الذي عقد في اليوم التالي كرر بن جال تأكيده: «إننا نرغب في مساعدة سكان يافا الراغبين في العودة، لكن في هذا الخصوص ستكون هناك حاجة إلى اتخاذ بعض الترتيبات حتى يكونوا قادرين على العودة، وقد تمثل مضمون الاتفاق في أن السكان سيكونون قادرون على العودة...» (691). وفي الاتفاقية التي تم التوقيع عليها تعهد بن غال بالتزام الهاغاناه «باتفاقية فينا وجميع قوانين وأعراف الحرب»، ووافق الموقعون من الطرف العربي على «التعليمات» التي كان اللواء على وشك إصدارها، تحت عنوان: «تعليمات إلى السكان العرب من قائد الهاغاناه ومعاقبة كل من لا يمثل لذلك، تفتيش جميع الذكور البالغين، اعتقال «المجرمين وأولئك المشكوك في كونهم يمثلون خطرا على السلم». وأخيرا ذكر بن غال أنه سيتم بحث كل حالة على حدة بالنسبة إلى البالغين من الذكور الذين يرغبون العودة، بما يتضمنه ذلك من إمكانية عودة الأطفال والنساء إلى يافا من دون حاجة إلى تقصّ أو بحث (602).

في الثالث عشر من مايو أصدر لواء كرياتي أمر التنفيذ لعملية درور (393)، وفي اليوم التالي بادرت وحدات الهاغاناه - بصحبة قوات رمزية من الإرغون - باحتلال يافا في عملية انتشار منظمة، وأصدر كرياتي أمرا خاصا أوضح أن «يافا تقريبا خالية من السكان، وقد وعدنا بتمكين السكان من العيش في سلام واحترام، وعلى كل منا الالتزام بهذا الوعد» (394)، وأعقب ذلك تعيين إسحاق شيزيك حاكما عسكريا، وأجرى بن غوريون زيارة للمدينة علق خلالها بقولة: «لا أستطيع أن أفهم: لماذا رحل السكان؟» (395).

بذل شيزيك قصارى جهده لحماية السكان - حيث أُجري حصر سريع لهم وتسجيل ما يقرب من 4100 فرد - من القوات المحتلة: فوضع حراسا خارج المباني العامة، ونظم دوريات للشرطة العسكرية، وأمر بتأمين المنازل والمحال، التي تم تفتيشها، من أعمال السلب والسرقة. غير أن الأيام التالية شهدت قدرا كبيرا من المضايقات وبعض الأساليب القاسية تجاه أفراد الشعب المحتال، الذين جرى

إخراجهم عنوة وتفتيشهم وتجميعهم في منطقة أو منطقتين خلف أسيجة من الأسلاك الشائكة، وسُرقت ممتلكاتهم. كما أكره الجنود، لفترة قصيرة، السكان على ممارسة أعمال من دون مقابل (396).

في الخامس والعشرين من شهر مايو عُثر على جثث خمسة عشر رجلا أطلق الرصاص عليهم في حي جباليًا بالقرب من المياه، وكان في حوزة أربعة منهم هويات صادرة من مكتب الحاكم العسكري، وهو ما يدل على أنهم - كلهم - قُتلوا بعد دخـول الهاغاناه المدينـة. وقد قرر الأطباء الذين فحصـوا الجثث بعد مرور يومين أن النار أطلقت عليهم قبل ذلك بنحو أسبوع (397). وفي ليلة 14 - 15 أبريل، أقدم جنديان في الهاغاناه على اغتصاب فتاة تبلغ من العمر 12 عاما<sup>(398)</sup>. كما كانت هناك أيضا محاولات عديدة للاغتصاب. وانتشرت عمليات السلب المنظمة أو الفردية على يد قوات الهاغاناه والإرغون ومواطنين تسللوا من تل أبيب، في حين كانت هناك سرقات على الطرق من قبل قوات الدوريات اليهودية (بما في ذلك سرقة الساعات، والحلي، والنقود، وغيرها)، وشاعت عمليات سرقة الممتلكات. وبشكل عام اشتكى العـرب من أنهم «تجري مضايقتهم على نحو متواصل» (399). بلغت عملية السـلب والنهب حدا سيئا دفع شيزيك لمناشدة بن غوريون التدخل على نحو مباشر، وقد أمر الأخير في الثاني والعشرين من مايو الإرغون والهاغاناه بطاعة تعليمات شيزيك (400). وأعلن زيفي أورباخ (ضابط رفيع المستوى في كرياتي) أنه بريء من المسؤولية عن الممتلكات في يافا(401). وذكر أحد المسـؤولين في الخامس والعشرين من مايو ما يلى: «تجولت طوال اليوم في الشوارع... ورأيت جنودا ومدنين، وشرطة عسكرية، وشرطة الوحدات تسرق وتنهب بعد قيامها بتحطيم الأبواب والجدران...»(402).

بعد أيام قليلة تمكن شيزيك من رفع تقرير عن تحسن الأوضاع: تقلصت عمليات نهب الأفراد بشكل كبير على الرغم من استمرارها بالنسبة إلى المؤسسات المرخص لها(403). وقد كان هناك كثير من هذه العمليات إلى الحد الذي حدا رئيس هيئة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، دوري، على أن يكتب إلى بن غال في الثالث والعشرين من شهر يونيو: «أريد أن أعلم بشكل واضح: هل يمكننا أن نضع الأمور في نصابها في يافا أم لا؟ يجب علي التوصل إلى نتائج في هذا الخصوص»، وأمهله يومين للرد(404).

يذكر أنه قبل ذلك بشهر أخبر ضابط رفيع المستوى في قوات الدفاع الإسرائيلية (مـن الممكـن أن يكون بن غال) منـدوب الصليب الأحمر أنـه على علم بجميع «الحـوادث» التـي وقعت بما في ذلك الاغتصاب، وأكد له أن المسـؤولين عن ذلك قدموا إلى المحاكمة، مضيفا أن هذه هي الحرب الرابعة التي يشـارك فيها، وأن ما حدث في يافا، بالمقارنة بالأشـياء الفظيعة التي رآها في أماكن أخرى، كانت «بمنزلة الجنـة» (405). ولكـن لم تُعقد سـوى محاكمات قليلة، إن كانت قـد عُقدت أصلا. وفي الحادي والعشرين من يونيو، اشـتكي شـيزيك من أنه «على الرغم من تعدد الحالات التي قبض فيها عـلى الجنود وهم يسرقون... لم أتلـق حتى الآن تقريرا واحدا يتضمن حكما على أي منهم». من الواضح أن شـيزيك كان على اقتناع بأن أحدا لم يتعرض للعقاب (406).

على الرغم من تحسن الوضع تدريجيا في يافا، ظل العرب الباقون معرضين للسلب والنهب من قبل الجنود غير الملتزمين بالنظام. وعلى مدار أسابيع، بدا أن المجرمين الرئيسيين كانوا من أفراد البحرية. ومع حلول نهاية شهر يوليو كان الحاكم العسكري في يافا لايزال يشتكي على نحو متكرر من اقتحام جنود البحرية منازل عديدة واعتدائهم بالضرب على مالكيها قبل أن يقدموا على سرقتهم (407). بعد ذلك بأيام قليلة اقتُحمت كنيسة كاثوليكية، وسرقت منها مشغولات فضية وصلبان. وعندما علمت رئاسة الأركان بذلك أمرت بتعقب الجناة ومعاقبتهم «بقسوة» (408). وبالفعل، ألقي القبض على أهانية عشر من جنود البحرية وعُثر على بعض المسروقات (409). وبدا أن مضايقات سكان يافا وسرقة ممتلكاتهم قد انتهت في شهر أغسطس.

# المدن الصغيرة

في السادس عشر من أبريل أخلت القوات البريطانية صفد، كما جلت عن ريش بينا المجاورة في الثامن والعشرين من الشهر ذاته. وفي الحادي والعشرين من أبريل - عقب ثلاثة أيام من النزوح الجماعي من طبريا - وصل قائد قوات البالماخ، آلون، لتقييم الموقف. وفي اليوم التالي أوصى كلا من يادين وغاليلي بشن سلسلة من العمليات، بما يتماشى مع الخطة دالت، بغية تقوية المنطقة للتعامل مع الغزو

العربي المتوقع. كما أوصى «بالضغط على بيت شيان العربية [بيسان] لزيادة عملية الهروب منها... والضغط على صفد العربية للإسراع من عملية إجلائها». وكلتاهما كانت مدينة حدودية حساسة (تقع بيسان على بعد خمسة كيلومترات من الأردن، وصفد على بعد اثني عشر كيلومترا من سورية)، ولم يرغب آلون في الإبقاء على مراكز تجمع سكانية عربية فيما وراء المناطق التي ستصبح الخطوط الأمامية لجهاز استخبارات الهاغاناه (410).

#### صفد

فور تقديمه توصياته عُينً آلون قائدا للحملة المكلفة السيطرة على الجليل الشرقي، والتي حملت الاسم الرمزي: عملية يفتاح. ومثّل الاستيلاء على الجزء العربي من صفد العنصر الرئيسي في الحملة. وضمت صفد ما بين 10 آلاف و 12 ألف عربي أغلبيتهم من المسلمين و 1500 يهودي، وهي أقدم مراكز المشناه والكابالا (\*)، وكانت القاعدة الرئيسية في الجليل الشرقي لجيش الإنقاذ ومناهضة الصهيونية (411).

من الناحية العسكرية كان عرب صف ضعفاء وغير منظمين وقد وصف كشافة البالماخ في نوفمبر 1947 سكان المدينة بأنهم منفعلون، ساد عليهم «الخوف من اليهود»، والأكثر تعليما بينهم كانوا «مكتئبين» (413). كان لوضع المدينة داخل الدولة اليهودية وفقا لقرار التقسيم أثر موجع على معنويات ساكنيها. ومع ذلك قام أنصار الحسيني بعمليات عنف. ففي الثالث عشر من ديسمبر 1947، أطلقوا النار على نسيم ميزراحي، رجل استخبارات الهاغاناه، في السوق العربي وأردوه قتيلا. وقد ردت الهاغاناه بقتل ثلاثة من العرب (414). وخلال الأشهر التالية كان هناك تبادل متقطع لإطلاق النار، وهجامات للهاغاناه على المناطق الريفية المحيطة بالمدينة. وفي ليلة 2 - 3 يناير فجرت البالماخ دار صبحي الخضراء، القائد المحلي الموالي للحسيني (415).

تولى قيادة مليشيا المدينة إحسان كم الماز، ضابط سوري ملحق بجيش الإنقاذ. وفي منتصف أبريل 1948 حل محله ساري فنيش ونائبه أمين الجميعان (الاثنان ضابطان أردنيان في جيش الإنقاذ). وعلى الرغم من معاناة المجتمعين (العربي

<sup>(\*)</sup> المشناه هي مجموعة الشرائع والشروح التي تتناول أسفار العهد القديم، والكابالا هي أحد المذاهب اليهودية لتفسير الكتاب المقدس. [المحررة].

واليهودي) في صفد بسبب العزلة والحصار لم يكن هناك نقص في الغذاء، واستمرت الحياة المدنية بوتيرة عادية. كما لم يكن هناك هروب ملحوظ للسكان قبل أواخر شهر أبريل (416).

أجلت القوات البريطانية قاعدتيها في المدينة، وسلمتهما إلى العناصر غير النظامية في السادس عشر من شهر أبريل، وهاجمت الأخيرة الحي اليهودي، غير أنها منيت بالهزية. وتلا ذلك إلقاء الهاغاناه قنبلة من طراز «ديفيدكا» داخل المنطقة العربية أسفرت عن مقتل «13 من العرب أغلبهم من الأطفال». ولد ذلك حالة من الذعر والحزن (114). وخلال الفترة من 16 - 18 أبريل بدأت كل من البالماخ وجيش الإنقاذ في دعم وتقوية كلا الطرفين اللذين استمرا في تبادل إطلاق النار. كما شهدت تلك الفترة اندلاع خلافات بين جيش الإنقاذ وضباط المليشيا المحلية حول مناطق الرعي، مما دفع بالعديد من المتطوعين السوريين والأردنيين إلى الرحيل في الأيام التالية (118). وربحا أسفرت تلك الخلافات عن هروب بعض المدنيين، وقد هدد أحد قادة جيش الإنقاذ بمصادرة ممتلكات وتدمير منازل الفارين (119).

بدأت المعركة النهائية في الأول من شهر مايو عندما استولت الكتيبة الثالثة للبالماخ على القرى المجاورة: عين الزيتون، وبيريا، مغلقة بذلك الطريق إلى المدينة من الناحية الشهالية، ومخففة بشكل جزئي من الحصار المفروض على الحي اليهودي. في العام 1929 أقدم القرويون من عين الزيتون على قتل العديد من المستوطنين في عين زيتم (على المجاورة، وكانوا مع أقرانهم في بيريا (420) ناشطين في أحداث 1936 - 1939 ألمجاورة، وكانوا مع أقرانهم في بيريا (420) ناشطين في أحداث 1936 - 1939 ألمجاورة وفي ليلة 2 - 3 يناير 1948 أغارت الهاغاناه على القرية وفجرت العديد من المنازل وقتلت عددا من العرب (422). وكان يتم استخدام عين الزيتون قاعدةً للهجمات ضد وسائل النقل اليهودية وعين زيتم، ولم تعمل المليشيا العربية في صفد (التي تراوح قوامها بين 700 و 800 فرد) أي شيء لمساعدة القريتين خلال هجوم الأول من مايو.

كما جرت عليه العادة، بدأ الهجوم على عين الزيتون في الصباح الباكر بإطلاق كثيف لقذائف الهاون تلاه هجوم سريتي مشاة. وخلال ساعة، أصبحت «قرية

<sup>(\*)</sup> عـين زيتـم تعني عين الزيتون في اللغة العبرية، وهي مسـتوطنة بنيت بالقرب مـن القرية العربية «عين الزيتون» واتخذت اسمها. [المحررة].

القتلة تحت سيطرتنا»، كما ذكر القائد العسكري اليهودي في صفد. وفي حين تمثلت خسائر البالماخ في هذا الهجوم في قتيل وستة مصابين، فإنها تمكنت من القبض على 300 شخص (423). وفي الوقت ذاته قامت سرية أخرى بالاستيلاء على بيريا. وعلى الرغم من فرار بعض سكان عين الزيتون خلال القصف، فإن العديد من النساء والأطفال لزموا أماكنهم، وجرى بعد ذلك تجميعهم وطردهم مع إطلاق النار في الهواء لحثهم على إسراع الخطى (424). وعندما حاول عدد من القرويين العودة إلى عين الزيتون في اليوم التالي - ربما لنقل ممتلكاتهم الشخصية - أُطلقت النار عليهم، مما أسفر عن مقتل أحدهم وفرار الآخرين (425).

ذكر أحد تقارير القيادة العامة لعملية يفتاح أن «30 سبعينا عربيا سُلموا إلى ليواء غولاني» (426). ولكن بعد مرور يوم أو اثنين، وبناء على أوامر من قائد الكتيبة الثالثة موشي كيلمان، فتح جنديان من البالماخ النار على عدة عشرات من السجناء، من في ذلك شباب صغار السن من عين الزيتون، وذلك في المنطقة الواقعة بين عين الزيتون وصفد (427).

خلال ليلة 1 - 2 مايو، فجر خبراء المتفجرات التابعون للبالماخ، وحرقوا منازل في القرية. ووفقا لأحد المشاركين في هذه العملية (غافرييل كوهين المعروف بغابي) كان وراء ذلك هدف مزدوج: «تدمير قاعدة للعدو وإضعاف الروح المعنوية لسكان صفد»، الذين شاهدوا تدمير القرية عبر الوادي» (428). وقد نقل بليد أن عناصر البالماخ كانوا سكارى، وأعمتهم فرحة النصر، مما دفعهم إلى سرقة الممتلكات وتدمير المنازل. شعر يهود صفد ـ الذين شاهدوا ذلك من بعد ـ بالفرح، معتبرين الأمر انتقاما «مما فعله عرب عين الزيتون في يهود صفد وعين زيتم في 1929، و1936 - 1939 (429).

أصاب الاستيلاء على عين الزيتون وبيريا - الــذي فتح الباب أمام تعزيزات البالماخ على أبواب صفد - الروح المعنوية للســكان العرب بالمدينــة في مقتل. وقد كان هؤلاء أصلا مضطربين من جراء ســماعهم أخبار دير ياســين وســقوط طبريا ويافا العربيتين، فضلا عن عملية إجلاء الســكان من الجاعونة (الواقعة إلى الشرق) وغوير أبو شوشــة (في الجنوب الشرقي). وفي واقع الأمر غادرت العديد من العائلات البارزة ســواء قبل أو مباشرة بعد الأول من شهر مايو(430). في الثاني من مايو وصل الجانب الأكبر من الكتيبة الثالثــة التابعة للبالماخ إلى الحي اليهودي، وبدأوا على الفور بفتح نيران قذائف الهاون

على الأحياء العربية: «سيطر الذعر على سكان صفد، وبدأت طوابير طويلة من العرب في مغادرة المدينة باتجاه قرية ميرون»، وشرقا نحو نهر الأردن (431). في ذلك اليوم أعلن راديو الهاغاناه، قبل الأوان، أنه «تم إخلاء صفد من قبل السكان العرب». لاحظت الاستخبارات البريطانية كذلك بداية الإخلاء، ناسبة إياه إلى التدهور العام في الروح المعنوية الذي ولده سقوط طبريا وحيفا العربيتين (432).

وقع أول هجوم بري من قبل البالماخ على صفد العربية في السادس من مايو. وعلى الرغم من فشل الكتيبة الثالثة في الاستيلاء على الهدف الرئيسي، المتمثل في القلعة التي تهيمن على الأحياء العربية، فإنه «أرهب» السكان بدرجة كافية لتوليد المزيد من عمليات الفرار، كما تصاعدت المناشدات العاجلة للحصول على مساعدة خارجية، وبُذلت مساع للتوصل إلى هدنة. غير أن آلون رفض العرض (433). وعلى الرغم من نجاحهم، كان رجال المليشيا العرب والسكان في حالة من «الذعر» (434).

أثار مأزق صفد العربية موجات من الاحتجاج في العالم العربي، ووصف عزام باشا بدقة هدف الخطة دالت - التي كانت عملية يفتاح جزءا منها - بقوله:

كان اليهود يتبعون خطة شديدة الوضوح والقسوة... حيث إنهم يقومون الآن بدفع السكان خارج القرى العربية على امتداد الحدود السورية واللبنانية، خاصة الأماكن الواقعة على الطرق التي يمكن للقوات النظامية العربية أن تدخل منها إلى البلاد. وتعرضت كل من عكا وصفد على وجه الخصوص بشكل كبير لخطر الاحتلال اليهودي. وكان من الواضح أنه إذا ما استمر ذلك الأمر فإن الجيوش العربية ستواجه صعوبة كبيرة لمجرد دخولها فلسطين بعد 15 مايو (435).

وبادر السوريون بتحذير برودميد من أن:

الموقف في صفد يائس، وإن لم يحدث تدخل بريطاني فوري فستكون هناك دبر ياسين ثانية... وفي حالة وقوع مذبحة ستُنتقد سورية في جميع أرجاء العالم العربي لعدم تدخلها (436).

تبع برقية الوزير السوري رد من لندن شابه ذلك الذي حدث عقب هجوم الإرغون على يافا. وعمد وزير المستعمرات كريتش جونز - بعد مشاورات مفترضة مع بيفن - إلى الترخيص لكانينغهام بالتدخل عسكريا للحيلولة دون انتصار اليهود:

تشعر الدول العربية بقلق كبير إزاء إمكان وقوع كارثة، وأنه من الأهمية بمكان بالنسبة إلى علاقاتنا معهم أن نتجنب وقوع أي شيء من هذا القبيل. إن حدوث ذلك من شأنه أن يفتح الباب بالتأكيد أمام دخول قوات الدول العربية إلى فلسطين قبل نهاية الانتداب. وإذا رأيتم منع ذلك، فإنكم مخولون (مع القائد العام للعمليات) باستخدام كل الوسائل العملية، بما في ذلك الضربات الجوية لإعادة الموقف إلى ما سبق (437).

غير أن هجوم الهاغاناه فشل، ولم يتدخل البريطانيون.

كما لم يتدخل البريطانيون - قبيل أقل من أسبوع من نهاية الانتداب - ضد الهجوم الثاني والنهائي الذي استهلته الهاغاناه، بدءا من مساء التاسع من مايو، بقصف كثيف بقذائف الهاون على المواقع الرئيسية. وبعد مرور عدة ساعات - في صباح العاشر من مايو - استولت الكتيبة الأولى التابعة للبالماخ على قرية عكبرة (على بعد 2.5 كيلومتر جنوب المدينة. وكان أغلب القرويين قد فروا منها بالفعل متأثرين بالأخبار عن دير ياسين وسقوط عين الزيتون (438). كانت العملية مصممة لمنع وصول التعزيزات إلى صفد من الجنوب، فضلا عن «خلق شعور بين عرب صفد بأنهم على وشك محاصرتهم، ولن يكونوا قادرين فيما بعد على الفرار». وقد عمدت البالماخ إلى تفجير القرية (438).

مـها لا شـك فيه أن سـقوط وتدمير عكبرة كان لهما كبير الأثر في نسـف الروح المعنوية في صفد - كما كان كذلك شـأن الإطلاق الكثيـف لقذائف الهاون. وقد اعتقد بعض السـكان بالفعـل أن قنابل «ديفيدكا»، المصنعة من قبـل الهاغاناه، كانت قنابل «نوويـة» بسـبب الضوضاء الكبيرة التي تحدثها والوميض الكبير عند انفجارها، فضلا عـن قوة القصف غير المعتادة تلك الليلة واليوم التالي (440). وقكن مشاة البالماخ بعد القصـف، وفي أعقـاب معارك ضارية، من السيطرة على القلعة، وبيت شـلفا، ومركز الشرطـة، وهي المباني الرئيسية في صفد. وعـلى الرغم من الدعم الـذي قدمه جيش الإنقـاذ من خلال المدفعية المتمركزة في ميرون، بـدأت العناصر غير النظامية في الفرار. في حين استمرت الهاغاناه طوال يوم العاشر من مايو في قصف الأحياء العربية بقذائف الهاون (441)، محدثة «حرائق في منطقة السوق ومحطات البنزين التي انفجرت. خيمت الفـوضي على المدينـة وبدأ الهروب من جميـع أرجاء المنطقة العربية وسـط العويل

والـصراخ...». ونقل مركز قيادة عملية يفتاح أنه عند الفجر رصدت طائرة استطلاع تابعـة للهاغاناه «آلاف اللاجئين متجهين على الأقـدام إلى ميرون، فضلا عن تجمع عدة مئات من اللاجئين بالقرب من عين تينا غربي صفد» (442). وبعد ذلك بفترة وردت تقارير عن أن بعض القادة «نصحوا» السكان بالفرار (423). وذكر آلون أن البالماخ «تركت عن عد طرق الخروج مفتوحة للسكان «لتسهيل» نزوحهم الجماعي... وشكل الـ 12 ألف لاجـئ (طبقا لبعض التقديـرات15 ألفا) عبئا ثقيلا على المجهود الحـري العربي» (444). ووفقا لأحد التقارير تقدم طابور تعزيزات مكون من 120 عنصرا تابعين لجيش الإنقاذ باتجـاه صفـد، وقابل في طريقه موجة السـكان الراحلين «محملين بالأمتعة، والنساء يحملن أطفالهن بين أذرعهن، البعض سيرا على الأقدام والبعض الآخر على ظهور الحمير والبغـال». ولم يكن من شـأن هذا اللقاء أن يرفع من روح القـوات المعنوية، ونقل أن أغلبهـم فر من صفد بعـد الوصول (445). ومن جانبها، قامـت الهاغاناه بإلقاء عدد من ألقنابل من طائرة استطلاع، كما أطلقت سلسلة من قذائف الهاون على جموع اللاجئين أو بالقرب منهم، ليسرعوا الخطى (446).

في الحادي عشر من شهر مايو قامت قوات البالماخ بتأمين الأحياء العربية التي باتست خاوية وصادرت «الأسياء التي يمكن أن تكون مفيدة للوحدات المقاتلة»، وحصنت المنطقة ضد من ينوون القيام بعمليات سلب (447). وفي تلك الأثناء خرج يهود صفد، «ثملين بالبهجة، يرقصون ويغنون في الشوارع» (448).

شكل غياب أو/ وفرار قادة المليشيا سببا رئيسيا في انهيار المقاومة العربية والنزوح الجماعي. ففي الحادي عشر من مايو اشتكت العناصر غير النظامية الفارة من «خيانة قادتهم الذين فروا في بداية المعركة (۴49). وقد كان فنيش وكم الماز على خلاف لأسابيع. وفي الفترة من 2 ـ 8 مايو كان الجميعان في زيارة لكل من دمشيق وعمان. وفي التاسع من مايو انسحب فنيش (الذي كان ضابطا سابقا في الجيش العربي وطرد من وظيفته بتهمة الاختلاس وجنده الجيش العربي بعد ذلك) (۴50) وغادر بدوره إلى دمشق بناء على تعليمات من الملك عبد الله. وقد أخبر الجميعان لدى عودته سكان المدينة أنه تلقى أوامر بسحب المتطوعين الأردنيين نظرا إلى كون صفد في منطقة السيطرة السورية – اللبنانية. وأقدم بالفعل على الانسحاب في الواحدة من صباح العاشر من مايو، أي قبل ساعات من الهجوم النهائي من قبل

البالماخ. والأكثر من ذلك لم يكن أديب الشيشكلي (قائد الكتيبة الإقليمية) في المدينة خلال المعركة، شأنه في ذلك شأن كم الماز، حيث تبين أنهما غادرا قبل الأول من شهر مايو(451).

خللال تطهيرها الأحياء العربية عثرت قوات البالماخ على ما يقرب من ماثة مسلم «متوسيط عمر ثمانين عاما»، وقد أوضح الحاكم العسكري الذي تم تعيينه في صف (أفراهام هانوخي من كيبوتس أيلت هاشاهار) أنهم طُردوا إلى لبنان في أواخر الشهر (452). ولم يبق سوى 34 - 36 مسيحيا ميزوا أنفسهم عن «العرب الذيــن هاجروا»، وطالبــوا بالبقاء تحت الحكم اليهــودي(<sup>453)</sup> رافضين التزحزح من موقعهم(454). غير أن جهاز استخبارات الهاغاناه رأى في ذلك مخاطرة استخباراتية، وأوصى بنقلهم إلى حيفا(455). وفي الثالث عشر من شهر يونيو نُقلت تلك البقية الباقية من المجتمع العربي في صفد إلى حيفا وسُلموا إلى ديرين - «فتيات الإحسان للقلب المقدس» و«سيدات الناصرة» - وتحملت لجنة الشؤون العربية في يافا بعض نفقات إعاشتهم، وعلى الرغم من ذلك فقد أحدث هذا الملف منازعات بيروقراطية مع وزارة الخارجية التي طلبت أن يسمح جيش الدفاع الإسرائيلي لهم بالعودة إلى صفد لـ «تحسين علاقاتنا بالأقليات». كذلك كانت الوزارة قلقة من التأثير المحتمل للطرد في العلاقات مع الكنائس. غير أن الجيش رفيض (456). وعلى غير عادته أصر شيرتوك على موقفه. وفقا لما نقله معاونه، يهوشافات هاركابي، فقد تمثل موقفه في أنه على حين ترفض إسرائيل بشكل مطلق «عودة العرب اللاجئين من خارج إسرائيل، يجب علينا أن نتصرف تجاه العرب في داخل الدولة باعتدال أكبر؛ حيث إنه في ضوء ذلك سـتُختبر قدرتُنا على حكم أقلية عربية». طالب شيرتوك - الذي حظي بتأييد وزارة شؤون الأقليات - بالسماح على الأقل لعدد من المسيحيين بالعودة (457). بيد أن الجيش ظل متمسكا موقفه الرافض على خلفية بدء توطين اليهود الجدد المهاجرين في المناطق المهجورة. وبقيت مجموعة صفد في حيفا، واستمر تقديم الخدمات الاجتماعية لهم من قبل البلدية والعرب المحليين والأديرة. ومن بين أفراد هذه المجموعة كان هناك ثلاثة في الثمانينيات وستة في السبعينيات من أعمارهم. وبحلول ربيع العام 1949 كانوا قد قضوا نحبهم، ووُضع خمســة في مستشفيات، في حين أصيبت سيدتان بحالة من العته وفقا لما أورده ماريوت (458).

# مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

أضعف سـقوط صفد بشكل كبير الروح المعنوية في المناطق الداخلية المحيطة؛ حيث نقل جهاز اسـتخبارات الهاغاناه أنه في اليوم التالي قرر سـكان كل من الرأس الأحمـر، الجش، صفصاف، طيطبا، قدِّيتا، وسعسـع «هجر قراهم إذا ما استسـلم العرب في صفد» (459).

# بیسان (بیت شیان)

اعتبرت هيئة أركان الهاغاناه وادي بيت شيان، الذي توجد مدينة بيسان في قلبه وتضم 5 آلاف نسمة (وهو الموقع التوراتي حيث قام الفلسطينيون بعرض جثة الملك شاوول بعد هزيته ومقتله في جبل جلبوع) (\*\*) - اعتبرتها نقطة محتملة لدخول القوات الأردنية الغازية لفلسطين. وعكست توصيات آلون في الثاني والعشرين من أبريل، والتي قضت بالاستيلاء على المدينة ومضايقة سكانها حتى يفروا، تفكير الهاغاناه في عشية الغزو، وتماشت مع الخطوط العريضة للخطة دالت. كذلك كان هناك ضغط قوي من قبل المستوطنات المحلية لطرد العرب من المدينة وضواحيها. ففي الرابع من مايو جاء وفد من مستوطني وادي بيت شيان ومرج ابن عامر إلى تل أبيب، لإقناع قادة اليشوف بالتحرك في اتجاه بيسان. وخلال أحد الاجتماعات حذر الوفد من أن قوات الجيش العربي قد دخلت المدينة وتقوم بتحصين مواقعها. وحث المستوطنون يوسف ويتز على الضغط على الهاغاناه لشن الهجوم. ووافق الأخير على ذلك قائلا: «إن تفريغ الوادي من العرب مُدرج على جدول الأعمال». وفي تلك الليلة تحدث ويتز إلى شكولنيك الذي من العرب مُدرج على خرورة بدء الهاغاناه في الهجوم (60%).

كانت المدينة مُحاطة من كل الجهات بمستوطنات يهودية. وخلال شهري مارس وأبريل كانت السيارات العربية المتجهة إلى بيسان تُمنع من المرور في أغلب الأوقات، كما قُطعت خطوط الهواتف والكهرباء من وقت لآخر. ومع بداية شهر مايو بلغت أسعار الوقود أرقاما خيالية. كما كان لتخريب اليهود صهاريج المياه تأثير مربك.

شنت البالماخ غارة على بيسان في منتصف شهر فبراير دُمر خلالها العديد من المنازل (461)؛ وعقب ذلك أرسلت اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية أحمد الجيوسي لتنظيم المليشيا، وقد اشتكى في الثامن عشر من مارس من نقص الأسلحة

<sup>(\*)</sup> جبل فقوعة.

والذخيرة (462). ومن جانبه قاد إسماعيل الفاروقي (أحد موظفي الانتداب) قوة ضمت 60 من عناصر الشرطة. غير أن الجيوسي والفاروقي واللجنة الوطنية كانوا على خلاف دائم (463). وقد أدت الأخبار الواردة عن سقوط طبريا وحيفا العربيتين إلى حالة من النزوح الجزئي، فشلت اللجنة الوطنية في إيقافه. واستولت الهاغاناه على مركز شرطة غيشر، إلى الشمال، في السابع والعشرين من أبريل، مما زاد من إضعاف الروح المعنوية (464). ومنذ الثامن والعشرين من الشهر، عندما سيطر لواء غولاني على معسكر الجيش البريطاني القريب (واحتل رجال المليشيا العرب مركز شرطة المدينة) وضع الهاغاناه بيسان تحت حصار متقطع (465). ومن جانبه نجح جيش التحرير العسري في تدعيم المدينة بعدد يتراوح بين 150 و200 من العناصر غير النظامية (466). وتسم إجلاء معظم النساء والأطفال إلى نابلس وطوباس والأردن، في حين لم يُسمح للذكور البالغين بالمغادرة (466). وكان هناك نقص شديد في الأطباء والدواء (468).

في ليلة 10 | 11 مايـو احتلـت وحدات غـولاني القريتين الرئيسـيتين التابعتين للمدينة: فرونة والأشرفية، ومع اقتراب القوات فر السكان إلى الأردن. وبدأ خبراء المتفجرات في الهاغاناه في تدمير المنازل. وفي الليلة التالية قصفت وحدات غولاني بقذائف الهاون بيسان واقتحموا تل الحصن، تل يطل على المدينة من الشمال. وبدا أن الفاروقي قد فر تلك الليلة آخذا معه مبلغ 9 آلاف جنيه إسترليني من حصيلة الضرائـب (469). وخلال المعركة على تـل الحصن أجرى ضابط مـن الهاغاناه اتصالا هاتفيا مركز قيادة مليشيا بيسان و«نصحهم» بالاستسلام، وهو ما رد عليه ضابط في المليشيا بتحدِّ. غير أنه بعد سقوط التل ناشد العرب بشكل متكرر الهاغاناه التوصل إلى وقف لإطلاق النار، وهو ما وافقت عليه الأخيرة خلال اجتماع عُقد صباح يوم 12 مايو وفقا للشروط التالية: تسليم الأسلحة وطرد العناصر غير النظامية الأجنبية(470)، وأخبر العرب «أن أي ساكن يرغب في البقاء ... مكنه ذلك» (471)؛ وأؤلئك الراغبون في الرحيل سيُمنحون مرورا آمنا، وهو ما رد عليه الأعيان - حنا النمري، هاشم الصلح، والعمدة رشاد درويش - بأنه يلزمهم الحصول على موافقة المركز الرئيسي في نابلس (أو جنين)، وتوجه وفد منهم إلى المثلث. وفي تلك الأثناء فرت قوات جيش التحرير العربي وأغلب السكان إلى الأردن بشكل رئيسي. وأعلن الأعيان استسلام المدينة ودخلت القوات الإسرائيلية في اليوم التالي (472).

#### مولد مشكلة اللاحئين الفلسطينيين

بقي في المدينة 1000 - 1200 ساكن (473)، وهو عدد كبير كان من شأنه أن يصيب ويتز بالحزن (474). وزودتهم الهاغاناه بالماء والطعام (475). كما أعلنت الأحكام العرفية وحظر التجوال، وعمد الجيش إلى جمع الأسلحة، وعُينت لجنة من المستوطنين اليهود للإشراف على الممتلكات والحياة في المدينة. كما عُين شمويل غوفرين حاكما مدنيا، إلى جانب قوة شرطة عربية (476).

شكل وجود مثل هذا التجمع للعرب مباشرة خلف خطوط الجبهة، وعملية الذهاب والإياب المستمرة للمقيمين في بيسان - والذين قاموا بسلب المنازل المهجورة - مصدر قلق لقادة الهاغاناه، الأمر الذي دفعهم إلى طلب الترخيص لهم بطرد السكان الباقين، وهو ما حصلوا عليه على الأرجح من رئاسة أركان الهاغاناه. «كان هناك خطر أن يقوم السكان بالثورة في الخطوط الخلفية إذا ما أحسوا بتغيير في الموقف العسكري لمصلحة الغزاة العرب، لذا صدر خلال أيام أمر بطرد السكان من المدينة»، ونُفذ ذلك في نحو الخامس عشر من مايو عبر الأردن (۲۲۳).

# كتب غوفرين لاحقا:

تلقيت أمرا بإخلاء المدينة من العرب، وانتقلنا من منزل إلى منزل وأخبرنا سكان المدينة عبر مكبرات الصوت بأن عليهم الرحيل بحلول صباح اليوم التالي. كانوا في حالة رعب كبيرة، لم تكن هناك سيارات متوافرة، مما اضطرني إلى أن آمرهم بالرحيل سيرا على الأقدام إلى جسر الشيخ حسين ليعبروه. كان من الصعب علي رؤية كبار السن بأحمالهم والنساء والأطفال. لقد كان الطرد صعبا - ليس عنيفا ولكنه صعب... ولقد أعطيتهم الطعام، وكان القيس هو آخر من رحل... فجأة خلت المدينة وتحولت إلى مدينة أشباح تُحيطها الألغام (478).

قام غيـورا، الضابط في الإدارة العربية بجهاز اسـتخبارات الهاغاناه، بزيارة المدينة في الثامن عشر من مايو، ونقل أن المدينة «فارغة تماما»، فيما عدا 300 شـخص، الكثير منهم مسلمون. وثبت المفتشـون اليهود علامات صفراء على أبواب المحال في إشارة إلى أنها فُتشـت؛ ومن جانبهم تجول المفتشـون العرب من مكان إلى آخر واضعين على أذرعتهم شـارات صفراء اللون. وقد على غيورا على ذلك بقوله إن ذلك ذكره بـ «شارة

العار»<sup>(\*)</sup> التي كان «يرغب لو جرى تجنبها». وفي حين استقبله كل من القاضي المحلي والعمدة رشاد بطريقة ودية؛ حيث مدح الرجلان سلوك حاكم المدينة، فإن رشاد بدا «مُحبطا للغاية» وفقا لتعليق غيورا<sup>(479)</sup>. وفي الثامن والعشرين من مايو خُيِّر السكان المتبقون بين الترانسفير إلى الأردن أو الناصرة (التي كانت في ذلك الوقت خارج الأراضي اليهودية). وقد فضلت الأغلبية، ربما المسيحيون، الناصرة، ونقلتهم إليها حافلات قوات الدفاع الإسرائيلية في اليوم ذاته (480). وعادت بيسان لتصبح بيت شيان.

للإبقاء على المدينة يهودية، بدأت الهاغاناه بشكل منهجي في وضع الألغام على مداخلها وفي أزقتها، لمنع التسلل إليها مجددا. وفي العاشر من شهر يونيو نقل قائد في الهاغاناه أنه في الليلة السابقة تسبب عدد من العرب الذين يسعون إلى النهب (وكذلك كلاب وحمير) في تفجير ما لا يقل عن أحد عشر لغما، مما أسفر عن خسائر بشرية وجرحى تماشت مع حجم الانفجارات (481). وكان المنفيون الذين حاولوا العودة - وقاموا كذلك بحرق ونهب المباني (482) - مدفوعين بالجوع والفقر (483).

تحت تأثير النزوح الجماعي من المدينة، فضلا عن الضغوط التى مارستها الهاغاناه، غادر العرب المتبقون، وأغلبهم من البدو، وادي بيت شيان إلى الأردن أو منطقة جنين. كذلك فر سكان قرى الحميدية (شمال المدينة)، والسامرية (إلى الجنوب) من البلاد في الثاني عشر من شهر مايو (484) (تلقت الحميدية تعليمات «من مركز قيادة العناصر غير النظامية» بالإجلاء في 30 مارس، غير أنهم لم يلتزموا بها) (485). وكانت المحصلة هي أن ما سبق أن رغب فيه ويتز والمستوطنات المحلية قد تحقق بالفعل. وفي هذا الصدد كتب ديفيد يزهار، أحد المشاركين في كتابة التاريخ الرسمي لحملات لواء غولاني في العام 1948: «للمرة الأولى... أصبح وادي بيت شيان واديا يهوديا خالصا» (486).

عكا

وفقا لقرار التقسيم كان من المقرر أن تقع مدينة عكا، التي تراوح عدد سكانها بين 12 ألف نسمة و15 ألفا، تحت السيادة العربية. غير أنه منذ البداية كان السكان يخشون وقوع هجوم يهودي. وكما كانت عليه الحال في يافا، عارض أغلب أعضاء

<sup>(\*)</sup> إشارة إلى النجمة الصفراء التي أُجبر اليهود على وضعها على ملابسهم لتمييزهم أثناء الحكم النازي في أوروبا. [المحررة].

اللجنة الوطنية من فيهم العمدة حسين حليفي شن هجمات ضد الأحياء أو المواصلات اليهودية خوفا من الأعـمال الانتقامية. بيد أن العناصر غير النظامية المحلية والأجنبية السحفية بذيارة السحفية بذيارة السميرية، إلى الشمال، وحذروا القرويين من الدخول في صدامات مع جيرانهم (ريغبا وشافي زيـون)، موضحين أن اليهـود يمكنهم أن يقطعـوا طريق عـكا - لبنان في تلك الحالة (488). وفضلا عن ذلك طلب حليفي من الشرطة البريطانية التوسط للوصول إلى وقف إطلاق نار فـوري (488). ترتب على الأكمنة التي نصبها اليهود خارج المدينة إقدام عناصر المليشيات على الانتقام، ما أدى إلى مقتل سائق يهودي. وقد أدت دائرة العنف المتبادل إلى رحيـل «العديد من العائـلات» من المدينة (490). في منتصف شهر مارس نجحت قوات الهاغاناه في عزل عكا نتيجة لتدميرها سلسلة من الجسور، مما منع الناس من الذهاب إلى أعمالهـم، وأدى إلى زيادة معدلات الاعتداءات عـلى الممتلكات (194). ونقـل جهاز استخبارات الهاغانـاه أن الدقيق لم يتوافر حتى وصلت شحنة كبيرة في ونقـل جهاز استخبارات الهاغانـاه أن الدقيق لم يتوافر حتى وصلت شحنة كبيرة في الثامن من شهر إبريل. ومع ذلك توافرت اللحوم والخضراوات بشكل كبير (492). ومجددا العت اللجنة الوطنية للتوصل إلى هدنة (493).

انعكست معركة السيطرة على حيفا والنزوح الجماعي منها على الحياة في عكا، فعلى مدار أسبوعين تقريبا عمت الفوضى التامة. وبادرت الهاغاناه بقطع الماء والكهرباء عن المدينة، وبلغت أسعار السلع أرقاما فلكية. وظهرت أزمة في الإمداد بالوقود والتزود بالدقيق، وتحولت عكا بين ليلة وضحاها إلى محطة وسيطة رئيسية ومركز استيعاب ضخم للاجئين. وزودت اللجنة الوطنية الأشخاص بالمساعدات المؤقتة والطعام المجاني من احتياطيات المدينة المخصصة لمواجهة حالات الطوارئ (494). أشاع الهجوم الذي شنته الهاغاناه في 25|26 أبريل - والذي سقطت خلاله قذائف الهاون بكثافة في مركز المدينة - حالة من الاهتياج بين السكان على الرغم من أنه أسفر فقط عن جرح شخصين وإيقاع الخسائر بأربعة منازل (وفر المساجين «فيما عدا المجانين») (495)؛ وفي السادس والعشرين من أبريل كتب أحد السكان:

غادر أغلب السكان أو كانوا على وشك المغادرة. ربما نتوجه إلى بيروت. جرت الاستعدادات للرحيل في صفوف كل الطبقات: الأغنياء، الطبقة المتوسطة والفقيرة - الجميع يستعدون للرحيل ويبيعون كل ما يمكنهم بيعه. ففي أعقاب إجلاء حيفا، الحواسة، وبلد الشيخ... ارتفع سكان عكا إلى 50 ألف نسمة وسادت المدينة درجة عالية من التوتر (496).

رصدت استخبارات الهاغاناه الأوضاع المزرية في المدينة؛ حيث كان اللاجئون ينامون في المساجد و«الشوارع والمقاهي» (497). وكان الموقف مضطربا: هرب الأغنياء، انهارت الحكومة المحلية، وسيطرت على المدينة مليشيات متنافسة (برئاسة خليل كلاس، محمود الصفوري، موسى النجمي، أحمد الطوبي) (498). وفي هذا الصدد كتب كارميل قائلا: «انتشرت البطالة وعم الخوف والقذارة والجوع» (499). وكان من شأن إرسال جيش الإنقاذ تعزيزات للمدينة في نهاية شهر أبريل أن يزيد من توتر السكان الذين رأوا في ذلك مؤشرا على معركة وشيكة (500).

دفع سقوط حيفا وما تبعه من آثار البريطانيين إلى السعي لتجنب سقوط عكا قبل موعد انسحاب قواتهم. تدخل البريطانيون بشكل متكرر في نهاية شهر أبريل لمواجهة الهجمات اليهودية على المدينة. وعلى الرغم من ذلك استمرت عملية النزوح الجماعي إلى لبنان. وخلال الأيام الأولى من شهر مايو انسحبت القوات البريطانية من المعسكرات حول المدينة كجزء من عملية الانسحاب إلى منطقة حيفا، ما أدى إلى تصاعد معدلات البطالة الذي زاد بدوره من إضعاف الروح المعنوية في المدينة ألمينة المدينة ألمينة الله المدينة ألمينة المدينة ألمينة المدينة ألمينة المدينة ألمينة المدينة ألمينة المدينة المعنوية في المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة ألمدينة المدينة المدينة المدينة المدينة ألمدينة المدينة المدين

كان بدء ظهور مرض التيفوئيد (الذي جاء ربما نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لعمليات الهاغاناه والتي أجبرت السكان على حفر آبار مياه غير صحية) (502) من بين العوامل التي ساعدت في الإسراع من عملية الفرار. وقد توقع المراقبون البريطانيون، في نهاية شهر أبريل، انتشار المرض في المدينة ذات الكثافة السكانية العالية (503). وعبر كانينغهام عن خشيته من «ظهور عدد كبير جدا من حالات الإصابة» بالتيفوئيد، وفي واقع الأمر تدهورت الأوضاع في المدينة في بداية شهر مايو إلى الحد الذي رغب معه العديد من اللاجتين في العودة إلى حيفا، وقد منعتهم من القيام بذلك «حملة ضخمة من الدعاية المناهضة للعودة»، وفقا لما أورده البريطانيون. وفي الوقت ذاته، رأى كل من كانينغهام والهاغاناه والسلطات المدنية في حيفا مثل هذه العودة أمرا «لا يُنصح به» على وجه التحديد خوفا من انتشار الوباء (504). بيد أنه سرعان ما تم احتواء المرض. وقدر جهاز استخبارات الهاغاناه أن

رئيس جهاز استخبارات الهاغاناه في الشمال، بأن يُطرد اللاجئون الذين مثلوا ما يقرب من ثلثي سكان المدينة (522). ومن جانبه سجل الضابط غيورا ملاحظات حول عمل وحدته - الذي تضمن تفتيش المقاتلين، وتسليم الرخص من بين أشياء أخرى - قائلا: «لا أعلم ماذا كانت عليه السياسة أو ما إذا كانت أُقرت سياسة تتصل بكيفية معاملة السكان المحليين». وخلال هذه الأثناء كان يرفض طلبات قدمها لاجئون من حيفا للعودة إلى ديارهم (523).

خلال الأسابيع التي تلت الاستيلاء على المدينة، وصف ممثل للصليب الأحمر عـرب عكا كمن يعيـش «تحت نظـام رعب»، في ظـل حياة اقتصاديـة مصابة بالشـلل<sup>(524)</sup>. ومن جانبه وصف ضابط بجهاز اسـتخبارات الهاغاناه المدينة بأنها «تقريبـا ميتة» (أفقات صحيفة الحزب الشـيوعي الإسرائيلي (الاتحاد) بأن سكان عكا يعيشون في «قفص»، ويجري استغلالهم من قبل الأعيان المتعاونين مع السلطات (526).

امتـدت خطوط المواجهة خلال الهدنـة الأولى (11 يونيو) بين الهاغاناه وقوات الدفاع الإسرائيليـة وجيش الإنقاذ على طول 7 - 10 كيلومترات إلى الشرق من عكا. ومع اقتراب الهدنة من نهايتها لاحت في الأفق نذر المواجهات، مما دفع بقيادة الجهة الشـمالية في قوات الدفاع الإسرائيلية إلى التفكير في طرد سـكان عكار، إما إلى يافا وإما إلى ما وراء الحدود؛ حيث لم ترغب قوات الدفاع في وجود تمركز كبير للسـكان المدنيين العرب مباشرة خلف خطوطها، كما أنها افتقرت إلى القوة البشرية لمراقبة هؤلاء السـكان. وقد سـأل الجيش وزارة الخارجية عـن رأيها، ونقل ياكوف شـيموني (القائم بأعمال مدير إدارة الشرق الأوسط) الأمر إلى شيرتوك. ووفقا للأول فإنه «لم يكن لدى شيرتوك أي اعتراض من حيث المبدأ على نقل السكان العرب من عكا إلى أي مكان آخر (يافا) لتخليص جنودنا من العبء...». ولكن السؤال الرئيسي عكا إلى أي مكان آخر (يافا) لتخليص جنودنا من العبء...». ولكن السؤال الرئيسي الأخير؛ حيث كانت تلك هي المرة الأولى التي يسـمع فيها عن عملية طرد محتملة الأخير؛ حيث كانت تلك هي المرة الأولى التي يسـمع فيها عن عملية طرد محتملة السكان عكا - فبعد كل شيء، فهم كانوا ضمن دائرته. وفي واقع الأمر كان هناك أمر قائم من رئاسـة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية في هذا الخصوص (بتاريخ السـادس من يونيو - انظر ما يلى)، كما أخبر شيموني، بأن:

لـن تُقتلع جذور أي تجمعات سـكانية ... من دون أمـر كتابي من وزير الدفاع... وما لم يصـدر وزير الدفاع أمـرا مكتوبا، فإنه يتعين على سـلطات الجيـش المحلية عدم إجلاء سـكان مدينة كاملة بما يحملـه ذلك من معاناة وتشتيت للنساء والأطفال وكبار السن.

وأوضح شـتريت أنه لا يمكن طرد السـكان. كما أنه لا يمكن أن تصبح يافا أرضا يُلقـى فيها بالمنقولين. فضلا عن أن وزارته لا يمكنها أن تتحمل أعباءهم المعيشية. وأخيرا فإن هناك احتياجا إلى منازل يافا الخالية لإيواء اليهود (528).

لم يقتصر شتريت على تقديم الحجج، بل سعى وحصل على مساندة قوية من وزير المالية كابلان؛ حيث وصف الأخير مقترح الطرد بأنه «غريب» (529). وقسك شتريت بموقفه متحديا بن غوريون أن يصدر قرارا صريحا بنقل السكان. وبالفعل تراجع بن غوريون عن الفكرة. ومن الجدير بالذكر أنه طوال عام 1948 تجنب بن غوريون على الدوام أن يصدر شخصيا أوامر صريحة بالطرد أو النقل.

# الريف

خلال عملية النزوح الجماعي من الريف زار ويتز المنطقة المحيطة بكيبوتس مشمار هعيمك؛ حيث وجد القرى العربية في حالة «خراب، لم يتبق بها أحد، المنازل والأكواخ مدمرة تماما... ومن بين الحطام تعالت صيحات الدجاج المهجود، كما يتخبط حمار بائس ووحيد في طرق القرية»، وهو ما دفعه إلى التساؤل: لماذا رحل العرب؟

بعيدا عن التحليل النفسي للخوف... هُجرت القرى، الواحدة تلو الأخرى، في حالة ذعر لا يمكن وصفه... فقرى السهل الساحلي كانت تُفرغ بشكل مطرد. وبين تل أبيب وحديرا لا يمكن للفرد أن يجد اليوم عربيا واحدا، وخلال الأيام الماضية غادر عديدون القرى الكبري حول تل أبيب.

وذهب ويتز إلى أن ذلك كان للأفضل، «فمجرد وجود كثير من اللاجئين بين العرب يضعف من موقفهم ويجعل من نصرنا أكثر قربا» (530).

# مولد مشكلة اللاجئين الغلسطينيين

كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى المدن، فإن إجلاء القرى في الفترة أبريل - مايو أعقب الهجمات اليهودية بشكل مباشر – وكان بسببها بدرجة كبيرة. عادة ما أعقب النزوج الجماعي تتابع الهجمات اليهودية في كل منطقة، غير أن الضغط العسكري العسري - في المناطق الرئيسية - هو ما دفع الهاغاناه إلى شن مثل تلك الهجمات بشكل سابق لأوانه، والتي اعتبرت - بأثر رجعي - بدايات لتنفيذ الخطة دالت، والتي تضمنت للمرة الأولى الاستيلاء والاحتلال الدائم لمساحات من الأرض وطرد مجموعات من المجتمعات العربية.

#### عملية نحشون

خــلال الفــترة من ديســمبر 1947 حتى مــارس 1948 قامت عناصر غــير نظامية ومليشــيات في القرى التي تهيمن على النصف الشرقي مــن طريق تل أبيب - القدس (ما في ذلك دير محسين، بيت محسير، صوبا، القسطل، قالونيا) بشكل متقطع مهاجمة وسائل النقل اليهوديسة المتوجهة من وإلى القدس. وبنهاية شهر مارس كانت القدس اليهوديــة - على الرغم مـن التدخل البريطاني المرحلي - تحت الحصار، وكان ســكانها البالغ عددهم 100 ألف نسمة يضغطون بشدة للحصول على الطعام والوقود والذخيرة. في ليلــة 31 مارس - 1 أبريل قرر بن غوريون ورئاســة أركان الهاغاناه أن تكون الأولويــة الأولى للهاجاناه تخفيف الضغط عن القدس، ومن جانبهم ناشــد ممثلون عـن يهـود القدس الوكالة اليهوديـة القيام بـ «عمل فعـلي». «إن الجماعة جائعة بالفعل وإذا، لا قدر الله، انكسرت معنوياتها فسيكون هناك خطر لانهيار شامل في خـط قتال الهاغاناه الأول» (<sup>(531)</sup>. عُبِنت قوة قوامها 1500 جندي، بناء على تعليمات بن غوريون، لشــن أضخم هجوم يهودي حتى ذلك التاريخ، بهدف دفع العديد من القوافل إلى القدس. ومن الناحية الإستراتيجية - كما ذكر ضابط رفيع المستوى في الهاغاناه لاحقا - مثلت نحشون مرحلة انتقالية بين المنهج الدفاعي المسيس الذي اتَّبِع سـابقا والمتصل بتأمين القوافل اليهودية من خلال تزويدها بحراسـة، والمنهج العســكري القائم على حماية القوافل من خلال الاســتيلاء والتحكم في الطرق ذاتها والمرتفعات التي تهيمان عليها (532). وخلال العملية - التي استمرت أسابوعين -تلمست الهاغاناه طريقها نحو إستراتيجية جديدة.

عُين شمعون أفيدان (قائد لواء غيفعاتي) قائدا لعملية نحشون. وقد اتسمت أوامـره الميدانية الأولى بقـدر كبير من التردد. ففي أول تلـك الأوامر (2 أبريل) تحــدث فقط عن نصــب «كمائن» بالقرب مــن القرى العربية التي تُســتخدم كقواعد بغية منع العناصر غير النظامية من الوصول إلى القوافل اليهودية ومهاجمتها (533). وكان الأمر التنفيذي الحقيقى الصادر في 3 أو 4 أبريل بدوره ملتبسا فيما يتصل بالأهداف. فقد نصت مقدمته على أن «يجري التعامل مع جميع القرى العربية الواقعة على طول المحور (خُلدة - القدس) كجماعات عدائية أو كقواعد هجومية» (حددت الخطة دالت أنه إذا ما أبدت القرى المشار إليها مقاومة، يتعين تدميرها وطرد سكانها). وخلال الفترة الأولى من عملية نحشون دعت الأوامر إلى الاستيلاء على ثلاث قرى عربية تقع على المدخل الغربي للممر المؤدي إلى القدس - دير محسين، خلدة، صيدون. أما فيما يتصل بالمناطق الأخسري، فقد تحدث الأمر فقط عسن إقامة كمائن أو مواقسع فوق قمم التلال بالقرب من القرى (مثل السريس وبيت ثول) لمنع عناصر المليشيات فيها من الوصول إلى الطريق أو القواعد التي أجلاها الجيش البريطاني في وادي سرار (534). عكس الأمر بشكل كبير الغموض الذي ساد القيادة العليا فترة قصيرة فيما يتصل بكيفية التعامل مع القرى العربية. وفي الثاني من أبريل تحدث غاليلي عن التحول من الدفاع المنتشر إلى الهجوم المركز، مع دخول الهاغاناه في «عمليات أستيلاء واحتلال»(535). غير أنه كتب بشـكل مختصر في الخامس من الشهر ذاته: «أصدر قرار بالسيطرة على القرى من القدس إلى باب الواد إذا ما كان السكان هجروها، وإذا ما كان من الممكن تفادي الصدام مع الجيش البريطاني»(536). وفي اليوم السابق، خُوِّل يادين (قائد عمليات الهاغاناه) إصدار تعليمات إلى قوات نحشون لتحــاول «كلما كان ذلك ممكنا اتخاذ مواقع بالقرب من القرى وعدم الاســتيلاء عليها، وفي حال عدم توافر مثل هذه الإمكانية فعليها الاستيلاء على القرى»(537). فقد كان يادين لايزال مضطربا أمام فكرة الاستيلاء على قرى، وباستفساره من قادته السياسيين، أجاب غاليلي:

1 - إذا ما تطلب تأمين طريق القدس سيطرة وحداتنا على قرى تخلى عنها
 سكانها فإنه يلزم القيام بذلك.

2 - فيما يتصل بالقرى التي لم يهجرها سكانها، ويتطلب تأمين الطريق عزلها أو تطويقها وتخويفها من قبل وحداتنا، فإنه يلزم القيام بذلك.

وإذا تدخل الجيش البريطاني وأمر الهاغاناه بالجلاء عن القرى، فيتعين عليها اتباع تكتيكات لكسب الوقت - ولكن في نهاية المطاف يجب الاستجابة (538). وقد عكست تلك المراوغة الخوف من التدخل البريطاني.

بـدأت عملية نحشون عمليا باستيلاء الفرقة الرابعة من البالماخ - من دون مقاومة - على القسطل ليلة 2|3 أبريل. وقد كانت تلك القرية - التي تهيمن على الطريق إلى القدس - منخرطة في القتال على مدار أسابيع. ففي السادس عشر من شهر مارس أغارت عليها قوات البالماخ. وفي الأول من أبريل هاجمت عناصر المليشيا مواقع يهودية بالقرب من حي موتسا، مما دفع الهاغاناه إلى الرد بإطلاق نيرانها. أدى ذلك إلى هروب أغلب سكان القسطل خشية الانقضاض على القرية ليلا. ومن جانبها خشيت الهاغاناه أن تقدم العناصر غير النظامية على احتلال القرية، ومن ثم بادرت قوات البالماخ بدخولها في الساعات الأولى من صباح 3 أبريل(539). كانت التعليهات الصادرة للقوات تفيد بأنه «إن لم تكن هناك مقاومة، فلا تفجروا منازل القرية». وكان ذلك متماشيا مع التوجيهات العامة في الخطة دالت التي قضت بعدم تدمير القرى التي لم تبد مقاومة. غير أن قائد القوات في الموقع ذهب ضد هذا الأمر قائلا إن ترك المنازل سليمة من شأنه «أن يجعل من الدفاع عن المدينة أمرا صعبا» (540). ومع ذلك فإن الحصول على تعليمات تسمح بمحو القرية لم يكن أمرا مسلما به، مما حدا بالقائد المحلى لقوات البالماخ يوري بن أري، على توصيف عدم تدمير القرية على أنه «خطأ فادح» (541). وبالفعل في الثامن من أبريل أعادت العناصر العربية غير النظامية الاستيلاء على الموقع بعد شنها هجمات متكررة؛ وكان من بين العرب الذين قتلوا في المعارك عبد القادر الحسيني، القائد الفلسطيني لحي القدس، حيث أطلقت النار عليه وهو يسير في اتجاه منزل تسيطر عليه البالماخ خلال فترة هدوء القتال (542). في التاسع من أبريل، وبعد سقوط القرية مرة أخرى في أيدي البالماخ إثر هجوم جديد صُحح «الخطأ» (المتمثل في عدم تدمير القسطل بعد السيطرة الأولى عليها)، حيث بدأت عملية «تدمير جميع المنازل التي لا حاجة إليها في الدفاع عن المدينة»، وفقا لما قاله قائد القوات<sup>(543)</sup>.

تحققت الاستفادة من درس قسطل في مواقع أخرى. ففي الحادي عشر من أبريل استولت وحدات البالماخ على قالونيا المجاورة، التي هرب سكانها في الثاني من أبريل، وكانت تحت سيطرة قوات أجنبية. تضمنت التعليمات الصادرة للمهاجمين قتل كل من يجدونه وتدمير القرية. وربها يكون بعض العرب قد لقوا حتفهم خلال الهجوم; والبعض الآخر الذين وجدوا في الموقع - يبدو أنهم شملوا مصريين، وعراقيا، وبريطانيا (عرفته البالماخ باسم تيلور؟) قُبض عليهم وأعدموا. قضت وحدات الهاغاناه طوال اليوم واليوم التالي في تدمير القرية. وشمل ذلك 55 منزلا «مما ترك أثرا كبيرا في المنطقة...» (54 صحافي غربي صاحب القوات:

عندما غـادرتُ كان خبراء المتفجـرات يفجرون المنـازل. انفجرت المباني المصنوعـة مـن الأحجار الصلبة الواحـد تلو الآخر. وعـلى مقربة من القدس مازلت أسـمع أصوات الانفجارات تتردد في المرتفعـات؛ وفي مكان ما موحش وبعيد مازال يتعالى عواء خافت من كلب القرية (545).

مع البداية الرسمية لعملية نحشون، في السادس من أبريل، سقطت كل من خُلدة ودير محيسن في أيدي قوات الهاغاناه. وبعد معارك القسطل تلاشى التردد فيما يتصل بحصير القرى ليحل محله تصميم واضح ومحدد، وتغير مناسب في المصطلحات المستخدمة. ففي العاشر من الشهر دعت التعليمات الصادرة عن الهاغاناه إلى «تصفية» القرى (546). ومع حلول الرابع عشر من الشهر أمر مركز قيادة عملية نحشون - في إطار «عمليات التطهير» - بشكل عام «باستمرار أنشطة التخويف والتطهير كمرحلة أولى في عمليات تهدف إلى تدمير قوات العدو والاستيلاء على قواعده [القرى]». وقد حدد الأمر تدمير قواعد العدو في: القباب، عاقر، بدو، بيت محسير، صوبا، والرملة (547). في الخامس عشر من شهر أبريل أصدر مركز قيادة نحشون سلسلة من الأوامر المحددة: أمر للفرقة الثانية بمهاجمة قرية بيت سوريك «بغرض المحو والتدمير والإحراق للمباني» (548)، أمر للفرقة الأولى «بمهاجمة قرية بيت جيز» بغرض المحو والتدمير والاحتالل المؤقت، وتدمير «7 منازل على الأقل في القباب» (648). أمر للفرقة الثالثة بمحو وتدمير قرية سجد (550). في السادس عشر من شهر أبريل استولت قوات نحشون على قرية السريس ودمرتها السادس عشر من شهر أبريل استولت قوات نحشون على قرية السريس ودمرتها

«ما في ذلك المسـجد والمدرسة»، قبل أن تنسـحب منها (551). وانتهت العملية بشن غارات على بدو وبيت سـوريك في 19 - 20 أبريل وتسوية خلدة العربية بالأرض في العشرين من الشهر.

مثلت عملية نحشون حدا فاصلا من الناحية الإستراتيجية، وتميزت بتوافر النية وبذل الجهد لتطهير منطقة كاملة بشكل دائم من القرى المعادية، أو التي يمكن أن تكون كذلك. فتدمير قرى الممر للقدس كان يرمز ويجسد نهاية عملية التحول في إستراتيجية الهاغاناه، وعكس ذلك التغييرُ الأوامرَ المتوالية الخاصة بالتعامل مع قرية القسطل: فالأمر الصادر من لواء أتزيوني في 2 أبريل بعدم تدمير القرية إذا لم تكن هناك مقاومة سرعان ما حلت محله أوامر أخرى في الفترة من 8 إلى 10 بتسوية القرية بالأرض (كذلك الحال بالنسبة إلى قالونيا المجاورة). ومن الناحية العملية فإن ما تضمنته الخطة دالت من النص على ترك القرى التي لا تبدى مقاومة استُبدل به قرارُ تدمير قرى في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية، أو التي متد على الطرق الحيوية بغض النظر عما إذا كانت مقاومة أم لا. وقد قدمت حالة القسطل دليلا قويا ومكلفا على ضرورة استخدام الأسلوب الأكثر قسوة؛ فالقرى التي تُترك في حالة سليمة عكن أن تتحول سريعا لتصبح قواعد عربية. منذ البداية - نتيجة إدراكهم إمكان التدخل البريطاني - فكر مخططو عملية نحشون في تأمين الطريق من خلال احتلال مواقع على التلال المطلة عليها وفي القرى المهجورة، فضلا عن نصب أكمنة بالقرب من القرى التي يمكن أن تنطلق منها المليشيات المسلحة. بيد أنه خلال عملية التنفيذ غيرت رئاسة أركان الهاغاناه والمركز الرئيسي لعملية نحشون تلك الإستراتيجية من خلال إصدار أوامر باحتلال أو تدمير قرى مثلت، أو يمكن أن تمثل خطرا على قوافل النقل. ومنهذ 9 - 10 أبريل فصاعدا كان التركيه في أوامر مركز قيادة العملية على تسوية القرى بالأرض، وهو ما تضمن بطبيعة الحال إجلاء أو طرد قاطنيها، كما أنه شكل ضمانة على ألا يبقى للسكان أو للعناصر النظامية مكان مكنهم الرجوع إليه.

كان للتغير الاستراتيجي خلال عملية نحشون مغزى أوسع. فإذا كان اليشوف في بداية الحرب قبل (على مضض) بالإقرار بدولة يهودية ذات أقلية عربية ضخمة ولكن مسالمة، فقد تغير تفكير الهاغاناه بحلول أبريل بشكل جذرى: إن الضريبة

الفادحـة مـن أرواح اليهود والأمن خلال معركة الطرق والمشهد الأليم لغزو عربي محتمل كلها عوامل وضعت اليشوف في موقف لا يتوافر فيه سوى هامش ضئيل للأمن. لم يكن باستطاعة اليشوف تحمل الإبقاء على جيوب من العرب الناشطين الذيـن عكن تحولهم إلى أعداء وراء خطوطه، وكان ذلك بالتأكيد صحيحا بالنسبة الى الطرق والمناطق الحيوية مثل ممر القدس. وعلى الرغم من أن توجيهات شاملة تتضمـن الطرد لم تصدر على الإطلاق، وأنـه لم تصل قادة القوات على الجبهة أوامر سريعة وقاسية بطرد «العرب» أو «تسوية القرى بالأرض»، فإن المنتج الديموغرافي للخطـة دالت كان مقبولا مـن أغلبية قادة الهاغاناه في تلك الفترة الحاسـمة التي واجه فيها اليشوف معركة حياة أو موت، مما تطلب البعد عن الأساليب الرقيقة في التعامل، وهو ما حدث بالفعل. وقد تُرجمت عملية التغيير تلك في أوامر نحشـون، والتـي انتقلت من التردد (3 - 6 أبريل) إلى تسـوية القـرى بالأرض والتصميم على الطرد (8 - 15 أبريل).

نجحت عملية نحشون بشكل جزئي؛ حيث إنها استطاعت، فترة قصيرة، فتح طريق تل أبيب القدس، مما مكن الهاغاناه من الدفع بشلاث قوافل إمداد ضخمة من خلاله إلى المدينة المحاصرة. غير أن المرتفعات وبعض القرى سرعان ما عادت إلى سيطرة العناصر غير النظامية، وأُغلق الباب إلى القدس مجددا، الأمر الذي أدى إلى القيام بعمليات أخرى، تبعت نحشون، في النصف الثاني من شهر أبريل وخلال شهر مايو تحت مسميات هاريل، ييفوسي، ماكابي، هدفت جميعا إلى إعادة تأمين وتوسيع نطاق القبضة اليهودية على الممر وانتزاع مناطق في القدس والمناطق المحيطة بها من أيدي العرب. تلقت الوحدات المشاركة في تلك العمليات أوامر باحتلال وتدمير مجموعة من الضواحي والقرى شمال وغرب مركز المدينة، عا في ذلك شعفاط، الشيخ جراح، النبي صموئيل، بيت إكسا، وبيت حنينا، وبيت محسير. كما تضمن أمر العمليات الصادر من رئاسة أركان الهاغاناه لعملية ييفوسي القدس وقرية تابعة لهما في الشمال (552). جرى توسيع نطاق العمل لدى صدور أوامر لواء حاريل لكتائبه متضمنة الاستيلاء على قرية النبي صموئيل الواقعة على قمة التل، وتدمير شعفاط وبيت إكسا - وتقع جميعها في شمال وشمال غرب

القدس - وأيضا إمكانية تدمير قرية بيت حنينا المجاورة (553). قامت وحدات البالماخ في 22 من أبريل مهاجمة واحتلال شعفاط وبيت إكسا ودمرتهما جزئيا (554). وفي 24 من الشهر هاجمت ودمرت جزئيا الشيخ جراح (555).

من المثير للسخرية أن العملية التي كان لها الأثر الأكبر من أي حدث منفرد خلال الحرب في الإسراع من نزوح الفلسطينيين لم تكن عملية الهاغاناه، نحشون، وما تبعها من عمليات، بل عملية صغيرة قادتها عناصر الإرجون والهستدروت، بموافقة على مضض من الهاغاناه (656). ففي التاسع من أبريل عمد 80 من عناصر الإرغون و40 من الهستدروت، بمساندة من قاذفي القنابل التابعين للهاغاناه من غيفات شاوول المجاورة وفرقتين مدرعتين تابعتين للبالماخ (557)، إلى مهاجمة دير ياسين، والتي وقعت - كما سبق أن رأينا - اتفاق عدم اعتداء متبادل مع جيرانها اليهود، ومنعت بشكل متكرر دخول العناصر غير النظامية إليها. لم تكن العملية في تناغم وثيق مع هدف عملية نحشون المتمثل في تأمين المداخل الغربية للقدس.

واجه المهاجمون مقاومة قوية غير متوقعة، وفي ضوء افتقارهم نسبيا إلى الخبرة وقع بين صفوفهم أربعة قتلى وعدة عشرات من الجرحى قبل أن يتمكنوا من إخضاع القرية بعد يوم كامل من القتال. ولقد انتقلت القوات من منزل إلى منزل ملقية قنابل يدوية وفاتحة قاذفات اللهب داخلها، كإجراء روتيني في معارك المنازل (558). وفجرت العديد منها باستخدام المتفجرات (559). فضلا عن إطلاق القوات النار على أفراد وعائلات عجرد تركهم منازلهم وهروبهم إلى الأزقة (560). كما عمدوا كذلك إلى تجميع القرويين - عن في ذلك عناصر من المليشيا ومدنيون غير مسلحين من الجنسين - وقتلوهم، وأعدموا سجناء في السبجن المجاور. وفي الثاني عشر من أبريل نقل إسحاق ليفي، قائد جهاز استخبارات الهاغاناه في القدس، ما يلي:

نُفذت عملية الاستيلاء على القرية بوحشية كبيرة؛ حيث قُتلت عائلات كاملة (نساء، كبار في السن وأطفال)... ونُقل بعض السجناء - مِن في ذلك النساء والأطفال - إلى أماكن اعتقال حيث قتلهم معتقلوهم (561).

وأضاف ليفي في اليوم التالي: «أشار عناصر الهستدروت إلى السلوك الهمجي الذي اتبعه عناصر الإرغون مع السجناء والموتى. كما ذكروا أن رجال الإرغون اغتصبوا

عددا من بنات القرية وقتلوهن بعد ذلك (لا نعلم إذا ما كان ذلك صحيحا)» (562)، أما فيما يتعلق مردخاي غيشون، منسق جهاز استخبارات الهاغاناه في الموقع، فقد ذكر في تقرير له في العاشر من أبريل:

يقول قائدهم [عناصر الإرغون] إن الأمر [الأولي] تمثل في: القبض على الذكور البالغين وإرسال النساء والأطفال إلى موتسا. وفي فترة ما بعد الظهيرة [يوم 9 أبريل] تغير الأمر ليصبح قتل كل السجناء... فجرى اقتياد الذكور البالغين في شاحنات في عرض بشوارع المدينة، وبعد العودة قتلوا برصاص الأسلحة الآلية، وقبل وضعهم في الحافلات [المقصود السكان الآخرون]، أخذ رجال الإرغون والهستدروت حليهم وسرقوا أموالهم. كان السلوك تجاههم همجيا بشكل خاص وشمل الركل، الضرب بأعقاب البنادق، البصق، والسب (وشارك بعض سكان غيفات شاؤول في التعذيب).

أضاف غيشون أن «ابن المختار (الذي كان مصدر معلومات مستمرا للهاغاناه) أعدم [أمام والدته وأخواته] في أعقاب القبض عليه» (563). ومن جانبه نقل مير بائيل، ضابط استخبارات في البالماخ والذي قال إنه قضى جزءا من فترة ما بعد ظهيرة يوم و أبريل في دير ياسين ضيفا على الهستدروت، في اليوم التالي ما يلي:

خلال المطاردة بالقرب من غيفات شاؤول، شاهدت خمسة من العرب سبق المرور بهم في استعراض في شوارع المدينة، ثم قتلهم وتكديسهم الواحد فوق الآخر... رأيت بعيني العديد من العائلات التي قُتلت بنسائها وأطفالها وشيوخها، وكانت جثثهم ملقاة الواحدة فوق الأخرى... وكان المشاكسون يجولون بالمدينة ينهبون ويسرقون كل شيء: الدجاج، أجهزة المذياع، السكر، النقود، الذهب وغير ذلك... كل شخص يسير في المدينة ملطخا بالدماء ويتفاخر بعدد الأشخاص الذين قتلهم. كان واضحا افتقارهم إلى التعليم والـذكاء بالمقارنة بجنودنا [الهاغاناه]... وفي أحد المنازل في وسط القرية تجمع ما يقرب من 200 امرأة وصغار الأطفال، وكانت النساء صامتات لا ينطقن بكلمة. وعندما وصلت أوضح لي «القائد» أنهم ينوون قتلهم جميعا. ولكني في المساء سمعت أن النساء والأطفال نُقلوا إلى مصرارة وأطلق سراحهم هناك (564).

أما العديد من السكان الذين اختبأوا أو تظاهروا بأنهم من بين القتلى فقد قتلهم عناصر الهستدروت في العاشر أو الحادي عشر من أبريل (565).

إجمالا قضى ما بين 100 و120 شخصا نحبهم في ذلك اليوم (566). عمدت قوات الإرغون والهستدروت بعد ذلك إلى نقل ما تبقى من القرويين في حافلات اخترقت غربي القدس في استعراض للنصر، وألقت بهم بعد ذلك في حي مصرارة خارج أسوار المدينة القديمة (567). وبالتمحيص في الدلائل وقوتها فإن الأمر يدفع إلى الاعتقاد أن المنشقين لم يدخلوا القرية بنية ارتكاب مذبحة، ولكنهم فقدوا صوابهم خلال المعركة الطويلة التي دارت. وفي المقابل تمثلت نية الإرغون منذ البداية في طرد السكان.

أدان التيار السائد داخل السلطات اليهودية المذبحة، ما في ذلك الهاغاناه (568) ومؤسسة الحاخامية الكبرى (569)، والوكالة اليهودية؛ كما أرسلت الأخيرة أيضا رسالة إدانة واعتذار وتعاز للملك عبدالله (570).

بلغت أخبار ما حدث على الفور إلى سلطات الانتداب والدول العربية والغرب من خلال الذين بقوا على قيد الحياة ووصلوا إلى شرق القدس، وأيضا عن طريق مسؤولين صهاينة وتابعين للصليب الأحمر. وعلى مدار الأيام والأسابيع التالية بثت وسائل الإعلام العربية قصة الرعب والوحشية كوسيلة لكسب الرأي العام والحكومات في مواجهة اليشوف(571). وقد كتب كانينغهام «أن المرارة الناجمة عن المذبحة ولدت مناخا جعل العرب المحليين غير ميالين للمطالبة بوقف القتال». كذلك فإن المذبحة وطريقة عرضها في وسائل الإعلام العربية عززتا من الضغوط على قادة الدول العربية لمساعدة الفلسطينيين الذين يعدون للمعركة، كما أنها قوَّت من عزمهم على غزو فلسطين. فقد سادت بعد نشر الأخبار حالة من السخط الشعبي لم يكن في مقدور القسادة تجاهلها. ومع ذلك فإن الأثر الأكثر مباشرة للمذبحة والحملة الإعلامية حول الفظائع التي شهدتها تمثل في زيادة مستوى الرعب والإسراع في الهروب المذعور من القرى والمدن الفلسطينية (572). وفي محاولاتها اللاحقة لتبرير أعمال منتسبيها، تعلقت الورجون بتلك النتيجة الثانوية لدير ياسين، والتي عززت من:

الرعب والفزع بين العسرب في كل القرى المحيطة؛ ففي المالحة، وقالونيا، وبيت إكسا، بدأت عملية هروب مذعور مها سهل من استئناف الاتصالات الأرضية... بين العاصمة [القدس] وباقي أجزاء البلاد (573).

في الرابع عشر من شهر أبريل كررت إذاعة الإرغون مثل هذه الرسالة: «تم الإجلاء عن القرى المحيطة بسبب ما حدث في دير ياسين»، وتفاخرت المنظمة قائلة: «لقد تمكنا بضربة واحدة من تغيير الوضع الإستراتيجي لعاصمتنا» (574). وبعد مرور أشهر قليلة أعلنت الهستدروت: «الجميع يعلم أن دير ياسين هي التي زرعت الرعب في قلوب الجماهير العربية مما أدى إلى فرارهم الجماعي...» (575). أما بيغن، الـذي أنكر أن يكون المدنيون قد تعرضوا لمذبحة، فقد ذكر لاحقا أن حملة الدعاية العربية بثت الخوف بين العرب، وأن «الأسطورة كانت أكثر فائدة من نصف دستة فرق للقوات الإسرائيلية... فالذعر الذي سيطر على عرب أرض إسرائيل... ساعدنا وبصفة خاصة... في طبريا وفي الاستيلاء على حيفا» (576).

ربا كانت لدى قادة الإرغون مصلحة، آنذاك وفيما بعد، في تضخيم أثر ما حدث في دير ياسين لخلق حالة من الذعر، ومع ذلك فإنهم بالتأكيد لم يكونوا بعيدين عن الصواب. فمن المؤكد أنه في منطقة ممر القدس كان الأثر فوريا وعميقا، وقد نقل جهاز استخبارات الهاغاناه في الرابع عشر من شهر أبريل أن المنطقة تموج بالحديث عن «الاستيلاء على المدينة القديمة»، وأن الفظائع قد ضُخمت وبولغ فيها في الروايات التي تناقلها العرب(577). وبشكل أكثر تحديدا نقل الجهاز أن ظاهرة «الخوف من دير ياسين» حطت على قرية الفُريديس التي طلبت من اللجنة الوطنية في حيفا تزويدها بالسلاح (578). وفي بيت إكسا أحدثت أخبار دير ياسين حالة من الهلع وأطلقت إشارة البدء في عملية الإجلاء (579). وحدث الشيء نفسه في المالحة (580). وسارع القرويون في فجَّة (بالقرب من بتاح تيكفا) والمنصورة (بالقرب من الرملة) بالاتصال بجيرانهم اليهود ووعدوهم بأن يلزموا الهدوء(581). وفي ياجور (القريبة من حيفا) قرر السكان الجلاء، في حين طلب جيرانهم في بلد الشيخ والحواسة النصيحة من القيادة في حيفا (582). أما في حيفا ذاتها فقد لاحظ بن غوريون أن الأخبار عن دير ياسين حثت المسلمين على القتال(583). وفيما يتعلق بخربة عزون (في السهل الساحلي) أجلي سكانها بسبب «عدم القدرة على ضمان أن ما حدث في دير ياسين لن يتكرر هنا» (584). من جانبهم لاحظ البريطانيون أن الهاغاناه - سواء كانت متورطة في دير ياسين أم لا - «استفادت منها. فمستوى العنف الذي مُورس أثر في العرب في كل أرجاء البلاد إلى حد أن هجوم الهاغاناه على السريس لم تقابله

#### مولد مشكلة اللاجئين الغلسطينيين

أي معارضة «(585). وبشكل أكثر عمومية قدر قادة مابام خلال شهري مايو ويونيو أن دير ياسين كانت أحد حدثين رئيسيين ساهما في النزوح الجماعي لعرب فلسطين (أما الحدث الثاني فتمثل في سهوط حيفا العربية)(586). وقد كان ذلك - بشكل أو بآخر - أيضا رأي الإدارة العربية في جهاز استخبارات الهاغاناه، التي حددت - في تقريرها الصادر في منتصف الحرب عن أسباب وطبيعة النزوح العربي- دير ياسين بوصفها عاملا «حاسما زاد من سرعة النزوح»، ونص التقرير على أن «دير ياسين... أثرت بشكل كبير في تفكير العرب»، خاصة في وسط وجنوب البلاد(587).

#### معركة مشمار هعيمك

بدأت معركة مشامار هعيمك بمبادرة من جيش الإنقاذ بقيادة القاوقجي. وقام اليهاود بعملية دفاعية يائسة تحولت فيما بعد إلى هجوم مضاد شانته الهاغاناه بها يتماش مع الخطوط العامة للخطة دالت. وتشاير الأدلة المتاحة إلى أنه في هذا السياق، وللمرة الأولى، وافق بن غوريون بشكل صريح على طرد العرب من منطقة كاملة في فلسلطين (على الرغم من أن الطرد - كما سلمى لاحقا - قد سبقته عملية هروب ضخمة نجمت عن القتال).

بدأت المعركة في الرابع من أبريل عندما قصف جيش الإنقاذ وحاول السيطرة على مشهار هعيمك، كيبوتس أقامه مابام على طريق جنين - حيفا، واعتبره قادة الهاغاناه الطريق الأكثر ترجيحا لشن هجوم عربي واسع على اليشوف في الخامس عشر من مايو أو بعد ذلك. وتمكن أعضاء الكيبوتس، الذين تلقوا تعزيزات من الهاغاناه من دحر الهجوم. كما نجح طابور من القوات البريطانية وصل آنذاك في وقف القصف الذي تلا ذلك وأسفر عن تدمير كبير في الكيبوتس. وقد نظر إلى هجوم جيش الإنقاذ، خاصة بعد فشله، بتوجس ونفور على الأقل من قبل بعض العرب المحليين. فقد كانوا - وفقا لضابط بريطاني - «يخشون جيش الإنقاذ ويفعلون ما يأمرهم به، في حين كان ضباطه يعاملون المحليين باحتقار» (586).

في السابع من أبريل وافق جيش الإنقاذ على وقف إطلاق النار لمدة 24 ساعة وطلب من الكيبوتس تسليم أسلحته والخضوع للإدارة العربية. وخلال فترة وقف إطلاق النار أجلى أعضاء الكيبوتس الأطفال (589). وفي الوقت ذاته طلب القادة

العسكريون العرب - والوسيط البريطاني - أن يعد اليهود «بعدم شن أي أعمال انتقامية ضد القرى المحلية» أو المرور (590). ورد الكيبوتس بأنه لن يهاجم القرى المجاورة غير أنه لا يمكنه أن يضمن تصرف الهاغاناه في الخارج. وفي كل الأحوال ذكر قادة الكيبوتس أنهم يريدون التشاور مع تل أبيب (591). وبعد مرور عدة ساعات أضافوا: «لم يتفق رجال مشهار على شيء» (592).

في تلك الأثناء، في 8 و9 أبريل، وفي الوقت الذي بدأت فيه الهاغاناه الإعداد على عجل لشن هجوم مضاد، توجه وفد من قادة مشنمار هعيمك للقاء بن غوريون، ووفقا للأخير:

لقد قالوا إنه من الحثمي طرد العرب [في المنطقة] وحرق قراهم. كان الأمر صعبا بالنسسبة إليّ. لكنهم قالوا إنهم ليسسوا متأكدين من أن الكيبوتس عكنه أن يصمد إذا ما بقيت القرى سليمة، وإذا لم يُطرد سكانها العرب؛ حيث إنهم [القروين] سيعمدون لاحقا إلى مهاجمتهم وإحراق الأمهات والأطفال.

روى بسن غوريون هذه القصة خلال شهر يوليو، في سياق الجدل مع مابام، الذي اتهمه بتنفيذ سياسة طرد، لتهم بن غوريون قادة المابام بالنفاق، موضحا أنهم أدركوا، أثناء مشكلة مشهار هعيمك، أن الأبديولوجية (على سبيل المثال الأخوة اليهودية - العربية) هي شيء، والضرورة الإستراتيجية شيء آخر. «لقد واجهوا الحقيقة القاسية... ورأوا أن هناك [فقط] طريقا واحدا، وهذا الطريق هو أن يُطرد القرويون العرب وتُحرق قراهم. ولقد قاموا بذلك. بل كانوا أول من يقوم به» (593).

في حقيقة الأمر بدأت رئاسة أركان الهاغاناه التفكير في تدمير القرى المحيطة بالكيبوتس بعد شن القاوقجي هجومه بفترة قصيرة؛ حيث أصدرت عمليات رئاسة الأركان تعليماتها إلى لواء غولاني: «يجب عليكم إخطار القرى التالية... بأنه لا يمكننا ضمان أمنهم وسلامتهم، وأن عليهم الإجلاء على الفور». ومن بين القرى الأربع التي سُميت: أبو شوشة (المجاورة لمشمار هعيمك) ودالية الروحاء وريحانية (تقع على بعد 4 - 5 كيلومترات إلى الغرب والشمال الغربي) (594).

قرر بن غوريون ورئاسة أركان الهاغاناه رفض مقترح جيش الإنقاذ، وشنَّ هجوم مضاد شامل لدفع كل من جيش الإنقاذ والسكان العرب خارج المنطقة وتسوية القرى بالأرض، مما يزيل الخطر الجاثم على مشهار هعيمك بشكل دائم ويحرم أي قوى غازية آتية من جنين من طريق مرور سهل إلى حيفًا. وفي 8 - 9 أبريل أرسل إسحاق سديه (مؤسس البالماخ) لقيادة الوحدات المتناثرة التي خُشدت نشن الهجوم المضاد. وخلال جلسة التخطيط لذلك، والمنعقدة في كيبوتس هازوريعا، تحدث الضباط على وجه الخصوص عن «تطهير أبوشوشة وأبو زريق المجاورة».

في بداية الهجوم المضاد استولت وحدات الهاغاناه ليلا على قرية ودمرتها جزئيا قبل أن تنسحب في الصباح (بسبب قذف مدفعية القاوقجي). غير أنه منذ منتصف يوم العاشر من أبريل استولت الهاغاناه واحتفظت بشكل دائم بقرى (595). هرب الجزء الأكبر من السكان العرب قبل أو أثناء الهجوم. ثم هُدمت القرى وطُرد من تبقى من سكانها باتجاه جنين.

خللال المعركة - ونتيجلة لانخفاض الروح المعنوية من جراء التقارير عن دير ياسين، فضلا عن مقتل عبد القادر الحسيني(596) - تقهقرت وحدات جيش الإنقاذ متخليـة عن القرويين<sup>(597)</sup>. وفي ليلـة 8 - 9 أبريل أغارت قوات الهاغاناه على الغبية التحتسا، الغبيسة الفوقا، وخربة بيست راس، ودمرتها تماما في الأيسام التالية (598). كما هاجمت وحدات الهاغاناه في التاسيع من أبريل أبو شوشة التي كان أغلب سكانها قد هربوا بالفعل(599). في حين طُرد من تبقى منهم. ومُحيت القرية جزئيا من على الأرض. في ليلة 11 - 12 أبريل استولت وحدات البالماخ على الكفرين، التي كانت خالية من السكان، وأبو زريق، حيث أسر ما يقرب من 15 من الذكور البالغين و200 من النساء والأطفال، كما تم احتلال أبو شوشة. وفي صباح ذلك اليوم فَجِّر نحو 30 منزلا في الكفرين، وبعض منازل أبو زريق في المساء (600). وطُرد نساء وأطفال قرية أبو زريق(601). كما دُمر ما تبقى من منازلها في الخامس عشر من الشهر(602). أثناء ليلة 12 - 13 أبريل احتلت وحدات البالماخ غبية الفوقا وهاجمت المنسى والنغنغية (جنوب شرقى مشمار هعيمك) (603). أجلى العرب عن القريتين في 15 أبريل (604). ودُمرتا خلال الأيام التائية. ووفقاً لســجلات مشــمار هعيمك، بحلول 15 أبريل «تم إخلاء جميع القرى في المنطقة، تقريبا، بقدر ما تستطيع العين أن ترصد» (605). ووصل أغلب اللاجئين إلى منطقة جنين وأقاموا في خيام مؤقتة (600). وناشدوا اللجنة العربية العليا على النحو التالي:

الآلاف من النساء والأطفال التعساء من قرى أبو زريق، المنسي، الغبية، الكفرين، وغيرها من الأماكن القريبة من مستوطنة مشمار هعيمك، الذين دمر اليهود منازلهم، وقتلوا [اليهود] الرضع وكبار السن منهم، يوجدون الآن في القرى المحيطة بجنين من دون مساعدة ويوتون جوعاً. نطالبكم بمعالجة الموقف... واتخاذ ما يلزم نحو سرعة إرسال قوات للانتقام من اليهود وإعادة أراضينا إلينا (607).

على الرغم من انتهاء معركة مشهار هعيمك، جرت عمليات أخرى لاحقة. ففي ليلة 15 - 16 أبريل أغارت وحدات البالماخ على قرية اللجون الكبيرة، ودمرت أجزاء منها. ونقل مركز قيادة البالماخ في السادس عشر من أبريل: «أضحت المنطقة الواقعة بين قواعدنا [في راموت ميناش] وطريق وادي عارة خالية الآن من العرب» (608). وفي 19 أبريال أجرت وحدة تابعة للبالماخ تدريبا قتاليا في الكفرين، في أعقابه سُويت القربة بالأرض (609).

خلفت معركة مشهار هعيمك مرارة لدى بعض سكان الكيبوتسات المحلية. ففي الرابع عشر من أبريل وجه إليعازر بوير (بيري) الباحث في شوون الشرق الأوسط وعضو كيبوتس هازوريعا (التابع لحزب مابام) رسالة قاسية إلى القيادات العليا للجنة الدفاع في مابام تضمنت:

من المؤكد أننا منخرطون في حرب قاسية، ولا يمكن لنا التصرف بليونة. ولكن لاتزال هناك قواعد للحرب يحاول الشعب المتحضر أن يتبعها... [ركز بوير على الأحداث التي شهدتها أبو زريق قبل ذلك بيوم أو يومين]... عندما تم الاستيلاء على القرية، حاول سكانها الفرار وإنقاذ حياتهم بالهروب إلى حقول الوادي [مرج ابن عامر]. فخرجت قوات من المستوطنات المجاورة وحاصرتهم. ووقع تبادل لإطلاق النار قُتل خلاله العديد من أولئك العرب. في حين استسلم الآخرون أو قُبض عليهم وهم غير مسلحين. ومع ذلك قُتل أغلبهم. لم يتعلق الأمر بأفراد عصابة كما كتب لاحقا [في جريدة مابام اليومية] ولكن بقرويين عزل متعبن... كذلك داخل القرية عندما اكتشف ذكور بالغون مختبئين بعد مرور ساعات على انتهاء المعركة تم قتلهم... ونقل البعض كذلك أنه كانت هناك حالات اغتصاب، ولكنه من الممكن أن يكون

ذلك فقط من قبيل القصص المختلقة عن «البطولة» التي ينزع الجنود إليها. بعد ذلك دُمرت كل منازل القرية فضلا عن بتر المياه... وأخد الجنود ما يحكنهم من الممتلكات والحيوانات في المزارع التي لم يكن هناك من يحرسها: فأخذ أحدهم غلاية للقهوة، في حين استولى الآخر على حصان، والثالث على بقرة... يمكن للمرء أن يتفهم الأمر ويبرره إذا ما كانوا قد أخذوا الأبقار من القريدة إلى مشهار هعيمك على سبيل المثال، أو إذا ما كان الجنود الذين الستولوا على القرية سيقومون بذيح الدواجن وطهوها لطعامهم. ولكن إذا تحول الأمر إلى أن يقوم كل مزارع من موشاف (\*) قريب [في تلميح إلى موشاف يوكنعام] بأخذ دوره في النهب، فإن هذا ليس إلا سرقة...

وناشد بوير قددة مابام الحرص على إصدار التعليمات للقوات بالالتزام باتفاقيات جنيف(610).

نُوقش خطاب بوير والأحداث التي وُصفت بصراحة في اللقاءات العامة لأعضاء مابام في هازوريعا في الفسترة من 18 إلى 20 أبريل. وعارض أحد الأعضاء، يوسف ساتيل، أعمال السلب والنهب؛ وذهب آخر، آرنون، إلى التعبير عن عدم سعادته برؤية ما حدث في أبو زريق، وقيرة وقامون المجاورتين؛ ومن جانبه أدان فريتزي المعاملة القاسية للمعتقلين في أبو زريق، غير أنه أضاف - خلال الاجتماع الثاني - أنه يجب على الأعضاء «الامتناع عن الجدل حول الترانسفير» (611).

على الرغم من أن العناصر غير النظامية قد حاربت بشجاعة هنا وهناك، وصف ويتز بدقة ما حدث حول مشهار هعيمك ومنا يحدث في كل أرجاء البلاد على النحو التالي:

يحتل جيشنا بثبات قرى عربية، يشعر سكانها بالخوف ويفرون كالجرذان. ليس لديك أدى فكرة عما حدث في القرى العربية. كان يكفي إطلاق عدة قذائف في الليل فيلوذون بالفرار خوفا على حياتهم. تُفرغ القرى بشكل مطرد، وإذا ما استمرزنا في هذا المسار - وسوف نعمد إلى ذلك مع تزايد قوتنا - ستخلو عشرات القرى من سكانها. هذه المرة سيشعر أولتك المعتدون بأنفسهم معنى أن يكونوا لاجئين. ورجا يفهموننا (612).

<sup>(\*)</sup> الموشاف Moshava هو شكل من أشكال المستوطنات اليهودية في القرى. [المترجم].

قـدُم الإرغون الفصل الختامي للمعركة؛ فهاجمت وحداته (من زخرون ياكوف، حديـرا، بنيامينا، نتانيا) في الثاني عشر من شهر مايو آخر القـرى العربية في مرتفعات ميناش (المطلة على مشمار هعيمك من الغرب) وطهرتها. وهاجم المنشقون صبارين، السنديانة، البريكة، خبيزة، وأم الشوف. كان العديد من القرويين قد فروا خلال الأسابيع التي سيبقت ذلك(613). تلقت صبارين أوامر من قيادة أم الفحم بالصمود(614). غير أن أغلب القرويين الباقين فروا مع اقتراب القوات اليهودية وســقوط قذائف الهاون. فيما يخص السنديانة، التي استمر سكانها حتى بداية شهر مايو 1948 يعملون في كيبوتس زخرون ياكوف، ومُنعت العناص غير النظامية السورية من دخولها (615)، فقد بقي مختارها ومعه ما يقرب من ثلاثمائة من السكان ورفعوا العلم الأبيض. وقد سبق ذلك بعدة أيام أن عرضوا على جيرانهم اليهود أن يقوموا معا بـ «تمثيل» وقوع هجوم يهودي عليهم مما يكنهم من الاستسلام بشلكل مشرف(616). وعلى الرغلم من كل ذلك فقد تم طردهم. وبالنسبة إلى صبارين - حيث لاقت قوات الإرغون مقاومة - فر السكان بعد مقتل 20 خلال تبادل إطلاق النار؛ وفتحت سيارات الإرغون المدرعة النيران على القرويين الفارين. وفضلا عن ذلك فإن ما يزيد مائة شـخص من النساء والأطفال وكبار السن الذين بقوا بالقرية ظلوا عدة أيام حبيسي سياج من الأسلاك الشائكة قبل أن يُطـردوا باتجاه أم الفحم في الجنوب الشرقي، والتي كانت ضمن الأراضي الواقعة تحت السيطرة العربية. أما فيما يتصل بأم الشوف فقد تذكر أحد ضباط الإرغون أنه خلال تفتيشــه طابــورا من اللاجئين عثر على مســدس وبندقية، مما دفع جنــود القوات إلى احتجاز سبعة من الذكور البالغين من بينهم وترك الآخرين يتابعون طريقهم. وعقب ذلك طَلب من المحتجزين كشف هوية مالك الأسلحة، غير أن أيا منهم لم يعترف حتى بعد تهديدهم بالقتل. وعلى أثر ذلك عقد الضباط «محكمة عسكرية في الميدان قضت بإعدامهم جميعا».. وهو ما نُفذ بالفعل(617).

ظل سكان قرية أم الزينات (الواقعة شمالي الريحانية) مسالمين خلال فترة الحرب الأهلية، ولم يستضيفوا أي عناصر غير نظامية أجنبية. وفي أعقاب هزيمة العرب في مشهار هعيمك وسقوط حيفا العربية أقدم بعض القرويين على الفرار (618). ومع حلول السابع من شهر مايو كان أربعمائة من الذكور البالغين لايزالون في القرية (619). وعندما استولى لواء غولاني على القرية في الخامس عشر من الشهر وجدها فارغة (620)،

### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

غير أن مختار القرية، يوسف العيسى، وما يزيد على عشرة من رجال القرية، قدموا رواية مخالفة ذهبت إلى أن غولاني أمرهم بالرحيل مع النساء والأطفال المتبقين (621). وفي مطلع شهر أغسطس طوقت قوات الهاغاناه القرية محملة بأوامر بقتل الذكور وطرد النساء، وبالفعل اعتُقل عدد من الذكور، قتل منهم اثنان على الأقل، وطرد العديد من النساء (622).

بناء على أوامر من السلطات العربية أُجليت نساء وأطفال قرية قنير بالقرب من صبارين في الفترة من 22 - 24 أبريل<sup>(623)</sup>. وفي التاسع من شهر مايو أغارت قوات لواء إسكندروني على القرية؛ حيث قتلت أربعة من سكانها العرب وفجرت 55 منزلا<sup>(624)</sup>؛ مما دفع على الأرجح البقية الباقية من السكان إلى الهروب.

## معركة رمات يوحنان

في الوقت الذي احتدمت فيه معركة مشهار هعيمك في الجنوب، اتخذت فرقة تابعة لجيش الإنقاذ مواقع في شفا عمرو، خربة الكساير، وهوشة على ما يقرب من عشرة كيلومترات شرق حيفا، وهاجمت بشكل متقطع وسائل النقل والمستوطنات اليهودية بما في ذلك رمات يوحنان (625)، وربما أراد القاوقجي بذلك تخفيف الضغط عن منطقة مشمار هعيمك. تلقى لواء كارميلي الأوامر بالاستيلاء على هوشة وخربة الكساير، وهو ما تم بالفعل صباح السادس عشر من أبريل. لاذ السكان بالفرار. وقمكن اللواء من دحر هجمات مضادة، شجاعة وإن كانت غير فعالة، شنتها فرقة الحدروز التابعة لجيش الإنقاذ بقيادة شكيب وهاب، وتلت ذلك تسوية القريتين بالأرض وتدمير القرى الصغيرة التابعة لهما، بما في ذلك خربة سعسع (626). أسفرت بالأرض وتدمير القرى الصغيرة التابعة لهما، بما في ذلك خربة سعسع عمرو (627)، كما كان هزيمة جيش الإنقاذ عن عملية فرار ضخمة للسكان من شفا عمرو (627)، كما كان لها بلا شك تأثير كبير في إضعاف الروح المعنوية لعرب حيفا الذين كانوا على وشك مواجهة قوات لواء كارميلي.

# السهل الساحلي

كما سبق أن رأينا، أخلى أغلب عرب السهل الساحلي شمال تل أبيب منازلهم وقراهم خلال الأشهر السابقة. وجاء شهرا أبريل ومايو ليشهدا استكمال عملية النزوح

الجماعي، باستثناء عدة قرى معزولة سُمح لها بالبقاء (جسر الزرقاء، الفريديس) أو احتلتها قوات الدفاع الإسرائيلية فقط في يوليو (الطيرة، عين غزال، الجبعة، إجزم). كانت عمليات الإجلاء خلال شهري أبريل ومايو مدفوعة بشعور بالضعف والتعرض للخطر، والخوف من الهجوم المرتقب، أو نتيجة للهجوم الفعلي، أو التعرض للضغط أو تنفيذا لأوامر الطرد، فضلا عن الضغوط من قبل قادة العناصر غير النظامية.

أعلنت سياسة الهاغاناه الجديدة في المنطقة - على النحو السالف الذكر -والمتصلة بطرد السكان العرب خلال اجتماع مستشاري لواء إسكندروني للشؤون العربية في السادس من أبريل (628). وكان العرب المتبقون في خربة عزون (تبصر) قد تلقوا أمرا، في الثالث من الشهر، بالرحيل بحلول يوم 16 أبريل(629). أما سكان قرية بيارات حنون الصغيرة (إلى الجنوب من نتانيا) فكانوا قد رحلوا بالفعل في بداية الشهر (630). فيما يتصل بالبدو المتبقين حول حديرا - عرب الفقارة - عرب النفيعات - عرب الضمايرة - فقد تسلموا جميعا أوامر بالمغادرة في العاشر من أبريل (631). وغادر النفيعات في الثالث عشر من الشهر (632). كما صدر أمر مشابه من الهاغاناه في الخامس عشر من الشهر لسكان خربة السركس - وتقطنها جماعة من الشركس كانت على علاقة طيبة باليهود وتحدت ثلاث مرات أوامر جيش الإنقاذ بإجلاء النساء والأطفال(633). وقد أجليت نساء وأطفال القرية ما بين 20 و22 أبريــل (634). في حين غادر الرجال على الأرجح بعدهم بأيام قليلة. وفي الوقت ذاته غادر سكان خربة زلفة وخربة المنشية (جنوب حديرا) باتجاه الشرق في أعقاب التوصل إلى اتفاق مع ممثلي الهاغاناه تضمن أن يقوم يهود المستوطنات بالحفاظ على ممتلكاتهم والسهاح لهم بالعودة بعد انتهاء الحرب. وفي حالة المنشية يبدو أن ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه (أهارون برافرمان، من كيبوتس عين هاهوريش) طلب من القرويين البقاء وقبول حماية الهاغاناه ولكن من دون نتيجة. وفي المقابل لم يُوجِّه طلب مماثل لسكان خربة زلفة المعروفين تقليديا بعداوتهم، بل على الأرجح ضُغط عليهم للرحيل(635). فيما يتصل بخربة بيت ليد (شرق نتانيا) والتي سبق لسكانها أن هربوا ثم عادوا مجددا إلى ديارهم في منتصف شهر ديسمبر 1947، فقد تلقت أمرا من الهاغاناه بالإجلاء في مطلع أبريل، وهو ما نُفِّذ في السادس عشر من الشهر (636).

حظي سكان قرية مسكة الكبيرة الواقعة شمال شرق قلقيلية بإعفاء خاص، حيث سُمح لهم في بداية شهر أبريل بالبقاء في ديارهم (637). غير أنه في التاسع عشر من الشهر، وفي أعقاب عملية قنص شُنت من القرية أسفرت عن عدة ضحايا في صفوف الهاغاناه، أمر رئيس كيبوتس رامات هاكوفيش السكان به «المغادرة خلال ساعتين». وقد خُفف الأمر من قبل لجنة الممتلكات العربية التي اقترحت، بدلا من ذلك، أن يسلم القرويون الأسلحة؛ القبول بالإدارة اليهودية، والانتقال إلى الداخل في خربة الزبابدة بالمنطقة اليهودية، وهو ما رفضه السكان وفضلوا عليه الرحيل باتجاه الشرق. وهو ما تم بالفعل فيما بين 20 و21 أبريل. وتضمن أحد سجلات اليشوف وصفا لذلك على النحو التالي: «ذلك اليوم، واليوم التالي لم تتوقف محركات السيارات، والحمير، والجمال من مسكة إلى الطيرة». دخلت قوات الهاغاناه القرية مساء الحادي والعشرين من أبريل (638).

في مطلع شهر مارس 1948 نجح توفيق أبو كشك في التوسط للوصول إلى اتفاق عدم اعتداء بين قرية بيار عدس العربية ومغديل المجاورة (شهال شرق راماتايم)(639). لكن العناصر المسلحة بالهستدروت خرقت وقف إطلاق النار بشكل متكرر بإطلاقها النار من مغديل (640)، مما أدى إلى رحيل العديد من العائلات، وعاد الرجال فقط في أوقات النهار لزراعة حقولهم (641). وفي الثاني عشر من أبريل أجلى سكان القرية (642). بعد مرور أيام قليلة، وعلى بعد عدة كيلومترات إلى الجنوب، أجلى سـكان قرية جرملة الصغيرة «نتيجة للخوف من هجوم يهودي»(643). في بداية شهر أبريل، ونظرا إلى موسم الحصاد الوشيك، سعت قرية فجة الكبيرة (الواقعة إلى جانب بتاح تكفا) للتوصل إلى هدنة مع جيرانها اليهود (644). بيد أن السكان تعرضوا لضغوط من جيش الإنقاذ الذي طلب منهم قطع صلاتهم باليهود (645)، والمشاركة بـ «متطوعين» للتشكيلات، الأمر الذي لم يكن مختار القرية، عبدالله الحاج، يرغب فيه خشية الأعمال الانتقامية (646). وقد ترتب على ذلك استدعاؤه للاستجواب من قبل قادة جيش الإنقاذ في راس العين (647)، وأخيرا نزح السكان بعد العاشر من أبريل - مع عودة حفنة منهم بعد ذلك بعدة أيام للقيام بأعمال الحراسة (648). لقد شعروا بالخوف من كل من جيش الإنقاذ واليهود الذين عمدوا بشكل دوري إلى نهب المنازل المهجورة (649). نظرت الهاغاناه إلى العرب الذين بقوا على أنهم «عنصر مزعج»، وقررت استكمال الإجلاء التام من القرية، فضلا

عن قرية النبي ذاري الصغيرة المجاورة (650)، وفي تلك الأثناء نُظر إلى عبدالله الحاج على أنه فائن وألقي القبض عليه وتعرض «لتعذيب قاس» على يد جيش الإنقاذ (651). وفي نهاية المطاف لجأت الهاغاناه إلى الحرب النفسية والتحذيرات لدفع السكان المتبقين في فجة إلى النزوح (652).

مع بداية شهر مايو لم يكن هناك إلا القليل من العرب المتبقين في السهل الساحلي. وفي إطار الاستعدادات لصدور إعلان قيام الدولة والغزو العربي المحتمل، قرر خبراء الشؤون العربية في لواء إسكندروني في التاسع من شهر مايو «طرد أو إخضاع» قرى: كفر سابا، الطيرة، كاكون، قلنسوة، الطنطورة (653).

بالنسبة إلى قريتي الطيرة وقلنسوة فإنهما لم يتم احتلالهما (ولم تنتقلا إلى السيادة الإسرائيلية إلا في مايو عام 1949، في إطار اتفاقية الهدنة الأردنية - الإسرائيلية). وفي المقابل استولت وحدات لواء إسكندروني في الثالث عشر من مايو على كفر سابا، مما أسفر عن نزوح جماعي. وكانت القرية قد عاشت بعض الوقت في حالة «فزع» من هجوم مرتقب على يد الهاغاناه، وقامت وحدة صغيرة من جيش الإنقاذ بحراستها(654). إلا أن الهجوم فاجأهم، وأطلق العنان «لهروب مذعور». ومن جانبه تمركز القائد المحلي السورى لجيش الإنقاذ في مخرج القرية مشترطا الحصول على خمسة جنيهات استرليني من كل نازح(655). لم يتبق في القرية سوى 9 من كبار السن رجالا ونساءا لم يتمكنوا من الهرب السريع أو دفع المبلغ المطلوب(656)، وتم طردهم لاحقا. ونتيجة لتأثير الذعر من الهجمات الإسرائيلية تم إجلاء قلقيلية بشكل شبه تام (وإن كان ذلك مؤقتا) وفر العديد من أعيانها إلى طولكرم(657).

استولت الكتيبة 33 من لواء إسكندورني على قرية الطنطورة (الواقعة جنوبي حيفا على السهل الساحلي) ليلة 22|23 مايو. كانت القرية تستخدم كممر لنقل الإمدادات، عبر البحر، إلى قرى المنطقة بما فيها عين غزال وجبع، وقد انهارت معنويات السكان بعد سقوط حيفا العربية ووصول اللاجئين منها، وقبل ذلك من قيسارية وعرب البارا. وفي بداية شهر مايو نُقل أن السكان مستعدون للاستسلام إذا ما تعرضوا لهجوم أو تلقوا إنذارا، على ألا يسلموا أسلحتهم (658). وفي هذا الصدد تساءل أحد ضباط الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه: هل كانت الهاغاناه راغبة حقا في استسلام الطنطورة وترك سكانها يعيشون في المكان؟ (659) بدأ النزوح

من القرية مطلع شهر مايو عقب قيام محلي بقتل يهودي ثم قُتل بدوره (660). رحل العديد بالقوارب إلى صور. إلا أنه في اللحظة الأخيرة - ربها بتشجيع من بداية الهجوم العربي على إسرائيل وفشل الهاغاناه في تقديم عرض مناسب لهم - قرر السكان «البقاء .. والقتال» (661). وبدأ القرويون في إعداد التحصينات وزرع الألغام على مداخل الطرق، كما صدرت أوامر لسكان القرى الصغيرة التابعة بالتركيز على مساعدة الطنطورة و إجزم (662).

أصدر مركز قيادة لواء إسكندروني أمرا تنفيذيا للهجوم في الثاني والعشرين من مايو؛ لم يتضمن أي إشارة إلى مصير السكان المدنيين (663) – على الرغم من أنه قد يكون هناك شك ضئيل في أن القوات ذهبت إلى هناك بنية طرد السكان. لم يتم تقديم عرض للقرية للاستسلام بهدوء، وبدأ الهجوم تلك الليلة بوابل من قذائف المدفعية، أعقبه دخول تشكيلات المشأة بشكل متزامن من الشمال والشرق والجنوب، فضلا عن وجود السفن الحربية لمنع الهروب عن طريق البحر. وعلى الرغم من المقاومة الجادة من قبل القرويين، تم حسم المعركة في الثامنة من صباح الثالث والعشرين من الشهر وقتل خلالها العشرات من السكان. وتحدث التقرير المبدئ عن «300 سجين من الذكور البالغين» و«200 من النساء والأطفال» (664).

كما جرت عليه العادة، تبع سقوط القرية عمليات سلب ونهب قام بها المستوطنون من المناطق المجاورة، وجهود من قبل الهاغاناه لإيقاف ذلك. وأسفرت إحدى عمليات التفتيش عن استعادة سجادة، وغراموفون (قارئ اسطوانات)، وجوال خيار، ومعزاه...» (حفق كانت هناك أيضا عملية تدمير واسعة للممتلكات (حفق وعلي مدار أيام ظلت المدينة ومحيطها مليئين بجثث الأفراد والحيوانات مما خلف وضعا صحيا خطيرا (حفق).

نـزح بعض القرويين إلى الأراضى الخاضعة للسـيطرة العربية، في حين انتقل مئات آخـرون - أغلبهم من النسـاء والأطفـال - إلى الفريديس (قريـة عربية تقع في الشرق وسـبق أن استسـلمت، وكان هناك المئات من لاجئي الطنطورة يعيشـون في خيام. في الحادي والثلاثين من شـهر مايو سأل شـتريت (وزير شؤون الأقليات) بن غوريون عما إذا كان يجـب طرد هؤلاء النسـاء والأطفـال، حيث إن الإبقاء عليهـم في الفوريديس عثل مشـكلة (668). كذلك مارست الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه ضغوطها؛

فالمطرودون من الطنطورة يسربون معلومات استخباراتية للقرى المجاورة التي المعلودة التي الستيلاء عليها، فضلا عن أنه توجد مشاكل تتمثل في الازدحام الشديد والصرف الصحي (669). ولم يُعرف رد بن غوريون على ذلك، إذا كان هناك من رد. إلا أنه في الثامن عشر من يونيو تم طرد ما يقرب من ألف شخص قادمين من الطنطورة من «النساء، والأطفال، وكبار السن» (إلى جانب ثمانين من المحتجزين الذين ينتمون إلى مناطق أخرى) من الفوريديس إلى المنطقة التي يسيطر عليها العراقيون في طولكرم بالسامرة (670). وبقي في الفريديس 200 أمرأة وطفل، وعلى الأرجح بعض الرجال، رهن الاعتقال الإسرائيلي.

كانت الفريديس وصرفند من بين القرى الأكثر صغرا من حيث الحجم بالقرب من الطنطورة التي تم إجلاؤها بداية شهر مايو<sup>(672)</sup>. وبحلول منتصف الشهر كان بعض القرويين قدعاد، إلا أن قوات كارميلي قامت في الخامس عشر من الشهر باحتلال القريتين وتحصنت فيهما لفترة قصيرة<sup>(673)</sup>. وبعد مرور يومين أغار كارميلي على المزار (الواقعة على بعد أربعة كيلومترات في الشمال الشرقي من صرفند) بهدف «جعل القرية غير صالحة للاستعمال». وقد قابلت القوات 10-20 عربيا فارين، ثم بدأت بعد ذلك في «حرق ما يمكن حرقه»<sup>(674)</sup>. ومع ذلك عاد بعض القرويين بعد عدة أيام إلى ديارهم (675). وفي نهاية المطاف أُعيد احتلال القرى الثلاث وتطهيرها أخيرا منتصف شهر يوليو. (انظر ما يلي).

تمت مهاجمة قاقون، شهال غرب طولكرم، والاستيلاء عليها من قبل وحدات لواء إسكندروني ليلة 4-5 يونيو، ولم يتضمن الأمر التنفيذي للعملية النص على ما يجب فعله بالنسبة إلى السكان، لكنه كرر الحديث عن «تنظيف» و«تأمين» القرية (676)، وقد سبق الهجوم قذف كثيف للمدفعية مما عجل بإجلاء معظم السكان إلى البساتين المجاورة (677)، وبقي فقط عدد قليل من عناصر المليشيات والعشرات من جنود الجيش العراقي للقتال سرعان ما تم التغلب عليهم من قبل وحدات مشاة اللواء (678).

### عملية يفتاح

كجزء من الخطة دالت قامت الهاغاناه في النصف الثاني من شهر أبريل وخلال شهر مايو بتأمين الحدود من ميتولا إلى بحيرة طبريا توقعا لغزو سوري. وخلال

عملية يفتاح، كما أُطلق عليها، تم طرد السكان العرب في الجليل الشرقي - الذي كان قرار التقسيم قد وضعه تحت السيادة الإسرائيلية.

تضمـن الأمر التنفيذي للعملية تحديد هدفها في «فرض السـيطرة على منطقة تل حاي (طلحة) وتدعيمها استعدادا لمواجهة غزو خارجي». لم يذكر الأمر شيئا عن السياسة التي يتم اتباعها تجاه السكان المدنيين (679).

بدأت الحملة بهجومين فاشلين من قبل البالماخ في الخامس عشر والعشرين من أبريل، على حصن الشرطة في النبي يوشع بالطرف الجنوبي الشرقي للسان الجليل. عندئذ عينت رئاسة أركان الهاغاناه إيغال آلون ليتولى مسؤولية العملية، وكان تحت تصرفه ما يقارب كتيبتين، وواجه عشرات القرى، فضلا عن مدينة صفد والحدود المفتوحة مع سورية ولبنان. وانطلاقا من التقرير الذي أعده في الثاني والعشرين من أبريل، فضلا عن أعماله اللاحقة، توصل آلون إلى نتيجة مفادها أن تنظيف المنطقة بالكامل من العرب يمثل ضرورة لتأمين الحدود (680). ومع ذلك كان على البالماخ الانتظار حتى يتم الجلاء البريطاني من المنطقة. قام البريطانيون بتسليم بعض حصون الشرطة المحلية والمعسكرات إلى العرب. إلا أنه في 27-28 أبريل تمكنت وحدات البالماخ من احتلال تلك المواقع في محنايم وحول روش بينا(681). لم يكن آلون متفائلا كثيرا بالوضع العسكري(682). ومع ذلك فإنه تحت تأثير سقوط حيفا العربية والغزو العربي المحتمل الذي كان يعنى مواجهات شاملة، كانت الروح المعنوية لدى العرب منهارة، وقام القادة العسكريون العرب في الفترة من 20-22 أبريل بإصدار أوامرهم بإجلاء النساء والأطفال من الدوارة، والعابسية (وهما قريتان كبيرتان في لسان الجليل) (683). كذلك قام القرويون في مغربي والقبائل البدوية في المنطقة الواقعة غربي وجنوبي بحيرة الحولة بعملية إجلاء شاملة. ومن بين الذين غادروا عرب الزبيد وأغلب سكان العلمانية، الحسينية، كراد البقارة، كراد الغنامة، وخربة الخصاص (684).

في الأول من شهر مايو وقبل أن يستكمل آلون استعداداته، قامت عناصر المليشيا المحلية وغير النظامية المتمركزة في سورية ولبنان بهجوم فاشل على راموت نفتالي، كيبوتس دان، كيبوتس كفر سالد، وكيبوتس ليهافوت هاباشان في منطقة للسان الجليل (685). وقد انتاب سكان العديد من القرى الخوف من أن يقعوا في

مرمى النيران المتبادلة مما دفعهم إلى الهرب، وةثلت هذه القرى في مداحل، خربة العزيزيات، خيام الوليد، الحمراء، غرابة، وبشكل جزئي المفتخرة (686). كما طلبت السلطات السورية، أو القادة المحليون، في ذلك اليوم من القرى الواقعة حول روش بينا إبعاد النساء والأطفال (687). كذلك تلقى سكان قرية هونين الشبعية - الذين كانت لهم علاقات طيبة بجيرانهم اليهود على مدار السنين، وأخرى سيئة مع السنة في صفد - أوامر ربا من قبل السلطات العربية أو اللبنانية - بالإجلاء خلال ستة أيام (688). وأسفرت الغارة التي شنتها الهاغاناه بعد مرور أسبوعين عن هروب أغلب سكان القرية (689). (بقي حوالي 400 شخص، وقد رأى شيتريت أن على إسرائيل أن تبني علاقات جيدة مع الشبعة (الفلسطينين) (690)، إلا أن الجيش كان له رأي أخر، وخلال الصيف تم اغتصاب أربع نساء من القرية قبل قتلهن من قبل جنود قوات الدفاع الإسرائيلية (1991). في شهر أغسطس أجبرت قوات الدفاع الإسرائيلية بعض السكان على الفرار، أما الباقي فقد فر من تلقاء نفسه خلال الشهر التالي في أعقاب غارة شنتها قوات الدفاع تم خلالها قتل 20 شخصا وتدمير 20 مبنى) (692).

بدأ آلون في الثاني من شهر مايو شن هجومه مستوليا على عين الزيتون وبيريا (انظر ما سبق)، ملحقا الرعب - من خلال القصف العنيف لقذائف الهاون- بقرى: فرعم، قباعة، مغر الخيط (شهال شرق صفد) مما أسفر عن عملية إجلاء ضخمة، يُذكر أن القرويين كانوا يتعرضون بشكل دوري لوسائل النقل اليهودية بين روش بينا وأييليت هاشاهار (693).

في تقريره بتاريخ 22 أبريل كان آلون قد أوصى، من بين أشياء أخرى، «بمحاولة طرد البدو المقيمين بين نهر الأردن وجُب يوسف وبحيرة طبريا» فباستهداف صفد تصبح مثل هذه العملية أمرا حتميا (694). شن آلون في الرابع من شهر مايو «عملية بروم» ضد السكان البدويين وشبه المستقرين - القديرية، عرب السمكية، عرب السياد، عرب الشمالنة، الزنغرية - الذين قاموا على مدار أشهر بمضايقة وسائل النقل اليهودية بين طبريا وروش بينا. حدد مركز قيادة عملية يفتاح أهدافها كما يلي: «(أ) تدمير قواعد العدو ... (ب) تدمير نقاط التجمع للقوات الغازية من الشرق. (ج) الوصل بين الجليل الأدنى والجليل الأعلى بقطاع آمن نسبيا» من الأراضي اليهودية المتصلة. أما بالنسبة إلى الأوامر الصادرة للقادة العسكريين في العملية فقد تضمنت أنه يلزم

مهاجمة الزنغرية، الطابغة، وعرب الشمالنة و«طرد سكانها وتدمير منازلهم»؛ أما العرب الأصدقاء والكنائس فإنه «لا يجب إصابتهم بالأذي في أي حال من الأحوال»<sup>(695)</sup>.

بدأت العملية بقصف قذائف الهاون نفذته الكتيبة الأولى من البالماخ بمساعدة من لواء إسكندروني ووحدات الهاغاناه المحلية، وتم «تدمير أغلب المنازل وإحراق الخيام في قيدار» الواقعة بين الطابغة والبطيحة (حيث يصب نهر الأردن في البحر)، وأسفر ذلك عن قتل 14 من العرب فيها فر الآخرون إلى سورية (696). وفي الأيام التالية قام خبراء المفرقعات في البالماخ بتدمير أكثر من 50 منزلا في الزنغرية وقرى أخرى في المنطقة (697). وفي وصفه لما رآه آنذاك، ذكر القس بونيفاس بيتلمييه، من الطابغة، ما يلى:

ما كدت أنتهى من مراسم عملية المباركة، حتى دوّى انفجار رهيب في الطابغة. سارعنا في الخروج لنرى أعمدة من الدخان تتعالى في السهاء. كان يتسم تفجير المنزل تلو الآخر وإحراقه، وعقب ذلك امتدت العملية باتجاه نهر الأردن. كافة الأشياء تم قصفها، والخيام والأكواخ تم إحراقها. وتوالت الانفجارات طوال اليوم وكانت أعمدة الدخان والنار مرئية بشكل واضح؛ وبحلول المساء عاد «المنتصرون» أدراجهم بشاحنات محملة بالماشية. وما لم يستطيعوا أخذه قتلوه ... وتم قتل والدة عوض الكبير ودهان العجوز، وفي المقابل لم تصب تكية الدير، كنيسة تكثير الخيز والسمك، أو منزل قاسم شحادة (798).

قام السوريون بإخطار البريطانيين بأن العملية خلفت 2000 لاجئ إضافي (699). وكما سبق لعزام باشا أن فهم وتوقع، كان آلون «يُخرج السكان «من المناطق» الواقعة على أو بالقرب من الطرق التي يمكن أن تستخدمها القوى غير النظامية لدخول البلاد... مما سيضع أكبر الصعوبات أمام الجيوش العربية حتى في محاولة دخول فلسطن بعد 15 مابو» (700).

طبق الآلون كان لعملية بروم «أثر نفسي هائل» على قرى صفد ووادي الحولة ومهدت الطريق للاستيلاء عليها وهروب سكانها (701)، وبدوره أدى سقوط صفد العربية (إلى جانب الخوف من الغزو الوشيك) إلى الإسراع في هجرة سلسلة من القرى المجاورة عما في ذلك: الجاعونة، ديشوم، الظاهرية، آبل القمح، الزوق التحتاني،

الشوكة التحتا، قديتا، السموعي، الخالصة، والناعمة (702). كما قام الكثير من سكان ميرون (غرب صفد) على الأرجح بالرحيل في ذلك الوقت (703). كذلك ساعد سقوط صفد آلون في أكبر عملية حرب نفسية خلال القتال:

مع تردد أصداء (سقوط صفد)... بعيدا اهتزت ثقة آلاف العرب في [وادي] العولة ... الذين لم يعد أمامنا إلا خمسة أيام ... حتى 15 مايو. وبالنسبة إلينا فإننا رأينا أنه من المحتم تنظيف الداخل في الجليل وخلق اتصال مع أراضي الجليل الشمالي اليهودية. وقد أدت المعركة الطويلة إلى تقليل عدد قواتناء الجليل الشمالي اليهودية في سد الطرق المحتملة للغزو. قمنا بالبحث عن وسائل لا تضطرنا إلى استخدام القوة لإبعاد عشرات الآلاف من العرب المعاديدن لنا والذين تركوا في الجليل، والذين يمكن - في حالة وقوع الغزو - أن يضربونا من الخلف. وفي هذا الصدد حاولنا استخدام خدعة تستثمر الهزائم العربية في صفد والمنطقة التي تسم تنظيفها خلال عملية بروم وهي الخدعة التي نجحت بشكل ممتاز.

قمت بجمع العمد اليهود الذين كانت لهم علاقات مع قرى عربية مختلفة، وطلبت منهم الهمس في آذان العرب بأن هناك تعزيزات يهودية ضخمة وصلت إلى الجليل وأنها على وشك تفريغ قرى الحولة من سكانها، كذلك طلبت إليهم أن يقوموا بنصح العرب – كأصدقاء - بالهرب مادام ذلك ممكنا. وانتشرت الشائعة في كل أرجاء الحولة بأن الوقت حان للفرار. وقد شملت عملية الهرب عشرات الآلاف، مما يعنى أن الخدعة حققت هدفها بالكامل ... أصبحنا قادرين على نشر قواتنا في مواجهة الغزاة المتوقعين على طول الحدود، من دون خوف من خطر قائم من خلفنا (704).

قام رجال آلون كذلك بتوزيع منشور ينصح أولئك الذين يرغبون في تجنب إصابتهم بأذى أن يرحلوا «مع نسائهم وأطفالهم» (705). وقد لخص أحد قادة البالماخ - رجا يكون آلون نفسه - ما حدث على النحو التالي:

مثــل تفريغ منطقة الحولة من ســكانها العرب العملية المشــتركة الوحيدة بين اليهود والعرب. فقد قامت أجهزة اســتخباراتنا بحملة إشاعات واسعة لتقوية أوامر قادة من الخارج (من سورية على ما بيدو) بإجلاء المنطقة بكاملها (<sup>706)</sup>. وفقا للإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه فإن «18% من النزوح الجماعي من منطقة لسان الجليل كانت نتيجة لحملة الشائعات»، ونسبت الإدارة كذلك عملية النزوح الجماعي في النصف الثاني من شهر مايو- على الأقل جزئيا - إلى هذه الحملة في: قيطية، لزازة، الزوق الفوقاني، المنشية، الخصاص، المنصورة، الدوارة، العابسية، بيسمون، وملاحة (707).

تم إجلاء العديد من القرى الأخرى بالمنطقة لأسباب مختلفة. فطبقا لاستخبارات قوات الدفاع الإسرائيلية قام سكان الخليصة بإخلاء قريتهم في الحادي عشر من مايو بعد رفض الهاغاناه طلبهم التوصل إلى «اتفاق». (مما لا شك فيه أن سقوط صفد العربية في اليوم السابق كان له تأثيره كذلك)، كما غادر سكان الصالحية في الخامس والعشرين من الشهر لسبب مماثل: «لقد أرادوا التفاوض [معنا]، لكننا لم نحضر مما أصابهم بالخوف». وقد كانت القرية تقليديا على علاقات «طيبة» مع اليشوف (708). أما فيما يتعلق بسكان البويزية فقد قاموا بالإجلاء بالتزامن مع الخليصة، وغادر السكان المتبقون بالزاوية في ظروف أكثر مأساوية: تم قصف القرية بالهاون والإغارة عليها في التاسع عشر من شهر مايو، وقامت الكتيبة الحادية عشرة، التي كانت لديها أوامر «بالاستيلاء على القرية وتدميرها وطرد سكانها» بتنفيذ ذلك (709). وبالنسبة ألى قرية فرعيم، التي بدأ سكانها في العودة إليها، تم حرقها في الثاني والعشرين من الشهر وهي: الشهر وهي: الشهر وهي: عاموقه، قباعة، ماروس، المالكية، وقدس (711).

في أواخر شهر مايو، بدأ اللاجئون المتضورون جوعا في العودة إلى: المفتخرة، العمراء، زوق التحتاني، الصالحية، العابسية، فرعم، بشكل أساسي لجمع المحاصيل؛ وقام العديد ببناء أكواخ في أراضي المستنقعات خارج قراهم الأصلية مما يمكنهم من الوصول إلى حقولهم في الوقت الذي يبقون فيه نسبيا بعيدا عن منال الدوريات الإسرائيلية. وقد عملت الهاغاناه على القضاء على ذلك وإقناع العائدين بمغادرة فلسطين (712). في الرابع والعشرين من شهر مايو بدأت البالماخ في الحرق المنظم لقرى [وادى] الحولة (713).

وبنهاية شهر يونيو كان جهاز استخبارات الهاغاناه في وضع يسمح له بأن يرسل تقريرا (وإن كان غير دقيق إلى حد ما) ينص على أن

جميع القرى العربية من منطقة صفد حتى سعسع باتجاه الشمال الغربي خالية ولم يعد سكانها إليها... وفي وادي الحولة أضحت جميع القرى شاغرة فيما عدا منطقة مستنقع الحولة، وغرابة والدرباشية، حيث وجدت تجمعات كثيفة من اللاجئين العرب... وكانت المنطقة الواقعة من مي ماروم [أي بحيرة الحولة] إلى بحيرة طبريا شرق الطريق الرئيسي الذي يربط بين طبريا - ميتولا خالية من سكانها العرب،كما كانت عليه الحال في بعض المناطق [غرب الطريق] (714).

إجالا، فإن تأثير الصدمة الذي أحدثه سقوط «العاصمة» الإقليمية، صفد، والهجمات اليهودية، وسيطرة الخوف من أن يكون السكان محاصرين بين النيران المتبادلة، شكلت على الأرجح الأسباب الأكثر تأثيرا في خفض الروح المعنوية والرحيل، أكثر من حملة الشائعات؛ ولوضع المقولة بشكل مختلف يمكن القول إن حيل الحرب النفسية كانت فعالة نظرا لأنها جاءت على قمة العوامل الأخرى التي تضمنت صدور أوامر بالإجلاء الجزئي أو الكلي من قبل القادة العسكريين المحليين والسورين. إن الصورة التي تظهر في التحليلات الصادرة عن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في يونيو 1948عن أسباب الإجلاء تبدو أكثر تعقيدا مما ذكره آلون من أن النزوح الجماعي كان ببساطة نتيجة حملة إشاعات متناسقة.

## عملية بن عامي

شكل اندفاع قوات لواء كارميلي من الجليل الغربي إلى الحدود اللبنانية آخر عملية رئيسية شنتها الهاغاناه قبل انتهاء الانتداب، وبالتماشي مع نصوص الخطة «دالت» لتأمين الكتل الاستيطانية خارج حدود التقسيم. فتحت مسمى عملية بن عامي تم تنفيذ الهجوم على مرحلتين في الفترة ما بين 13 و 22 مايو، ونتج عنه الاستيلاء على جميع القرى على امتداد الطريق الساحلي من جنوب عكا إلى روش هانيكرا - البصة وبعض القرى الواقعة شرقي الطريق، فضلا عن هروب كل سكانها تقريبا. وقد تمثلت الأهداف الرئيسية للعملية في توفير الإمدادات والتعزيزات للمستوطنات في الجليل الغربي - نهاريا وعدد من الكيبوتسات - لإبعاد السكان غير المقاتلين استعدادا للهجوم العربي الوشيك، وبشكل عام لتأمين سيطرة يهودية دائمة

على المنطقة. نصت الأوامر الصادرة بشكل محدد على الاستيلاء على القرى الرئيسية المستهدفة وتدميرها (البصة، الزيب، السميرية) (715)، إلا أنها لم تشر بشكل صريح إلى أفاق ومستقبل السكان العرب، وعلى الأرجح رغب كارميل- الذي قاد العملية- في إجلائهم بشكل تام.

اهتزت قرى المنطقة بشدة عقب الهجمة التي شنتها البالماخ على قرية الكابري للله 31 يناير-1 فبراير التي تسم خلالها تدمير دار فارس سرحان (أحد أعيان القرية التابعين للحسيني) (716). وما تلي ذلك من فرار سرحان بصحبة عائلته إلى لبنان (717). أشارت تقارير آنذاك إلى أن القرى الأخرى - الزيب، العابسية، أم الفرج، الكابري، النهر، الشيخ داوود، وكويكات - عبرت عن رغبتها في التوصل إلى اتفاق عدم اعتداء مع الهاغاناه (718). إلا أن الهجمات على وسائل النقل اليهودية استؤنفت بعد ذلك.

بنهاية شهر أبريل أعدت الهاغاناه مخططا مبدئيا لعملية سُميت عملية إيهود تضمنت الهجوم على: الكابري، النهر، البصة، الزيب, والقضاء على «العصابات والرجال وتدمير الممتلكات» (719). وشكل هذا المخطط الأساس لأمر التنفيذ العملي لعملية بن عامي. فمع بداية العملية، تحت تأثير الأحداث في يافا وصفد، كان هناك نزوح كبير من المنطقة، ونُقل أن الكابري والمزرعة هُجرا تماما، كما نزح أغلب السكان من عكا (720).

بدأت عملية بن عامي مساء الثالث عشر من شهر مايو مع توجه طابور من العربات المدرعة والحافلات التابعة للواء كارميلي باتجاه الشمال على طول الطريق الساحلي، في الوقت الذي قام فيه تشكيل من السفن بإنزال كتائب في نقاط على طول الطريق. وقد سقطت السميرية قبل بزوغ الفجر. وترك المهاجمون الجانب الشرقي من القرية مفتوحا لتمكين القرويين من الفرار - وبالفعل سلك سكان القرية هذا الطريق مع سقوط أولى قذائف الهاون. ويذكر أن العديد كانوا قد رحلوا قبل ذلك بسبب تدهور الروح المعنوية جراء الهزائم العربية السابقة وعدم توافر الدعم من قبل جيش الإنقاذ (ردد). وقامت القوات بتدمير القرية على الفور (تدري). أما فيما يتعلق بقريتي الزيب والبصة فإنهما سقطتا بعد مرور ساعات. فقد تم قصف الزيب التي كانت معادية للصهيونية - بالهاون مما دفع سكانها إلى الفرار أثناء المعركة خوفا من الانتقام اليهودي منهم (تدري). وكان أغلب نساء وأطفال البصة قد هربوا إلى لبنان في الأسابيع السابقة. واشتكي القرويون بعد ذلك من أنه عقب استيلاء قوات

الهاغاناه على القرية قامت بإعدام حفنة من صغار السن (724)، وقامت بالتحرش واغتصاب عدد من النساء (على النحو الذي سبق حدوثه في السميرية والزيب (725)، خلال الأيام التالية تم نقل حوالي مائة شخص من كبار السن والمسيحيين من البصة إلى المزرعة، التي كان بها حفنة من الأفراد القادمين من الزيب؛ حيث أضحت المزرعة مركز تجميع للمتبقين من قرى المنطقة وظلت المجتمع العربي الوحيد الباقي في الساحل بالجليل الغربي (726).

أدى سقوط القرى إلى إضعاف الروح المعنوية في عكا التي سقطت بدورها ليلة 17-18 مايو (انظر ما سبق). كذلك فإن سقوط عكا كان له وقع كبير على ما تبقى من قرى، التي قرر كارميلي الاستيلاء عليها في الأيام التالية، فيما أطلق عليه «عملية بن عامي - المرحلة الثانية». تضمن أمر العمليات الصادر في التاسع عشر من مايو تعليمات للكتيبة الحادية والعشرين من لواء كارميلي بفتح طريق لإيصال الإمدادات إلى كيبوتس يعيام ومهاجمة الكابري، النهر، وأم الفرج بهدف «الاستيلاء، وقتل الذكور البالغين، والتدمير والإحراق» (777). وسعي كارميلي في الأيام التالية للحصول على التصديق اللازم من عمليات رئاسة أركان الهاغاناه (778)، وحصل عليه بالفعل. في ليلة 21-22 مايو هاجم كارميلي قسرى أم الفرج والكابري، والتل، والنهر (جميعها شرقي نهاريا) وقام بتدميرها، وقد رغب كارميل في معاقبة القرويين والنهر (خاصة في الزيب والكابري) على الأعمال الشريرة السابقة، وأيضا التأكد من أنهم النهودية وقد إلى الإطلاق وقدم إعدام عدد من القرويين في الكابرى على أيدي القوات اليهودية (730).

كانت آخر قرية تسقط خلال عملية بن عامي-المرحلة الثانية هي العابسية إلى الجنوب من الكابري. وعلى الرغم من أن القرويين - الذين كانوا قد ساعدوا الهاغاناه خلال الشهور الأولى من الحرب - استسلموا، فإن قوات كارميلي دخلت القرية بالسلاح وقتلت حفنة من الأفراد (تم اختيار ستة أشخاص أعدموا بعد الاحتلال) كعمل انتقامي ردا على المشاركة المزعومة في كمين «قافلة يحيام» في مارس عام 1948، والذي قتل خلاله 47 من رجال الهاغاناه (٢٥١١). خلال الأشهر التالية عاد بعض السكان إلى ديارهم بعد حصولهم على إذن من قوات الدفاع الإسرائيلية، إلا أنه تم طردهم في يناير عام 1950 (٢٥٤٥).

# الجنوب (أبريل- يونيو 1948)

احتفظت الهاغاناه - وفيما بعد قوات الدفاع الإسرائيلية - بوضع دفاعي في الجنوب الذي لم يشهد القيام بأي هجوم رئيسي خلال تلك الفترة. إلا أنه منذ الغزو المصري في الخامس عشر من شهر مايو تم إطلاق أيدي كل من لواء النقب وغيفعاتي لتفادي الانهيار اليهودي. وقد سبق للواءين القيام بهجمات محلية في أطراف مناطق عملهم لتحقيق أهداف تكتيكية محددة لتسهيل عملية مواجهة تقدم متوقع للقوات المصرية. وقد أسفرت هجمات لواء غيفعاتي خاصة شرقي مجدل (عسقلان) وأسدود عن فرار عشرات الآلاف من السكان المحليين.

خولت التعليمات التي تضمنتها الخطة «دالت» للعقيد أفيدان قائد لواء غيفعاتي سلطة تقديرية كبيرة من أجل تحقيق الاستقرار على جبهته؛ حيث نصت على ما يلي: «سيكون عليك أن تقرر منفردا بعد التشاور مع مستشاري الشؤون العربية وضباط الاستخبارات التابعين لك، القرى التي يلزم «احتلالها، تنظيفها، أو تدميرها» في منطقتك (733). وخلال شهر مايو وبداية يونيو؟ قبل وبعد الغزو- تحرك أفيدان لتوسيع المنطقة الواقعة تحت سيطرته باتجاه الغرب والجنوب.

في منتصف شهر ديسمبر 1947، ومجددا في فبراير 1948، سعى محمد مصطفى مسوسى - مختار قرية عاقر (جنوب رحوفوت)- للتوصل إلى اتفاقية عدم اعتداء مع عقرون المجاورة، كما عمل على كبح جماح الشباب والعناصر غير النظامية ومنعهم من مهاجمة وسائل النقل اليهودية. وبالفعل تم التوقيع على اتفاقية في التاسع من فبراير (734). إلا أن أعيان القرية كانوا تحت ضغوط مستمرة من اللجنة الوطنية في الرملة لإظهار نشاطهم في القتال وتجنب الاتصالات مع اليهود واستقبال عناصر أجنبية غير نظامية. وبشكل عام تمكن القرويون من البقاء بعيدا عن المشاكل إلا أنه من وقت لآخر تم قفل الطرق أمام وسائل النقل اليهودية (735) أدي استيلاء قوات الهاغاناه منتصف شهر أبريل على معسكر بريطاني مهجور في كفر بيلو، إلى قطع عاقر عن الرملة، مما ولد حالة انزعاج وقلق شديد بين سكان القرية (736). وفي هذا السياق، سعى المختار إلى تجديد الاتفاقية المشار إليها (737).

في الرابع من شهر مايو أحاطت قوات غيفعاتي بقرية عاقر ودخلتها - بشكل ظاهر بعد التوصل إلى اتفاق سري على الأقل مع بعض أعيانها - وطلبت من السكان

تسليم الأسلحة. قُتل خلال العملية أربعة قرويين وجُرح خمسة. وتم تسليم 60-70 بندقية، ومدفع وبعض المسدسات (738). ومع اقتراب دورية بريطانية من المنطقة انسحب اليهود، بعد قيامهم ببعض عمليات السلب. في ضوء اعتقاد القوات المنسحبة أن المدينة قد خرجت عن سيطرتهم فإنهم أخذوا معهم من 6-8 أشخاص كرهائن «للتحقيق معهم... ومقايضتهم بإطلاق سراح أحد مرشدي [الهاغاناه] الذي وقع أسيرا [في أيدي العرب] (739). كما وعدت الهاغاناه بإطلاق سراحهم عندما يتم تسليم باقي الأسلحة، وهو ما وافق عليه القرويون وقام موسى بتوقيع خطاب بهذا المعنى (740). على الرغم مما تقدم، رحل أغلب سكان عاقر في اليوم ذاته باتجاه يبنى والمغار خوفا من أن يتم اعتبارهم خونة بسبب استسلامهم. وفي الوقت ذاته هدد لواء غيفعاتي بإعدام الأسرى إذا ما لم يتم تسليم الأسلحة (741).

عاود لواء غيفعاتي الدخول إلى القرية في السابع من شهر مايو؛ حيث لم يتبق بها سوى عدة عشرات من السكان، وقام بتدمير منزلين (742). وخلال أسابيع تم طرد ما تبقى من سكان، الأمر الذي أثار العديد من الاحتجاجات في صفوف حزب مابام، الذي كانت تربطه على مدار السنين علاقات مع مجموعة صغيرة من القرى ذات التوجهات اليسارية التي كانت مستعدة للعيش في سلام مع اليشوف (743).

أجرى لواء غيفعاتي عملية مماثلة لجمع الأسلحة في قرية قطرة (على بعد أربعة كيلومترات من عاقر) في 5-6 مايو من دون أن يشن هجوما حقيقيا. وأسفر ذلك عن تسليم 60 قطعة سلاح، إلا أنه خلال عملية تفتيش (أو نهب) أحد المنازل تم إطلاق النار على ضابط يهودي فأرداه قتيلا (إما بنيران عربية أو صديقة)، تلا ذلك القبض على ثلاثة أشخاص حيث طلب منهم الإفصاح عن اسم القاتل، وطلب اللواء تسليم العناصر غير النظامية الأجنبية فضلا عن المزيد من الأسلحة (744). وأعقب ذلك قيام الهاغاناه بإعادة احتلال القرية ورحل السكان في السابع عشر من مايو إما جراء التخويف أو الطرد، في وقت بدأ فيه الجيش المصري في الاقتراب (745).

تخللت العمليتان أعمال سلب ونهب فضلا عن تصرفات قاسية. ولاحقا أشار ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه الذي رافق القوات، إلى العديد من المشاكل، مما في ذلك الافتقار إلى أوامر واضحة فيما يتصل بوسائل التعامل، وعدم وجود معسكرات للمعتقلين، فضلا عن السلب والنهب(746). وبشكل

أكثر وضوحا تضمن السبجل الرسمي للواء النص على أنه بعد هاتين العمليتين سبعت القيادة إلى «تقييد النزعة للسلب وإساءة معاملة السبجناء»، ومن ذلك الوقت فصاعدا أصبح فقط ضباط جهاز استخبارات الهاغاناه المخولين باستجواب السجناء (747).

لم يكن سكان قرية عرب أبو فضل (عرب السطرية الواقعة شمال غرب الرملة) متحمسين لمساعدة الحسيني، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في مأزق بين الهاغاناه، التي طلبت منهم البقاء على الحياد أو الخضوع، والقادة العسكريين الموجودين في الرملة المجاورة الذين كانوا يحثونهم على الانخراط في العمليات القتالية. ومن ثم بدأت العائلات في الرحيل خلال شهر ديسمبر 1947. في أواخر شهر أبريل 1948 طلب الشيخ سليم، مختار القرية، حماية الهاغاناه (748). إلا أنه وقبل أن تتمكن الأخيرة من الرد أمرت السلطات في الرملة؟ ربا لشعورها بالخيانة التي يجرى الإعداد لها - السكان بالإجلاء (749). وبالفعل بحلول التاسع من شهر مايو رحل عرب السطرية (وكذلك سكان قرية بئر سالم المجاورة) (750). في ذلك اليوم بدأت جديا عملية تنظيف الطرف الجنوبي من منطقة عمليات في ذلك اليوم بدأت جديا عملية تنظيف الطرف الجنوبي من منطقة عمليات لواء غيفعاتي؟ في إطار الاستعداد للغزو- وذلك بشن عملية البرق بهدف:

حرمان العدو من قاعدة لعمليات مستقبلية ... وخلق مناخ من الذعر العام وتحطيم معنويات العدو. وتمثل الهدف في إجبار السكان العرب على «الرحيل»... ويمكن افتراض أن توجيه ضربة إلى أحد مراكز السبكان أو أكثر [على سبيل المثال: مجدل، إسدود، يبني] سيحدث عملية تشتيت [نزوح جماعي] للسبكان في التجمعات الأصغر بالمنطقة. وهو أمر مرجح في ضوء موجة الذعر التي سادت مؤخرا بين العرب في البلاد.

استهدف الأمر التنفيذي الصادر للكتيبتين (52) و(53) أساسا قريتي بشيت وبيت دراس. وفي تناقض واضح مع ما تضمنته المقدمة، تضمن الأمر أن يتم محاصرة القرى ومطالبتها بالاستسلام والتخلي عن أسحلتها. وفي حالة عدم امتثالها يتم قصفها بالهاون والهجوم عليها. أما فيما يتصل بقرية بيت دراس فإنه في حالة المقاومة يلزم «تدميرها ... والتعامل معها بسياسة الأرض المحروقة» (751). وفي أمر لاحق للمتابعة، صدر مساء العاشر من مايو، تم تكليف الفرقة 53 وقوات البالماخ التابعة

لها بإخضاع قرية البطاني الشرقي وجارتها البطاني الغربي باستخدام «الوسائل نفسها التي تم اتباعها مع عاقر، بشيت، وبيت دراس»<sup>(752)</sup>.

أسـفرت هجمات لواء غيفعاتي عن تحقيق النزوح الجماعي المرغوب فيه، وقد سبق كل هجوم أرضي عملية قصف بقذائف الهاون على القرى. وفيما يتعلق ببيت دراس كان قــد سـبق لها أن تلقت ضربة قاسـية خلال عمليــة انتقامية قامت بها الهاغاناه ليلة 20-21 أبريل، سقط خلالها ما يقرب من مائة قروي بين قتيل وجريح وفر العديد من السكان إلى مجدل، غير أن بعضهم أجبرته العناص غير النظامية هناك على العودة إلى القريلة (٢٥٥). وقام لواء غيفعاتي جهاجملة بيت دراس للمرة الأخيرة في 10-11 مايو؛ حيث واجه مقاومة كبيرة من قبل القرويين الذين خسروا 50 فردا في المعركة. وفي أعقاب ذلك «تم تفجير العديد من المنازل وإحراقها، كما تم تخريب الآبار ومخازن الحبوب». وأسفر كل ذلك عن عملية نزوح جماعي في كل أرجاء المنطقة (754)؛ حيث فر القرويون من عبدس، جولس، وبيت عفا (755). وخلال تلك الليلة تم أيضا الاســتيلاء على كل من السوافير الشمالية وبشيت بعد مواجهات شديدة؛ وهناك أيضا تم تفجير المنازل(756). وشهدت الفترة من 10-12 مايو قيام وحدات من المنطقة الفرعية في إفرايم بعمليات قصف متكررة والهجوم على قرية النبي روبين وإن لم يحالفها النجاح، وكان الهدف هو إجبار السكان على النزوح(٢٥٥٠). كان من بين نتائج الهجوم على بيت دراس أن أثار موجة من النزوح في قرية البطاني الشرقي المجاورة. وعندما دخلتها قوات غيفعاتي في الحادي عشر من الشهر وجدتها خالية باستثناء عدد قليل من كبار السن. وطبقا لأحدهم فإن باقي السكان رحلوا «وفقا لتعليمات المخاتير»، وتضمنت تقارير استخبارات الهاغاناه صراحة (758) قيام القوات بإعدام أربعة من الأشــخاص الباقين بناء على تعليمات من قائد الفرقة 54. أما بالنسبة إلى قرية برق فقد تم احتلالها في 12 مايو(٢٥٥).

في الثالث عشر من شهر مايو بدأ لواء غيفعاتي تنفيذ المرحلة الثانية لهجومه تحت مسمى «عملية مكابي». قذفت قرية أبو شوشة (جنوب شرق الرملة) بالهاون ليلة 13-14 وتلا ذلك اقتحام وحدات الفرقتين (51) و (54) القرية التي هرب بعض سكانها وتم تدمير منازلها (760). إلا أن الكثير من القرويين بقوا في القرية. وفي التاسع عشر من الشهر نقلت وحدة تابعة للجيش العربي من منطقة قريبة أن «اليهود ...

يقتلون القرويين في أبو شوشة»، وبعد مرور يوم أوضح غيفعاتي أن عدد القتلى من العرب خلال الهجوم ليلة 13-14 بلغ 30 شخصا على الرغم من أن العرب ادعوا أن «أكثر من 70» شخصا قد قضوا. ورجا كان هذا التقرير وسيلة ملتوية لتجنب الإشارة إلى القتل بعد 14 مايو(761). في الحادي والعشرين من الشهر أخطرت السلطات العربية في الرملة الصليب الأحمر أن «اليهود ارتكبوا أعمالا وحشية» في أبو شوشة، مطالبة بتدخل الصليب الأحمر (762). وقد حاول أحد جنود الهاغاناه مرتين اغتصاب امرأة سجينة في العشرين من عمرها(763). في نهاية الأمر طرد من تبقى من سكان القرية يوم 21 مايو(764).

خلال الهجوم على أبو شوشة حُوصرت قرية نانا ونُزع سلاحها بعد احتجاز 11 من أعيانها كرهائن (765). كان الكثير من سكانها قد رحلوا، غير أنهم بدأوا في العودة في 17 مايو (766). وخلال الهدنة الأولى حاول القادة العسكريون المحليون التأثير في اتجاه خروج السكان بحجة أنهم كانوا معرضين لمخاطر أمنية (767)، وفي الثاني عشر من يونيو - أي اليوم التالي لبدء الهدنة - احتلت قوات الدفاع الإسرائيلية القرية (768). وأمر القرويون بالرحيل في الأيام التالية أو تم تخويفهم للقيام بذلك (769).

هُوجمت قرية القباب (شهال غهرب اللطرون) كجزء من عملية مكابي وتم الاستيلاء عليها في الخامس عشر من شهر مايو<sup>(770)</sup>. كما استولت الكتيبة (53) من لهواء غيفعاتي على قرية المغار (جنوب غرب عاقر) في اليوم ذاته، حيث وجدت القوات «عددا قليلا من كبار السن والنساء»<sup>(771)</sup>.

في الثامن عشر من شهر مايو استولت الكتيبة (51) - للمرة الثانية - على السوافير الشرقية والسوافير الغربية المجاورة. وقد كلف الأمر التنفيذي للعملية (بشكل تقليدي) السرية (ج) من الكتيبة (51) بأن:

تطرد العدو من القرى... تنظف خط المواجهة... تستولي على القرى، وتطهرها من السكان (يلزم طرد النساء والأطفال أيضا)، وتلقي القبض على العديد من الأشخاص... وتحرق أكبر قدر ممكن من المنازل (772).

وُجـدت القريتان تقريبا مهجورتين تماما، وفجر الجنود وحرقوا العديد من المنازل. بيد أنه بعد الانساب عاد قرويون وأطلقوا النار على القوافل الإسرائيلية، وغلق على ذلك أحد قادة لواء غيفعاتي بقوله:

هناك مشكلة في الاستيلاء على القرى: فنتيجة لنقص المعدات المناسبة لهدم واحتلال القرى التي تم الاستيلاء عليها في معارك صعبة، فإننا مضطرون إلى مغادرتها بعد ساعات قليلة. وكان هذا ما حدث في عاقر، بشيت، بيت دراس، والسوافير. يجب علينا أن نطلب من القادة العسكرين البحث بجدية في أن يكون الاحتلال مستمرا، وأن يكون هناك إعداد مسبق للجرافات، والوقود والمتفجرات (773).

بحلول نهاية شهر مايو كانت كل من السوافير الغربية والسوافير الشرقية مجددا ممتلئة بالعرب (774).

ظلت المشكلة المتعلقة بترك القرى التي يُستولى عليها من دون حماية وفي حالة جيدة، مما مكن القرويين من العودة بسهولة بعد مغادرة الهاغاناه، تؤرق لواء غيفعاتي. وعلى سبيل المثال، في الثالث والعشرين من شهر مايو تضمن تقرير للإدارة السياسية لجهاز استخبارات الهاغاناه أن فلاحي السوافير والقرى المجاورة لها: بيت دراس، الجلادية صميل (المسعودية)، جسير قد قضوا الليل في الحقول وعادوا إلى قراهم للعمل نهارا (775). ومع ذلك فإن هجمات الهاغاناه والتدمير الجزئي للقرى أصاب السكان باليأس (776)، وأسهم في نزوحهم الجماعي الدائم.

بالتنسيق مع تقدم لواء غيفعاتي جنوبا، تقدّم لواء النقب التابع للبالماخ خلال شهر مايو بشكل محدود باتجاهي الشمال والشرق؛ حيث جرى الاستيلاء على برير (شهال شرق غزة) في 12-13 مايو. وهرب سكانها إلى غزة. وقتلت قوات الكتيبة التاسيعة عددا كبيرا من القرويين، وأعدم عشرات من الذكور في سن التجنيد. كما تسردد كذلك أنهم اغتصبوا وقتلوا طفلة في العاشرة من عمرها (7777). وفي اليوم ذاته طرد سكان قريتي سمسم ونجد (في الغرب). وفي سمسم لم تجد القوات سوى حفنة صغيرة من كبار السن. ودمروا عددا من المنازل وهددوا بأنه إن لم تُسلم أسلحة القرية في اليوم التالي فإنهم سيدمرون ما تبقى (778). استمر القرويون في العودة بشكل متكرر إلى القرية إما للإقامة وإما للزراعة. وبنهاية شهر مايو اقتحمت وحدة من لواء النقب قريتي سمسم وبرير بأوامر واضحة: «طرد السكان وحرق صوامع الحبوب والحقول»، وقد واجهت الوحدة مقاومة في سمسم قُتل خلالها 5 أشخاص (وطبقا لتقريس آخر 20)، ودُمرت الصوامع وبئر المياه (779). عاودت القوات الدخول إلى القرية في 9 أو 10 يونيو، وحرقت مجددا منازل واحتكت بالعرب (780).

هرب سكان قريتي كوكبا وحليقات (في الشمال) باتجاه الغرب في منتصف شهر مايو متأثرين بسقوط برير (781). وبعد مرور أسبوعين، وعلى وجه التحديد ليلمة 27-28 مايو، أغارت وحدات لواء النقب على قريتي المحرقة وكوفخة (جنوب برير) وطردت سكانهما (782). وكان القرويون في كوفخة قد سبق لهم التقدم بطلبات متكررة - لم يُستجب لها - للاستسلام والقبول بالإدارة اليهودية على أن يُسمح لهم بالبقاء (783). فقد نظرت الهاغاناه إلى مثل تلك الطلبات على أنها غير مخلصة ولا قيمة لها، فضلا عن أنه بوجود الجيش المصري على مقربة، كان من المفضل عدم المخاطرة بذلك.

جرى الاستيلاء على قرية بيت طيما (شمال برير) من قبل الفرقة السابعة بلواء النقب في 30 - 31 مايو; وقُتل خلال الهجوم 20 عربيا، كما حُرقت صوامع الحبوب ودمرت بنر المياه (٢٥٠٠). وفي 31 مايو طُرد سكان قرية هوج (الواقعة على بعد سبعة كيلومترات جنوب برير) إلى قطاع غزة. وقد كانت القرية تقليديا على علاقات طيبة مع اليهود؛ حيث أخفى سكانها في العام 1946 بعض عناصر الهاغاناه الذين كان البريطانيون يتعقبونهم. وفي منتصف ديسمبر 1947 أُطلقت النار على مختار القرية وشقيقه اللذين كانا في زيارة إلى غزة من قبل مجموعة اتهمتهما «بالتعاون» مع اليهود (٢٥٥٠). بيد أنه في نهاية مايو 1948 قرر لواء النقب - آخذا في الاعتبار تقدم طوابير الجيش المصري واقترابه - طرد السكان، وأعقب ذلك نهب وتدمير منازلهم (٢٥٥٥).

إلى الشهال، وبالقرب من رحوفوت، سيطر لواء غيفعاتي في 26 و27 مايو على قرية القبيبة وزرنوقة المجاورة وشبه المهجورة، وكانت زرنوقة قرية «صديقة» لليهود؛ حيث إنها كانت اقتصاديا تعتمد على الرواتب التي يُحصل عليها نتيجة العمل في مزارع البرتقال المملوكة لليهود (787). وفي مطلع شهر ديسمبر 1947 سعى القرويون إلى توقيع اتفاق عدم اعتداء مع مستوطني رحوفوت (788). غير أن ذلك لم يوثق رسميا على الإطلاق. خلال شهر أبريل 1948 دخلت كتيبة من العناصر غير النظامية القرية. ومع بدء الغزو المصري في الخامس عشر من مايو أصبحت الحرب قريبة جدا. وفي هذا السياق أرادت إحدى العشائر بالقرية، عشيرة دار الشوربجي، تسليم أسلحتها والقبول بحماية الهاغاناه، الأمر الذي رفضته بقية العشائر، وأجلي تسليم أسلحتها والقبول بحماية الهاغاناه، الأمر الذي رفضته بقية العشائر، وأجلي

أغلب كبار السن والنساء والأطفال إلى يبنى المجاورة. وبقي رجال عشيرة الشوربجي إلى جانب العشرات من الرجال المسلحين من العشيرتين الأخريين (789).

بدأ هجوم لواء غيفعاتي على القرية في السابع والعشرين من مايو بقصف كثيف من مدافع الهاون (790) أعقبه دخول القوات القرية. وأُرسل وصف تصويري لما حدث بعد ذلك إلى صحيفة حزب مابام اليومية، هاميشمار:

أخبرني جندي كيف فتح أحد زملائه الباب وأطلق النار على رجل عجوز وامرأة عجوز وطفل في سلسلة طلقات متتالية؛ كيف أخذوا العرب خارج منازلهم وأوقفوهم تحت أشعة الشمس الحارقة طوال اليوم وتركوهم يعانون العطش والجوع حتى سلموهم 40 بندقية... وكانوا ادعوا سابقا أنهم لا علكون سلاحا، وفي نهاية الأمر طُردوا من القرية باتجاه يبنى.

وقد احتج العرب على إرسالهم باتجاه أعدائهم - العرب المعادين للصهاينة - الذين لم يسمعوا لهم بدخول قريتهم زرنوقة، «غير أن ذلك لم يشفع لهم، وغادروا القرية وهم يبكون ويصرخون» (791).

إجمالا قُتل ســـتة من بين الســكان (ثلاثــة رجال، امرأتان، وفتــاة)، واعتُقل 22 شـخصا(792). وفي اليوم التالي عاد السكان قائلين إن سكان يبنى طردوهم باعتبارهم «خونة لا يســتحقون حســن الوفــادة». وقد شــاهد العائدون القــوات اليهودية والمســتوطنين من المناطق المجاورة ينهبون منازلهــم. وأُمروا للمرة الثانية بالرحيل، وأخيرا دُمرت منازل القرية خلال شهر يونيو(793).

استولى لواء غيفعاتي في الأيام التالية على العديد من القرى بما في ذلك جولس (27 مايو، ومجددا في 11 يونيو)، جسير (11 يونيو)، ويبنى. وكان اللواء مهتما «بإجلاء» قرية يبنى الكبيرة، كما يوضح ذلك التاريخ الرسمي (794). تحركت كتيبة من المتطوعين العراقيين إلى داخل القرية في منتصف شهر مارس. وفي الثلاثين من الشهر نفسه قتل ما يزيد على عشرين قرويا في عملية انتقام شنتها الهاغاناه (795). وفي الحادي والعشرين من شهر أبريل قبض على القائد العسكري العراقي بالقرية، عبد الرازق، في يافا وهو في حالة سكر أطلق خلالها النار على عربيين (796).

استولت وحدات من الفرقتين 51 و57 التابعتين للواء غيفعاتي على قرية يبنى في الخامس من يونيو. وقد تضمن أمر العمليات النص على «استكمال تنظيف

المنطقة من عناصر العدو المحاربة» (797). وكان أغلب سكان قرية يبنى قد فروا إلى أسدود في السابع والعشرين من شهر مايو بعد سقوط القبيبة وزرنوقة، بيد أن رجال المليشيات هناك أجبروا الذكور المسلحين على العودة إلى القرية (898). بعد قصف القرية بالهاون وتبادل قصير لإطلاق النار، دخلت وحدات غيفعاتي القرية ووجدتها مهجورة «باستثناء بعض كبار السن من الرجال والنساء»، الذين أُرسلوا لحزم أمتعتهم (999). وأضحت تلال الرمال جنوب المدينة ممتلئة باللاجئين الفارين باتجاه أسدود، وأطلقت عناصر لواء غيفعاتي قذائف المدفعية بهدف «تضخيم شعورهم بالذعر» (800).

بعد مضي شهرين على الأحداث أصدر مركز قيادة غيفعاتي تقريرا يلخص العمليات التي قام بها اللواء في الفترة من «15 مايو حتى 2 يونيو» تضمن: في الوقت الذي تركنا فيه فرقة كستار لمواجهة المصريين الذين يتقدمون، «كانت بقية الفرق منتشرة في خطين دفاعيين ووُظفت في عملية تنظيف المنطقة الداخلية، وهي العملية التي نُفذت كاملة» (801).

عشية الهدنة الأولى تلقى لواء النقب تعليمات من عمليات رئاسة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية تضمنت: «خلق حقائق ذات أهمية سياسية على أرض الواقع» و«تنظيف كل القرى العربية التي احتلتها القوات المسلحة المصرية». وتعلق الأمر على وجه التحديد بقريتي جولس وياصور اللتين كان يلزم احتلالهما «عدة ساعات» قبل بدء الهدنة (للتأكد من أن المصريين لن يكون لديهم الوقت، قبل أن تدخل الهدنة حيز التنفيذ، لإعادة الاستيلاء عليهما)(802).

لم يكن سلوك الهاغاناه وقوات الدفاع الإسرائيلية في كل أرجاء البلاد متناغما. فلواء غيفعاتي والنقب مالا إلى طرد التجمعات القريبة من خطوطهم في الجبهة على خلفية اقتاب القوات المصرية الغازية، الذين اعتقدت رئاسة أركان الهاغاناه على مدار أسابيع - أنها أقوى مما كانت عليه. أما فيما يخص عمليات لواءي غولاني وكارميلي فلم يجمعها أي قاسم مشترك من حيث الخصائص وما خلفته من آثار. في السادس عشر من شهر مايو، بعد مرور ساعات على شن القوات السورية والعراقية الغزو، استولى لواء غولاني على قريتي إندور وكوكب الهوا. وغادر أغلب السكان في إندور (اسمها التوراتي هو عين دور، أي بيت الساحرة) على الأرجح في بداية المعركة،

والعديد من الذين قَبض عليهـم، «وحاولوا [لاحقا] الهروب»، قُتلوا رميا بالرصاص. تم الاستيلاء على ثلاث بنادق. وقد ترك القائد في القرية حامية صغيرة في حين «نُقلت [البقية الباقية] من السكان باتجاه الناصرة»(803). بعد مرور أسبوعين، في السابع من شهر يونيو، دخلت دورية كبيرة من لواء غولاني على متن سيارة مدرعة وبصحبة ثلاث حافلات عسكرية إندور من دون أن تصادف أي «قوى أجنبية»، ودمرت منزلين، مواصلةً تقدمها بعد ذلك لتدخل قرية طمرة الكبيرة، حيث لم تجد إلا نساء وأطفالا فقط (نظرا إلى هروب الرجال لدى معرفتهم بقرب وصول القوة). وطلبت القوة من القرويين تسليم الأسلحة أو «الرحيل خلال نصف ساعة». وعاد قائد القوة ليمدد الفترة إلى عدة أيام. وانتقلت الدورية بعد ذلك إلى كفر مصر ومَكنت من مباغتة رجال القرية. وطلب القائد منهم تسليم الأسلحة خلال نصف ساعة وإلا سيكون على الرجال الرحيل. وتبع ذلك تسليم القرويين 8 بنادق واعدين بإحضار المزيد صباح اليوم التالي. وفضلا عن ذلك «طلبوا السماح لهم بالاستمرار في الحصاد وأن تكون لهم حرية الحركة إلى الناصرة. قلت إنهم سيتلقون الإجابة عن طلبهم بعد تسليمهم الأسلحة». واصلت الدورية تقدمها لتدخل قرية ناعورة (إلى الجنوب من طمرة)؛ حيث كان أغلب الرجال قد رحلوا، وأوضح المختار أنهم سيسلمون السلاح إلى اثنين من الضباط المحليين. وقد ذكر قائد الدورية: «ليست هناك حاجة إلى طرد هؤلاء السكان وإنا يلزم التوصل معهم إلى اتفاق بعدما يقومون بتسليم الأسلحة»(804).

في المقابل تصرفت قوات أخرى تابعة للواء غولاني بطريقة مختلفة (إن لم تكن شاذة إلى حد ما). ففي الرابع من شهر يونيو استقلت فصيلتان من الفرقة 12 - (فرقة باراك) التابعة للواء - بقيادة حاييم ليفاكوف ثلاث حافلات وسيارة جيب، واندفعت باتجاه قرى حدثا، عولم، سيرين، ومعذر، على بعد ما يقرب من عشرة كيلومترات غربي وجنوب غرب سمخ. وجدت القوة في كل من حدثا، وعولم، ومعذر حفنة من العرب مشغولين بالحصاد. كان في حوزتهم جميعا تصريح مكتوب بالبقاء. أما في سيرين فلم يكن هناك سوى مائة فرد. قامت القوة بالتحقق من بطاقات هويتهم وبالتفتيش بحثا عن الأسلحة (لم يُعثر إلا على بعض السكاكين) ثم غادرت القرية؛ حيث لم يُعثر على عناصر غير نظامية معادية وتُرك السكان في مكانهم – على القرية؛ حيث لم يُعثر على عناصر غير نظامية معادية وتُرك السكان في مكانهم – على

الرغم من أن ضابط الاستخبارات في الفرقة كان قد أوصى في تقريره بأنه يلزم «طرد العرب من المنطقة، والقبض على الشباب، ومصادرة المحاصيل...»(805).

بعد مرور نصف قرن، وصف فيكتور أوفيد - أحد الإسرائيليين المشاركين في هذه الدورية أو دورية أخرى مشابهة - الموقف كما يلي:

في أحد أيام الصيف الساخنة، وفي إطار الجهود المبذولة لتطهير المناطق من العناصر المعادية، أُرسلنا منتصف الليل للتفتيش في بعض القرى الواقعة خارج رمات يفنئيل... اقتربنا... سيرا على الأقدام... وعلى مسافة قريبة بدأنا في شم الرائحة الخاصة المنبعثة من القرية العربية، وسمعنا أصوات الدواجن والحمير... ونباح العشرات من الكلاب. وفي دقائق قليلة كنا على أطراف القرية... وبدأ العشرات من القرويين في الصراخ: جاء اليهود... استُدعي المختار للقاء القائد الذي أمره بإجلاء القرية في وقت معقول. وهكذا انتقلنا من قرية إلى أخرى وأجرينا تفتيشا دقيقا من منزل إلى آخر (بحثا عن العناصر المعادية) لكن من دون نجاح. وفي آخر وأكبر القرى أُمر المختار - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى القرى الأخرى - بمنع دخول القوات المعادية.

عندما كانت القوة الإسرائيلية على وشك الانصراف اقترب عربي من القائد «وبدأ في تقبيل يديه وقدميه» واشتكى أنه خلال عملية التفتيش اختفت رزمة من الأوراق النقدية من جيب معطف كان معلقا في المنزل، وأخبر القائد الجنود الموجودين بأن القوة لن تتحرك حتى يُعاد المال واعدا بعدم معاقبة المذنب، وفجأة ألقي المال على الأرض وأعيد إلى القروي الذي «قبل يدي وقدمي» القائد مرة بعد مرة... وعدنا إلى القاعدة راضين ولكن نشعر بالمرارة». وبعد ذلك غادر القرويون الموقع آخذين معهم ما يمكنهم حمله بما في ذلك الماشية، و«الأبواب، والنوافذ... وخلال عمليات القتال التي تلت كانت تلك المنطقة هادئة مها وفر على جيش الدفاع الكثير من القوات وجنبها العديد من الصدامات» (806).

في عملية أخرى جرت بعد مرور ثلاثة أيام، أغارت فصيلة من فرقة باراك بقيادة إسـحاق شسترمان على متن حافلة وسـيارة جيب على قرى: دنّه، البيرة، كفرة، يبلى، جبول، المرصص (شمال وشـمال غرب بيسان)، وقد مرت القوات أولا بقرية الطيبة

وجماعة تابعة لها في جبل طيرة الحرب (شهال شرق موليديت) - مجموعة من الأفراد كان قد سُمح لهم بالبقاء. اتخذت القوات مواقع في مناطق مرتفعة تطل على ضواحي كل من القرى المستهدفة بدءا بقرية دنّه، وبدأت بإطلاق قذائف هاون مهن عيار 2 بوصة على مركز القرية، ثم بدأت عملية الاقتحام والتفتيش. وجدت القوات كلا من ذنه، البيرة، كفرة، يبلى، والمرصص خالية من السكان. أما في جبول فقد قابلت فلاحين يقومون بالحصاد بادروا بالفرار عند رؤيتهم. «فتحت قواتنا النار من دون أن تصيب أحدا». هرب العرب أيضا من القرية. «وحرق جنودنا المحاصيل والعديد من المنازل». وعادت الفصيلة بعد ذلك إلى قاعدتها (807). لخصت عمليات رئاسة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية الموقف كما يلي: «كانت هناك دوريات عنيفة في قرى الجليل الجنوبي، وكان العرب يرحلون، وأولئك الذين يعودون إلى ديارهم كانوا يطردون» (808).

في ليلة 11|10 يونيو، عشية الهدنة الأولى، هاجمت وحدة من لواء غولاني واحتلت قرية فقوعة (الواقعة على بعد 10 كيلومترات غرب بيسان) وطردت سكانها ودمرت 30 من منازلهم (809). وإلى الشمال صدرت الأوامر للفرقة (14) التابعة للواء بالاستيلاء على لوبيا (غرب طبريا) و«طرد سكانها» - غير أن الفرقة صادفت مقاومة عنيفة وفشلت في الاستيلاء على القرية(810). وغربا تمكنت وحدات تابعة للواء كارميلي ليلة 5|6 يونيو من الاستيلاء على قريتى المكر وجديدة، غربي عكا، بعد تبادل قصير لإطلاق النار. وكانت التعليمات الصادرة للقوات تشمل: مصادرة الأسلحة، وفي حالة وجود مقاومة قوية من قبل جديدة تُدمر، أما إذا خضعت فإنه يكون التعامل مع سكانها «بطريقة طيبة». وكانت التعليمات نفسها تنطبق على التعامل مع قرية المكر. استسلمت كلتا القريتين في واقع الأمر وسلمتا أسلحتهما، وهرب بعض المسلمين من المكر غير أن الجانب الأعظم من السكان في الموقعين سُمح له بالبقاء. ومع ذلك قتل الجنود الإسرائيليون تسعة من العرب في منطقة مجاورة لقرية جديدة: خمسة سباء قبض عليهم قبل بداية العملية، وقتلوا من قبل حارس «ظن أنهم يهربون (أو ادّعي ذلك)»، واثنان قتلا لمنعهما من إخبار القوات المعادية عن الأماكن التي زرعت فيها القوات ألغاما، واثنان آخران قتلا في بداية العملية عندما كانت قافلة من «الكلاب والجمال» تقترب من القرية (811).

# مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

يتضح مها تقدم أن كلا من لواءي غولاني وكارميلي لم يكن لديهها توجيهات شاملة وواحدة فيها يتصل بالتعامل مع المجتمعات العربية خلف وعلى طول خطوط القتال (باستثناء نزع سلاحهم): بعض الوحدات طردت القرويين أو تأكدت من أن القرى ستظل فارغة من السكان، في حين اكتفت وحدات أخرى بدخول القرى وتفتيشها ونزع سلاحها. وعلى عكس المنطقة التي عمل فيه لواء غيفعاتي، لم تسفر عمليات التفتيش عن السلاح عن طرد تلقائي للسكان بعد ذلك. وعلى الرغم من أن بعض المجتمعات التي تُركت في مكانها طُردت بعد ذلك، فإن أخرى تُركت بشكل دائم ومازالت تلك القرى المسلمة الكبيرة توجد حتى اليوم (المكر، جديدة، وغيرهها...).

#### خاتمة

يتضح مما سبق عرضه أن المحصلة الرئيسية المتمثلة في الموجة الثانية من النزوح - التي شملت 250 ألفا إلى 300 ألف من اللاجئين - لم تكن نتاجا لسياسة عامة مخطط لها سلفا من قبل اليشوف، فنزوح شهري أبريل ومايو أدهش قيادة اليشوف، على الرغم من أنه نُظر إليه على الفور باعتباره ظاهرة يمكن استثمارها، وقد أوضح ذلك غاليلي في الحادي عشر من مايو قائلا:

حتى 15 مايو وكذلك بعد ذلك التاريخ يجب أن نستمر في تطبيق خطة العمليات العسكرية [المقصود الخطة دالـت]... وألا نأخذ في الاعتبار انهيار وفرار التجمعات في أعقاب سقوط حيفا... على الرغم من أن هذا الانهيار يسهل من مهماتنا (812).

يمكن ملاحظة تحول رئيسي في سلوك الهاغاناه والمنفذيان المدنيين تجاه المجتمعات العربية خلال النصف الأول من شهر أبريل، عندما أصبح اليشوف يترنح تحت وطأة معارك السيطرة على الطرق، وبدأ يستجمع قواه لمواجهة الغزو العربي المتوقع. فالخطوط العامة للخطة دالت التي صيغت مطلع شهر مارس تضمنت المتوقع. فالخطوط التوجه الجديد. فقد تمثل جوهرها في ضرورة تأمين المناطق الريفية من أراضي الدولة وطرقها الرئيسية؛ وأن ذلك سيتم بشكل أفضل مع طرد

المجتمعات المعادية أو التي يمكن أن تكون كذلك وتدمير سلسلة من القرى. وخلال النصف الأول من شهر أبريل أقر بن غوريون ورئاسة أركان الهاغاناه بسلسلة من العمليات الهجومية - في واقع الأمر هجمات مضادة (عملية نحشون، والعمليات في محيط ميشمار هعيمك) - عكست الخطوط الرئيسية للخطة. وخلال الأسابيع التالية، أدت هجمات الهاغاناه والإرغون في حيفا، ويافا، والجليل الشرقية والغربية إلى الإسراع في النزوح الجماعي.

نُظر إلى هذا النزوح من قبل الدول العربية واللجنة العربية العليا خلال الشهور الأولى على أنه ظاهرة عابرة ليست لها نتائج ذات مغزى خاص. وقد سعى القادة الفلسطينيون المدنيون والعسكريون إلى مقاومة هذه الظاهرة من دون أن يحالفهم النجاح. كان من شأن تحول النزوح الجماعي خلال شهر أبريل إلى «جيشان ديموغرافي» أن فاجأ اللجنة العربية العليا والدول العربية التي كانت تجهله بشكل كبير وأحدث حالة من الارتباك؛ حيث ألقى الضوء على ضعف اللجنة (والفلسطينيين) وعدم قدرة الدول العربية - مادام الانتداب قائما- على التدخل. وفي الوقت ذاته فإنه دفعهم أكثر باتجاه الغزو الذي لم يكونوا متحمسين له بشكل كبير. لا يوجد أي دليل على أن الدول العربية واللجنة العربية قد أرادوا حدوث نزوح جماعي أو أصدروا أوامر مفتوحة أو نداءات تدعو إلى الهرب، وفي الوقت ذاته فإنهم عادة من كانوا يشجعون القرويين (وفي بعض المناطق من قاطني المدن) على إرسال نسائهم وأطفالهم بعيدا عن مناطق الخطر. كذلك أصدر القادة السياسيون والعسكريون أوامر لبعض القرى بالإجلاء بهدف أستباق إمكان قبولهم بالإدارة اليهودية (الخيانة). وأصدرت الدول العربية في بعض المناطق (الأماكن الواقعة حول القدس، وتلك الواقعة على طول الحدود السورية) تعليمات لقرى بالرحيل الكامل لدواع استراتيجية.

تميزت الصورة التي نتجت عن ذلك بالتعقيد والتنوع؛ حيث اختلفت بشكل كبير من موقع إلى آخر ومن أسبوع إلى آخر، وفي محاولة لاستخلاص غاذج في هذا الصدد فإنه يلزم التمييز بين المدن والريف.

يلزم النظر إلى عمليات إجلاء المدن - خلال شهري أبريل ومايو- على أنها مثلت الذروة لسلسلة من العمليات والأحداث، وجاءت على خلفية وضعية الضعف

الرئيسية للمجتمع الفلسطيني: فقد عانى السكان العرب في حيفا، يافا، طبريا - وبدرجة أقل في صفد وبيسان وعكا - على مدار شهور من انهيار الإدارة والقانون والنظام، وصعوبات في الاتصالات والإمدادات، والعزلة، والحصار، والمناوشات وأعمال التحرش المتقطعة من قبل القوات اليهودية. كذلك فإنه في حالة يافا وحيفا والقدس، أسهم النزوح الجماعي المستمر للطبقتين الوسطى والعليا على مدار الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948، بشكل كبير في إضعاف الروح المعنوية للسكان المتبقين، ووفر لهم نموذجا للرحيل في حالة ما أصبحت الظروف لا يمكن احتمالها. فلطالما تطلعت الجماهير الريفية (والفلاحون) إلى طبقة الأعيان للقيادة.

شكل سقوط ونزوح سكان المدن الأخرى أحد الأسباب الرئيسية وراء عملية النزوح الجماعي من المدن، فنزوج عرب طبريا قدم نموذجا لقادة عرب حيفا عشية اتخاذهم قرار الإجلاء. كما أنه أدى إلى إضعاف الروح المعنوية في صفد. وكان سقوط ونزوج عرب حيفا أكثر وضوحا في هذا الخصوص؛ حيث أثر بشكل قوي في عرب يافا ونشر الروح الانهزامية في كل أرجاء الشمال، ما أثر في صفد، بيسان، وعكا. فإذا كان مقدرا لحيفا أن تسقط وينتزع سكانها من جذورهم، فكيف يمكن لتجمعات كان مقدرا لحيفا أن تسقط وينتزع سكانها من جذورهم، فكيف يمكن لتجمعات طبريا عن عملية نزوج جماعي من القرى الممتدة على شاطئ بحيرة طبريا (غوير، أبو شوشة، وغيرهما). كما أن انهيار يافا كان له أثر مشابه في قرى من قبيل: سلمة، ويزور، والخيرية.

في المقابل، أدت هزيمة القرى الداخلية وهجرة سكانها إلى إضعاف الروح المعنوية في المدن؛ حيث شعر سكان المدن كما لو كانوا معزولين. فسقوط خربة نصر الدين أضعف الروح المعنوية في طبريا؛ وأسهم سقوط سلمة والقرى الصغيرة التابعة لها في النزوح الجماعي من يافا؛ وسقوط بيريا وعين الزيتون أثر في صفد؛ وسقوط قرى الجليل الغربي أسهم في انهيار عكا.

من المؤكد أن «عامل الفظائع» أسهم في تدعيم العملية وتغذيتها. فما حدث، أو ادُعيي أنه حدث، في نصر الدين أثر في معنويات العرب في طبريا. وبشكل أكثر عمومية فإن مذبحة دير ياسين، والأوصاف المبالغ فيها التي تناقلتها الإذاعات العربية على مدار أسابيع، دمرت المعنويات في كل أرجاء فلسطين، خصوصا في الريف.

كان تفكك وهروب القيادة المحلية المدنية والعسكرية قبيل وفي أثناء المعارك النهائية أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في النزوح الجماعي من المدن. فهروب الطبريين من طبريا، وفرار أعضاء اللجنة الوطنية والقادة العسكريين من حيفا العربية قبيل وخلال المعركة؛ وهروب قادة يافا خلال وبعد هجوم عناصر الإرغون؛ ورحيل العائلات البارزة والقادة العسكريين من كل من صفد وبيسان، كل ذلك أسهم في حدوث النزوح الجماعي من كل مدينة ومن المناطق الداخلية التابعة لها. بطبيعة الحال لم يكن هناك هروب من قبل القيادات قبيل أو خلال الهجمات في القرى. وباستثناء أولئك الذين أُجلوا سابقا من النساء والأطفال، فإن القرى هُجرت بشكل عام مرة واحدة؛ حيث رحل المختار وعناصر المليشيات معا بصحبة الذكور من السكان الباقين.

مها لا شك فيه - وفقا لما فهمنا من مصادر استخبارات قوات الدفاع الإسرائيلية - أن الهجمات اليهودية كانت من أهم العوامل التي أسهمت في النزوح في الفترة من أبريل حتى مايو، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في حقيقة أن كل حالة من حالات النزوح كانت تقع إما خلال أو مباشرة بعد الهجوم العسكري. ولا توجد مدينة هُجرت من قبل الجانب الأعظم من السكان قبل الهجوم الرئيسي من قبل الهاغاناه والإرغون. أما في الريف، فإنه في حين أن العديد من القرى أُخليت خلال الهجمات من قبل الهاغاناه الإرغون أو بسببها، فإن قرى أخرى أُجليت نتيجة لمثل هذه الهجمات على قرى أو مدن مجاورة؛ حيث ساد الخوف من أنها ستكون التالية.

بصفة عامة، لم تتضمن الأوامر التنفيذية لهجمات الهاغاناه على المدن النص على طرد السكان المدنيين. لكن منذ أوائل أبريل، تضمنت مثل هذه الأوامر فيما يتصل بالقرى وسلاسل القرى بشكل أكثر النص على تدمير القرى، وأشارت بشكل علني أو ضمني إلى الطرد. ولا شك في أن مشهد الهروب المذعور قد ساعد على إثارة شهية قادة الهاغاناه وربما أيضا رئاسة أركانها؛ حيث أدركوا - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى بن غوريون - أن نقل (ترانسفير) الأقلية الكبيرة المتوقعة خارج الدولة اليهودية الوليدة قد بدأ، وأنه مع القليل من الجهد أو بدفعة خفيفة يمكن أن يتزايد. وقد أسهمت أسباب سياسية وعسكرية قوية في زيادة الاغراء للقيام بذلك.

إجسمالا فإنه عندما تعلسق الأمر بطرد المجتمعات العربية تمتسع قادة الهاغاناه بدرجة أكبر من الاستقلال والقوة في الريف عنه في المدن، وقد رجع ذلك جزئيا إلى بعد المسافة عن المركز الرئيسي للقيادة؛ حيث كان كبار الضباط والمسـؤولين - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى بن غوريون على سبيل المثال- عازفين عن اتخاذ أوامر صريحة بالطرد أو إقرار مثل هذه الأوامر، وفضلا على ذلك فإن الخطوط الرئيسية التي تضمنتها الخطة دالت، التي مكنت القادة المحليين من طرد الســكان وتسوية القرى بالأرض، لم تتضمن أي نصوص تتصل بعمليات طرد واسعة النطاق من المدن. خللال الفترة من أبريل إلى يونيو أثر عامل الوقت بشكل وأضح في سلوك الهاغاناه، فكلما اقترب الموعد المحدد للانسحاب البريطاني في الخامس عشر من مايو، أصبح القادة أكثر ميلا إلى عمليات «التنظيــف» والطرد لتفريغ مناطقهم الخلفية، والطرق الرئيسية وخطوط المواجهة المتوقعة من التجمعات السكانية المعادية أو التــي يحتمــل أن تصبح معادية. أما فيــما بعد الخامس عشر مــن مايو فقد أملي التهديد الذي فرضه وجود الجيوش النظامية العربية بالقرب من مراكز التجمعات السكانية في اليشوف اتباع سياسة اللعب - الآمن وعدم ترك أي احتمالات بالنسبة إلى المجتمعات الواقعة وراء الخطوط، ومن ثم قام لواء غيفعاتي بعمليات طرد خلال شهري مايو ويونيو بالقرب من رحوفوت. وبشكل عام فإن الانهيار المفاجئ لأغلب التشــكيلات الفلسـطينية وغير النظاميــة؛ وانهيار الــروح المعنوية؛ والذعر والهـروب التلقائي من أغلب التجمعــات كان يعنى أن القادة اليهود لم تكن عليهم مواجهة معضلة الطرد: فأغلب القرى كانت إما خالية تماما أو شبه فارغة في الوقت الذي استولى فيه عليها. الهوامش

		•	

#### هوامش المقدمة

- (1) على الرغم من أن أغلب هؤلاء الذين تم طردهم لم يصبحوا لاجئين وفقا للمعنى المحدد للكلمة؛ حيث لم يتم إبعادهم عن بلادهم لكن انتقلوا أو أجبروا على ذلك من منطقة إلى أخرى داخل البلاد، فإن العالم أضحى يقبل استخدام مصطلح "اللاجئين" لوصف أولئك الذين أزيحوا من ديارهم وانتهى بهم المطاف خارج البلاد أو في أجزاء أخرى من فلسطين، وبغية الاختصار فإننا سنقوم بعمل الشيء نفسه.
  - (2) المكتبة العصرية، بروت وصيدا، 1966-1966.
    - (3) المطبعة العمومية، دمشق، 1951.
  - (4) Middle East Forum، المجلد 35، 10 ديسمبر 1959.
    - (5) Middle East Forum، المجلد 35، 7 يوليو 1959.
  - (6) مكتبة E. Droz في جنيف، ومكتبة Minard في باريس، 1959.
    - (7) معهد الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1978.
    - (8) معهد الدراسات الدولية، جامعة كاليفورنيا، بيركيلي، 1983.
      - Jerusalem Quarterly (9)، 1986، 40، 1986،
- (10) Sifriyat Poalim/Mishlat, Mehavia, 1949.
- (11) Journal of Palestine Studies, 1/4, 1972.
- (12) Sussex Academic Press, Brighton, 2001
  - Massalha, "Expulsion of the Palestinians"; Massalha, "A (13) « Critique of Benny Morris »، مصالحة في «طرد الفلسطينين».
    - Teveth, "The Evolution of Transfer, in Zionist Thinking" (14) تبفث، «تطور الترانسفير في التفكير الصهيوني».
  - (15) Shapira, "land of Power" (15)، ص. Shapira, "land of Power" (15) كارش إلى نقد طريقة معالجتي السابقة لملف «الترانسفير» في كتابه، Efram Karsh, "Fabricating Israeli History: the New

### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

Historians"، غير أن نقده كان أقرب إلى الكذب الوقح والتشويه، معتبرا ما كتبته وما يتضمنه النص لا يستحق التناول بالتفصيل.

ورجا يجد القراء في الفصل الذي أضيف عن «الترانسفير» دفاعا بالحجة وبشكل ضمنى إزاء ما كتبه العديد من المنتقدين.

### الفصل الأول

- (1) للاطلاع على ملخص، انظر الفصلين الأول والثاني من , Morris, للاطلاع على ملخص، انظر الفصلين الأول والثاني من , Righteous Victims".
- (2) في أعقاب ثورة «بار كوشبا» العام 132 135 قبل الميلاد أطلق الرومان اسم «فلسطين» على إقليم «يهودا». وظلت فلسطين إقليما من أقاليم روما ثم البيزنطيين حتى الغزو العربي في القرن السابع. وطوال العقود التي سيطر فيها العثمانيون لم تكن هناك ولاية أو مقاطعة باسم فلسطين بل كانت الأحياء الفرعية (السناجق) التي قُسمت إليها فلسطين مجرد أجزاء من إقليم سورية، وفي فترة لاحقة إقليم بيروت (على الرغم من أنه في الأعوام الأخيرة للإمبراطورية العثمانية تمتعت القدس ويافا والمناطق المجاورة في الجنوب بوضعية حي فرع مستقل، وبالنسبة إلى العالم المسيحي كانت فلسطين مجرد مرادف للأراضي المقدسة غير المحددة بشكل واضح، والتي أطلق عليها اليهود على الدوام «أرض إسرائيل».
  - Lebel, "Haj Amin" (3)، ص. 202 193
- (4) Horowitz and Lissak, "Origins".
  - Pa'il, "Haganah" (5)، ص. 280 279
  - 921 213 211 ص. Gelber, "Jewish Army" (6) ص. 211 213. كذلك "Gelber, "Jewish Army" (6)
  - (7) Pa'il مرجع سابق، ص. 285. وفضلا عن هذه الأرقام يلزم إضافة 2000 الله مرجع سابق، ص. 285. وفضلا عن هذه الأرقام يلزم إضافة 2000 وقد 3000 من قوات «إرغون» و300 500 من أعضاء الهستدروت، وقد بلغ عدد القوات العربية التي غزت فلسطين خلال شهر مايو 1948 لنحو 25 ألفا (انظر على سبيل المثال مؤلف على المثال مؤلف (انظر على سبيل المثال المثلث (انظر على سبيل المثل المثلث (انظر على سبيل المثلث (انظر على سبيل المثلث (انظر على سبيل المثلث (انظر على سبيل المثل (انظر على سبيل المثلث (انظر على سبيل المثل (انظر على المثل (انظر على سبيل المثل (انظر على المثل (انظ

Both Sides" ص. 162، والذي يقدم رقم 24,000) وقد تزايد الرقم خلال الأسابيع والشهور التالية كما كانت الحال كذلك بالنسبة إلى القوة البشرية في قوات الدفاع الإسرائيلية.

- .285 ص. Pa'il, "Haganah" (8)
- (9) خلال الفترة 1944 1945 كان فقط ثلث الأطفال المسلمين فيما بين الخامسة والخامسة عشرة من العمر يذهبون إلى المدارس (في المقابل كان 100% من الأطفال اليهود والمسبحيين في الشريحة العمرية نفسها قيد الدراسة). وكانت معدلات الأمية بطبيعة الحال أعلى بين البالغين خلال فترة العثمانيين والأيام الأولى للانتداب البريطاني، وكانت أعلى بين النساء عن الرجال. وفي الفترة من 1945 1946 تغير الوضع حيث بلغت نسبة من يذهبون إلى المدارس 85% من الأولاد المسلمين و65% من البنات، وقد تباينت النسب من المناطق الحضرية (65%) والريفية (10%)، فمن بين 800 قرية فلسطينية لم أجريت في العام 1931 أن 25% من الرجال المسلمين و3% من النساء أجريت في العام 1931 أن 25% من الرجال المسلمين و3% من النساء المسلمات فقط كانوا يعرفون القراءة والكتابة، في حين كانت النسبة بين المسبحيين في الفترة نفسها 70% للذكور و400% للإناث. (انظر بين المسبحيين في الفترة نفسها 70% للذكور و400% للإناث. (انظر
- o Seikally, "Haifa" ص. 86. انظـر كذلـك Miller, "Palestine" (10) 25 - 19
- (11) في كتابه "One Hundred Years" يضع الأمر بشكل أكثر وضوحا حيث ذهب إلى أن نزع الملكية من الفلاحين والانتقال المستمر للسكان إلى المدن كان من بين الأسباب في مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ومن هذا المنطلق كان ممنزلة المرحلة الأولى في الفصل بين الفلاحين وأراضيهم سواء معنويا أو اقتصاديا، الأمر الذي «جهزهم» لما حدث في العام 1948؛ وانطلاقا من هذا التحليل ذهب إلى أن الهجرة الجماعية في العام 1948 كانت «مرحلة ثانية» متأخرة في عملية بدأت قبل ذلك بقرن أو ما يزيد على ذلك.

#### مولد مشكلة اللاحئين الفلسطينين

- Grossman, "Arab Village" (12) ص. 154 155
  - Miller, "Palestine" (13) ص. 86
  - Gabbay, "Political Study" (14) ص. 6
    - .25 24 ص. 41 Miller, "Palestine" (15)
- Shoufani, "The Fall of a Village" (16) ص. 120
- (17) س. 111. انظـر كذلـك: Grossman, "Arab Village" (17) "Jerusalem and Environs"
  - .287 ص. Porath, "Emergence" (18)
- Haganah economic intelligence memorandum (p. 1 and (19) ،1948 مـن دون تاريخ ولكن عن شـهر مايو أو يونيو (title, missing رقم 119/HG 105
- Haganah economic intelligence 1948 ربما عن شهر مايو أو يونيو (20) memorandum, HA/105 /119
- Haganah economic intelligence 1948 ربما عن شهر مايو أو يونيو (21) memorandum, HA/105.
- (22) للحصول على قائمة كاملة انظر: "Shimoni, "Arabs ص. 211 239.
- (23) Porath, "Palestinian Arab" (23) ص. 162 273. انظــر أيضا: Sayigh ث. 17 - 47 ث. Peasants"
  - .Khalaf, "Politics in Palestine" (24)
- وقد مقائمة جزئية للانتهاءات العائلية، فقد حظي الحسيني بولاء تقدم قائمة جزئية للانتهاءات العائلية، فقد حظي الحسيني بولاء الدجانين وأبو لبن في يافا، والصوراني في غزة، وحسونة في اللد، والتميمي والعنبتاوي في نابلس، وعابدين وعرفة والخطيب في الخليل، والطبري في طبريا، ونحوي في صفد، ومن جانبها حصلت عائلة النشاشيبي على ولاء كل من طوقان والمصري والشكعة في نابلس، والدجاني في القدس، والكرازنة والهنيدي في اللد، وعمرو وآل طهبور في الخليل، والهانوس في

طولكرم، والفاهوم في الناصرة؛ ومن بين العائلات البارزة التي بقيت على الحياد منـذ نهاية الثلاثينيات وخلال الأربعينيات عائلة الشـوا في غزة، ونسيبة في القدس وأبو شيش444 في جنين.

- 26) سجلات 22 ديسمبر 1947 و19 فبراير 1938 ، 1946 ديسمبر 20 Protocol of Meeting ، and 253 254 .on Arab Affairs 1- 2 January 1948, KMA-IGP"
- «Arabs with a Tendency to Cooperation with the Jews», (27) مذه المذكرة غير الموقعة للهاغاناه تذكر أسماء .undated, HA/105/54 شخصين مسلمين كانا على استعداد للتعاون مع اليهود لقاء مقابل مادي.
- (28) "George Antwan Bakhut is Dead", unsigned HIS report, 13 Feb. 1947, HA/105/195.
- (29) Hanoch Hadamaska I, "The Situation between Shafa'Amr's Christians and Muslims", HA/105/195.
  - (30) وثيقة غير موقعة من استخبارات الهاغاناه

"Bishop Giorgius Hakim went to Egypt on 15 February 1947", report, HA 105 /195

انظر كذلك

Hanagid, "Surrounding the Murder of George Bakhut", 19 Feb. .1947, HA 105 /195

- (31) 17 1957, HA 105 الماغاناه. تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه.
- (32) Hanagid, "The Shafa' Amr Incidntes", 7 Mar. 1947, HA 105/195
- (33) Talmi, "The Christians in Jaffa", 2 May 1947, HA 105/195 bet
- (34)"Subject: The Christian Arabs Worry about their Safety", unsigned HIS report, 10 Oct. 1947, HA 105/195.
- (35) HIS AD "Summary of Conversation with Barkai, Nazareth District Officer, (Afula) 5.11.47", HA 105/195
- (36) "Hashmonani, Group of Reports", undated but c. 7 Jan. 1948, IDFA 500/48//5
- (37) Nir' to HIS AD, 27 Jan. 1948, HA 105/195.

## مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

- (38) HIS, "Subject: Meeting of Sheiks in Beersheba", 1 Dec. 1947, HA 105/194.
- (39) HIS, "Subject: The Arab Institutions in Jerusalem Today, Organization and Leadership (A survey up to 25.1.48, IDFA/500/48//60.
  - .76 ... Porath, "Palestinian Arab" (40)
    - Shimoni, "Arabs" (41) م. 376 376
  - (42) "Nazal "Exodus" ص. 30 31، 34 40، 46، وتجدر الإشارة إلى أن الأرقام المشار إليها استندت إلى تجميع تم بعد مرور عقود على الأحداث.
    - Gelber, "Palestine (43)"، ص. 40.
  - (44) من أجل نظرة شاملة على الاستعدادات العسكرية الفلسطينية لحرب (44) Levenberg, "Military Preparation" انظر:
    - (45) أُقتبست هذه العبارة في

"Barak" to HIS - AD, 22 Mar. 1948, IDFA 900/52/40

- (46) Unsigned HIS report, 31 Dec. 1947, IDFA 500/48//60
- (47) Mordechai Abir, "The Local Arab Factor in the War of Independence (the Jerusalem area)", undated but from mid -1950s, IDFA 1064/70//185.
- (48) HIS "Subject: Ahmad Abu Khattab and Muhammad Taha Najar", 29 Dec. 1947, unsigned, HA 105/23.
- (49) STH, III, part 2, 1362.
- (50) HIS-AD, "The Arab Public's Reaction to the Internal Arab Terror (a Summary for the Period 1.11.46- 20.4.47)", 16 May 1947, HA 105/102...
  - (51) من سجلات 22 دیسمبر 1947

DBG-YHI, P. 63.

- (52) من سجلات21 يناير 1948
- DBG YHI, 169, and Gelber "Palestine" P. 54.
- (53) HC to Secretary of State, "Weekly Intelligence Report", 3 Jan. 1948, SAMECA CP III/1/3..
- (54) Pir'im, "The Feeling Among Palestine's Arabs", 29 Oct. 1947, CZA S25-3300.
- (55) A.L, «A Conversation with Zaáfer Dajani, Chairman of the Jaffa Chamber of Commerce», 26 Nov. 1947, CZA \$25 3300.
  - (56) مذكرة من دون عنوان مكونة من 7 صفحات تتناول القوة العسكرية للكل من اليهود والعرب، وموقع عليها من عقيد برئاسة أركان الجيش البريطاني بتاريخ 10 يوليو 1947، انظر 65/ SAMECA CP IV/4 وقد علق عليها اللواء مكميلان بقوله فأنا «أعتقد أنك ستود رؤية ذلك. اتفق مع التحليل والنتائج».
  - Behind the Screen, 66 67 (57) تقرير الجنرال إسماعيل صفوت الأول من قبل اللجنة العسكرية الذي عرض على مجلس جامعة الدول العربية في 9 أكتوبر 1947. وص 71 (صفوت لرئيس الأركان العراقي في 27 نوفمبر 1947).
- (58) ISA, «People's Administration, 67 (protocol of meeting of 12 May 1948).

## الفصل الثاني

- (1) Bevin to Kirkbride, 24 July 1948, PRO FO 816\139.
- (2) Bevin to chargé d'affaires, Amman, 28 July 1948, PRO FO 816\139.
- (3) BMEO to FO, 3 August 1948, PRO FO 816\139.
- (4) Burdett (Jerusalem) to Secretary of State, 5 Feb. 1949, PRO FO 371-7520.
- (5) Morris, Righteous Victims, 42.

# مولد مشكلة اللاجئين الغلسطينيين

- (6) في هذا السياق قد يكون من الجدير ملاحظة أنه في نهاية حرب العام 1948 ضم سكان إسرائيل ما يقرب من 750 ألف يهودي و150 ألف عربي، وفي عام 2002 كانت الأقلية العربية في إسرائيل لا تزال تمثل 20 في المائة من سكان البلاد (ما يزيد بقليل على مليون بالمقارنة بما يقرب من خمسة ملايين يهودي)- وهذا على الرغم من حقيقة أن الزيادة الطبيعية في إسرائيل كانت قد ارتفعت على مدار خمسين عاما نتيجة لوصول ما يقرب من مليونين ونصف المليون من المهاجرين الجدد!
- (7) Herzel, The Complete Diaries of Theodor Herzel, I, 88.
- (8) Morris, Righteous Victims, 140.
  - Morris, "Righteous Victims", 140 (9). اشتكى الأمير فيصل الحاكم الفعلي في دمشق من الرأي القائل «بنقل السكان العرب من فلسطين عن طريق هجرة جماعية بالجمال»، انظر:

Morris, "Righteous Victims", 141

- (10) Segev, "One Palestine", Complete, 98-99.
  - (11) انظر: 50- Joseph Schechtman, "Transfers in Asia", 1 ويستعرض الظرد 10- المؤلف عملية تبادل السكان بين الهند وباكستان كجزء من الأدلة الجدلية التي يقدمها ص 84-141، والمقصود بذلك نقل أو طرد العرب الفلسطينيين عام 1948.
  - الإشارة إلى أنه حتى قبل اضطرابات عام 1929 كان كيش من المؤيدين الإشارة إلى أنه حتى قبل اضطرابات عام 1929 كان كيش من المؤيدين المتحمسين للترانسفير، وقد كتب في سبتمبر 1928 عن لقائه مدير إدارة الأراضي في الإدارة العراقية؛ حيث أوضح الأخير «الحاجة المتزايدة للعراق إلى الفلاحين من أجل تطوير وتنمية الزراعة»، وعلق الكاتب على ذلك بقوله: «ذلك هو ما انتظرته وأملت فيه طويلا؛ حيث قمت قبل ذلك بالتعبير عن رأيسي في هذا الخصوص والقاضي بأن مشكلة ري وزراعة المحاصيل في العراق سيوجد حل لها في المشكلة العنصرية في فلسطين»، وأضاف الكاتب: «أن الدعاية للهجرة العربية إلى العراق لا يمكن أن نقوم بها، إلا عبر الأدوات والطرق غير المباشرة، لكن إذا ما كانت الحكومة العراقية تفعل ذلك فإن الأمر مدهش ويصب في مصلحة كلا البلدين»،

انظر:

Kisch to Weizmann, 21 Sep. 1928, Kisch Press temporarily in author's keeping.

- (13) Weizmann (London), 'Awaiting the Shaw Report', 6 Mar. 1930, Letters of Chaim Weizmann, Series B, 591-592.
- (14) Segev, "One Palestine", Complete, 329.
- (15) Masalha, "Expulsion", 32.
- (16) Teveth, 'The Evolution of "Transfer", ... , 16-21.

.Jabotinsky, 'Round Table with the Arabs', Ktavim, 245 (17) أود في هذا الخصوص أن أشكر الأستاذ الدكتور يورام ميتال لتوجيهي إلى هذا المرجع.

- (18) Katz, Jabo, 982, Jabotinsky testified on 11 Feb. 1937 in London.
- (19) Note of Conversation between Mr D. Ben-Gurion and Mr. Shertok and His Excellency the High Commissioner on July 9th, 1936 at Government Offices, HA, Yitzhak Ben-Zevi Papers, file 27. ويبدو بشكل واضح أن آراء بن غوريون كانت قد تغيرت، فخلال الحرب العالمية الأولى والفترة التي أعقبتها مباشرة كان معارضا للترانسفير أو النقل؛ وفي هذا الصدد ذكر: «أنه من غير المقبول أو الممكن ترحيل السكان الحاليين للبلاد»، انظر: 17-Simons, International Proposals, 16.
- (20) Protocol of the Meeting of the Jewish Agency Executive, 1 Nov. 1936, CZA S100\20B.
- (21) Palestine Royal Commission Report, Cmd 5479 (London, July 1937), 389-91.
  - D. Ben-Gurion to Amos Ben-Gurion, 5 Oct. 1937, DBG (22)
    .Correspondence, IDFA

انظر أيضا:

Shapira, "Land and Power", 271.

- (23) Entry for 12 July 1937, David Ben-Gurion Diary, DBG, Emphasis in original.
- (24) Texts of speeches by Ben-Gurion, Ussishkin, Ruppin, etc. in CZA S5 1543.

يُشار إلى أن وايزمان ألقى بدوره خطابا مؤيدا للترانسفير أو النقل كما قدم مقترحا محددا في هذا الخصوص (بيد أن نص خطابه غير متوافر في الملف، وتمت الإشارة إليه في خطب أخرى) وفي أعقاب المؤتمر نشرت المنظمة الصهيونية نسخة منقحة من الخطب التي أُلقيت حُذفت منها أغلب الإشارات إلى الترانسفير، انظر:

Twentieth Zionist Congress.

وفي أعقباب اطلاعه على نسخة من تقريب لجنة بيل التقبى وايزمان سرا وزير المستعمرات (ويليام أورمبسي غبور) في 19 يوليو 1937 وأقر التوصيبة الخاصة بالترانسيفير أو النقل، وأوضح وايزمان أنه قال: «إن نجاح مشروع التقسيم بالكاميل يتوقف على منا إذا كانت الحكومة سينفذ هذه التوصية»، وقد وافق غبور على أنه «فور إعطاء «الجليل» لليهود ... فإن الموقف سيكون صعبا للغاية إذا ما لم يتم الترانسيفير أو النقل»، انظر:

Weizmann, Summary of Note of Interview with Mr. Ormsby Gore, Colonial Office, "International Proposals", 1923-.

(25) بشكل مثير للاهتمام استمر جابوتنسكي في العلن في رفض ضرورة إجراء «الترانسفير» إن لم يكن قد رفض أو أدان الفكرة: «لم أحلم على الإطلاق بسأن نطلب من العرب (الذين يعيشون) في بلد يهودي الهجرة منها، فإن ذلك عكن أن يشكل سابقة خطيرة ستكون مضرة عصالح اليهود في المهجر... فإن ذلك الموضوع المتصل باقتلاع تكتلات من الناس ليس إلا ضربا من الجنون»، انظر:

Katz, Jabo, 1001, quoting Jabotinsky on 7 July 1937.

نظر: الوثائق، بما في ذلك بروتوكولات مداولات لجنة الترانسفير في: CZA S 25 - 247 and Katz, "The Deliberations of the Jewish
Agency Committee,12 June 1938, CZA S100.

- (27) Protocol of the Meeting of the JAE, 7 June 1938, CZA \$100-24B.
- (28) Protocol of the Meeting of the JAE and the Political Committee of the Zionist Actions Committee, 12 June 1938, CZA \$100-24B.
- (29) Entry for 10 Dec. 1938, Ben-Gurion Diary, BGA; and protocol of JAE meeting of 11 Dec. 1938, CZA \$100\25b.

انظر أيضا:

Simons, 'Supplement No. 1', 9.

(30) انظر:

Ehrlich, "Lebanon", 73 and 75 - 76.

لم يكن سلطان الأطرش الشخص العربي الوحيد الذي اهتم بفكرة نقل العرب من مكان إلى آخر، ففي أغسطس 1941 ذكر إلياس ساسون (رئيس القسم العربي في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية) أن أحد الأعيان المسلمين في جنوب لبنان يُدعى محمد حاج عبدالله التقاه مقترحا أن يقوم ببيع أراضي جبل عامل (الواقعة إجمالا في المنطقة بين نهر الليطاني والحدود الفلسطينية-اللبنانية) ونقل سكانها من الشيعة إلى العراق، كما ذكر ساسون أيضا أن الرئيس اللبناني، بشارة الخوري، كان يفكر في أن شيعة جبل عامل يلزم طردهم وإحلال المارونيين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكيمة مكانهم، وفضلا عن ذلك فإن رعون أده (مسؤول لبناني كبير) اقترح على وايزمان وضع مدينتي صور وصيدا تحت سيطرة اليشوف ونقل سكانهما المسلمين البالغ عددهم 100 ألف نسمة. انظر:

Ehrlich, "Lebanon", 118.

(31) David Ben-Gurion, 'Outlines of Zionist Policy', 15 Oct. 1941, CZA Z414632-.

يلاحظ أنه هنا أيضا حرص بن غوريون على موازنة تفكيره الظاهر المؤيد للترانسفير مقولات تتصل بالمساواة الليبرالية فيما يتعلق بوضع الأقلية العربية في الدولة اليهودية المزمعة إقامتها. (32) للاطلاع على ملخص جيد للخطة انظر:

Porath, "In Search of Arab" Unity, 80 - 106.

- (33) "Short Minutes of Meeting held on Thursday, January 30th, 1941, at 77 Great Russell Street, London WC.1", unsigned, Weismann Archive, 2271.
- (34) 'Meeting: I.M. Maiskii-Ch, Weizmann (London, 3 February 1941)', in Documents on Israeli-Soviet Relations, 1941-1953, 3-5.
  - 1941 يبدو أن 235-Sharett, Political Diary, V, 234 (35). خـلال عام 1941 يبدو أن شـاريت أخبر غالبية من تحـدث معهم حول احتمالات الترانسيفير أو النقل. (على سبيل المثال انظر حديثه مع الصحافي المصري محمد عزمي في 247- Shertok, Political Diary, V, 246-247.
- (36) Entry for 20 Dec. 1940, Weitz, My Diary, II, 181.

وقد كان ويتز عضوا بارزا في لجنة الترانسفير التابعة للوكالة اليهودية في الفترة من 1937 حتى 1938.

(37) اقتُبست هذه الفقرة في 207 - Simons, "International Proposals", 185 - 207 وقد ناقشت كذلك صياغة القدرار، وأيضا وإن كان بشكل جزئي .Schechtman, "Population Transfers", 118

واقترح القرار أيضا توسيع منطقة فلسطين حتى مكنها استيعاب تدفق اليهود المتوقع «بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن»، انظر أيضا:

Gorny, British Labour Movement, 178 -79.

- (38) Protocol of the JAE Meeting of 7 May 1944, CZA S100-42B.
- (39) Protocol of the JAE Meeting of 20 June 1944, CZA S100-43B.
- (40) Duke of Devonshire to Secretary of State [for the Colonies], 27 Jan. 1943, PRO CO 733\443\10.

تجدر الإشارة إلى أنه خلال الخمسينيات سعت إسرائيل سرا إلى تخطيط هجرة (يجرى التعويض عنها) لجزء من العرب فيها إلى ليبيا.

- (41) Glubb, 'A Note on Partition as a Solution of the Palestine Problem, July 1946, PRO WO 216\207.
- (42) Glubb, 'A Further Note on Partition as a Solution of the Palestine Problem', undated, PRO CO-537 1856.
- (43) Glubb, 'A Note on the Exact Siting of the Frontier in the Event of the Adoption of Partition,' undated but with covering note Glubb to Kikbride, 16 Jan. 1947, PRO FO 816\86.
- (44) 'Note on Conversation with General Nuri Sa'id, the Iraqi Prime Minister and the Iraqi Minister of Foreign Affairs in Baghdad on 5th and 6th December, 1944, illegible signature, 18 Dec. 1944, PRO FO 921\149.

يُذكر أن حمدي الباجه جي (رئيس الوزراء العراقي) تبنى خطا مختلفاً طبقاً لما ورد في التقرير؛ حيث ذكر أن التقسيم في فلسطين سيؤدي إلى «اضطراب حاد» في العراق.

- (45) Kirkbride to Mac Michael, 28 Nov. 1944, PRO FO 921\149.
- (46) Moyne to Foreign Secretary Eden, 1 Mar. 1944, PRO FO 921\148. ويكن للبعض أن يرفض خطابات وتصريحات من قبيل تلك التي ألقاها نوري السبعيد باعتبارها تمثل حالة من حالات القادة العرب الذين يخبرون مسبؤولي حليفهم البريطاني بما اعتقدوا أن البريطانيين يرغبون في سبماعه، وانطباعي أن هيؤلاء القادة اعتقدوا حقا أن التقسيم أمر مرجح إن لم يكن متعذرا تجنبه، كما أنه من أجل نجاح التسبوية يلزم أن يكون هناك ترانسفر للسكان أيضا.
- (47) Note by Oliver Stanley, Colonial Secretary, and appended letter Mac Michael to Stanley, 16 Jan. 1944, PRO FO 921\148.
- (48) Kirkbride to T. Wikeley, Eastern Department, FO, 29 July 1946, PRO FO 816\85.

(49) Kirkbride to FO, 23 Aug. 1946 (No. 1387) and Kirkbride to FO 23 Aug. 1946 (No. 1364), both in PRO FO 816\85.

لم يوضح كيركبرايد إلى أي مكان كان عبدالله وهاشم يتوقعان أن يُنقل العرب الفلسطينيون: شرق الأردن أم العراق أم مكان آخر.

(50) Masalha, "Expulsion", 175; and Finkelstein, 'Myths ...,' 67 et al.

(51) انظر:

Shapira, "Land", 285-286; and Teveth, "The Evolution of "Transfer" in Zionist Thinking, 47-48 and 54-57.

(52) Protocol of Israel Cabinet meeting of 12 Sep. 1948, ISA.

#### الفصل الثالث

(1) تقليديا، أشار المؤرخون الصهيونيون إلى هذه الهجمات باعتبارها المشاهد الأولى للعنف الفلسطيني ضد قرار التقسيم، ولكن من المحتمل ألا تكون مرتبطة بشكل مباشر بالقرار، وإنا كانت نتاجا إما للرغبة لسرقة اليهود، انظر:

HIS-AD, «The Attack on the Buses Near Petah Tikva on 30/11», 3 Dec. 1947, and «The attack on the Two Buses on 30.11.47», unsigned, 4 Dec. 1947, IDFA 48\49\62

أو دائرة من الأعلمال الانتقامية التي بدأت مع الغارة البريطانية على موقع تدريب للهستدروت (بعد قيام شخص عربي بإبلاغهم عنه) مما أسفر عن وقوع العديد من القتلى في صفوف اليهود، انظر:

to HIS-AD, 2 Dec. 1947, IDFA 481\29\\62\.

وقد ردت الهستدروت بإعدام خمسة من أفراد عشيرة الشوبكي البدوية بالقرب من هرتسليا.

Tiroshi, Subject: the Murder of 5 Members of the Shubaki" (family) Near Ra'anana", 20 Nov. 1947, HA 105\358.

وفي 20 نوفمبر قام من 6-7 يهود مسلحين يرتدون زي الجيش البريطاني بالدخول إلى عرب الشوبكي بالقرب من هرتسليا، وأُخرج جميع الذكور البالغين من خيامهم، ونُودي على أسماء خمسة أشخاص اُقتيدوا إلى

مركز اعتقال، وفي أعقاب إطلاق سراح الآخرين فُتحت النار على الخمسة وقتلوهم)، وتُلي ذلك قيام العرب بالانتقام من خلال مهاجمة حافلات في 30 نوفمبر، انظر:

HIS, «Tene Information Circular», 30 Nov. 1947, IDFA 900\52\\58.

- (2) «Tene|Ayin» (HIS-AD), «Summary of a Conversation with Barkai, Nazareth District Officer (Afula), 11.47», undated, HA 105|195 يُذكر أن Tene كان الاسم الرمزي لجهاز استخبارات الهاغاناه، و Ayin الاسم الرمزي للإدارة العربية بها.
- (3) HIS-AD to "Hillel" (Israel Galili), 30 Nov. 1947, HA 73\98.
- (4) «Ibrahim to Haganah General Staff (HGS), Report of «Shahar» Reconnaissance in Jaffa, 1.12.47, undated, HA 73\21, and «HIS Information Circular», 1 Dec. 1947, IDFA 900\52\56.

  يُذكر أن Shahar هو الاسم الرمزي للقسم العربي في البالماخ، أو ما يطلق عليه استخبارات الكشافة التي تشبه العرب في الشكل.
- (5) Page of an unidentified Haganah Logbook covering, 2 Dec. 1947, HA 73\98.
- (6) HIS-AD to «Dan an Galili», 1 Dec. 1947, HA 73\98.

(7) تقرير غير مُوقع ومن دون تاريخ وعلى الأرجح صادر عن حي القدس: "Report on the Situation in the Old City from 5\12 until 14.12.1947", IDFA 500\48\61.

وقد ذكر التقرير أن ما يقارب 1500 شخص من الحي اليهودي تم إجلاؤهم أيضا من المدينة القديمة وانتقلوا إلى القدس الغربية، وتحولت عملية الإجلاء الفردي إلى "هروب جماعي منظم".

- (8) "HIS Information Circular", 9 Dec. 1947, HA 105\61.
- (9) Entry for 11 Dec. 1947. DBGY-YH I, 37-38.
- (10) Ben-Gurion (TA) to Moshe Shertok (NY), 14 Dec. 1947, ISA\
  CZA, Political and Diplomatic Documents, 60; and protocol of meeting of Mapai Centre, statement by Ben-Gurion, 8 Jan. 1948,
  LPA 23 aleph 48.

- Evacuation», 25 Jan. 1948, IDFA 959\49\202.
- (34) "To the Arabs of the District of Gaza and Beersheba, to the Sheikhs and Notables", 19 Dec. 1947, CZA S25-4148; and Yadin to Allon, 24 Dec. 1947, IDFA 481\49\\35.
- (35) Yadin to Palmah, etc., 4 Jan. 1948, IDFA 481\49\\35. The new leaflets, from the Haganah to «the Arab of Palestine», dated 29 Dec. 1947.
  - ونقرأ فيها: «اسمع وافهم... الشر لا يفضي إلى خير، القتل لا يفضي إلى الأمن والسلام... تذكر أولئك الذين قتلوا والجرحى واليتامى والأرامل، تذكر اللاجئين الذين أنتزعت أملاكهم... تذكر العاطلين عن العمل والجائعين ... تذكر التدمير والتخريب في المدن والقرى العربية ... تذكر النساء والرضع وكبار السن والذعر والرعب والخوف ... تذكر كل ذلك وأعلم أننا أعلنا، أكثر من مرة، نيتنا الخالصة في السلام والمصالحة ... لا تجبرنا على القيام بأشياء صعبة وتطبيق إجراءات قاسية حتى نتمكن من الدفاع عن حياتنا وحماية كياننا وما نقوم به من استمرار في البناء والرفاهية». (CZA S 25 9051).
- (36) «Hashmonai» to general (distribution), «Subject: Relations with the Neighbouring Villages», 24 Dec. 1947, IDFA 500\48\60.
- (37) «To our Members, Daily Information Circular No. 10», unsigned but by an Haganah HQ, 18 Dec. HA 105\61.

في ليلة التاسع من شهر ديسمبر 1947 فُجّر منزل في كرتيا، وبعد مرور ليلتين فُجّر منزل في بلد الشيخ ما ليلتين فُجّر منزل في وادي رشميا فضلا عن إطلاق نار في بلد الشيخ ما أسفر عن مقتل عدد من العرب؛ وفي الثاني عشر من ديسمبر قامت قوات البالماخ بتدمير ثماني حافلات كبيرة كانت مصطفة في موقف حافلتن وسيارة في الرملة، انظر:

(Reprisals, a long sheet, unsigned, unsigned, undated, IDFA 6127\49\\93).

(38) High Commissioner to Secretary of State, «Weekly Intelligence Appreciation», 13 Dec. 1947, SAMECA CP II\3\147; and High

Commissioner to Secretary of State, 15 Dec. 1947, SAMECA CP II\3\148. In DBG-YH 1, 61, there is a list of Haganah, IZL and LHI operations up to 20 Dec. 1947.

- (39) Texty of "Tochnit May", STH III, 1939-43.
- (40) «To our Members», No. 21, 2 Jan. 1948, HA 105\61. Emphasis in original.
- (41) Galili to Allon, 5 Jan. 1948; and Yadin to Allon (handwritten note), undated both in to Allon, 5 Jan. 1948; and Yadin to Allon (handwritten note), undated both in IDEA 922\75\\1206.
- (42) HIS, «The Murder of the Eleven in Abu Suwayrith (near Yavne)», 11 Jan. 1948, DbG Archive; and «Na/im to HIS-AD, 14 Jan. 1948. IDFA 481\49\\23.
- (43) "Itai" to Yadin, 21 Jan. 1948, IDFA 481\49\23.
- (44) "Uri" to sub-commanders, 20 Jan. 1948, IDFA 1041\49\\9.
- (45) «Report on Operation 11», unsigned, 25 Jan. 1948, IDFA 481\49\\23; and «000007» to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA\105\32.
- (46) "0127" to HID-AD, 30 Jan. 1948, HA 105\357.
- (47) «Na'im (Eitzur)», to HID-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\357.

  DBG-Yh, I, 102, footnote 16; and «Protocol of the Meeting on Arab Affairs, 1-2 Jan.
- (48) 1948, KMA, Israel Galili Papers.
- (49) HGS\Operations (Yadin) to brigades, etc., 18 Jan. 1948, IDFA 1196\52\\1.
  - وُزِّع نـص مختلف من قبل القيادة العامة للهاغاناه على اللجان الوطنية في المدن في التاسع والعشرين من فبراير في المدن في التاسع والعشرين من فبراير 1948، أكد مهاجمة وسائل النقل العربية والقوات التي تعمل ضد النقل

اليهودي، انظر:

"Instructions for Planning Initiated Operations", 29 Jan. 1948 (or 29 Feb. 1948), IDFA 922\75\\1211.

- (50) Entries for 2 and 3 Jan. 1948, DBG-YH, I, 106 and 108.
- (51) Galili to brigade and city OCs, 20 Jan. 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (52) In IDFA 1196\52\\1.
- (53) «Oded», Alexandroni, to sub-district OCs and battailion of OCs battalions,? Mar. 1948; and «oded» to sub-district Ocs, 15 Mar. 1948, both in IDFA 2506\49\\91.
  - يلاحظ أنه خلال الأشهر التالية اشتكى المستشارون من أن نصائحهم لم تكن تؤخذ في الاعتبار من قبل القادة الميدانيين.
- (54) Entry for 25 Dec. 1947, DBG-YH I, 97.
- (55) Danin to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25-4057. See also STH III, 1415 and 1798 and Book to Palmah, II, 123-124.
- (56) Protocol of meeting of Defence Committee, 25 Dec. 1947, CZA S25-9344.
- (57) Dan to Levanoni, 19 Dec. 1947, 612\49\\93.
- (58) Pinhas to Ali, «Report on the Khisas Operation», IDFA 922\75\\1224;
  HM Minister, Amman, 16 Jan. 1948, PRO FO 816\115; (58) and
  «Magi» (i.e. Moshe Dayan) to Dan, 30 Dec. 1947, IDFA 481\49\\23.
- (59) Gelber, "Palestine", 62.
- (60) Untitled, unsigned HIS report from 28 Dec. 1947, HA 105\358.
- (61) Alexandroni to battalions, 19 Dec. 1947, IDFA 2687\49\\35.
- (62) Statement by Ben-Gurion, Protocol of meeting of Mapai Central Committee, 8 Jan. 1948, LPA 23 aleph 48.

- (63) To Alexandroni, "Subject: Report on Situation in Petah Tikva", 11 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.
- (64) HIS-AD, "HIS Information", 25 Feb, 1948, IDFA 922\75\\1205.
- (65) «Tzadik» to «Hashmonai», is Feb. 1948, IDFA 500\48\61.
- (66) «Asaf» to OC Second Battalion, Alexandroni Brigade, 13 Jan. 1948; OC Second Battalion to OC Alexandroni Brigade, 14 Jan. 1948; OC Alexandroni to «Menahem», 18 Jan. 1948; and «Asher» to «Menahem», 1 Feb. 1948 all in IDFA 922\75\\9409.
- (67) «Yavne» to HIS-AD, 25 Feb. 1948, HA 105\32.
- (68) "Shimon", "Copy", undated but with covering note "Menahem" to "Moshe", 30 Jan, 1948, IDFA 922\745\\1211.
- (69) Protocol of meeting of Defence Committee, 3 Feb. 1948, CZA S25-9346. 75\\1207.
- (70) Palmah HQ to Galili, 6 Feb. 1948, IDFA 922.
- (71) Untitled, unsigned segment of memorandum outlining dirregularities in Haganah behavior, including cases of execution of Arabs by security squads. Recently an Arab was executed near Rishon (Lezion), IDFA\922\75\\1207.
  - يُذكر أن جزءا من المستند قد حُجب معرفة الرقابة الرسمية.
- (72) Galili to OCs brigades, 16 Feb. 1948, IDGA 922\75\\1207; and \Naftali\to staff officers etc., 27 Feb. 1948, IDFA 4663\49\\84.
- (73) STH III, part 2, 1362.
- (74) Statement by Ben-Gurion, protocol of meeting of Mapai Central Committee, 8 Jan. 1948, LPA 23\48.
- (75) Statement by Galili, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 5 Feb. 1948. HHA 66,90 (1).

- (76) Weitz, 'The Negev These Days', undated but probably form the end of March 1948, JNF files, 501-4.
- (77) Sarig, (Instructions for Searches on the Roads, in Homes, and Grazing flocks), with appended detailed instructions for each type of search and treatment of shepherds, 12 Feb. 1948, IDFA 6809\49\\9.
- (78) 'Ephraim (Nishri), to 'Menahem', undated but probably from early January 1948, 'Report on Arab Labour in the Sub-District, in Connection with the Security Situation', IDFA 410\54\\237; and 'Ephraim' to 'Menahem', 5 Jan. 1948 (mistakenly '5,1,47'), IDFA 410\54\\47.
- (79) 'Yahuda' in the name of 'Ephraim' to the 'Areas', 15 Jan. 1948, IDFA 410\54\\273.
- (80) Ephraim to areas, 'These are the Orders of «Hillel» Concerning Arab Work in the Groves, 23 Jan. 1948. IDFA 410\54\\273.
- (81) 'Ephraim' to areas, 23. Jan. 1848, IDFA 410\54\\237.
- (82) (Naftali) to (Menahelei Anafrim), 2 Jan 1948, IDFA 4663\49\\84.
- (83) Naftali to Oded, 28 Apr. 1948; and D, Arab Labour, undated, both in IDFA 4663\49\\84.
- (84) «Hashmonai» to Shadmi, Dormi, etc., 5 Jan 1948, IDFA 2644\49\\402.
- (85) (Hashmonai) to Shadmi, Dormi, Hetz, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\60.
- (86) Oded to (Mafanim), 2 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84.

(87) انظر:

"Hadari" to "Mahazim", 23 Mar. 1948., IDFA 244\51\\81; "Nafali" to heads of municipalities and settlement mukhtars, 30 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; and Alexandroni to battalions, etc., Mar 1948, IDFA 922\75\\1211.

- (88) 'Galili to Mechnes, Danin and Gwirtz, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50, and Galili to brigade OCs, 29 Mar. 1948\49\\50.
- (89)? to Alexandroni, 1 Mar. 1948, and Alexandroni to 2nd Battalion, undated, both in IDFA 2687\49\\45; Galili to Mechnes, 3 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50; and Galili to Yadin, 4 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.
- (90) 'A Member of Shfavim Says, 14 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.
- (91) Aphraim to areas, 24 Mar. 1948, enclosing an HIS guideline, IDFA 410\54\99.
- (92) Alexandroni to OCs 2nd and 3rd Battalions, and the 'Asher' and 'Ayin' sub-district OCs, 14 Mar. 1948, both in IDFA 2323\49\\5.
- (93) Galili to Machnes, 3 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1219; and Galili to Mechnes and Danin, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.
- (94) Galili to brigade OCs, 24 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1219; and Galili to Mechnes and Danin, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.
- (95) Shemi (in the name of the OC), Alexandroni, to Haganah CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93.
- (96) Entry for 19 Feb. 1948, DBG-YHI, 253-35. Note especially Daninos statement.
  - قدم أهارون كوهين (رئيس الإدارة العربية بحزب ماباي) الملاحظة نفسها، وقد سعى إلى إقناع قيادة الحزب للتأثير في بن غوريون لتعديل تكتيكات الهاغاناه بشكل مكن من أن تصيب الضربات الانتقامية فقط المجتمعات «المذنبة»، انظر:
  - Cohen to Leib (Lova) Leivte and Riftin, 13 Mar. 1948, HHA-ACP, 10.95.11 (21).
- (97) Protocol of meeting of Mapai Secretariat, 20 Mar. 1948, LPA\24\48.

- (98) Protocol of meeting of Defence Committee, 3 Feb. 1948, CZA S25-9346.
- (99) Protocol of meeting of Defence Committee, 24 Feb. 1948, CZA 25-9346.
- (100) (Azaya) to Allon, apparently 3 Mar. 1948, IDFA 922\75\1218.
- (101) Protocol of meeting on Arab Affairs, 1-2 January 1948, KMA, Galili Papers.
- (102) Danin to Sasson, 13 Jan. 1948, CZA S25-9007.
- (103) HIS-AD to Galili, 4 Dec. 1947, HA 73\98.
- (104) Arab Division, 'In the Arab Camp', 7 Dec. 1947, CZA \$25-9051.

(105) على سبيل المثال:

HIS-AD, 'Monthly Survey, November 1947' concerning the Arabs of 'The Galilee, South and Negev', 2 Dec. 1947, HA .105\228

- (106) 'Tzuri' to HIS-AD, 30 Apr. 1948, HA 105\226.
- (107) Safwat's report of 23 Mar. 1948 to chairman of the Arab League Palestine Committee, in Segev, Behind the Screen, 93, 100-101.
- (108) Protocol of meeting on Arab Affairs on 9 March 1948, unsigned, 9 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\126; and unsigned 'The Responsibility of the Arab Higher Executive (i.e. Committee) for the Disturbances, 16 Dec. 1947, CZA S25-4148.
- (109) Untitled, unsigned report, HIS, 31 Dec. 1947, HA 105\123.

(110) على سبيل المثال:

"Tiroshi", "Khirbet Azzun". 23 Dec. 1947, HA 105\23; and Hashmonai, (Information Circular), 4 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.

- (111) "Yavne", "Subject: Dr. Khalidi's state of mind", 4 Jan. 1948, HA 105\23.
  - وقد اشتكى الخالدي كذلك من هروب طبقة القيادة: «كان من الأفضل أن يعبود جميع النشطاء العرب إلى البلاد ويساعدوا في العمل هناك، فوجودهم خارج البلاد لم تكن له فائدة...».
- (112) Cunningham to Secretary of State, 3 Jan, 1948, PRO FO 816\115.
- (113) Arab Division, "In the Arab Camp", 14 Dec. 1947, CZA \$25-9051.
- (114) Arab Division, "In the Arab Camp", 28 Dec. 1947, CZA S25-9051.
- (115) Arab Division, "In the Arab Camp", 7 Dec. 1947, and Arab Division, "In the Arab Public", 21 Dec. 1947, both in CZA \$25-9051.
- (116) "To Our Members", 21 Dec. 1947, HA 105\61.
- (117) Unsigned, "Subject: A Meeting of Husseini Supporters with Hassan Salame, Miscellaneous", 19 Dec. 1947, HA 105\23.
- (118) "01217" to HIS-AD, 4 Feb. 1948, HA 105\72.
- (119) "01203" to HIS-AD, 19 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (120) "Yavne", Untitled, 4 Feb. 1948, HA\105\72.
- (121) "02203" to HIS-AD, 6 Feb. 1948, HA 1948, HA 105\23 bet.
- (122) Entry for 19 Jan. 1948, DBG-YHI, 163.
- (123) "31317" to HIS-AD, 2 Feb. 1948, IDFA 900\52\\25.
- (124) "Tiroshi" to HIS-AD, 19 Feb. 1948, HA 105\251 aleph.
- (125) "Tiroshi> to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\54 aleph.

- (126) HIS-AD, "Moshe H. Says", 11 Mar. 1948, HA 105\257.
- (127) Haifa NC "Communiqué No. 7", 22 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.
- (128) Unsigned, "Subject: Meeting of Jews and Arabs in Samaria", 5 Sept. 1947, HA 105\54.
- (129) Circular of the Settlement Bloc Committee of Samaria, 1 Nov. 1947, LA 235 IV, 2092.
- (130) Circular of the Settlement Bloc Committee of Samaria, 4 Jan. 1948, LA 235 IV, 2092.
- (131) Hafer Valley Regional Council Circular, 24 Dec. 1947, LA 235 IV, 2093; and Settlement Bloc Committee of Samaria Circular, 4 Jan. 1948, CZA S25-7089.
- (132) Danio to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25-3569.
- (133) Text of Poster, 21 Jan. 1948, CZA S25-9189.
- (134) HIS 'Subject: Conditions of the Agreement Between Deir Yassin and Giv'at Shaul', 20 Jan. 1948, HA 105\72.
- (135) Report by A.H. Cohen, 11 Feb. 1948, HHA-ACP 10.95.11 (4).
- (136) STH III, part 2, 1375; entry for 10 Mar. 1948, DBG-YHI, 291; and interview with Yehoshua Plamon, 1984.
- (137) "The Arab Workers in the Tel-Asher Grove" to the head of the Haganah, Tel Aviv, 16 Jan. 1948, HA 105\72.
- (138) "01104" to HIS-AD, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.
- (139) "Tiroshi" to HIS-AD, (Subject: Local Arab Approaches for Peace with the Jews), 18 Dec. 1947, HA 107\72.

- (140) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: Local Arab Approaches for Peace with the Jews", 18 Dec. 1947, HA 105\72.
- (141) "Tiroshi" to HIS-AD, 22 Dec. 1947, HA 105\72.
- (142) Untitled, undated (but from the first months of civil war), unsigned segment of a report, IDFA 500\48\60.
- (143) "01123" to HIS-AD, 14 Jan. 1948, HA 105\72.
- (144) "01011" to HIS, 22 Jan. 1948, HA 105\72.
- (145) "01112" to HIS-AD, 25 Jan. 1948, HA 105\72.
- (146) Unsigned, untitled segment of Haganah report, from Jan. 1948, HA 105\72.
- (147) "01103" to HIS-AD, 7 Jan. 1948, HA 105\54 aleph.
- (148) "HIS Information", 19 March 1948, IDFA 922\75\1205.
- (149) "01207" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\72.
- (150) "01207" to HIS-AD, 4 Feb. 1948, HA 105\72.
- (151) "Hashmonai" to general distribution, 22 Dec. 1947, IDFA 500\48\60.
- (152) Unsigned, "Subject: Meeting with the Arab Mukhtars", 18 Jan. 1948, IDFA 2644\49\352.
- (153) "Yitzhar" to "Hashmonai", 5 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (154) "Tiroshi" to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (155) "Summary of Information (Reaching) Alexandroni Brigade (11.5.48)", No. 8, IDFA 2506\49\\80.
- (156) Unsigned, "Summary of the Meeting of Arab Affairs Advisers in Dora camp 6.4.48", IDFA 2506\49\91.

يُذكر أنه لم يتوصل إلى اتفاق، أو على الأقل، لم يلتزم به. ففي الثامن من شهر مايو نقل أحد الضباط وقوع إطلاق نار من قاقون باتجاه مزارعي هماعبيل، انظر:

Alexandroni, "Brigade Bulletin", 8 May 1948, IDFA 922\75\\1205.

- (157) "Tzuri" to HIS-AD, "Subject: The Village of Argibat (i.e., Nuqeib) Near (Ein-Gev", 10 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (158) "Hiran" to HIS-AD, "Subject: The Beduin Tribes around Genigar", 16 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (159) Segment of Haganah Report fron Upper Galilee, unsigned, undated but from c. 20 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (160) Hiram to HIS-AD, "Subject: Events in the Ramat Yohanan Area", 1 Apr. 1948, HA 105\195.
- (161) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: The Inhabitants of Kheiriya", 6 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (162) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: Echoes from the Villages Sindiyana, Sabarin and Fureidis", 6 May 1948, HA 105\54 aleph; and "Tiroshi" to HIS-AD, (Subject: Sindiyana Wants Peace", 11 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (163) "Hiram", to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (164) HIS report from 11 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (165) HIS report, 2 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (166) Segment of HIS report, 10 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (167) "Tiroshi" to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (168) Alexandroni to battalions, etc., 8 May 1948, IDFA 922\75\\1205.

- فيما يتصل بالخبرية انظر أيضا:
- "Turisgu" to HIS-AD, 'Subject: Inhabitants of Kheiriya", 6 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (169) "Summary of Information (Reaching) Alexandroni Brigade, (11.5.48), No. 8", IDFA 2506\49\\80.
- (170) "Hiram", to HIS-AD, 23 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (171) Segment of Haganah report from upper Galilee, unsigned, undated but from around 20 May 1948, HA 105\54\aleph.
- (172) IDF General Staff\Operations logbook, entry for 9 June 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (173) 'Tiroshi' to HIS-AD, 'Subject: Among the Turkemans', 11 Dec. 1947, HA 105\195.
- (174) '02122' to HIS-AD, 16 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.
- (175) 'Hiram' to HIS-AD, 23 Dec. 1947, HA 105\72.
- (176) "02104", to HIS-AD, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.
- (177) A segment of an HIS-AD report from Jan. 1948, HA 105\72.
- (178) "Tzadik" to "Mat'hen" and "Hashmonai", "Report for 11.1.48, IDFA 500\48\\61.
- (179) "Tzadik" to "Mat"hen" and "Hashmonai", "Report for 28.1.1948", 28 Jan. 1948. IDFA 500\48\\61; and "02104" to HIS-AD, "Subject: Refusal to Give volunteers to the Gangs", 1 Feb. 1948, HA 105\72.
- (180) "02104" to HIS-AD, "Subject: Attitude of the AHC to the Connection between the Jews and Deir Yassin", 1 Feb. 1948, HA 105\72.

- (181) "Yavne" to HIS-AD, "Subject: Conflicts in Deir Yassin", 29 Feb. 1948. HA 105\72.
- (182) "Hashmonai" to "Yarkoni", etc., 23 Mar. 1948, IDFA 5254\49\\372. See also: unsigned. "Appendix to Letter 22941\6 from 11.9.52 Relating to Deir Yassin Trial", IDFA 500\48\\29.
- (183) "Yavne" to area OC, "Urgent Arab Information Circular from 7.4.48", 2 April 1948, IDFA 500\48\\29.
- (184) '02112' to HIS-AD, 'Subject: Recruiting Arabs', 25 Jan. 1948 (misdated 25.12.48), HA 105\72.
- (185) "Hiram" to HIS-AD, 15 Apr, 1948, HA 105\257.
- (186) "Tiroshi" to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (187) Alexandroni Brigade, "Brigade Bulletin", 10 May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (188) Galilee District Commissioner, "Fortnightly Report for the Period Ended the 15th January 1948, 19 Jan. 1948, PRO CO 5373853-.
- (189) Protocol of meeting of Histadrut Arab Workers' Department, 26 March 1948, HHA-ACP 10.95.11 (4); and Protocol of the Histadrut Arab Workers' Department, 30 March 1948, CZA S25 -2968.
- (190) Protocol of meeting of JA-PD, 25 March 1948, CZA S25-426.
- (191) 317 Field Security Section, 6th Airborne Division, 'Report No. 57 for the Week Ending 10 December 1947', PRO WO 27579-; and 6th Airborne Division Logbook, entry 4 Dec. 1947, PRO WO 27552-.

- (192) "HIS Information", 10 Dec. 1947, HA 105\61.
- (193) "Hiram" to HIS, "Subject: Threats to Arabs by IZL Men", 18 Dec, 1947, HA 105\358

ويتحدث عن العائلات المسيحية في شارعي حسن شكري وهانيفعيم والذين رُوعوا في أثناء القتال، انظر كذلك:

'Report on the Situation in the Country,' Danin to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25 - 4057.

وقد أوضح دانين أن اللاجئين اليهود من المناطق المجاورة لحيفا قاموا بشكل مخالف بوضوح لتعليمات الهستدروت والإرغون عهاجمة المدنيين العرب الذين كانت منازلهم تقع بين منازل اليهود... وأجبروهم على الخروج من منازلهم بالقوة والضرب مرسليهم إلى أشقائهم مثيري الشغب»، وخلال اقتباسه لمشاعر شخص عربي كتب داني: «إذا كانت تلك هي طريقة تصرفكم [اليهود] في بداية القتال، فكيف ستكون طريقتكم عندما تسيطرون على السلطة؟» وفضلا عن ذلك تحدث تقرير بريطاني صادر من يافا في ذلك الوقت عن قيام اليهود بترهيب العائلات العربية حتى يافا في ذلك الوقت عن قيام اليهود بترهيب العائلات العربية حتى تتخلى عن ديارها. انظر:

- S.P. Entry to the Bishop of Jerusalem, 13 Dec. 1947, SAMECA-JEM LXXI\2).
- 194) Untitled, unsigned HIS report, 23 Dec. 1947, HA 105\358 ويشار إلى أن الرقم ما بين «15 و20» ألفا يبدو أنه مبالغ فيه بشكل كبير في ذلك الوقت المبكر من الحرب الأهلية.
- (195) "Ibrahim to Husseini", 27 May 1947, HA 105\252.
- (196) "01101" to HIS-AD, "Subject: Haifa"s Arabs during December 1947", 4 January 1948, HA 105\67.

في الحادي والثلاثين من ديسمبر ذكرت نشرة الهاغاناه الصادرة في حيفا: «ان تدفق الأشخاص الذين يتم إجلاؤهم يستمر»، وطبقا للمحطة الإذاعية «الشرق الأدنى» وصلت 200 عائلة من فلسطين إلى لبنان، كما

أنه وفقا لوكالة الأنباء الفرنسية بلغ هذا العدد 2000 عائلة (بيد أن الرقم الأول يبدو أكثر مصداقية)، انظر:

Haifa Haganah HQ, "Lehavereinu", 31 Dec. 1947, HA 105\61.

(197) "01101" to HIS-AD, "Subject: Haifa"s Arabs ...", 4 Jan. 1948, HA 105\67.

(198) انظر: 177 ,Goren, 'Why. ..' أنظر: 177

(199) انظر:

IDF History Branch, 'The ALA 31.12.47- 23.9.55', undated but from late 1950, IDFA 1046\70\\182, 7; and Goren, .'Why...', 178

(200) انظر: Toren, "Why...", 177) انظر:

- (201) Tuvia Arazi to Sasson, 31 Dec. 1947, CZA S25 -7721.
- (202) '01101', to HIS-AD, 'Subject: The Murder in the Refinery',

  1 Jan 1948, HA 195\23; and 'Report by the Yishuv
  Investigation Committee Concerning the Disaster in the
  Haifa Oil Refinery on Tuesday... 30.12.47', 25 Jan. 1948,
  CZA S25 4037.
- (203) Palmah logbook of operations, entry for 5 Jan. 1948, IDFA 661\69\\36.
- (204) "01011" to HIS-AD 6 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.
- (205) "00001" to HIS-AD, "Subject: The Attacks on Balad al Sheikh and Hawassa", 9 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

نقل أحد التقارير:

('01011' to HIS-AD, 'Subject: Balad al Sheikh', 6 Jan. 1948, HA 105\32 aleph).

نقل عن أحد المرشدين قوله: «دُمرت منازل العائلات كافة... وذكر العرب أن ذلك أفرز حالة من الذعر لا يمكن وصفها، وجرى القرويون في كل الاتجاهات للفرار من القرية، كما فر الجرحى في اتجاه الجبل وعُثر عليهم موت...» ولم تقم الهاغاناه بالتعدي على مخيمات البدو في القربة أو بالقرب منها، ولم يكن لها أي دور في المذبحة.

- (206) "Hiram" to HIS-AD, "Subject: Balad al Sheikh", 7 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.
- (207) Protocol of meeting of Defence Committee, 1 Jan. 1948, CZA S259345-.
- (208) "01101" to HIS-AD, "Subject: Detailed Report on the Meetings of the Security Committee of the Arab and Jewish Employees of the Municipality, Law Courts and Government (officers)", 7 Jan. 1948, HA 105\23.
- (209) Unsigned but HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Wednesday 7.1.48", 8 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (210) "00001" to HIS-AD, 9 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (211) "01101" to HIS-AD, 18 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23 وقد حصلت الهاغاناه، قبيل الهجوم، على موافقة بريطانية ووعد بعدم التدخل، انظر:

'Hiram' to HIS, 19 Jan. 1948, IDFA 481\49\\62.

- (212) "HIS Information", 18 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.
- (213) Entry for 5 Jan. 1948, DBG-YH I, 114.
- (214) Entry for 22 Jan. 1948, DBG-YH I, 177.
- (215) In Enemy Eyes, 12.

- (216) IDF History Branch, "ALA 31/12/47-23/9/55", undated but from late 1950s, IDFA 1046\70\\182; Arazi to Sasson, undated but from 20 or 21 Jan. 1948, CZA S257721-; unsigned report (possibly by Arazi), 18 Jan. 1948, CZA S25 7721.
- (217) Eshel, "Haifa", 326.
- (218) Entry for 22 Jan. 1948, DBC-YH I, 177, and Haifa District Commissioner, "Report for the Period 1623- January 1948", 3 Feb, 1948, PRO CO 537 - 3853.
- (219) Arazi to Sasson, undated but from 20 or 21 Jan. 1948, CZA S25 7721.

وفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه كان الوقد ينوي أن يطلب استبعاد العناصر غير النظامية غير المحلية من المدينة، وإلا فإن اللجنة ستستقيل وسيتم إجلاء حيفاً، انظر:

'Hadad' to Sasson, 17 Jan. 1948, CZA S25-3569; and entries for 22 Jan. 1948, DBG-YH I, 171 and 177.

(220) Unsigned HIS report, 21 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

كانت فكرة الهجرة الجماعية من «حيفا» ذائعة الانتشار، وقد أشار إليها بعيض قادة المدينة؛ حيث ذكر أحد أعيان المدينة («كمال عبدالرحمن» نائب رئيس الغرفة التجارية) لمصدر لجهاز استخبارات الهاغاناه كان على صلة به أنه إذا ما فشل المفتي في أن يأخذ الوضع الخاص للمدينة بعين الاعتبار فإنه لن يمر وقت طويل حتى تصبح حيفا وكرا للعصابات بعد أن بهجرها سكانها. انظر:

HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Friday 23.1.48", 25 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

- (221) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.
- (222) "Information from the Nagid" to HIS-AD, 9 Feb. 1948, ISA FM 2568\4.

- (223) "Behind the Screen", 50.
- (224) أوضح فرانسيس هاسو أن مخاوف العرب من أن يقوم اليهود باغتصاب نسائهم أسهمت في الهجرة الجماعية خلال العام 1948، انظر:

  Modernity and Gender... Defeats", 492.
- (225) Goren, "Why...", 180.
- (226) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.
- (227) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.
- (228) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA \$257721-; and "01101" to HIS-AD, "Subject: Report on Events among Haifa's Arabs During January 1948", 2 Feb. 1948, HA 105\67. See also Gelber, Palestine, 2122-.
- (229) Unsigned HIS report, "Subject: Report on Events in Haifa on Thursday 29.1.48", IDFA 5942\49\\23.
- (230) "01101" to HIS-AD, "Subject: Report on Events Among Haifa"s Arabs During January 1948", 2 Feb. 1948, HA 105\67.
- (231) "Summary of Hiram information", 10 Feb. 1948, IDFA 7249\49\\152.
- (232) HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Monday 9.2", 11 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (233) "Harim" to HIS-AD, 7 Feb. 1948, HA 105\193 bet. مثل المسيحيون ربع سكان حيفا أو أكثر.
- (234) "Hiram" to HIS-AD, 11 Mar. 1948, HA 105\195.
- (235) "Summary of Hiram Information", 10 Feb. 1048, IDFA 7249\49\\152.

- (236) Goren, "Why...", 182.
- (237) "HIS Information", 28 Mar. 1948, IDFA 900\52\\58; "Hiram" to HIS-AD, "Transfer of Children to Beirut", 14 Mar. 1948, HA 105257; and excerpt from JA-PD Arab Division Report, 16 Mar. 1948, HA 105\257.
- (238) Excerpt from HIS report, 17 Mar. 1948, HA 105\257.
- (239) "Hiram" to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257; and unsigned Palmah Arab Platoon report, "Report on Shahar Reconnaissance in Haifa", 10 Apr. 1948, HA 105\257.
- (240) "Hiram" to HIS-AD, "Evacuation of Children", 8 Apr. 1948, HA 105\257; and "Hiram" to HIS-Ad, 12 Apr. 1948, HA 105\257.
  - (241) بدت حيفا كما لو أنها المدينة الوحيدة التي جرت فيها عملية ترحيل منظم للأطفال.
- (242) Goren, "Why ...", 181.
- (243) Gelber, "Palestine", 81.
- (244) Carmeli to HGS, "Subject: Report for the Period 14.2 12.3", 21 Mar. 1948, IDFA 6680\49\\3.
- (245) وفقا لمصادر الهاغاناه فإنه خلال القترة من 14 فبراير حتى 12 مارس قُتلُ 85 وجُسرح 95 من العرب في حيفا، في حين كان هناك 21 قتيلا من الجانب اليهودي (5 منهم من الهاغاناه) و 63 جريحا (أربعة من الهاغاناه) كما قُتلُ أَنضا ستة من الجنود البريطانيين، انظر:
  - Carmeli to HGS, "Subject: Report for the Period 14.2 -12.3" 21 Mar. 1948, IDFA 6680\49\\3).
- (246) A.J. Bidmead, Haifa CID, to Inspector General, 6 Mar. 1948, IDFA 900\52\\25.

- يُذكر أن تقريرا للهاغاناه صادرا في اليوم نفسه تضمن أن التفجير لم يُنفذ بواسطة «الهاغاناه»، انظر: Subject: Events in Haifa on 6.3, 7 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (247) HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on 21.2", 23 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (248) HIS, 'Subject: Report on Events in Haifa on Friday 27.2', 29 Feb. 1948, IDFA 5942\49\23.
- (249) "Hiram" to HIS-AD, 2 Mar. 1948, HA 105\102.
- (250) A.N. Law, Haifa District Commissioner, to Ibrahim, 4 Mar. 1948, HA 105\380.
- (251) "Hiram" to HIS-AD, 18 Mar. 1948, HA 105\195.
- (252) Moatza to Knesset (Palmah HQ to HGS), "Daily Report", 28 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (253) 'Yona' to 'Giora', 'Subject: Raid on Wadi Nisnas', 5 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\10.
- (254) 'Ehud' to Carmel, 'Report on Attack on Arms and Arab Commanders Convoy on 17.3,1948', 19 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\10.
- (255) Carmeli to HGS, 'Weekly Report on the Events in the Area between 2.3 and 26.3', 31 Mar. 1948, IDFA 7353\49\\46.
- (256) Unsigned, 'Subject: Report on Events in Haifa on Tuesday 23.3', 24 Mar. 1948, IDFA, 5942\49\\23.
- (257) Safwat to OC Haifa area, 28 Mar. 1948, HA 105\127 aleph.
- (258) Entries for 10 and 30 Mar. 1948, DBG-YH I, 290 and 362.

(259) انظر:

Committee for Economic Defence, "Information on the Arab Economy, Bulletin No. 6", 1719- Apr. 1948, HA 105\146.

(260) انظر:

- 'Avner' to HIS-AD, 12 Apr, 1948, HA 105\257; and 'HIS Information 13.4.48', IDFA 7357\49\\7.
- (261) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 1, 11 Apr. 1948, HA 105\146.
- (262) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 3', 13 Apr. 1948, HA 105\146.
- (263) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 5', 1416- Apr. 1948, HA 105\146.
- (264) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 8, Summary of Information form 5 to 20 Apr., 26 Apr. 1948, HA 105\146.
- (265) In Enemy Eyes, 18.
- (266) In Enemy Eyes, 12, 1718-, and 20.
- (267) Krischer (Haifa) to Arab Department, Mapam, 10 Feb. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (6).
- (268) Arab Department, "Bulletin No. 2 (Information About Developments in the Arab Camp from Our Special Sources"), 1 Mar. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (6).
- (269) The Haifa NC communiqués nos. 1-10 and no. 12- are reproduced verbatim, in Hebrew, in "In Enemy Eyes", 55 66. يذهب الخالدي في كتابه "سـقوط يافا" (22-22) إلى أن اللجنة الوطنية سعت بشكل قوي ومستمر إلى إيقاف الهجرة الجماعية، بيد أن الدلاثل لا تبدو مؤيدة لذلك وتظل غامضة.

- (270) "Hiram", 'Daily Information Circular', 1 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (271) "Hiram" to HIS-AD, undated but c.5 Apr. 1948, HA 105\257.
- (272) Committee for Economic Defence, "Information on the Arab Economy, Bulletin No. 3", 13 Apr. 1948, HA 105\146.
- (273) "Hiram" to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\379.
- (274) Eshel, "Battles", 342.
- (275) Gelber, "Palestine", 82.
- (276) Giv'ati Brigade HQ 'Operations logbook', 1.12.47115.48-', HA 73\98.
- (277) 'Ibrahim' to Palmah HQ, 'Report of Shahar Reconnaissance in Jaffa 1.12.74', HA 73\21; and 'HIS Information', 1 Dec. 1947, IDFA 900\52\\56.
- (278) "Ibrahim" to Palmah HQ, "Subject: Report on Reconnaissance in Jaffa on 5.12.47", HA 73\98.
- (279) HIS reports from 2 Dec. 1947, KMA-PA 10147, 46, 45and 50; and 6th Airborne Division Logbook, entry for 3 Dec. 1947, PRO WO 275 - 52.

280) انظر: «تسلسل الأحداث...»:

- «Schedule of events appended by V. Fox-Strangways, Chief Secretary's" Office, Government of Palestine, to Jewish Agency, 8 Dec. 1947, CZA S25 4148; and sheet from Haganah logbook, c.8 Dec. 1947, HA\73\\98.
- (281) Undated, unsigned Haganah intelligence logsheet, from around 11 Dec. 1947, HA 73\98.

(282) "HIS Information", 15 Dec. 1947, HA 105\61.

(283) على سبيل المثال:

Untitled logbook entry from c.4 Dec. 1947, HA 73\98

- (284) Golan, "Transformation", 78-79.
- (285) 'HIS Information,' 9 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.
- (286) HIS, 'Subject: Jaffa', 25 Dec. 1947, HA 105\72.
- (287) Untitled, unsigned report, 17 Dec. 1947, CZA S259208-; and Arab Division, 'In the Arab Camp', 28 Dec. 1947, CZA S25 9051.
- (288) "01203", to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (289) Arab Division, "In the Arab Camp", 28 Dec. 1947, CZA S25-9051; and Golan, Transformation, 79.
- (290) 'Information from Jafa... 23.12.47', 5 Jan. 1948, HA 105\215 aleph.
- (291) 'In the Arab Camp', 1 Feb. 1948, IDFA 128\51\\71.
- (292) Golan, Transformation, 7677-.
- (293) 'Zarhi Says', 9 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62.
- (294) "HIS Information", 10 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.
- (295) "Arye", "The Situation in Jaffa", 11 Dec. 1947, CZA S25-4011.
- (296) "01203" to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (297) '01203', to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (298) 'Arye', 11 Dec. 1947, CZA \$25 4011.
- (299) Entry for 10 Dec. 1947, DBG-YHI, 35.

- (300) Arab Division JA-PD, "In the Arab Camp", 14 Dec. 1947, CZA \$259046-; and "Peh" to Sasson, 18 Jan. 1948, CZA \$25 - 9046.
- (301) HIS, "Subject: Meeting of Bat-Yam Representatives with Arab Representatives to Agree on Peace", 19 Dec. 1947, HA 105\72.
- (302) 'Shiloni' to chief of HNS, 4 Jan. 1948, HA 80\105\1 (Moshe Svirsky Papers).
- (303) 'Protocol of the Third Meeting on Arab Affairs on 23.3.48', IDFA 8275\49\\126.
  - ذكر أحد تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه: «الوضع الاقتصادي سيئ، فأسعار الخضراوات والفواكه منخفضة كما أن البيض والدواجن رخيصة الأسعار لأن يافا تتلقى المنتجات كافة بمجرد بيعها إلى تل أبيب»، انظر: "Hiram" to HIS-AD, "Meetings in Transjordan", 26 Feb. 1948, HA 105\23 gimel).
- (305) HIS, 'Subject: In Jaffa', 25 Dec. 1947, HA 105\72; and Committee for Economic Defence, 'Information of the Arab Economy, Bulletin No. 8, Summary of Information from 5 to 20 April', 26 April 1948, HA 105\146.
- (306) "Hiram" to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.
- (307) Arab Division, "In the Arab Public", 2 Mar. 1948, HA 105\100.
- (308) Committee of Economic Defence, "Information about the Arab Economy, Bulletin No. 1", 11 April 1948, HA 105\146.
- (309) Committee for Economic Defence, 'Information about the Arab Economy, Bulletin No. 4', 1013- April 1948, HA 105\146.

- (310) 'Zarhi says', 9 Dec. 1947, IDFA 841\49\\62; and 'From the Yogev', 5 Jan. 1948, CZA S25 9051.
- (311) HIS-AD, "From the Yogev", 5 Jan. 1948, CZA \$259051-.
- (312) "Zarhi says", 9 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62. Petrol prices soared.
- (313) "HIS Information", 10 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.
- (314) '01203' to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph. See also 'Shiloni' to chief of HNS, 4 Jan. 1958, HA 80\105\1 (Moshe Svirsky Papers).
- (315) Gelber, "Palestine", 80.
  - (316) قال بن غوريون تعليقا على عمليات من هذا النوع: «لا أستطيع أن أنسى أننا كنا البادئين (بالتفجيرات)... كان اليهود السباقين إلى القيام مثل هذا الفعل»، انظر:
  - Protocol of Meeting of Defence Committee, Ben-Gurion's statement, 24 Feb. 1948, CZA S25 9346.
- (317) "Hapo'el Ha'aravi" to the Arab Division, JA-PD, 2 Feb. 1948, CZA S25 4066.
- (318) Unsigned but HIS, "Information from Jaffa 16.1.48", HA 105\32 aleph.
- (319) "01203" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (320) "01203" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (321) "Albert, 18.1.48", CZA S25 9007.
- (322) "Peh" to Sasson, 18 Jan. 1948, CZA S253569-.

(323) تفريغ لمحادثات تلفونية من يافا، انظر:

JI IZL Papers, kaf-4, 8\9.

(324) انظر:

'Dafna' to 'Dormi-Tzuriel', 'Subject: A Pithy Survey of the Arab Camp in Our Area', 15 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\136. ويُقدم عرضا مختصرا لتطور المليشيات في يافا والعلاقات التي سادت بينها.

- (325) 'Avner' to HIS-AD, 28 Mar. 1948, HA 105\257; and IDF History Branch, 'The ALA', 85, IDFA 1046\70\\182.
- (326) "HIS Information", 8 Feb. 1948, IDFA 900\52\\58; and Hassan Salame, "To Jaffa"s kind inhabitants", 10 Feb. 1948, HA 105\23 bet.
- (327) "Hashmonai" to "Dromi", 2 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (328)"Protocol of Meeting on Arab Affairs, 12- January 1948", 38, 40, etc, KMA, Israel Galili Papers.
- (329) Entry for 7 Jan. 1948, DBG-YH I, 121; and Political and Diplomatic Documents, 333, Ben-Gurion to Shertok (New York), 12 Feb. 1948.
- (330) "In Enemy Eyes", 32 33.
- (331) Arab Division, 'In the Arab Camp', 14 Dec. 1947, CZA S25 9046.
- (332) Entry for 9 Dec. 1947, DBG-YH I, 29.
- (333) 'Protocol of Meeting on Arab Affairs, 12- January 1948', KMA-IGP; and entry for 2 Jan. 1948, DBG-YH I 104; See also Ya'akobson (Ben-Avi) to Ben-Gurion ('Amitai'), 'Siege of Jaffa', 4 Jan, 1948, DBGA.
- (334) Entry for 25 Jan. 1948, DBG-YH 18485. يلاحظ أن غاليلي أنكر معرفته بالأحداث التي يصفها جاكوبسون.

- (335) Protocol of Meeting of Defence Committee, 27 Jan. 1948, CZA S25 9345. See also Galili to Kiryati, 5 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.
- (336) "Avram" to HIS-AD 15 Feb. 1948, HA 105\23 bet; and "Information from Jaffa ... 16.2.48", 2 Mar. 1948, HA 105\32.
- (337) 'Report on the Operation of the "centre", 13.3.48', IDFA 8275\49\\114.
- (338) 'Avner' to HIS-AD, 'The Attack on Abu Kabir and its Effect', 28 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.
- (339) 'Na'im' to HIS-AD, 25 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.
- (340) "Avner" to HIS-AD, 28 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.
- .341\Selection from Letters", 25 Apr. 1948, IDFA 500\48\\29. يلاحظ أن أسلماء المرسل والمسلقبل فضلا عن التاريخ غير متاحة، وإنا فقلط الملخص الذي قدمه ضابط جهاز اسلتخبارات الهاغاناه عن أجزاء من الخطاب.
- (342) 'Avner' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\126.
- (343) 'Kiryati-Dafna' to 'Dromi-Tzuriel', 15 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136; and 'Protocol of Arab Division Meeting on Thursday 22.4.48', CZA \$259664-.
- (344) 'Kiryati-Dafna' to 'Dromi-Tzuriel', 15 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136.

(345) انظر:

Golan, "Transformation", 22.

(346) Entry for 12 Jan. 1948. DBG-YHI, 141.

- (347) HIS, 'Subject: Doings in the Old City', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and 'Hashmonai' to 'Dromi', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5.
- (348) Unsigned, 'Subject: The Economic Situation in a Number of Arab Neighborhoods', 15 Jan., 1948, IDFA 500\48\\60; and 'Hashmonai', 15 Jan., 1948, IDFA\500\48\\5.
- (349) Unsigned, 'Subject: The Feeling Among the Arabs', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (350) 'Hashomai', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\5; and Unsigned, 'Subject: Food Suppliers in the Arab Sector', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.
- (351) Unsigned, "Subject: Shortage of Bread among the Arabs", 20 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (352) "Hashmonai" to "Dromi", 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.
- (353) "Hashmonai" to "Aka" and "Levanon", 31 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (354) Unsigned, "Subject: The Situation in the Old City", 1 Feb. 1948, IDFA 500\48\60.
- (355) Unsigned, 'Subject: Convention between Khalidi and the High Commissioner', IDFA 500\48\\60.
  - وعلى سبيل المثال على التقرير عن نهب قطار عربي انظر: 'Tiroshi', 'Subject: Train Robbery Between Taibe and Farun', 25 Dec. 1947, HA 105\23 and '02122' to HIS-AD, 'Subject: Train Robberies', 31 Dec. 1947, HA 105\23.
- (356) Unsigned, 'Subject: letter of Complaint to the Inspector of Foods about Bread.

- (357) Unsigned, 'Well-founded Information (from 7.2.48)', IDFA 500\48\\60.
- (358) Unsigned, "Subject: in the Greek Colony, 1 Feb. 1948, IDFA 500\48\60.
- (359) Unsigned, 'Subject: Groups of Thieves Inside the "National Guard", 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (360) Unsigned, 'Well founded Information from 13.2.48', IDFA 500\48\\60.
- (361) Unsigned, 'HIS-AD Information 4.3.48', IDFA 922\75\\1205.
- (362) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighborhoods in the Southern Parts of the City (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.
- (363) Pages from an HIS summary of the Arab Economy during Nov. 1947-May 1948, HA 119\105.
- (364) Committee of Economic Defence, 'Transport, Bulletin No. 2', HA 105\146.
- (365) Committee of Economic Defence, 'Information about the Arab Economy, Bulletin No., HA 105\146.
- (366) HIS-AD, 'On the Situation in the City and its Environs', 30 Nov. 1947, HA 73\98.
- (367) 'Yamami' to 'Yehoshua', 1 Dec. 1947, CZA S259210-.
- (368) '00004' to HIS-AD, 'Subject: Arab Preparations', 30. Nov. 1947, HA 73\98.
- (369) Unsigned, 'Schedule', undated, CZA S259210-; and 'The Jerusalem Information Bureau', (i.e. Haganah HQ Jerusalem) to Jerusalem Haganah members, 10 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

## الهوامش

- (370) Haganah logbook, entry for 2 Dec. 1947, CZA S25 9210.
- (371) 'To the Members in the Bases', 3 Dec. 1947, CZA \$259210-.
- (372) Haganah logbook entry for 3 Dec. 1947, CZA S25 9210.
- (373) 'To Our Members in the Bases,' 3 Dec. 1947, CZA S25 -9210.
- (374) Haganah logbook entries for 4 Dec. 1947, CZA S25 9210.
- (375) Haganah logbook, entry for 4 Dec. 1947, CZA S25 9210.
- (376) Jerusalem Haganah, 'Summary of Information for 4.12,47', CZA S25 9210.
- (377) Unsigned, 'Report on the Situation in the Old City from 5 14.12.1947, IDFA 481\49\\23.

(378) على سبيل المثال:

"Hashmonai", "Subject: Report for 28-29.12.47", IDFA 500\48\\56.

- (379) Haganah Jerusalem District, "Bulletin No. 15", 10 Dec. 1947, CZA S259210-; and Haganah Jerusalem District, "Bulletin No. 16", 11 Dec. 1947, HA 105\61.
- (380) "Bulletin No. 17", 11 Dec. 1947, HA 105\61.

(381) على سبيل المثال:

"Zohar" to "Yitzhak", "Subject: Combat Patrol to Lifta", 16 Dec. 1947, IDFA 553\50\\100.

(382) على سبيل المثال:

"Tzadik", to "Hashmonai", 30 Dec. 1947, IDFA 500\48\61; and "Hashmonai" to "Ben-Ydhuda", "Subject: Report 29 -3.47" undated, IDFA 500\48\\56.

(383) 'Following is Report as Given by Gavriel', 29 Dec. HA 105\23.

- (384) "0004" to HIS-AD, 2 Jan 1948, IDFA 500\48\\60.
- (385) 'o2204', to HIS-AD, 31 Dec. 1947, IDFA 500\48\60.
- (386) HIS-AD, 'Arab Emigration from December to End of February', undated, HA 105\102.
- (387) "Tzadik' to HIS-AD, 'Subject: Doings in Lifta', 15 Jan. 1948, HA 105\23.
- (388) Lisser to District OC, 22 Jan. 1948, IDFA 2644\49\\402.
- (389) "Tzadik" to "Hashmonai", 22 Jan. 1948, IDFA 500\48\61.
- (390) "Tzadik", to "Ma"then", and "Hashmonai", "Report for 30.1.48, IDFA 500\48\\61.
- (391) "02204" to HIS-AD, "Subject: The Position of Lifta"s Men", 9 Feb. 1948, HA 105\32 aleph.
- (392) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 24 Dec. 1947, IDFA 500\48\\61; and 'Hashmonai' to 'Ben-Yehuda', 'Subject: Report for 23-24.12.47', IDFA 500\48\\56.
- (393) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 27 Dec. 1947, IDFA 500\48\\61.
- (394) 'Tzadik', to 'Hashmonai', 28 Dec. 1947, IDFA 500\48\61; and 'Hashmonai' to 'Ben-Yehuda', 'Subject: Report on 27-28.12.47', IDFAF 500\48\\56.
- (395) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 14 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.
- (396) 'Hashmonai', 'Information', 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and HIS-AD, 'Emigration from December Until the End of February', HA 105\102.
- (397) 'Subject: Romema', unsigned, 23 Jan. 1948, IDFA 26605\49\\5; and 'Tzadik' to 'Hashonmai', 'Report for 4.2.48', 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\62.

Golan, "transformation", 24.

- (399) Entry for 20 Jan. 1948, DBG-YHI, 165.
- (400) British Army HQ, 'Fortnightly Intelligence Newsletter', 16 Jan. 1948, PROWO 27564-; 'CID Summary of Events', 18 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60. 'Tzadik' to 'Hashmonai', 'Addition to the Daily Report ...', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61 hints at this.
- (401) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.
- (402) 'Tzadik' to 'Hashomnia', 19 Jan. 1948, IDFA 500\48\61.
- (403) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 17 Jan. 1948; 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 'Addtion to Daily Report...', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61; 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 18 Jan. 1948; 'Tzadik' to 'Hashmonai', 19 Jan. 1948; and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 20 Jan. 1948 – all in IDFA 500\48\\61.
- (404) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 19 Jan. 1948, and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 20 Jan. 1948 -both in IDFA 500\48\61,
- (405) 'Tzadik' to 'Hashmonai', 21 Jan. 198, IDFA 500\48\\61.
- (406) 'Falastin', 28 Jan. 1948, CZA S25 9271.
- (407) 'Hashomonai', untitled, 3 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3.
- (408) 'Tzadik' to 'Hashmonai', 'Information', 20 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

- (409) Unsigned, 'Subject: The Atmosphere and Events Among the Christian Arabs', 9 Feb. 1948, IDFA 500\48\60.
- (410) Entry for 20 Jan. 1948, DBG-YH I, 165.
- (411) HIS, 'Well-founded Information from 10.2.48', undated, IDFA 500\48\\60; and Milstein War, III, 152.
- (412) 'Tzadik', to 'Hashmonai', 'Report for 10.2.48, IDFA 500\48\\61.
- (413) HIS, 'Well-founded Information from 13.2.48, and '90004' to 'Alula', 'Well-founded Information from 11 Feb. 1948', undated both in IDFA 500\48\60.

تحدث تقرير بريطاني لاحق عن سيارة بمكبر صوت كانت تجوب الطالبية في الثاني عشر من فبراير، على إثر مقتل امرأة يهودية بالرصاص في المناطق المجاورة، انظر:

British Army HQ, "Fortnightly Intelligence Newsletter", 27 Feb. 1948, PRO WO 275 - 64.

- (414) HIS, "Well-founded Information from 13.2.48", IDFA 500\48\60; and HIS, "Well-founded Information (from 12.2.48), IDFA 500\48\5.
- (415) HIS, 'Well-founded Arab Information from 21,2.48' IDFA 500\48\\5.
- (416) 'Hashmonai' to 'Dromi', 22 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (417) HIS, 'Well-founded Arab Information from 19.2.48' IDFA 500\48\\5.
- (418) "Tzadik' to 'Hashmonai' and 'Moriah', 26 April. 1948, IDFA 533\50\\25.

- (419) 'Hashmonai', 'Information', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5.
- (420) Jerusalem Haganah, 'Bulletin No. 16', 11 Dec. 1948, HA 105\61; and unsigned, 'Subject: Houses Evacuated for Purpose of Sniping', 9 Feb. 1948, IDFA 500\48\60.
- (421) Unsigned, 'Subject: Evaluation of Arab Houses Next to Talpiypot', 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (422) "Well-founded Information from 13.2.48", and 'Hashmonai' to 'Dromi', 22 Feb. 1948 both in IDFA 500\48\\60.
- (423) Well-founded Arab Information from 16.2.48, IDFA 500\48\\5.
- (424) 'Mashmonai', 'Information', 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\60; HIS-AD Information 6.1.84', HA 105\23; and 'Hashmonai', 'Information', 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\50.
- (425) 'Hashomonai' report, 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\60; and 'HIS Information 6.1.48', HA 105\23.
- (426) 'Shadmi' to 'Zohar', 'Operational Order', 12 Jan. 1948, and 'Zahor' to 'Shadmi', 'Report on Execution', 13 Jan. 1948 both in IDFA 500\48\\4.
- (427) "Tzadik' to 'Hashmonai', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.
- (428) 'Shadmi' to 'Hashomai', 14 Jan. 1948, and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 16 Jan. 1948 both in IDFA 500\48\\61.
- (429) 'Hashmonai' 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (430) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 30 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.
- (431) 'Tzadik' to 'Hasmonai', 30 Jan. 1948, IDFA 500\48\61. See also 'Hasmonai' to 'Dormi', 'Subject: Arab Reinforcement for the Southern Parts of the City', undated but c. 21 Feb. 1948, IDFA 500\48\60.

- (432) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 1311 2.4.48', IDFA 2605\49\2.
- (433) 'Hamami' to 'Yahoshua', 1 Dec. 1947, CZA S25;9210-00004" to HIS-AD, 'Subject: The [Arab] Registering of the Jewish Inhabitants of Qatamon', 2 Dec. 1947, CZA S25-9210; and Haganah logbook entry for 15 Dec. 1947, CZA S25-9210.
- (434) Jerusalem Haganah HQ, 'Bulletin No. 15', 10 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.
- (435) Unsigned, untitled report (in English) 4 Jan. 1948, CZA S254147-; and 'HIS Information', 4 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.
- (436) 'Tzadik' to 'Hashmonai' etc., 'Report on the Demolition of the Semiramis Hotel ...', 5 Jan. 1948, IDFA 500\48\61. بعد مضي وقت ذكر شاهام الذي قام بالعملية أن هدفه تمثل، جزئيا، في إيقاف الهجرة اليهودية من مناطق الجوار المشــترك بين العرب واليهود وأن يُعجل بهروب العرب منها. انظر:

  Milstein War, III, 77.
- (437) "Tzadik" to "Hashmonai", "Subject: Hotel Semiramis", 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and Milstein War III, 73 78.
- (438) Public Information Office, 'Press Release No. 8', 6 Jan. 1948, CZA S25 4013.
- (439) Cunningham to Secretary of State, 7 Jan. 1948, PRO FO 816\115.
- (440) 'Statement by the Jewish Agency for Palestine', 6 Jan. 1948, CZA S25 4013.

- (441) Ben-Gurion to Cunningham, 8 Jan. 1948, CZA S25 4013.
- (442) Unsigned, 'Subject: The Feelings in Qatamon After the Explosion', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.
- (443) Untitled, unsigned HIS report, 5 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3. See also 'Through Yosef, deputy CO Area 4 ...' Hebrew translation of what seems to be a British intelligence report, 5 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3.
- (444) Arab Division, 'Summary of Information about Hotel Semiramis ...', 8 Jan. 1948, CZA, S25 4013.
- (445) 'HIS Information', 7 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.
- (446) HIS, 'The Situation in the Arab Neighborhoods in the Southern Part of Town (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.
- (447) Quoted in Krystall, 'The Fall of the New City 1947100, '1950-.
- (448) 'Survey of the Arab Neighborhoods of Southern Jerusalem,' 29 Feb. 1948, IDFA 2605\49\\3.
- (449) Unsigned, 'The Qatamon Affair', undated, IDFA 500\48\\54.
- (450) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 131, 2.4.48', IDFA 2605\49\\2; and 'The Situation of the Arab Neighborhoods o Southern Part of the City (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.
- (451) Sakakini, "Diary", 231.
- (452) Sakakini, "Diary", 23132-.
- (453) Sakakini, "Diary", 235.

- (454) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighbourhoods in the Southern Part of the City (Summary of Information from 21.3.48)', undated but from late Feb. 1948, IDFA 5345\49\75.
  - في كتابه «سقوط المدينة الجديدة»: 1947-1950) لا يذكر كريستال أي شيء عن هذه الانقسامات الداخلية كعامل مهم في الهجرة من القدس.
- (455) "Na'im" to HIS-AD, 29 Dec. 1947, HA 105\215 aleph من المفيد التذكير بأن القرى المختلفة التي أشارت إليها تقارير الهاغاناه باعتبارها مهجورة خلال الفترة من شهر ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 أضحت بعد ذلك إما مسكونة بشكل كامل أو جري ولم تُهجر نهائيا إلا في تاريخ لاحق.
- (456) '01227' to HIS-AD, 'Subject: Reprisal Against the Village of Qazaza, 22 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62; and Qazaza village file, HA\136.
- (457) IDF-GS\Operations Logbook, entry for 16 July 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (458) '01122' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information,' 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.
- (459) 'Ben-Ari' to 'Kiryati', 'From the Logbook Court 4', undated, HA 73\98.
- (460) "Tiroshi' to HIS-AD, 'Subject: Khirbet 'Azzun', 23 Dec. 1947, HA 105\23.
- (461) 'Khirbet 'Azzun-Tabsar', 18 Dec. 1941, HA 8\195.
- (462) '01112' to HIS-AD, 27 Jan. 1948, IDFA 6400\49\\66; and "Tiroshi (Etian)' to HIS-AD, 19 Feb. 1948, HA 105\72.

- (463) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (464) '01122' to HIS-AD, 'Subject: Arab al Balawina', 16 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66; and HIS-AD 'Arab al Balawina', summer 1943, IDFA 1627\94\\231.
- (465) '0122' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information', 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.
- (466) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-AC 10.95.13 (1).
- (467) HIS-AD to Galili, 1 Dec. 1947, HA 73\98. كانت القرية مكونة من جزأين: الجماسين الغربية والجماسين الشرقية.
- (460) Decompaiseance canad to Third Rottolian 2 I
- (469) Reconnaissance squad to Third Battalion, 2 Jan. 1948, IDFA 6647\49\\13.
- (470) "Avram", 8 Jan. 1948, HA 105\23.

(468) 'Avram', 9 Jan. 1948, HA 105\23.

- (471) 'Avram', 9 Jan. 1948, HA 105\23.
- (472) 'Tiroshi' to HIS-AD, 17 Mar. 1948, HA 105\257.
- (473) 'Kiryati' to 'the Engineer', 15 Jan. 1947, IDFA 8275\49\\126.
- (474) HIS-AD to 'Dan', 'Hillel', 1 Dec. 1948, HA 105\61.
- (475) 'HIS-AD Information 25, '4.1.48-3- Jan. 1948, HA 105\61.
- (476) 'Tsfoni', to 'Kiryati', 10 Feb. 1948, IDFA 8275\49\\138; and 'Tsfoni' to 'Kiryati', 23 Feb. 1948, HA 105\72.
- (477) 'Avram' to HIS-AD, 11 Feb. 1948, HA 105\72; and 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 29 Feb. 1948, HA 105\72.

- (478) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\257.
- (479) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\257.
- (480) Alexandroni HQ to first and second battalions, 10 Mar. 1948, 1DFA 2687\49\\35.
- (481) Alexandroni HQ to OCs second and third battalions, et., 14 March 1948. IDFA 2323\49\\5.
- (482) Uriah Shavit and Jalal Bana, 'The Palestinian Dream, the Israeli Nightmare', Haaretz magazine, 6 July 2001.

نم تضمين ذلك في: Alexandroni to Haganah CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93

- (484) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...,' 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (485) Tel Aviv Haganah intelligence logsheet, 22 March 1948, HA 105\62.
- (486) 'Protocol of Meeting No. 3 on Arab Affairs on 23,3,48', IDFA 8275\49\\126.
- (487) HGS to brigade OCs, etc., 24 Mar. 1948, IDFA 922\75\1219.

  See also Galili, 'Meeting of HNS', 22 Mar. 1948, IDFA 481\49\64.

وقد نُصُّ فيه بشكل صريح على «حماية الشيخ مونس».

- (488) 'Gur' to 'Etzioni', 7 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\148.
- (489) Galili, 'Meeting of HNS', 29 Mar. 1948, IDFA 481\49\64.
- (490) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\257.

- (491) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 'Subject: The Evacuation of 'Arab Abu Kishk by its Inhabitants', 31 Mar. 1948, HA 105\257.
- (492) Protocol of Meeting of Defence Committee, 1 Apr. 1948, CZA \$259348-.
- (493) 'Tiroshi' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257. See also Kan'ane and Abd al Haid, 'Abu Kishk'.
- (494) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...,' 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (495) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 1 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Tiroshi (Aran), to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\257.
- (496) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257.
- (497) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 11 Apr. 1848, HA 105\257.

(498) فيما يتصل بقبائل شارون البدوية انظر:

"On Beduin Tribes of the Sharon Sub-District, 1 Mar. 1948, IDFA 1627/94/\231; and '1113' to HIS-AD, 'Subject: Comments on the List of Beduin Tribes in the Sharon Sub-District from 1.3.44, 10 Apr. 1944, HA 8\206.

- (499) "01122" to HIS-AD, 16 Dec. 1947.
- (500) HIS-AD, "Migration from December to the End of February", undated, HA 105\102.
- (501) HIS-AD, 'Migration from December to the End of February, HA 105\102.
- (502) HIS-AD, 'Migration from December to the End of February', HA 105\1902.
- (503) '01112', to HIS-AD, 9 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.

- (504) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHH-ACP 1-,95.13 (1).
- (505) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 19 Mar. 1948, HA 105\257 يذكر المرجع أعضاء قبائل «السواركة» و «الحجازي».
- (506) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (507) 'Testimony of Arye Bachar', interviewed 24 July 1957, JI IZL Papers, kaf-4. 7\7.
- (508) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 30 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66; and Rafael Ruppin, letter to the editor, Haaretz, 11 Apr. 1999.
- (509) "Tiroshi (Dror), to HIA-AD, 18 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.
- (510) Tiroshi (Dror)', to HIS-AD, 24 Mar. 1948, IDFA 2506\49\\85 اشتكى لواء إسكندروني من أن الهجوم الذي شنته البالماخ كان «مخالفا للخطوط العامة التي اتبعناها كأساس لعلاقاتنا مع العرب» انظر:

  Alexandroni to CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93.
- (511) "Palestine Post", 28 Mar. 1948.
- (512) 'Yavne' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.
- (513) 'Summary of Meeting of Arab Affairs Advisers in Netanya 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.
- (514) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...,' 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (515) HIS-AD, 'Migration from December Until the end of February,' undated, HA 105\102.
- (516) 'Tiroshi' (Aran), to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
- (517) HIS-AD, "The Migratory Movement...", 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

- (518) Danin to Sasson, 13 Jan. 1948, CZA S25 9007.
- (519) '01112' to HIS-AD, 12 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.
- (520) '02112' to HIS-AD, 1 Feb. 1948, HA 105\358.
- (521) Palmah HQ to 'Boaz', 3 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1025; and Galili statement, Protocol of Meeting of Mapapm Political Committee, 5 Feb. 1948, 66.90 (1).
- (522) 'Amon' to Palmah HQ, 10 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1211.
- (523) Palmah HQ to HGS, 20 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1214.
- (524) Wagman, Mukhtar Sdot-Yam, to 'Reuven', undated, IDFA 2687\49\\35.
- (525) Cohen to Levite and Riftin, 13 Mar. 1948, HHA 10.95.11 (21).
- (526) '01112', to HIS-AD, 22 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.
- (527) HIS-AD, 'Migration from December until the end of February,' undated, HA 105\102; and HIS-AD, 'The Migratory Movement ...,' 30 June 1948, HHH-ACP 10.95.13 91).
- (528) 'Tiroshi (Eitan)', to HIS-AD, 6 Mar. 1948, HA 105\257.
- (529) HIS-AD, 'Qumya', early 1942, HA 105\225.
- (530) Weitz to Granovsky, 31 Mar. 1948, CZA A202 217 (Avraham Granott Papers).
- (531) 'Binyamin' to 'Golani', 31 Mar. 1948, IDFA 128\51\\71. See also Yani, Toldot Ein Hard, I, 281.
- (532) Weitz to Granovsky, 31 Mar. 1948, CZA A202 217.
- (533) Entry for 11 Jan. 1948, Weitz, Diary, III, 223.

- (534) Entry for 20 Feb. 1948, Weitz, Diary, III, 239 40.
- (535) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz Diary, III, 25657-; and interview with Eliezer Beeri (Baurer), Kibbutz Hazorea, Apr. 1984.
- (536) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz, Diary, III, 25657-. See also Morris, 'Yosef Weitz and the Transfer Committees, 1948-1949'.
- (537) Entries for 31 Mar. and 2 Apr. 1948, Weitz, Diary, III. 260 261.
- (538) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz, Diary III, 256 57.
  رحل سـكان الطـيرة في الخامس عشر من أبريل بعـد تلقيهم «نصيحة
  يهودية صديقة»، انظر:
  HIS- AD, 'Migratory Movement ...' 30 June 1948, HHA
  10.95.13 (1).
- (539) Palmah HQ to HGS, 'News', 18 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1066; Palmah HQ to HGS, 'News', 19 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1066; and 'Eitan' to 'Ali', 'Report on the Mansurat al Kheit Operation', 19 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1224.
- (540) Allon to HGS, 'Daily Report', 13 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1066; and Allon to HGS, 'Daily Report', 17 Mar. 1948, HA 105\62.
- (541) MacMillan to Eliezer Kaplan, 22 Mar. 1948, CZA S25-7721; and entry for 22 Mar. 1948, YND.
- (542) 'Mitzpa' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, HA 105\257.
- (543) HIS-AD, "The Migratory Movement...", 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

- (544) 'Yavne' to HIS-AD, 4 Jan. 1948, HA 105\215 aleph; and 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Concentration of Information No. 104', 7 Mar. 1948, IDFA 2605\49\\2; HIS, 'Annexes to Information Concentration No. 125', 29 Mar. 1948, IDFA 2605\49\\2; and HIS-Ad, 'The Migratory Movement ...', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95 13 (1).
- (545) 'Hashmonai' to 'Dromi', 15 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (546) 'On Events in the Negev', 22 March 1948, CZA S25 -3569.

  The report is signed 'RA, 7 Mar. 1948'.
- (547) H.L. Gurney, chief secretary, Government of Palestine, to Ben-Gurion, 15 Dec. 1947; and Ben-Gurion to Gurney, 23 Dec. 1947, both in CZA S25 4148.
- Yoske' to Sarig, 30 July 1948, IDFA 1676\51\\12 يُذكر أن فقرة رئيسية من التقرير حذفت من قبل رقابة المسؤولين الرسميين بوزارة الدفاع الإسرائيلية.
- (549) Gelber, "Palestine", 7; and Gabbay, Political Study, 66. يُوضح غاباي أنه خلال الحرب العالمية الأولى كان «عدة آلاف» من الفلسطينيين قد هربوا إلى سورية للفرار من التجنيد من قبل العثمانيين، وكان الهرب من قبيل التقاليد.
- (550) Behind the Screen, 50.
  - (551) قُدمت إشارة إلى ذلك في تقرير (ربما يكون صحيحا) نشرته صحيفة «الأيام» السورية بتاريخ 21 ديسمبر 1947، تضمن أن كلا من دمشق وبيروت طلبتا إلى اللجنة العربية العليا ممارسة نفوذها على الفلسطينيين على طول الحدود حتى لا يفروا إلى سورية ولبنان، وأن يلزموا أماكنهم ويحاربوا. انظر:

Arab Division, "Information on the Arab Military Preparations", 9 Jan. 1948, CZA S25 - 3999.

- (552) Gabbay, Political Study, 92; and Nimrod, "Hamahapach", Al Hamishmar (Hotam), 5 Apr. 1985.
- (553) Gelber, "Palestine", 77.
- (554) Arab Division Report, 24 March 1948, citing the Arab newspapers Al-Masri and Al-Ahram, HA 105\257 اقتباس من الصحف العربية مثل «المصري» و«الأهرام».
- (555) Unsigned but HIS, "Subject: Report on What Happened on Tuesday 23.3", 24 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (556) 'Na'im', 'Subject: Details from a Talk with Dr. Dajani', 24 Dec. 1947, HA 105\215 aleph.
- (557) '02204' to HIS-AD. 'Subject: A Tendency by the Arabs to Leave the Country', 15 Jan. 1948, HA 105\215 aleph. See also '02104' to HIS-AD, 14 Jan. 1948, HA 105\215 aleph.
- (558) British Military HQ, Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter', 30 Jan. 1948, PRO WO 275 - 64.
- (559) '00004' to HIS-AD, 'In the Arab Public', 29 Jan. 1948, HA 105\23 bet.
  - استمرت مثل هذه النشرات من قبل الهاغاناه؛ حيث وجدنا في نهاية مارس رئيس الإدارة العربية بالهستدروت (أغاسي) يشتكي منها: "إن إذاعاتنا تسمادى في ازدراء العرب الذين فروا كما لو كنا مهتمين ببقائهم في البلاد وقيامهم بمحاربتنا!"
- (560) HJS, "Information Circular", c.21 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.
- (561) "Elkana" to Ben-Gurion, ("Amital"), 19 Feb. 1948, DBG Archive.
- (562) Gelber, "Palestine", 77.
- (563) 'Hasmonai', 'Subject: Doing Among the Arabs', 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

- (564) 'Hashmonai', 'Subject: Demographic Changes in Jerusalem', 25 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.
- (565) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighbourhoods in Southern Part of the City (Summary of Information from 21 March 1948)', IDFA 5254\49\\75.
- (566) 'Yavne', 23 March 1948, HA 105\257.
- (567) HIS, 'Reliable Information from 13.2.48', IDFA 500\48\\5.
- (568) HIS, 'Reliable Information from 21.2.48', IDFA 500\48\5.
- (569) 'Hashmonai', 'Information', 22 Feb. 1948, IDFA 500\48\\5.
- (570) IDF History Branch, 'The Arab Liberation Army, 31.12.1947 -23.9.1955; IDFA 1046\70\\182.
- (571) HIS-AD, 'Subject: Report on Events in Haifa on Friday 23.1.48', 25 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (572) 'HIS-AD Information 9.2.1948', IDFA 922\75\\1205.
- (573) 'Na'im' to HIS-AD, 3 Mar. 1948, HA 105\257.
- (574) HIS-AD translation of Tulkarm NC Communique of 27 Feb. 1948, HA 105\102.
  - ترجمـة الإدارة العربية لجهاز اسـتخبارات الهاغانـاه للبيان الصادر في السابع والعشرين من فبراير عن اللجنة الوطنية في طولكرم.
- (575) Alexandroni HQ, "Sparks, General Survey", 11 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66.
  - يذكر التقرير أن اللجنة الوطنية رتبت مرتين لإعادة الخيل التي قام العرب المحليون بسرقتها الأسابيع السابقة إلى ملاكها من اليهود، وكان ذلك منتصف الحرب بين الجهاعتين!
- (576) "Tiroshi" to HIS-AD, 14 Mar. 1948, IDFA 661\69\\36.

- (577) Unsigned, "Subject: The Anger of the Inhabitants of Biet Safafa Concerning the Entry into their Village and Attacks on Mokor-Hayim by the Gangs", 28 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5; and part of untitled report, "Yavne", 9 Mar. 1948, HA 105\257.
- (578) "01122", to HIS-AD, 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.
- (579) "021122" to HIS-AD, 9 Feb. 1948m IDFA 6400\49\\66.
- (580) "02122", to HIS-AD, 10 Dec. 1947, IDFA 6400\49\66.
- (581) "Naim" to HIS-AD, 22 Feb. 1948, HA 105\72.
- (582) Husseini to NC of Tiberias, undated but from Mar. 1948, HA 105\257.
- يقدم عرضا للنقاط الرئيسية التي تضمنها التقريس، الذي فرض عليه يقدم عرضا للنقاط الرئيسية التي تضمنها التقريس، الذي فرض عليه البريطانيون رقابة، ويتناول خطابا أرسله الحسيني من القاهرة بتاريخ 8 مارس 1948 إلى اللجنة الوطنية للقدس، وقد حصل جهاز استخبارات الهاغاناه على نسخة من التقرير لكن ليس من الخطاب الرئيسي، ولم أحد نسخة من الخطاب ذاته، انظر:

"Avner" to HIS-AD, 29 Mar. 1948, and excerpt from report by "Yavne", 21 Mar. 1948- both in HA 105\257.

(584) 'Mitzpa' to HIS-AD, 29 Mar. 1848, and two reports by 'Yavne', 30 March 1948, all in HA 105\257.

أوضح أحد تقارير يافن أن النساء في القدس أيضا كانت مضطرة إلى التقدم بطلبات للحصول على تصريح خروج.

(585) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, HA 105\257.

(586) تقرير مختصر على الأرجح صادر من جهاز استخبارات الهاغاناه بتاريخ 28 مارس 1948، انظر: 257\105 \HA.

## الهوامش

- (587) HIS, "In the Arab Camp', 5 Apr. 1948, IDFA 661\69\\36. .Gabby, "Political Study", 66 أُقتبس ذلك في 588)
- (589) HID-AD, "The Migratory Movement ...; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

## القصل الرابع

- (1) Khalidi, 'Plan Dalet . . .'; Pappe, Making, 54-55, 89-94; and Masalha, 'The Historical Roots . . .', 43-44 -- argue the opposite, to my mind contrary to the evidence.

  تذهب هذه الدراسات إلى مساندة الرأي المعاكس، وبالنسبة إلي فإنها تخالف الدلائل والراهن.
- (2) HGS, 'Tochnit Dalet', 10 Mar. 1948, IDFA 922\75\\949, IDFA 922\75\\595 and IDFA 2687\49\\35.
- (3) HGS, 'Tochnit Dalet', 10 Mar. 1948, IDFA 922\75\\595 and 922\75\\949, for Giv'ati and Alexandroni brigades.

(4) انظ:

- Operations Officer, Alexandroni, to battalions 31, 32, 33 and 34,? April 1948 (apparently 5\6 April), IDFA 2687\49\\35.
- (5) Entries for 22 and 23 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 272.
- (6) Protocol of Cabinet meeting, 19 May 1948, ISA. See also Sharett's statement of 'surprise' in protocol of Cabinet meeting, 20 June 1948, ISA.
- (7) Protocol of Cabinet meeting, 8 Jun. 1948, ISA. يلاحــظ أنه بعد مرور أسـبوع أكد بن غوريــون أن «هروب العرب» لم يشكل بالنسبة إليه مفاجأة، انظر:

Protocol of Cabinet meeting, 16 June 1948, ISA.

- (8) IDF GS\intelligence to "Conrad", "Summary of Information from Northen Front", 3 June 1948, IDFA 922\75\\1044.
- (9) 'Summary of the Meeting of the Advisers on Arab Affairs in Camp Dora 31.3.48', IDFA 4663\49\\125.
- (10) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.
- (11) 'Naftali' to zone OCs, 18 Apr. 1948, IDFA 4663\49\\46.
- (12) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 13.4.48', IDFA 4663\49\\125.
- (13) 'Tiroshi (Dror)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.
- (14) Galili, 'Meeting of HNS, 5.4', IDFA 481\49\\64.
- (15) Galili to Yadin, 15 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.
- .83\Allon to HGS\Operations, 18 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83 يلاحظ أنه بدءا من شهر أبريل استخدمت الهاغانــاه «قوات الدفاع الاسه اثبلية» عادة كلمة «لاحثن» كمرادف للسكان العرب.
- (17) HGS to brigades, 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1219.
- (18) 'Summary of a Meeting with "Amitai", 6 May 1948', DBGA.
- (19) Ben-Gurion, "As Israel Fights", 100. يلاحظ أن رواية مختلفة قليلا ظهرت في DBG-YH II, 387.
- (20) Unsigned, 'Hebrew Translation of Record-Posters in Arabic [Nos.] 1-6', undated, IDFA 1196\52\\1.
- (21) HGS\Operations\5 to brigades, 16 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1206.
- (22) Unsigned, 'Assumptions [i.e., Guidelines? Concerning] Behaviour Toward Surrendering Villages,' 22 Apr. 1948, HA 80\774\7 (Zvi Aurbach Papers).
  - وصلت هذه الوثيقة إلى مستشاري الشوون العربية للهاغاناه، وتمت الإشارة إليها في:

- 'Summary: Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91.
- (23) Shitrit, 'Memorandum of the Ministry for Minority Affairs', 10 May 1948, ISA, Labour Ministry, 6178\2924.
  - بشكل واضح تم إعداد المذكرة بناء على اقتراح بن غوريون بعد أن زاره ماكنس مشتكيا من سلوك الهاغاناه في المناطق المحتلة، انظر: (entry for 6May 1948, Ben-Gurion Diary).
- (24) Unsigned, 'Definition of the [Requisite] Behaviour in Managing Arab Towns and Villages to be Conquered by the Military', undated but stamped 'received 16 May 1948', IDFA 6127\49\\109.
- (25) HGS\Operations, 'Chapter 1. General', 11 May 1948, IDFA 2384\50\\9.
- (26) Chief of HGS to Alexandroni, 23 Mar. 1948, IDFA 481/49/\50.
- (27) Alexandroni to sub-district OCs (mafanim), 2 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; Alexandroni to sub-district OCs, 15 Mar. 1948, IDFA 2506\49\\91; Alexandroni to battalions, etc., 28 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1211; Naftali to heads of councils and headmen, 30 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; and Hadari to district OCs, 23 Mar. 1948, IDFA 244\51\\81.
- (28) Protocol of meeting of Defence Committee, 16 Mar. 1948, CZA \$25-9347.
- (29) Galili to Gwirtz, Danin, Machnes, 26 Mar. 1948, and HGS to brigades, 29 Mar. 1948, both in IDFA 481\49\\50.
- (30) Gwirtz to ?, 1 Apr. 1948, IDFA 2506\49\\91.
- (31) Gwirtz to ?, 1 April 1948, Subject: Sdot Tvuah, IDFA 2506\49\\91.
- (32) 'Yaakobi' to Giv'ati, 28 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\7.

- (33) 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 31.3.48'; 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 6.4.48; and 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 13.4.48', all in IDFA 4663\49\\125; 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.
- (34) Galili to brigades, 13 Apr. 1948, HA 73\169.
- (35) See Morris, 'The Harvest of 1948 . . .; and OC Kinneret sub-district to 'Reuven', 30 May 1948, IDFA 1096\49\\51.
- (36) Horowitz to Ben-Gurion, 2 May 1948, IDFA 6127\49\\109.
- (37) Ben-Gurion, As Israel Fights, 87-88, text of Ben-Gurion's speech to Zionist Actions Committee, 6 Apr. 1948.
- (38) 'Yavne', 'Arab Information from 17.4.48', IDFA 500\48\\55.
- (39) Tahsin Kamal, Defence and Security Dept., NC, Jerusalem, to secretaries of neighbourhood committees, 22 Apr. 1948, ISA FM2570\11.
- (40) 'Hashmonai', 'Arab Information from 5 April 1948', IDFA 500\48\\55.
- (41) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 182', c. 19 Apr. 1948, IDFA 2605\49\\2.
- (42) Unsigned, untitled segment of HIS report, 22 Apr. 1948, HA 105\257.
- (43) Entry for 4 May 1948, CZA A246-13, 2373.
- (44) "Tzuri' (Levi Avrahami, OCHIS Northern Front) to HIS-AD, 'Miscellaneous Intelligence', 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

- (45) HIS, 'Daily Summary', 3 May 1948, IDFA 900\52\\58.
- (46) 'Peretz' to 'Hashmonai', 'Subject: Information from the Motza Area', 30 Mar. 1948, IDFA 500\48\\29; and unsigned, 'Qastal', 3 Apr. 1948, IDFA 5545\49\\114.
- (47) 'Yavne to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.
- (48) 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Annexes to Information Summary No. 143', 8 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\499.
- (49) 'Yavne' to HIS-AD, 10 Apr. 1948, HA 105\257.
- (50) 'Arab Intelligence from 28.4.48', IDFA 500\48\\55.
- (51) 'Yavne' to HIS-AD, 11 Apr. 1948, HA 105\257.
- (52) Unsigned, 'Shu'fat', 29 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83; and 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Summary of Intelligence No. 205, 29.4.48', IDFA 4944\49\\499.
- (53) 'Yavne' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA 105\257; and unsigned, 'Arab Intelligence from 20.4.48', IDFA 500\48\\55.
- (54) Untitled, unsigned intelligence report, 18 Apr. 1948, IDFA 5545\49\\114.
- (55) 'Yavne' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, HA 105\257.
- (56) 'Summary of Intelligence for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80; and 'HIS Intelligence, Daily Summary', 7 May 1948, HA 105\94.
- (57) Yavne to District OC, 'Urgent Arab Intelligence from 20.4.48', IDFA 500\48\\55.
- (58) 'Na'im (Na'aman)' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.
- (59) 'Summary of Information for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.

- (60) 'Tzuri (Shaanan)' to HIS-AD, 7 May 1948, HA 105\92.
- (61) 'Oded' to Golani, 20 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (62) Unsigned, 'Carmeli Brigade Summary of Intelligence No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\2.
- (63) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\217.
- (64) 'Hiram', untitled, 22 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; and Alexandroni, 'Bulletin No. 34', 9 Jun. 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (65) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\257.
- (66) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.
- (67) 'Summary of Intelligence for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.
- (68) HIS, 'Intelligence, Daily Summary', 7 May 1948, HA 105\94.
- (69) 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.
- (70) 'Yovev', untitled, 8 May 1948, HA 105\217.
- (71) HIS-AD, Qastina village file, entry for 19 May 1948, HA 105\134.
- (72) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 26 June 1948, HA 105\127 aleph; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Journey of the Wife of Ma'luli to Beirut', 4 July 1948, HA 105\127 aleph.
- (73) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 7 July 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (74) 'Hiram' to IDF Intelligence Service, 3 Aug. 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (75) Golani\Intelligence, 'Intelligence', 27 Jun. 1948, IDFA 1096\49\\64.
- (76) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 11 July 1948, HA 105\127 aleph.
- (77) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 7 July 1948, IDFA 7249\49\\138.

- (78) 'Tzuri (Shaanan)' to HIS-AD, 11 July 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (79) 'Giora' to 'Utz', 17 Aug. 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (80) 'Tzuri (Yosef)' to IDF Intelligence Service, 19 Sept. 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (81) Intelligence officer, 6th Battalion, 'page No. 387, No. 576, undated but late Aug. 1948, IDFA 1046\70\\417.
- (82) Yiftah intelligence logbook, entry for 31 Oct. 1948, IDFA 922\75\\1230.
- (83) 54th Battalion to Giv'ati, 'Subject: Summary for 29.4.48', 30 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\18.
- (84) 'Hiram' to HIS, 30 Apr. 1948, HA 105\257.
- (85) Alexandroni, 'Bulletin No.12', 18 May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (86) 'Yeruham' to HIS-AD, 13 May 1948, HA 105\217.
- (87) Unsigned, 'Arab Intelligence from 13.5.48', IDFA 5254\49\\75.
- (88) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13(1).
- (89) 'Mitzpa' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.
- (90) 'Yiftah' to HGS, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.
- (91) 'Tzuri' to HIS-AD, 10 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (92) 'Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information from Samakh and the Area, 27 Apr. 1948, HA 105\92 bet.
- (93) Unsigned, 'Ein-Gev. [Testimony] Taken from Ezra Klopfeny, 9.10.48', IDFA1235\52\\1. See also 'Ein Gev in the War, 35.

(94) Unsigned, 'Ein-Gev, [Testimony] Taken 4.7.48, from Zili Diter, OC "Persian" Sector', IDFA 1235\52\\1; 'Ein Gev in the War, 34 and 71; and Yitah, MAM, to Military Governor, Western Galilee, 26 Oct. 1948, and Hassan Zickrallah to OC Acre, 20 Oct. 1948, both in IDFA 922\52\\564.

(95) كتب رئيس الوزراء السوري السابق خالد العظم في مذكراته («مذكرات خالد العظم») ص. 386: «لقد جلبنا الخراب على ما يقرب من مليون لاجئ عربي بمطالبتهم ومناشدتهم بشكل متكرر أن يتركوا أراضيهم وديارهم ومصانعهم». (أدين بالشكر للدكتور غيدعون ويغرات من القدس الذي أفادنا بهذا المصدر)، إلا أنني لم أجد أي دليل معاصر على مثل هذه الدعوة الشاملة «الرسمية» من قبل أي حكومة عربية. كما أنني لم أعثر على أي دليل على أن الفلسطينيين أو أي مجموعة ذات ثقل غادرت لأنها تلقت مثل هذه «الدعوات» أو الأوامر من القادة العرب في الخارج، والاستثناء الوحيد الضئيل لذلك يتمثل في الآثار (التي تحت الإشارة إليها) للأمر - الذي أصدره بشكل واضح السوريون - لبعض سكان الجليل الشرقي بالمغادرة قبل أيام من - وفي إطار الاستعدادات للغزو في 15 - 16 مايو. إن مثل هذا الأمر أثر في الأكثر على عدة آلاف من الفلسطينين، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ربطه وتركيبه مع جهود الهاغاناه لإبعاد الفلسطينين عن تلك المنطقة (انظر الجزء المتصل بعملية يفتاح).

من الممكن أن يكون العظم يشير إلى هذا القرار، أو - وهو الأكثر ترجيحا-أنه أقحم هذه الفقرة لتسجيل بعض النقاط في سياق عمليات الجدل بين العرب أنفسهم (على سبيل المثال نقد أقرانه من القادة العرب فيما يتصل بالنزوح الجماعي).

إذا كانت هناك أوامر شاملة تدعو إلى الرحيل صدرت عن قادة عرب بالخارج – من في ذلك القادة الفلسطينيون في المنفى - سواء كان ذلك عن طريق الإذاعات أو أي طريقة علنية أخرى، فمن المؤكد أن آثار ذلك كان يجب أن تظهر في الأرشيف المعاصر الذي قدمته المؤسسات المدنية والعسكرية في اليشوف، أو حكومة الانتداب، أو المؤسسات الديبلوماسية البريطانية والأمريكية الموجودة في المنطقة آنذاك. إن أجهزة استخبارات اليشوف – الهاغاناه ثم عقب ذلك جهاز استخبارات قوات الدفاع الإسرائيلية، والقسم العربي بالإدارة السياسية للوكالة اليهودية والأجهزة الإسرائيلية، والقسم العربي بالإدارة السياسية للوكالة اليهودية والأجهزة

التي حلت محله فيما بعد، وإدارة الشرق الأوسط؛ والبحوث؛ والإدارة السياسية بوزارة الخارجية الإسرائيلية - فضلا عن أجهزة الاستخبارات الغربية؛ كلها تابعت الإذاعات العربية والبيانات الصادرة عن القادة العرب، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يوجد أي تقرير يهودي أو بريطاني أو أمريكي صدر في تلك الفترة الحاسمة (ديسمبر 1947 - يوليو 1948) يتضمن اقتباسا أو حتى يشير إلى مثل هذه الأوامر.

لقد تابعت هيئة الإذاعة البريطانية على مدار أعوام الإذاعات العربية، وفي مطلع السبعينيات بحث جون زميرمان في تقارير المتابعة عما إذا كانت قد أشارت إلى أوامر عربية أذيعت تدعو إلى الإجلاء، وفي 1973 - كانت قد أشارت إلى أوامر عربية أذيعت تدعو إلى الإجلاء، وفي 1974 نشر كتابه بعنوان: «الدعاية عن طريق المذياع في الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948»، والذي أوضح فيه أنه لم يجد إعلانات من هذا القبيل أذيعت، واقتصر الأمر على وصف التقارير لما تضمنته الإذاعات عن إجلاء النساء والأطفال من حفئة من المواقع.

في مقاله بعنوان: «المؤرخون الجدد» اقتبس شاباتي تيبث من تقرير عن الإدارة السياسية لجهاز استخبارات الهاغاناه بتاريخ 27 أبريل 1948 ما يلى: «تنتشر شائعات عن صدور أمر من اللجنة العربية العليا في القدس بإجلاء السكان العرب من العديد من المواقع في البلاد؛ حيث ترغب الحكومات العربية في إرسال قوات قوية من المدرعات والطائرات لقصف كل مدن البلاد، وعدم رغبتها في إيذاء السكان العرب. إنهم ينصحون السكان العرب بالهروب من البلاد بأسرع وقت ممكن قائلين إنهم سيعودون منتصرين إثر استيلاء العرب على البلاد». بالنسبة إلى فإنني لم أر على الإطلاق هذا المستند، ومع ذلك فإنه إذا كان بالفعل موجودا ويتضمن ما تم اقتباســ فإنه سيكون المستند المعاصر الوحيد الذي برز إلى السطح ويشير بطريقة ما إلى أمر عربي عام بالإجلاء؛ ومع ذلك لم يشر جهاز استخبارات الهاغاناه مجددا في أي من مستنداته إلى تلك «الأوامر» التي تناولتها الشائعات والتي كان يلزم التحقق منها، كما أنه كان من المنطقي أن يقوم المتحدثون الرسميون باسم اليشـوف باسـتخدام مثل هذا «الأمر» أو «الأوامر» لدحض الاتهامات العربيـة - في الأمم المتحدة وغيرها من المنابر- أن اليشـوف كان يتبع سياسة الطرد تجاه الفلسطينيين. وحقيقة الأمر أنه إذا ما كان في حوزة جهاز استخبارات الهاغاناه أو أي جهاز آخر تابع لليشوف نص أمر عربي

بالإجلاء الشامل أو مصادر يعتد بها حول هذا الأمر، فإنه لا جدال في أنه كان سيتم إذاعته ونقله إلى جميع المستويات، ولكن اليشوف لم يفعل أي شيء من ذلك.

كذلك فإنه من الجدير بالملاحظة أن المستند الذي تسم الاقتباس منه يشير بشكل واضح إلى «شائعات» ويتحدث عن اللجنة العربية العليا في القدس وليس عن مركز الثقل الحقيقي للجنة في فيلا الحسيني بضواحي القاهرة؛ فضلا عن أنه يشير إلى الإجلاء من «مواقع عديدة» وليس إلى أمر إجلاء شامل لـ «عرب فلسطين»، غير أنه – كما هي الحال بالنسبة إلى أغلب الشائعات - فإن هناك ذرة من الحقيقة في هذا؛ حيث كان هناك موقع واحد كانت اللجنة العربية العليا تضغط للاستمرار في إجلاء المدنيين منه ألا وهو حيفا، وقد أشارت مصادر عديدة - بما في ذلك الاستخبارات البريطانية - في نهاية شهر أبريل إلى تقارير و«شائعات» عن أوامر من اللجنة العربية العليا لعرب حيفا تحضهم على الاستمرار في عملية الإجلاء؛ حيث إنه كان من المنتظر استهدافها بقاذفات القنابل العربية يوم الغزو (انظر ما يلي). إن تلك الشائعات التي بدأت في حيفا كانت على الأرجح هي التي استند إليها تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه في 27 أدريل.

- (96) 'Hashmonai' to ?, 'Intelligence Summary No. 184, 25.4.48', IDFA 5254\49\\75.
- (97) 'Daily Monitoring Report, No. 20', undated but referring to 25-26 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\617.
- (98) 'Yavne' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, HA 105\257.
- (99) 'Arab Intelligence from 18.5.48', 19 May 1948, IDFA 500\48\\55.
- (100) 'Hiram' to HIS-AD, 5 Apr. 1948, HA 105\102.
- (101) The Committee for Economic Defence, 'Information About the Arab Economy, Bulletin No. 3', 13 Apr. 1948, HA 105\146.
- (102) 'Avner' to HIS-AD, 18 Apr. 1948, HA 105\257.

- (103) 'Tzefa' (Tuvia Lishansky, senior HIS officer), untitled, 6 Apr. 1948, HA 105\257.
- (104) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey for Months of March, April 1948', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (105) 'Tzuri', untitled, 29 Apr. 1948, HA 105\257.
- (106) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey for Months of March, April 1948', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (107) 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Annexes to Summary of Intelligence No. 143, 8.4.48', IDFA 4944\49\\499.
- (108) 'Yovev' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\128.
- (109) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 28 Apr. 1948, HA 105\257.
- (110) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.
- (111) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\102.
- (112) 'HIS Intelligence 12.5.48', IDFA 922\75\\1205.
- (113) 'Hiram' to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\217.
- (114) 'Summary of Carmeli Brigade Intelligence No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.
- (115) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (116) Alexandroni, 'Bulletin No. 6',? May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (117) 'Summary of Carmeli Brigade Intelligence No. 5 for 24.5.48', IDFA128\51\\71.
- (118) IDFA-GS Logbook, entry for 16 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

- (119) HIS radio interception, Majd al Kurum to Tarshiha and Lubya (Qawuqji to 'Omar Fasil al Rami), 16 June 1948, HA 105\217.
- (120) 'Tzuri (Uri)' to HIS-AD, 22 July 1948, IDFA 7249\49\\138.
- (121) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105-257.
- (122) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 4 May 1948, HA 105\127.
- (123) Alexandroni, 'Bulletin No. 12', 18 May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (124) Entry for 26 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 273.
- (125) Unsigned, untitled, undated HIS report, HA 105\217; and Alexandroni, 'Bulletin No. 1', 7 May 1948, IDFA 2323\49\\5.
- (126) Text of broadcast of Kol Hamagen Ha'ivri (Haganah Radio),
  Jerusalem, 5 May 1948, CZA S25-8918; Information about the
  Arabs of Palestine (According to Arab Radio Transmissions,
  6-7 May 1948), CZA S259045-; and 'Daily Monitoring Report
  No. 28,' 6 May 1948, DBGA.
- (127) Text of broadcast by Kol Hamagen Ha'ivri, 6 May 1948, CZA S258918-.
- (128) Aharon Cohen, 'Our Arab Policy in the Middle of the War', 10 May 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4); Aharon Cohen, 'In Face of the Arab Evacuation', summer 1948, HHA-ACP 10.95.11 (8); 'HIS Information', 13 May 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\3158-; and 'Information about the Arabs of Palestine (from Arab Broadcasts, 10-11 May)', and 'Information about the Arabs of Palestine (from Arab Broadcasts, 14-15 May)', both in CZA S25-9045.
- (129) 'Arab Broadcasts', 6-7 June 1948, CZA S259047-; and Israel Foreign Ministry, 'In the Arab Public', 26 May 1948,

## الهوامش

KMA-PA 100\Mem Vav Dalet\15-. See also Zagorsky to Harzfeld, 2 June 1948, LA 235 IV, 2251 bet, on Arab pressures on evacuees from the Beisan Valley to return.

(130) جرى اقتباس إعادة تأكيد اللجنة على سياستها في هذا الخصوص في: Gelber, "Palestine", 258.

(131) على سبيل المثال انظر:

Israel Foreign Ministry, 'In the Arab Public', 11 June 1948, regarding Syria and the Arabs of the Hula Valley; or Tree and Sword, 228, on the Arabs of Lubya.

- (132) Gelber, "Palestine", 265.
- (133) HIS, 'The Tabari Family,' undated but stamped 'received 29 Apr. 1941', HA 105\222.

يُذكر أن نايف قد قاد بنجاح مجموعة من العناصر غير النظامية العربية خلال تمرد 1936 - 1939.

- (134) "Tzefa' to HIS-AD, 9 Dec. 1947, HA 105\72.
- (135) 'Tzefa' to HIS-AD, 'Subject: Arab Families leaving their Apartments', 22 Dec. 1947, HA 105\215 aleph; and 'Tzefa' to HIS-AD, 9 Dec. 1947, HA 105\195.
- (136) 'The Committee of the Jewish Residents of the Old City of Tiberias to the Defence Committee, Tiberias, 8 Feb. 1948, CZA S254147-. See also Entry for 10 Feb. 1948, DBG-YH I, 227.
- (137) 'HIS Intelligence, Daily Summary', 23 Dec. 1947, HA 105\61.
- (138) 'Tzefa' to HIS-AD, 29 Dec. 1947, HA 105\23; and Major Ben-Zion and Y. Ben-Arye, IDF History Branch, 'Testimony of Major Schusterman', 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

- (139) Entry for 4 Feb. 1948, YND; and Nahmani to Yosef Weitz, 10 Feb. 1948, CZA S257721-.
- (140) Nahmani to Weitz, 10 Feb. 1948, CZA S2507721-; and 'Mitzpa (Hava)' to HIS-ASD, 16 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.
- (141) 'Hiram' to HIS-AD, 22 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.
- (142) Tree and Sword, 109; and YND, entry for 14 Mar. 1948. See also Sami Khalil al Tabari, Tiberias NC, to head of the Division for National Guidance, AHC, Cairo, undated but from c. 17 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.
- (143) M. Hildsheimer and Yael Avital, 'Interview with Moshe Weiss (Tzahar)', head of the Tiberias Jews' Situation Committee in 1948, 18 Jan. 1982, Tiberias Municipal Archive. See also Tzahar, 'Historians . . .', 204, for a later, different version of the meeting with Galili.

(نسخة لاحقة مختلفة عن اللقاء مع غاليلي).

- (144) Stefan to Yadin, 14 Mar. 1948, and HGS\Operations to Golani, 17 Mar. 1948, both in IDFA 67\51\\677.
- (145) 'Mitzpa (Hava)' to HIS-AD, 23 Mar. 1948, HA 105\257.
- (146) 'Tzuri' to Golani, 3 May 1948, 'General Survey for the Months of March, April 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (147) 'Optik' to Golani, 'No. 2', 10 Apr. 1948, and Optik to Golani, 10 Apr. 1948, both in IDFA 128\51\\18.
- (148) 'Kna'ani', 'Report on the Nasir a Din Operation', 12 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1025.
- (149) HIS Intelligence, Daily Summary, 18 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58. 'Deir Yassin' meant massacre.

- (150) In Ben-Zion and Ben-Aryeh, IDF History Branch, 'Testimony Taken from Amos Mukadi (Brandstetter) about His Activities in the Golani Brigade during the War of Independence, 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.
  - تذكر موكادي أن بعض أعضاء الجماعات المسلحة حاولوا الهروب من الموقع من خلال الاختباء وراء النساء الفارات: «لم يعرف رجالي ماذا يفعلون... وعندئذ أصدرت أمرا بإطلاق النار على كل شخص يحاول الهروب حتى وإن ترتب على ذلك إصابة النساء؛ حيث لم تكن هناك طريقة أخرى للقضاء على أعضاء تلك الجماعات، وكان من نتيجة ذلك أن قتل عدد من النساء... وفي تلك الليلة أعلن راديو دمشق أن اليهود كرروا ما سبق القيام به في دير ياسين، وأعتقد أن ذلك كان بشكل عرضي من بين العوامل التي حطمت العرب في طبريا؛ حيث إن العرب أنفسهم سارعوا بنشر وتضخيم القصة المتعلقة بنصر الدين مها أدى إلى هروب العرب من طبريا».
- (151) Divisional Logbook, 6th Airborne Division, entry for 12 Apr. 1948, PROWO 27554-; and Nazzal, Exodus, 29 (who misdates the attack '10 April 1948'). The AHC misdated the attack '14 April 1948' (see AHC memorandum, 26 July 1948, PRO CO 7332\487-).
- (152) Entry for 12 Apr. 1948, YND.
- (153) 'Oded' to Golani, Palmah, 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1208.
- (154) Written Testimony of David Khidra, A Resident of Tiberias, undated, Tiberias Municipal Archive; Tiberias to ?, 17 April 1948, 22:45 hours, IDFA 128\51\\50; and entry for 17 Apr. 1948, YND.
- (155) MILPAL to ?, 19 April, IDFA 900\52\\43; and Ben-Zion and Ben-Aryeh, 'Testimony of Major Schusterman', 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

نُقل عن شيسترمان الذى قاد الوحدة «ج» بالفرقة 12 في طبريا خلال شهر أبريل عام 1948 قوله: «شعر المرشدون البريطانيون بان عملية إجلاء المدينة قد بدأت، واقترح القائد البريطاني على العرب أن يخلوا المدينة»، غير أن إسحاق بروشي (قائد آخر في الهاغاناه كان نائبا لقائد الفرقة 12) يتذكر الأمور بطريقة مختلفة قائلا: «جاء القائد البريطاني مُعلنا أن العرب يطلبون إخلاء المدينة... وقد عرض البريطانيون في نهاية الأمر مساعدتهم في عملية الاحلاء...»، انظر:

Ben-Zion, Y. Ben-Aryeh and Avigdor Kirchner, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi, deputy OC 12th Battalion in War of Independence', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

- (156) Tiberias to ?, 17 April, 1948, IDFA 128\51\\50; 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Tzuri' to HIS-AD, 24 Apr. 1948, HA 105\92 bet.
- (157) Nazzal, Exodus, 29-30; Moshe Tzahar interview, Tiberias Municipal Archive; and Divisional Logbook, 6th Airborne Division, entry for 18 Apr. 1948, PRO WO 275 54.

أوضح تزاهار أن خبر إجلاء العرب كان بالنسبة إليه «صدمة» وأنه قام بالاحتجاج على ذلك لدى أندرسون، غير أن الأخير «لم يلن»، وعندئذ طلب تزاهار من أندرسون استدعاء القادة العرب لمحاولة إقناعهم بإعادة النظر في قرارهم، فأجاب الأخير بأنه «لم يعد هناك قادة عرب فقد فروا جمعا». بذكر أن ما رواه تزاهار:

(Tzahar interview, Tiberias Municipal Archive and in Tzahar, 'Historians . . ; 207-208)

لا يتماشى مع أي مستند معاصر آخر، ويفتقر إلى المصداقية، فقد أشار غولان إلى أنه خلال شهر أبريل اتبع البريطانيون سياسة «تشجيع إجلاء القطاعات الإثنية الحبيسة». ومن جانبي فإنني لم أر أي دليل قوي على أن مثل هذه «السياسة» قد جرى تبنيها على الإطلاق، على الرغم من وجود ما يثبت أن مثل هذا التفكير كان موجودا في خلفية قرارات بعض القادة العسكريين في مناطق محددة

وأوقات معينة (من الممكن أن يكون ذلك في حالة طبريا، وأيضا تجاه كيبوتس مشار هعيمك في أوائل شهر أبريل «انظر أدناه». ويذهب ما يقوله تزاهار إلى أن قرار العرب بالتخلي عن طبريا قد اتخذ من قبل القيادة المحلية إما بالتشاور مع السلطات البريطانية أو بناء على اقتراح من الأخيرة، بيد أن التقارير المعاصرة لذلك تدفع إلى الاعتقاد أن العرب في المدينة تلقوا أمرا من الخارج - من اللجنة العربية العليا؟ من اللجنة الوطنية في الناصرة؟ من الجامعة العربية في دمشق؟ - بالرحيل، وقد نص أحد تقارير الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه على ما يلي: «من مصادر عسكرية عديدة عربية وبريطانية، أصبح من المعروف جيدا أن العرب في الموقع تلقوا أوامر وبريطانية، أصبح من المعروف جيدا أن العرب في الموقع تلقوا أوامر

Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Reports on the Evacuation of Tiberias', 21 Apr. 1948, HA 105\257.

ويشير التقرير إلى أن أمر الإجلاء جاء من «سلطة عليا».

(158) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Reports from Tiberias,' 21 Apr. 1948, HA 105\257.

'Tzuri' to HIS-AD, 24 Apr. 1948, HA 105\92 bet. 'Tzuri' (Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257).

وقد نقل أيضا أن أغلب العائلات وصلت إلى شمالي الأردن (الموقع الأصلي وقد نقل أيضا أن أغلب العائلات وصلت إلى شمالي الأردن (الموقع الأصلي الطبريين)؛ حيث زودتهم الحكومة بغيام، وكان هناك مُناد يطوف أرجاء إربد مُعلنا أن اليهود في طبريا قد «اغتصبوا امرأة عربية... وسرت حملة دعايـة ارتكـزت على أحداث الاغتصاب لإثارة الجماهـبر التي صدقت (التقاريـر)». (مـن جانبي لم أجـد أي دليل آخر عـلى الاغتصاب في أي مسـتند يتعلق بطبريا). كذلك نقل تـزوري أن صدقي الطبري حوكم في دمشـق في اتهامـات بأخذ رشـوة (3 آلاف جنيه إسـترليني) من اليهود مول هذه الرشـوة المزعومـة، وأيضا حول تلقي كل مـن نايف الطبري ورشـيد الطبري رشـاوى في طبريا قبل المعركة النهائية، وادعى البعض أن ورشـيد الطبري رشـاوى في طبريا قبل المعركة النهائية، وادعى البعض أن عشم من أمريل.

(160) 12th Battalion\Intelligence to Golani Brigade\Intelligence,?
April 1948, IDFA 128\51\\18.

في الرابع من سبتمبر 1955 نشرت صحيفة «فلسطين» اليومية تقريرا مبالغا في الخيال حول «سـقوط طبريا» أشار إلى أنه من بين أسباب ذلك: حيل من قبل قوات الانتداب، واندفعت فتيات يهوديات إلى داخل معسـكراتهم (المقصود المليشيات العربية) حيث قاموا بقضاء «ليال حمراء»، أما فيما يتصل بإجلاء العرب، فلم يتهـم المقال أيا من البريطانيين أو اليهود وإنها عزا ذلك إلى أن السـكان هربوا بمحض إرادتهم. انظر:

IDFA 922\75\\695.

- (161) Entry for 18 Apr. 1948, YND.
- (162) Palmah HQ to HGS, 18 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (163) 'Shimon' to Golani, 18 Apr. 1948, 18:15 hours, IDFA 128\51\\50.
- (164) Entry for 18 Apr. 1948, YND.
- (165) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
- (166) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\92 bet.
- (167) Entries for 21 and 22 Apr. 1948, YND. Tzahar, 'Historians . . . . ,' 211,

وقد نصت على: «جرى استنفار قوة الشرطة التابعة للحكومة العبرية بالكامل فقط من أجل حماية الممتلكات العربية، ومن الممكن أن يكون قد حدث خلال اليومين الأولين [بعد الانتصار اليهودي] بعض الأعمال المنعزلة للسرقة [المقصود السلب]، ولكن هذا بعيد للغاية عن هجوم جماعي على الممتلكات العربية». وحقيقة الأمر أن مذكراته تذخر في أماكن معثرة عثل تلك التبريرات الخاطئة.

- (168) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\92 bet.
- (169) Presidium of the Community Committee, Temporary Situation Committee, untitled proclamation, 19 Apr. 1948, Tiberias Municipal Archive.

- (170) Colonial Secretary (New York) to Cunningham, 24 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\23; and Tree and Sword, 9.
- (171) E.N. Koussa, letter to editor, The Palestine Post, 6 Feb. 1949.
- (172) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1), وتــشرح باختصــار أســباب النزوح الجماعــي من طبريا كــما يلي: «ان
  - وتــشرح باختصــار اســباب النزوح الجماعــي من طبريا كــما يلي: «ان عملياتنا [المقصـود هجمات الهاغاناه] لم تجد قيادات في المواقع؛ حيث فر الأغنياء قبل ذلك».
- (173) 12th Battalion to Golani, 19 Apr. 1948, IDFA 128\51\50; and 'Tzuri (Khokh)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257. and 'Tzuri (Khokh)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257. في خطاب إلى المحرر (ها ارتيز 11 أبريل 1999)، أشار ديفيد أرون إلى تذكره أن شيخ القبيلة دياب آل إبراهيم أخبر جيرانه اليهود بأنه تلقى أمرا صادرا من اللجنة العربية العليا بإخلاء الموقع مما أسرع من عملية الإجالاء، وعلى العكس من ذلك فإن نائب القائد العسكري للفرقة 12 المروشي كان قد ذكر سابقا أنه «تم إجلاء عرب القادش تحت ضغط الهاغاناه». انظر:

Ben-Zion, Kirschner, and Ben-Arych, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi . . .', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943).

- (174) 'Tzuri (Khoch)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\257.
- (175) Golani Brigade Logbook, entry for 24 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1. See also "The Fall of Tiberias, Falastin, 4 Sept. 1955, in IDFA 922\75\\ 695.
- (176) "Tzuri (Fawzi)" to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257; and Golani Brigade Logbook, entry for 22 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1.
- (177) Golani Brigade Logbook, entry for 22 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1; and 'Tzuri' to HIS-AD, 23 Apr. 1948, HA 105\257.

- كان من الواضح أن ما قام به رئيس غينوسار كان بناء على أوامر من مركز قيادة الفرقة 12، انظر:
- (Ben-Zion, Kirschner and Ben-Aryeh, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi . . .', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943).
- (178) 'Tzuri (Kochva)' to HIS-AD, 'Subject: Ghuweir Abu Shusha', 24 June 1948, HA 105\226.
- (179) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (180) Committee for Economic Defence, 'Information from the Arab Economy, Bulletin No. 4, 10-13 Apr. 1948, HA 105\146.
- (181) 'Hiram' to 'Jeremiah', 1 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23; and 'Hiram' to HISAD, 4 Apr. 1948, HA 105\257.
- (182) Unsigned, 'Report on "Shahar" Patrol', 10 Apr. 1948, HA 105\257.
- (183) 'Hiram' to HIS-AD. 19 Apr. 1948, HA 105\257. Goren, 'Haifa', 183, misdates his departure '17 Apr. 1948.'
- (184) 'Hiram' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
- (185) Stockwell, 'Report by GOC North Sector Major General H.C. Stockwell CB, CBE, DSO, Leading Up to, and After, the Arab-Jewish Clashes in Haifa on 21-22 April 1948', (henceforward 'Stockwell Report'), 24 April 1948, SAMECA CP V/4102/. See also Cyril Marriott (Haifa) to Bevin, 26 Apr. 1948,
  - وهـو عبارة عن تقرير مـن 17 صفحة تعيد إنتاج تقرير سـتوكويل، انظر كذلك:
  - Cunningham to Secretary of State, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III/415/, and Henry Gurney, 'Palestine Postscript', the

Chief Secretary's unpublished diary, 73-74 (SAMECA, Gurney Papers).

ويتطابسق مضمونها مع وجهة نظر كل من ستوكويل وماريوت عن الأسباب التي أدت إلى الإسراع في هجوم الهاغاناه؛ حيث كتب غورني (وهو ليس صديقا للصهيونية): «لقد أصبح من الواضح اليوم أن الهجوم اليهودي على حيفا قد شُن كنتيجة مباشرة لأربعة أيام متتالية من الهجمات العربية المستمرة، الأمر الذي كان في مصلحة اليهود».

- (186) 'Segal' to all divisions, 'Summary of Intelligence in the District from Friday 16.4.48 14:00 hours Until Sunday 18.4.48 08:00 Hours', IDFA 7353\49\\46.
- (187) Unsigned but Carmeli, 'Addition to Daily Report 20.4.48 14:00 Hours for 21.4.48 08:00', and Carmeli to HGS\
  Operations, 'Report for 21.4.48', both in IDFA 7353\49\\46.
- (188) Pa'il, Haganah, 310-11; and HGS\Operations, 'Plan D', IDFA 933\75\\ 949 (see especially sub-clause 3 ('Definition of Functions') gimel ('Consolidation in the Big Cities') 3).
- (189) Harry Beilin to JA-PD, 1 April 1948, CZA S2510555-.
- (190) Beilin to JA-PD, 1 Apr. 1948, CZA S2510555-.
- (191) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S2510584-.
- (192) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.
- (193) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA \$2510584-.
- (194) In Enemy Eyes, 21.
- (195) NorthSec [i.e., GOC North Sector] to 1st Guards Brigade, CRAFORCE, etc., 21 Apr. 1948, 18:45 hours, PRO WO 275-62.
- (196) Eshel, Battles, 347-49; and Carmel, Battles, 86-87.
- (197) Unsigned, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00', IDFA 7353\49\\46.

(198) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1,

وتضمن ملخصا جيدا للمعركة أعده ضابط عركز قيادة لواء كارميلي بعد انتهائها بأيام قليلة. وفيها يتصل بقصف قذائف الهاون انظر: Mandate Government Press Office communiqu'e, 22 Apr. 1948, 12:45 hours, CZA S257721-; and protocol of 'Meeting of Mista'arabim' in Giv'at Hashlosha, '10 Apr. 1969. 1948 والــذي ينقل عن تقرير من «هفكوك» جرى تحريره في 23 أبريل 1948 حول الطريقة التي أحس بهــا العرب بالقذف والهجوم الأرضي من قبل الهاغاناه، في 12\25 LA 25\12.

- (199) Protocol of 'Meeting of Mista'arabim', quoting from 'Havakuk' report, HA 25\12.
- (200) In Enemy Eyes, 23-24.
- (201) Tactical HQ, 1st Battalion, Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep', 22 Apr. 1948, 16:30 hours, PRO WO 261297-.

  يُذكر أن قائد اللواء قد أصبب لاحقا في ذراعه بطلقة من قناص يهودي في وقت كان يقود فيه رتلا من سيارات الإسعاف لالتقاط الحرجي العرب.
- (202) Unsigned but Carmeli, 'Summary of Information on the Enemy 22.4.48', undated but from afternoon of 22 Apr. 1948', IDFA7353\49\\46; and 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1.
- (203) Haganah HQ, Haifa District, '(poster) 'Haganah OC Announcement No. 2', 22 Apr. 1948, HA 105\92.
- (204) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1; and The Times (London), 22 Apr. 1948.
- (205) Carmel, Battles, 104; and Eshel, Battles, 375.
- (206) Eshel, Battles, 356.
- (207) '257 and 317 Field Security SectionWeekly Report No. 2 forWeek Ending 21 April 1949', PRO WO 275-79.

- (208) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.
- (209) Carmeli HQ, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 Hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00 Hours, IDFA 7353\49\\46; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Yunis Nafa'a, 28 Apr. 1948, HA 105\257.

بحلول مطلع شهر مايو كان العرب في حيف يقولون إن نافعة تلقى رشوة قيمتها 100 ألف جنيه إسترليني «من اليهود لتسليم مدينة حيفا» انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\92.

وذكــر أحد ضبــاط جهاز اســتخبارات الهاغاناه أن العــرب اعتقدوا أن قادتهــم قد «خانوهم» وفروا مثــل «الجرذان»، وكانوا يرون أنه إذا كان القادة قد بقوا فإنهم كانوا سيصمدون. انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Feelings', 25 Apr. 1948, HA 105\257.

(210) يذهب الخالدي في كتابه «سقوط حيفا» إلى أن رحيل قادة المليشيات لم يؤشر في المعنويات العامة للعرب كما أنه ظل غير معلوم من سكان المدينة، إلا أن ذلك يبدو مخالفا للمنطق، ففي الشاني والعشرين من أبريل رددت إذاعة الهاغاناه: «لماذا أخذ نافعة أسرته معه إلى بيروت؟ هل تعلمون أنه استأجر شقة هناك ...؟». انظر:

Eshel, 'Battles', 375.

- (211) '257 and 317 Field Security Section Weekly Report No. 3 for the Week Ending 28 April 1948, PRO WO 275-79.
- (212) Cunningham to Creech-Jones, 26 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\71.
- (213) British Army HQ, Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67, 6 May 1948, PRO WO 275-64.

في تقاريرهما وصف كل من ستوكويل وماريوت هروب القادة بأنه «ذو مغزى» في تفسير الانهيار العربي السريع، ومن جانبه أوضح الخالدي في كتابه «سـقوط حيفا» أن عز الدين أراد فقط أن يشرح بنفسـه الموقف

(ومن المفترض أنه طلب تعزيزات) غادر قبل بدء إطلاق النار، وأنه كان متهما بـ «سوء التقدير» وليس بـ «الجبن»، ومع ذلك فقد اتضح أن «عز الدين غادر المدينة في الساعة الواحدة ظهرا يوم 21 أبريل في وقت كان إطلاق النار قد بدأ فعلا - وأنه عند مغادرته كان قد أدرك أن المعركة الحاسمة قد بدأت.

- (214) Lippincott (Haifa) to Secretary of State, 23 Apr. 1948 (two cables), NA RG 84, Haifa Consulate Classified Records 1948, 800 Political Affairs.
- (215) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and '[Mandate Government] Haifa District Summary of Battle Headquarters Dated 22.4.48', IDFA 900\52\\24.
- (216) Cunningham to Secretary of State, 23 Apr. 1948, 11:00 hours, SAMECA CP III\4\15; and 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.
- (217) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Carmel, Battles, 104-105.
  - طوال عملية التفاوض كانت الهاغاناه تشير إلى «شروط الاستسلام»، في حين أشار كل من البريطانيين والعرب إلى «شروط الهدنة»، وقد كان الجميع يعني ويعرف أنه يتحدث عن الشيء نفسه.
- (218) Khalidi, 'Fall'; 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Goren, 'Haifa', 187.
- (219) Khalidi, 'Fall'; and Goren, 'Haifa', 187-88.
- (220) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Goren, 'Haifa', 187-88.
- (221) Khalidi, 'Fall'; Goren, 'Haifa', 188; and Assaf, History, 331–32. (ويقدم الأخير نص خطاب موجها من كوسا إلى «جوش أوبزرفر» و«مجلة الشرق الأوسط» في 1 سبتمبر 1959).
- (222) Broadmead to FO, 22 Apr. 1948, 11:58 hours, PRO CO 537-3901.

(223) Broadmead to FO, 22 Apr. 1948, 15:14 hours, PRO CO 537-3901.

في الوقت نفسه اشتكى عزام باشا – الذي كان قد أُطْلع على صورة من رسائل القنصل إلى السفير البريطاني بالقاهرة روي كامبيل من «المذابح» اليهودية المستمرة لـ «السكان العرب، من في ذلك النساء والأطفال». (وكان يكذب حيث لم تكن هناك «مذابح»)، وهدد عزام باشا بتدخل الجيوش العربية. انظر:

Campbell to FO, 22 Apr. 1948, 21:07 hours, PRO CO 537-3901.

- (224) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102. ويحتوي على النص الأصلي لشروط الهاغاناه والنسخة المنقحة لمنقحة بواسطة ستوكويل.
- (225) Carmel, Battles, 105-106.
- (226) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and 'Marriott Report', PRO FO 371 68505.
- (227) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S25 10584.
- (228) 'Marriott Report', PRO FO 37168505-; and 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102. See also Marriott to FO, 23 Apr. 1948, PRO FO 371 68544.
- (229) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; Marriott Report', PRO FO 371-68505; and Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S25 10584,
- (230) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S 2510584-; and Carmel, Battles, 107.
  - يلاحظ أن أيا من ستوكويل أو ماريوت لم يذكر أي شيء عن مناشدة ليفي.
- (231) Carmel, "Battles", 107.
- (232) Salomon to Political Department, Foreign Ministry, 1 Apr. 1949, ISA FM 2401\11.

يذكر سولومون أن «مكلف» سعى أيضا إلى طمأنة العرب إلى أنهم يمكنهم البقاء في حيفا، إلا أن ذلك لا يوجد ما يؤيده في أي مكان آخر، كلما أنه يتناقض ضمنيا مع مذكرات كارميل. ومن جانب آخر قامت إذاعة الوكالة اليهودية في ذلك الوقت بطمأنة عرب حيفا إلى أن اليهود ليس لديهم نية لطردهم، وركزت على أن المصلحة المثلى للمدينة تكمن في التعايش السلمي، ومع ذلك لم تكن هناك دعوة صريحة إلى العرب بالبقاء أو - في حالة مغادرتهم لها - العودة إليها. انظر: Gelber, "Palestine", 107.

## (233) Carmel, "Battles", 107.

يلاحظ أن النسخة الأولى لشرح «أوامر اللجنة العربية العليا» للإجلاء من حيفا ضُمّنت في بيان المتحدث الرسمي باسم الوكالة اليهودية في 23 أبريل، والتي تتحدث عن أن النزوح الجماعي «نُفذ بشكل عمدي من قبل العرب لتشويه سمعة اليهود، و التأثير في الحكومات العربية لإرسال المزيد من الدعم، فضلا عن إعداد الميدان لهجوم من قبل القوات النظامية العربية لاحقا». وقد اقتبس البيان في صحيفة «التايمز» اللندنية بتاريخ 24 أبريل 1948، وقد تصادف أن عبر مراسل الصحيفة عن عدم موافقته على المضمون معلقا بأن «التفسير الأكثر بساطة وإنسانية موافقته على المضمون معلقا بأن «التفسير الأكثر بساطة وإنسانية يذهب إلى أن العرب قد هربوا نتيجة حالة من الفوضي التامة».

من جانبه، فإن تقرير لجنة الطوارئ العربية لعرب حيفا بتاريخ 30 أبريل 1948 - 1944 - 69 - لا يشير على الإطلاق إلى أو أمر وصلت إلى اللجنة من الخارج خلال مشاوراتهم في «منزل خياط»؛ أما غورين فيتمسك - في كتابه حيفا ص 189 بأنه أثناء فترة توقف المناقشات في قاعة المدينة قام الأعيان - بعد تلقيهم تعليمات من دمشق- بالاتصال ببيروت؛ حيث يبدو أنهم تحدثوا إلى المفتي أو مندوب رفيع المستوى عنه وتلقوا أمرا واضحا بمغادرة المدينة؛ وقد استند غورين في ذلك إلى نصوص مقابلات جرت بداية السبعينيات مع إفرايم آلروي وأهرون كريم - وهما ضابطان متخصصان في التنصت بجهاز استخبارات الهاغاناه ادعيا أنهما استمعا وسجلا المحادثة التلفونية، لكنهما لم يستطيعا القول - وهو ما يقر به غورين - من التلفونية، لكنهما لم يستطيعا القول - وهو ما يقر به غورين - من المتحدث في كلا الجانبين من الخط التلفوني. وفقا لما أورده غورين توجه آلروي إلى قاعة المدينة لإخطار سولومون ونفتالي ليفشيتز

(مستشار الشؤون العربية بالهاغاناه عن مدينة حيفا) بتلك المحادثة؛ وعلى الرغم من ذلك فإنـه لا توجد أي وثائق معاصرة للواقعة تدعم هــذه الروايــة، كما أنــه لا توجد إشــارة في أي وثيقة عــن أمر صادر من بيروت في 22 أبريل بإجلاء حيفا أو عن حديث دار بين آلروي وسولومون أو ليفشيتز. فضلا عن ذلك فإنه خلال مقابلات لاحقة تمت مع كل من سـولومون وليفشـتيز لم يشر أي منهما إلى مثل هذا الأمر أو تلك المحادثة (وكان من المؤكد أن يقوما بذلك إذا ما كان الأمر قد حدث بالفعل). وعلى العكس من ذلك تحدث خطاب سولومون ف 1 أبريـل 1948 عن أنه أخطر في 22 أبريـل 1948 من قبل أعضاء الوفد العربي - بعد انفضاض اجتماع مبنى البلدية - أنهم «لديهم تعليمات بألا يوقعوا على هدنــة... حيث إن ذلك يعنى الموت المؤكد على أيدي شعبهم... وأنه كان من الواضح أنه لا يمكن لأي مسيحي أن يقدم على فعل أي شيء يضايق المسلمين؛ وفي حين أنهم سيبقون في المدينية - لاعتقادهم أن ذلك سيكون أفضل لمصالحهم الخاصة -فإنهم سينصحون العرب (السكان) بالمغادرة»؛ ويبدو أن ذلك يعنى أن الأعضاء المسيحيين بالوفد تم تخويفهم أصدرت التعليمات لهم من قبل الأعضاء المسلمين - الذين تغيبوا عن الجهزء الثاني من الاجتماع - بـألا يوقعوا على هدنة وأن ينصحوا سـكان المدينة بالمغادرة (انظر: ISA FM 2401\11)، وقد عرض ديفيد أريل في مذكرته بعنوان: «الدول العربية ومشكلة اللاجئين» (Notebook A, 7 Oct. 1951 ISA FM 2566\13) الخطاب الصادر عن لجنة الطوارئ (خياط، سعد، كوسا، نصر، معمر) والموجه إلى ستوكويل في الثالث والعشرين من أبريـل 1948، والذين يؤكدون فيه أن «نقل السـكان العرب من المدينة طوعى وجاء بناء على طلبنا»، وقد أبلغ خياط لاحقا أحد ضباط (أو مرشدى) جهاز استخبارات الهاغاناه ما يلي: «هناك شائعات أن المفتى، واللجنة العربية العليا، أمروا العرب معادرة المدينة، غير أن تلك الشائعات لا أساس لها من الحقيقة». انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Flight of the Arabs from Haifa', 28 May 1948, HA 105\257.

(234) Entries for 22 and 23 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 272; Levin, Jerusalem, 90, entry for 23 Apr. 1948.

وورد بها: «هناك شيء غريب في الطريقة التي يهرب بها العرب...». انظر كذلك:

Efraim Harari (ed.), The Tel of the Winds, Ilana to Levavi and Elah, Passover, 1948.

وقد تضمنت «إن الأمر مشكوك فيه إلى حد ما - كما لو كانوا [البريطانيون] يقومون بعمل قذر».

(235) Sasson to Shertok, 23 Apr. 1948, Political and Diplomatic Documents, 670.

(236) من المفيد الإشارة إلى أن أيا من ستوكويل أو ماريوت في تقاريرهما لم يلمحا إلى أن الوفد في مبنى البلدية كان تحت تأثير تعليمات قادمة من دمشق أو اللجنة العربية العليا، وفضلا عن ذلك فإن جهاز استخبارات الهاغاناه في تقريره بعنوان:

The Migratory Movement . . . 30 June 1948 (HHA ACP 95.10.13 (1)).

قد نسب عملية الفرار إلى انقضاض واستيلاء الهاغاناه على حيفا، ولم يلمح على الإطلاق إلى أوامر واردة من الخارج.

- (237) Lippincott to Secretary of State, 25 Apr. 1948, and Lippincott to Secretary of State, 26 Apr. 1948, both in NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 Political Affairs.
- (238) Cunningham to Secretary of State, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\52; Secretary of State (London) to Kirkbride, 27 Apr. 1948, PRO FO 816\118;6th Airborne Division Logbook, entry for 4 May 1948, PRO WO 275-54;and British Military HQ Middle East to certain British Cabinet Ministers, Extract from ME Daily Sitrep No. 147, 4 May 1948, PRO CO 537 3875.
- (239) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 275-79.

- (240) 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 20', 29 Apr. 1948, PRO WO 261-297; Lippincott to Secretary of State, 26 Apr. 1948, and Lippincott to Secretary of State, 29 Apr. 1948, both in NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 - Political Affairs.
- (241) Annex by Farid Sa'ad and Elias Koussa to Haifa Arab Emergency Committee report of 30 April 1948, in Ariel, "The Arab States...; ISA FM 2566\13.
- (242) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Order of the AHC to the Arabs of Haifa', 28 Apr. 1948, HA 105\257.
  - (243) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Question of the Evacuation of Haifa's Arabs', 28 Apr. 1948, HA 105\257. يلاحظ أن التقريرين أخذا بعين الاعتبار تاريخهما، والسياق، والصياغة يشيران إلى أمر أصدر ليس في 21 22 أبريل لكن بعد ذلك بعدة أيام، وخلال عملية الإجلاء.
- (244) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Arabs Returning to Haifa', 28 Apr. 1948, HA 105\257.
- (245) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The State of the Arabs in Abbas Street', 25 Apr. 1948, HA 105\257.

  يلاحظ أن أحمد بيك خليل كتب لاحقا إلى سولومون بأنه «لا يمكنني أبدا أن أسامح أولتك الذين نصحوا السكان بترك حيفا، فقد كان يلزم بقاؤهم هناك. ولسوء الحظ لم يكن رشيد (الحاج إبراهيم) أو أنا موجودا للوقوف ضد هذا التوجه» من خليل (عمان) إلى سولومون، 9 يونيو 1948 في 105\127 aleph
- (246) Eshel, Battles, 365.
- (247) Sa'ad and Koussa, appendix to committee report of 30 Apr. 1948, ISA 437\940\469-.

- (248) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 26 Apr. 1948, PRO WO 261-297; and '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 Apr. 1948', PRO WO 275-79.
- (249) 'Hiram' to Jeremiah, 11 May 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (250) 'Hiram' to ?, 16 May 1948, IDFA 7249\49\\152.
- (251) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA \$25-10584.
- (252) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The State of the Arabs in Abbas St.' 25 Apr. 1948, HA 105\257.
  - يلاحظ أن الوثيقة تشير إلى أن ذلك حدث بعد ظهر يوم 22 أبريل إلا أن ذلك غير مرجح بشكل كبير.
- (253) Salomon to JA-PD, 1 Apr. 1949, ISA FM 2401\11.
- (254) Eshel, Battles, 376-77.
- (255) 'Daily Monitoring Page, No. 20, (including summary of world radio station broadcasts in the 48 hours ending at 09:00 on 26.4.48)', IDFA 4944\49\\617.
- (256) A.J. Bidmead, superintendent, CID, Haifa, 28 Apr. 1948, IDFA 900\52\\25.
- 257) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 4, for Week Ending 5 May 1948', PRO WO 275-79.

  يبدو أن هذا التقرير يشير إلى الأيام التالية مباشرة لـ 22 أبريل. بحلول
  4 5 مايو لم تكن الهاغاناه وكذلك السلطات المدنية مهتمة ببقاء العرب أو عودتهم إلى حيفا.
- (258) Lippincott to Secretary of State, 29 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 Political Affairs.
- (259) Report datelined 'Haifa, 25 April', The Times (London), 26 Apr. 1948.

- (260) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Attitude of the Nuns to the Arab Exodus', 27 Apr. 1948, HA 105\193 bet.
- (261) High Commissioner to Secretary of State, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\52.
- (262) Lippincott to Department, 25 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records, 1948, 800 Political Affairs.
- (263) Lippincott to Department, 26 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 Political Affairs.
- (264) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 27 Apr. 1948, PRO WO 261-297.
- (265) Haganah Haifa District OC, 'Announcement of the Commander of the Haganah, No. 2, 22 Apr. 1948, HA 105\92.
- (266) 'Hiram' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\31, quoted in Gelber, Palestine, 105.
- (267) Carmel, "Battles", 107.

في أعقاب النزوح الجماعي للعرب من حيفا وجّه كل من العرب والقادة اليهود اليساريون الانتقادات إلى البريطانيين في هذا الخصوص. ومن جانبهم، فإن الدول العربية واللجنة العربية العليا وقادة المجتمع العسري في حيفا وجهوا أصابع الاتهام، مشيرين إلى أن قرار ستوكويل بتسريع انسحاب القوات البريطانية من خطوط المواجهة اليهودية العربية، فضلا عن رفضه التدخل ضد الهاغاناه ومنعه دخول التعزيزات العربية، كلها عوامل «أجبرت» العرب على أن يقرروا الهروب. وقد ذهب أهارون كوهين إلى أبعد من ذلك: «لقد كان البريطانيون هم من نصحوا العرب بترك (حيفا)»، مضيفا أنه خلال المعركة «وخلال تهدئة عناصر الهاغاناه للعرب... نصحهم البريطانيون بالهرب إلى الميناء؛ حيث عناصر الهاغاناه للعرب... نصحهم البريطانيون بالهرب إلى الميناء؛ حيث عناصر الهاغاناه للعرب... نصحهم البريطانيون بالهرب إلى الميناء؛ حيث عناصر الهاغاناه للعرب... نصحهم البريطانيون بالهرب إلى الميناء؛ حيث المين البريطانين للأشخاص الذين جرى إجلاؤهم بوسائل المنقل والحراسة»، انظر:

Cohen, 'Our Arab Policy in the Midst of the War', 10 May 1948, HHA ACP 10.95.10 (4); and Cohen to Prof. Ernst Simon, 25 Apr. 1948, HHA ACP 10.95.10 (4).

غير أنني لم أجد أي دليل آخر يساند هذا الرأى المتصل بد «النصيحة البريطانية»، بل إن ستوكويل قد نصح بالعكس في 22 أبريل، وبالفعل سمحت القوات البريطانية للعرب - المندفعين باتجاه البوابات بالدخول إلى منطقة الميناء، لكن كان ذلك لحمايتهم وتمكينهم من الفرار عن طريق البحر إذا ما رغبوا في ذلك.

- (268) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 25 Apr. 1948, PRO WO 261-297; and 'Marriott Report', PRO FO 371-68505.
  - ألمـح ماريوت إلى أنه خلال لقـاء بين القادة العرب واليهود في 25 أبريل، لجـأ اليهود إلى اسـتخدام «التهديدات»، لكنه قـال في الوقت ذاته «إن القادة العرب استمروا في التأكيد على أن الإجلاء كان طوعيا».
- (269) Protocol of meeting of Maparn Political Committee, statement by P. Alonim, 26 May 1948, HHA 66.90 (1).
- (270) Carmeli\Operations to 'Bar-Kochba' and 'Hadari', 23 April 1948, IDFA 6680\49\\4.
- (271) Jewish Chamber of Commerce and Industry, Haifa, to Situation Committee, Haifa, 18 May 1948, ISA FM 2564\9.
- (272) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46.
- (273) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\92.
- (274) 'Protocol of the Meeting of 25 April 1948', HMA 1374.
- (275) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\92.
- (276) Eshel, Battles, 379.
- (277) 'Protocol of Meeting of 23 April 1948', HMA 1374.
- (278) 'Protocol of the Meeting of 25 April 1948', HMA 1374.

- (279) Emergency Committee (signed Khayyat, Sa'ad, Koussa, Mu'ammar and Nasr) to GOC North Sector, 25 Apr. 1948, HMA 1374.
- (280) 'Summary of Carmeli Brigade Information No.4, 17.5.48', IDFA128\51\\ 71.
- (281) Cohen to Secretariat of Mapam Centre, 28 Apr. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4).
- (282) 'An Appeal by the Haifa Workers Council', 28 Apr. 1948, IDFA 481\49\\62.
- (283) Bidmead, CID, Haifa, 28 Apr. 1948, IDFA 900\52\\25. من المثير للسخرية أن بيدميد نقل أيضا قبض البحرية الملكية على مركبين تابعين للهاغاناه على متنهما مهاجرون يهود غير شرعيين، ووصولهم إلى حيفا؛ حيث نقلوا إلى استراحات لنقلهم بعد ذلك في اليوم ذاته بحرا إلى معسكرات اعتقال في قبرص، وكان وصول ورحيل المهاجرين اليهود غير الشرعيين أو اللاجئين؛ واللاجئين العرب المبحرين إلى الخارج من المرفأ نفسه وفي اليوم ذاته شيئا غريبا ومثيرا للسخرية.
- (284) A. Hoter-Yishai, 'Summary of Things Said . . . (On 2.5.48)', and Hoter-Yishai, 'Protocol No. 1 of the Committee for the Affairs of Haifa's Arabs', undated, both in CZA S259193-.
- (285) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 1, from 1.5 to 5.5', 5 May 1948, IDFA 273\52\\5.
- (286) 'Hiram' to HIS-AD, 28 Apr. 1948, 'Subject: Arabs Leaving and Returning', HA 105\257; 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 1, from 1.5 to 5.5', 5 May 1948, IDFA 273\52\\5; and High Commissioner to Secretary of State, 5 May 1948, PRO FO 8126\119.
  - وبشكل خاطئ نقل كانينغهام ما يلي: «إن اليهود في حيفا قلقون من أن يعود العرب الآن... ففي طبريا سيرحب اليهود بالعرب العائدين...».

- (287) ICP, 'The Situation in Haifa Two Weeks after the Conquest of the Arab Parts of the City by the Haganah, 10 May 1948, and Cisling to Cabinet, 20 May 1948, both in ISA AM 20 aleph.
- (288) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 19', 27 Apr. 1948, PRO WO 261–297.

  نقلت الوحدة أنها التقطت منشورا موقعا من قبل «رئيس الهاغاناه» باللغة العربية يتضمن: «على كل أولئك الذين غادروا وادي النسناس ووادي صليب العودة فورا إلى ديارهم، وفتح محالهم والبدء في مزاولة أعمالهم، وسنقوم من جانبنا بضمان سلامتهم».
- (289) Entries for 22-24 Apr. 1948, CZA A24665-2364,13-.
- (290) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Balad al Sheikh', 7 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.
- (291) 'Hiram' to HIS-AD, undated but probably from 5 Apr. 1948, HA 105\257.
- (292) 'HIS-AD Intelligence 5.4.48', IDFA 922\75\\1205.
- (293) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Evacuation from Yajur', 18 Apr. 1948, HA 105\257.
- (294) Entry for 22 Apr. 1948, 6th Airborne Division Logbook, PRO WO 27554-.
- (295) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Request of the Arabs of Balad al Sheikh', 27 Apr. 1948, HA 105\54.
- (296) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation of Hawassa and Balad al Sheikh on Sabbath 24.4.48', 27 Apr. 1948, HA 105\257.
- (297) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', undated but from late April 1948, HA 80\54\1 (Moshe Gat papers).
- (298) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation ...,' 27 Apr. 1948, HA 105\257.

- (299) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation ...,' 27 Apr. 1948, HA 105\257.
- (300) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.
- (301) 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary for 23rd [sic] April, 1948', IDFA 900\52\\24; entry for 24 Apr. 1948, 6th Airborne Division Logbook, PROWO 2756;54-th Airborne Division, North Sector Sitrep, 24 Apr. 1948, PRO WO 275-257';66 and 317 FS Section, Weekly Report for Week Ending 28 Apr. 1948', PRO WO 27579-; and HIS-AD, 'The Migratory Movement...', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

أكد إبراهام كوهين لاحقا أن القرويين قد أجلوا «بناء على نصيحة البريطانيين» وعلى «العكس من نصيحة الهاغاناه» انظر:

Cohen, 'Our Arab Policy in the Midst of the War', 10 May 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4).

ويؤكد تقرير معاصر للإدارة السياسية لجهاز استخبارات الهاغاناه التأكيد الأول من جانب كوهين؛ حيث ورد به: «في 24 أبريل بين الساعة الحادية عشرة والواحدة ظهرا باشر الجيش البريطاني حملة دعاية شاملة هدفت إلى الإسراع من عملية إجلاء العرب من... بلد الشيخ... الحواسة... ياجور... وقد أشارت الحملة إلى عمليات السرقة الضخمة التي يمكن أن ينفذها اليهود»، ومن الممكن أن الضباط البريطانيين في بلد الشيخ قد اعتقدوا - في ذلك الصباح - أن إجلاء عربيا على غوذج ما هو جار في حيفا يمثل الحل الأفضل، وهو ما نقلهه إلى القروبن، انظر:

"Hiram" to HIS-AD, 'Subject: British Propaganda to Increase the Arab Evacuation, 25 Apr. 1948, HA 105\257.

إلا أنني لم أجد مصدرا آخر ادعى أن الهاغاناه نصحت بعدم الإجلاء، وعلى الأرجح سادت آنذاك حالة تناغم بين رغبات البريطانيين واليهود والعرب - كل منهم لأسباب مختلفة - في الإسراع من عملية الإجلاء للعرب.

- (302) Unsigned, '[Mandate Government] Haifa District Summary of Battle Headquarters Dated 22.4.48', IDFA900\52\\24.
- (303) Unsigned but Carmeli Brigade, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00 hours, IDFA 7353\49\\46.
- (304) 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary Dated 25th April, 1948', IDFA 900\52\\24.
- (305) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46; 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Events in Haifa on Monday 26.4', 27 Apr. 1948, HA 105\257; and Mobile Garrison Battalion\ Intelligence Officer to battalion CO, 28 Apr. 1948, IDFA 7249\49\\130.
  - يلاحظ أن جزءا من المستند الأخير (مذكرات مكتوبة بخط يد ماكسي قائد الكتيبة بتاريخ 29 أبريل قد حجب من قبل أجهزة رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية، وعلى الأرجح تضمن ذلك الجزء توصية ماكسي بطرد السكان.
- (306) North Sector to MILPAL, 1st Guards Brigade, etc., 5 May 1948, PRO WO 275 - 62.
- (307) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46; and 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary Dated 25th April, 1948', IDFA 900\52\\24.
- (308) 'Summary of Carmeli Brigade Information No.3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.
- (309) 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 20', 29 Apr 1948, PRO WO 261-297.
- (310) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.
- (311) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.
- (312) JA-PD Arab Division, 'In the Arab Public', 5 May 1948, HA 105\100.

- (313) Carmel to Carmeli Brigade, 28 Jun. 1948, IDFA 260\51\\4.
- (314) OC Haifa District to area OCs, IDFA 244\51\\104.
- (315) City Intelligence Officer to OC City, 2 July 1948, IDFA 5492\49\\3.
- (316) City Intelligence Officer to OC City, 3 July 1948, IDFA 5492\49\\3.
- (317) OC Carmeli to IDF GS\Operations, 3 July 1948, IDFA 2315\50\\15.
- (318) Sommerville to Marriott, 20 July 1948, and Marriott to Sommerville, 20 July 1948, both in HA 105\193 bet.
- (319) 'Hiram' to IDF IS, 15 July 1948, HA 105\260. For more on the concentration, see Morris, 1948 and After, rev. ed., 215-37.
- (320) Unsigned, 'Memorandum on Urgent ImprovementWorks in Haifa,' undated but with covering letter from Friedland (Shilon) to Ben-Gurion, 11 June 1948, IDFA 782\65\\1186.
  - يُذكر أن الخطاب مدون عليه بخط يد بن غوريون تأشيرة موجزة: «يلزم على مؤسسات حيفا التأكد من أنها لن تضيع هذه الفرصة».
- (321) Entry for 16 June 1948, DBG-YH, 522. وقد انسحبت آخر القوات البريطانية في فلسطين - من منطقة حيفا - في 30 بونيو 1948.
- (322) IDF\OC Planning Division to?, 16 Jun. 1948, IDFA 260\51\\54.
- (323) Khayyat to Minority Affairs Minister, 25 July 1948, ISA MAM 298\82; and Koussa to S. Levy, 21 July 1948, HMA 556.
- (324) 'Decisions of the Provisional Government', 1 Sep. 1948, KMA-ACP 9.9.1.
  - ذهب الجنرال إليمالخ أفنر إلى القول إن: «حيفا لم تكن أرضا محتلة، ولم يكن بن غوريون بوصفه وزيرا للدفاع مسؤولا بأي حال من الأحوال عن الحكومة العسكرية في الأراضي المحتلة».

- (325) Levy to Gruenbaum, 8 Sept. 1948, HMA 556.
- (326) IDF GS\OC Planning Division to Lublini ('Hadari'), 13 Aug. 1948, IDFA 260\51\\54; and IDF GS\Operations to?, 27 Sept. 1948, andOCNorthern Front to IDF GS\Planning Division, 30 Sept. 1948, both in IDFA 260\51\\3. For further information on 'Shikmona', see Morris, 1948 and After, rev. ed., 230-37.
- (327) Gurney, 'Palestine', 84.

(328) في 22 أبريـل ذكر ياكوف شيموني (من الإدارة السياسية في الوكالة اليهودية) أن «يافا كانت نصف خالية»، بيد أن ذلك لم يكن سوى مجرد تخمن. انظر:

'Protocol of Meeting of the Arab Division on Thursday 22.4.48,' CZA S25 - 9664.

- (329) Unsigned Haganah or HIS Jaffa area 'Logbook', 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.
- (330) STH III, part 2, 1474-75.
- (331) 'HIS Information, Daily Summary', 29 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58.
- (332) 'Avner' to HIS-AD, 'On Events in Jaffa from the Attack on Her. A General Survey', 6 May 1948, HA 105\92 aleph.

(333) انظر على سبيل المثال:

'Avner' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.

والذي يتناول عملية قصف يافا بقذائف الهاون في 23 أبريل مما أسفر عن اصابة الاتصالات التلفونية ومنطقة مركز البريد الرئيسي، كما أنه كان له أثر كبير في تفاقم حالة الفوضى في يافا مما شجع على الهروب منها.

- (334) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 4', 10-13 Apr. 1948, HA 105\146.
- (335) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab

- Economy, Bulleting No. 7, 18-20 Apr. 19048, HA 105\146.
- (336) 'Avner' to HIS-AD, 'Events in Jaffa from the Attack on Her. A General Survey', 6May 1948, HA105\92 aleph. See also pages from a summary report produced probably by the Committee for Economic Defence, undated but probably from May 1948, HA 105\119.
- (337) Haganah, 'Logbook' for Jaffa area, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.
- (338) 'Avner' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.
- (339) In Enemy Eyes, 33-34.
- (340) Begin, 'The Conquest of Jaffa, a 46-page report, written in May or June 1948, 24, JI, IZL, kaf-4, 8\1.
- (341) Lazar, Conquest, 124 and 126.
- (342) Cunningham to Secretary of State, 3 May 1948, SAMECA CP III\5\43.
  - يذكر أن غر الخطيب ذهب في كتابه (34 33 In Enemy Eyes, 33) إلى أنه خلال ثلاثة أيام وقعت 2000 قذيقة هاون على يافا.
- (343) Haganah 'Logbook' for Jaffa area, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.
- (344) Quoted in Gabbay, Political Study, 90.
- (345) Unsigned, 'Summary of the Interrogation of the Manshiya PoWs from 28 April 1948', JI, IZL, kaf-8, 8\8; and 'Miscellaneous (Events in Jaffa, from Prisoner Interrogations by "Ham")', 28 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136.
- (346) Begin, 'The Conquest of Jaffa', 25, JI, IZL, kaf-4, 8\1.
- (347) 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary for Night of 29,'30.4.48-30 Apr. 1948; 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary: 291100-30,'291720 Apr. 1948; and 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary

- ... 300800-300915', all in IDFA 8275\49\\130; and unsigned, 'Feelings 30.4.48, Jaffa', HA 73\98.
- (348) 'Avner' to HIS-AD, 'Events in Jaffa 18:45, 7.5.48 10:00, 8.5.48', IDFA 8275\49\\162.

(349) انظر على سبيل المثال:

unsigned, 'Movement from Jaffa', 1 May 1948, IDFA 8275\49\\162; Kiryati, intelligence officer, to 'Prat', 'Daily Summary from 30\1800 until 1\1800', HA 105\94; and unsigned, 'Movement from Jaffa', 3 May 1948, IDFA 8275\49\\162. (350) Gurney, 'Palestine', 84.

- (350) Gurney, 'Palestine', 84.
- (351) HC to Secretary of State, 26 Apr. 1948, SAMECA CP HI\4\71.
- (352) WO to PS to Prime Minister, etc., 'Extract from Middle East Special Situation Report 29 April 1948', 29 Apr. 1948, PRO CO 537 3875.
- (353) Shertok speech to UN General Assembly, undated but probably 27 Apr. 1948, ISA FM 2451\13.

كان شيرتوك يعتمد في حديثه - على الأقل في جزء منه - على برقية واردة من ساسون في 23 أبريل أشير إليها عاليه. بعد مرور عام واستنادا إلى محادثات جرت مع لاجتين من يافا، الرملة، واللد في غزة، أخبر مندوبو وكالة الكويكرز الأمريكية لغوث اللاجئين - لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكيين - ضابط استخبارات أمريكيا أن جزءا من اللاجئين - على الأقل - فروا «من دون رغبة في ذلك لأن قادتهم أخبروهم أن عليهم القيام بذلك وإلا فسيعتبرون خونة، وأنهم إذا ما فروا الآن فإنه يمكنهم العودة خلال أشهر قليلة». انظ:

Col. B.C. Anirus, Intelligence Report, 1 May 1949, NA RG 84, Tel Aviv Embassy, Classified Records 1949, 571 - Palestine Refugee Relief.

ومع ذلك فإنني لم أجد أي مرجع يتماش مع هذا الشرح فيما يتصل بياف، ومن الممكن أن يكون بعنض ضباط المليشيات فيها قد أوصوا

- أو أمروا بالهروب؛ غير أنه لا يوجد دليل على وجود أمر عام في هذا الخصوص سواء من داخل أو خارج المدينة.
- (354) Lazar, "Conquest", 138.
- (355) Unsigned, 'Operation of Conquest', undated, four-page IZL military report, and Begin, 'The Conquest of Jaffa,' undated, both in JI, IZL, kaf-4, 8\1.
- (356) 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67 Issued by HQ British Troops Palestine', 6 May 1948, PRO WO 275 64.

  طند معمدة، لهيمنة، النظر أيضا:

  and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 27579-; Secretary of State to High Commissioner, 22 Apr. 1948, SAMECA CP III\3\136; Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\6; Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\7; and Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\7; and Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\7.
- (357) WO to PS of PM, PS of Foreign Secretary, etc., 'Extract from Middle East Special Situation Report 29 April 1948', 29 Apr. 1948, PRO CO 5373875-.
- (358) Montgomery, "Memoirs", 473-74.
- (359) 'Note of a Meeting Held at 10 Downing Street at 5:15 p.m. on Friday 7th May 1948,' 7 May 1948, PRO CAB 127-341.

(360) المرجع السابق، وكذلك:

Montgomery, Memoirs, 474; and minutes attached to PRO FO 371-68544 E5102\4\31G.

(361) Minute by W.A.C. Mathieson, 4 May 1948, PRO CO 537- 3870.

وحقيقــة الأمر أن كانينغهام كان قد تصرف قبل أن يتلقى كلمة أو أوامـر من بيفن، على النحو الذي أوضحه في برقيته الغاضبة بتاريخ 30 أبريل، انظر:

Cunningham to Secretary of State, etc., PRO CO 537 - 3870.

- (362) Montgomery, Memoirs, 473; STH III, part 2, 1552; and Haganah 'Logbook', 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949. في الوثيقـة الأخيرة تـم اقتباس قول ضابط بريطاني لأحد ضباط جهاز الستخبارات «الهاغاناه» (أفـنر) إن البريطانين سـيحمون يافا ضد أي هجوم يهـودي «لما يقرب من ثلاثة أسـابيع»، وفيما بعد ذلك سـيترك الجيش المدينة وعندئذ «لن يكون الأمر موضع اهتمام اللواء».
- (363) 'Kiryati Intelligence' to 'Prat', 'Daily Summary from 30\1800 until 1\1800', 2 May 1948, HA 105\94.
- (364) 'Kiryati-Dafna' to 'fronts', 4 May 1948, IDFA-8275\49\\136.
- (365) Begin, 'The Conquest of Jaffa', JI, IZL kaf 4, 8\1; and Lazar, Conquest, 138.
- (366) HGS\Operations to Alexandroni, etc., 'Orders for Operation "Hametz", 26 Apr. 1948, IDFA 6647\49\\15.
- (367) Operation Hametz HQ to Giv'ati, etc., 27 Apr. 1948, 14:00 hours, IDFA 67\51\\677. See also Alexandroni to battalions, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.
- (368) Alexandroni to brigades, etc., 8 May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (369) 'Tiroshi' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\127.
- (370) B Company to OC 32nd Battalion, 29 Apr. 1948, IDFA 6647\49\\15; and 'Tiroshi' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\54 aleph.
- (371) 'Tiroshi' to HIS-AD, 2 April 1948, HA 105\54 aleph.
- (372) Entry for 30 Apr. 1948, DBG-YH II, 377.

- (373) Unsigned logbook entry, '2.5.48,' HA 105\94.
- (374) HGS\Operations, 'Summary of Hametz Operations', 2 May 1948, IDFA 2687\49\\35.
- (375) Unsigned, 'Latest Reports from the Front', 28 Apr. 1948, 12:00 hours, HA 48\3,
  - وقد أوضح التقرير أنه «توجد حالة ذعر كبيرة في يافا... بسبب عملية حامية: ».
- (376) STH III, part 2, 1553 and 1574-75.
- (377) HGS\Operations, 'Summary of Operation Hametz', 2 May 1948, IDFA 922\75\\949.
- (378) 'Avner' to HIS-AD, 8 May 1948, IDFA 8275\49\162.
- (379) Kiryati\Intelligence, 'Daily Summary from 30\18:00 until 1\18:00', HA 105\94.
- (380) HC to Secretary of State, 1 May 1948, SAMECA CP III\5\26.
- (381) HC to Secretary of State, 3 May 1948, SAMECA CP III\5\43.
- (382) 'Tiroshi' to HIS-AD, 11 May 1948, IDFA 6400\49\\66.
- (383) Unsigned but Kiryati\intelligence, 'Events in Jaffa in the Week Ending on 9.5.48', IDFA 8275\49\\136.
- (384) Kiryati\Intelligence Officer, to 'Dromi' (?), 'Daily Summary from 03\1800 until 04\18:00,' 4 May 1948, HA 73\98.
- (385) HC to Secretary of State, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\92; and Gurney, 'Palestine', 94.
- (386) In Enemy Eyes, 34.
- (387) HC to Secretary of State, 5 May 1948, PRO FO 816\119.
- (388) Heikal to Kirkbride, 11 May 1948, PRO FO 816\119.

- (389) Kiryati\Operations, 'Preparatory Order for Operation Dror', 10 May 1948, IDFA 321\48\\100.
- (390) 'Protocol of Meeting Between the Commander of the Haganah in Tel Aviv and his Aides and Representatives of the Inhabitants of Jaffa, in Tel Aviv, on 12 May 1948', IDFA 321\48\97.
- (391) 'Second Meeting Between the Haganah OC in Tel Aviv and the Representatives of the Jaffa Emergency Committee in Tel Aviv on 13 May 1948, at 10:45 hours, IDFA 321\48\97.
- (392) Texts of 'Agreement' and 'Instructions . . ., HA 55\31.
- (393) 'Operational Order for Operation Dror', 13 May 1948; and Kiryati, 'The Organisation of the Identification Detention Compounds and the Prisoner Holding Spaces', 13 May 1948, both in IDFA 321\48\\100.
- (394) Kiryati, 'Special Order of the Day with Jaffa's Capture', 14 May 1948, IDFA 321\48\\97.
- (395) Entry for 18 May 1948, DBG-YH II, 438.
- (396) Chizik to Shitrit, 1 June 1948, and Y. Harkabi, 'Summary of Memorandum Regarding Mr. Chizik's Meeting with Mr. de Reynier and Mr. Gouy of the Red Cross on 22.6.1948', both in ISA FM 2564\9.
- (397) Nicola Saba, Jaffa Emergency Committee, 'Note', 27
  May 1948; Dr. M. Mishalany, Dr. G. Ayoub and Dr. H.
  Pharaon, 'Report on the Bodies that were found Dead
  [sic] on Jabalieh Area of Jaffa on 25.5.48 and Examined
  by Us on 27.5.48'; 'Second Memorandum Submitted by
  the Emergency Committee of Jaffa Protesting Against the
  Irregular Activities of the Jewish Forces in Jaffa Area', 28.

May 1948 – all in ISA FM 2406\2; and Chizik, 'Minutes of a Meeting Held on the 31.5.48 between the Military Governor of Jaffa and Mr. Robert Gee [sic] of the International Red Cross', ISA FM 2564\9.

يُذكر أنه في منتصف شهر يوليو ادعت لجنة الطوارئ أنه تم قتل 20 من العرب بواسطة الإسرائيليين منذ بدء الاحتلال، انظر: Gelber, "Independence and Nakba", Chap. 15.

(398) Military Governor's Office, Jaffa, 'Summary, 15.5.48', IDFA 321\48\\97.

ويلاحظ أن هناك العديد من الحالات الإضافية التي لم يتم تسجيلها.

(399) Emergency Committee to representative of Commander Tel Aviv District, 22 May 1948 (Ref. No. 7); Emergency Committee to representative of commander Haganah Tel Aviv District, 22 May 1948 (Ref. No. 5); Emergency Committee to representative Haganah Tel Aviv District OC, 22 May 1948 (Ref. No. 6); and Emergency Committee to representative of the 'International Red Cross Organisation', Tel Aviv, 21 May 1948 – all in ISA FM 2564\9; and illegible signature, 'Report on Actions to Prevent Thefts from Manshiya', 20 May 1948, IDFA 8275\49\\136.

ويصف التقرير الأخير الذى أعده ضابط بالهاغاناه عمليات النهب فى المنشية في 18 مايو من قبل «جماعات من النساء والأطفال والرجال (من تل أبيب)... حيث تم سلب المقاعد والدواليب وغيرها من قطع الأثاث، فضلا عن أدوات المطابح، والملايات والمخدات وأغطية الأسرة وغيرها»، وقد قامت السرية التي قادها موقع التقرير بإيقاف عمليات النهب ومصادرة ما تم سلبه، مطلقة أعيرة النيران في الهواء وقنابل الدخان من وقت لآخر، وقد أكد شيريك ذلك لاحقا: «من المؤسف لي أن أقول... إن معظم ما تتضمنه شكاوى العرب حقيقى»، انظر:

Chizik to Shitrit, 1 June 1948, ISA FM 2564\9.

- (400) Ben-Gurion to Chizik, 22 May 1948, IDFA 121\50\\183; and Ben-Gurion to OC IZL troops, Jaffa, 22 May 1948, IDFA 321\48\\97.
- (401) 'Shiloni' to Kiryati, 23 May 1948, HA 80\774\7.
- (402) Y. Gefen to minister of police and Arab affairs, 25 May 1948, ISA MAM 306\77.
- (403) Chizik to Shitrit, 1 June 1948, ISA FM 2564\9.
- (404) CGS to Kiryati, 23 June 1948, IDFA 481\49\\143.
- (405) Kiryati to CGS, 25 May 1948, IDFA 6127\49\\161.
- (406) Chizik to OC Military Forces Jaffa, 21 June 1948, IDFA 6127\49\\161.
- (407) OC Military Forces Jaffa to Kiryati Brigade HQ, 28 July 1948, IDFA 6127\49\\161.
- (408) CGS to Navy (Gershon Zak), 2 Aug. 1948; and minute, dated 13 Aug., about undated letter from security officer to OC military forces Jaffa, both in IDFA 6127\49\\161.
- (409) Military Governor Jaffa, 'Weekly Report on the Activities of the Jaffa Military Governor from 25 July until 5 August 1948', (sic) 4 Aug. 1948, IDFA 580\56\\252.
- (410) Allon to Yadin and Galili, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170-44.
- (411) For Safad, see HIS-AD, 'Safad Questionnaire', 30 Oct. 1941, HA 8\193.
  - وتركــز الصفحات التالية على صفد، أما عملية يفتاح فإنه ســيتم تناولها فيما بعد.
- (412) 'Abasi, 'Safad . . 2 313-321.
- (413) 'Ibrahim' to PS, 2 Dec.1947, HA 73\98.

- (414) 'Abasi, 'Safad . . .', 328.
- (415) Palmah, 'Logbook of Operations', undated, entry for 3 Jan. 1948, IDFA 661\69\\36.
- (416) "Tzuri" to Golani, "General Survey for Months of March, April 1948, 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (417) "Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222; and 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.
- (418) 'Abasi, 'Safad . . . 346.
- (419) 'Abasi, 'Safad . . . 347.
- (420) HIS-AD, 'Biriya', 1942, HA 105\226.
- (421) HIS-AD, 'Ein Zeitun', 9 Aug. 1942, HA 105\226.
- (422) 'Itamar' to 'Ali', 'Report on the Attack on 'Ein Zeitun', 21 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1224.
- (423) Unsigned, 'Information, Third Battalion', 08:00, 1 May [1948], IDFA 922\75\\1224; Book of the Palmah, II, 303-304; and Peled, 'Conquest of Safad', 24 Apr. 1949, HA Peh-222\2, 68.
  - يلاحسظ أن الوثيقة الأولى تطرح كلا من رقم 30 و100 كعدد للمعتقلين الذين تم أخذهم.
- (424) Nazzal, "Exodus", 35-36.
- (425) 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, 21:00 hours, IDFA 128\51\\50; Nazzal, Exodus, 36-37; and Book of the Palmah, II, 304.
- (426) 'Yiftah', 'Daily Report Continuation', undated but from 1 or 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.
- (427) Ben-Yehuda, Ropes, 243-48. Nazzal, Exodus, 36.

ويتضمن اقتباسا لحديث لاجئين من عين الزيتون جسرى في لبنان وفي مطلع السبعينيات، بما يتضمنه ذلك من أن 37 من صغار السن بالقرية قضي عليهم بطريقة وحشية. أما رواية بن يهودا فإنها تصف بشكل تصويري مقدمات المذبحة وما تبعها - على الرغم من أنها لم تشاهد ذلك بنفسها - والتي قضى فيها ما قد يصل إلى 70 شخصا. طبقا لما أوردته الرواية رفض كل قادة حملة كيلمان تصفية السجناء أو السماح لرجالهم بالقيام بذلك. وفي النهاية وجد كيلمان عربيين مصابين بكسور، ولم ينتميا إلى تشكيلات المحاربين، وادعيا أنهما قد سبق لهما المعاناة على أيدي العرب حتى يقوموا بعملية القتل، وعقب ذلك كلف بن على أيدي العرب حتى يقوموا بعملية القتل، وعقب ذلك كلف بن يهودا بتجميع أيادي الموتى حيث كانت هناك زيارة متوقعة للصليب الأحمر للمنطقة. وفور الاستيلاء على القرية في 1 مايو قُتل العديد من القرويين في عين الزيتون رميا بالرصاص من قبل عناصر البالماخ، كما وجه السوريون: اتهاما بأن سيدة تم «اغتصابها» انظر:

Broadmead (Damascus) to Kirkbride (Amman), 4 May 1948, PRO FO 816\119.

ورجا كانت المذبحة في الوادي وعمليات القتل في القرية هو ما استند إليه اتهام اللجنة العربية العليا (الخاطئ) والذي تم رفعه للأمم المتحدة في يوليو والمتمثل في أنه عقب سقوط القرية قامت قوات الهاغاناه بتجميع «النساء والأطفال» في مسجد القرية ثم تدميره، انظر:

AHC Memorandum on Jewish Atrocities, 26 July 1948, PRO CO 733 - 487\2.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد حدثت بالفعل مذبحة، وطبقا لعمانويل وليدمان (مانو) - ممثل وزارة شوون الأقليات الإسرائيلية في الجليل والمت القوات بقتل «40 شخصا في الطريق الرئيسي المتجه إلى صفد»، ويفترض أن يكون هؤلاء هم الرجال الذين تم قتلهم في الوادي، انظر: unsigned, 'Visit of the Minority Affairs and Police Minister in Kfar Giladi, 29.7.48', HA 105\260.

- (428) Book of the Palmah, II, 279 and 304; 'Information, 3rd Battalion, IDFA 922\75\\1224; and Broadmead to Kirkbride, 4 May 1948, PRO FO 816\119.
- (429) Peled, 'The Conquest of Safad', HA Peh-222\2.

- (430) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 Jul. 1948, HA 105\127 aleph.
- (431) Book of the Palmah, II, 324; and 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, 21:00 hours, IDFA 128\51\\50.
- (432) Kol Hamagen Ha'ivri broadcast, in English, 2 May 1948, CZA S258918-; and 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67 Issued by HQ British Troops in Palestine (for the Period . . . 19 April 3 May 1948), 6 May 1948, PRO WO 275-64.
- (433) Book of the Palmah, II, 283-284 and 304-306; and 'Yiftah' to Palmah HQ, Golani, etc. 6 May 1948, 15:45 hours, IDFA 128\51\\50.
- (434) 'Abasi, 'Safad', 353.
- (435) Broadmead to HC, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\102.
- (436) Broadmead to FO, 6 May 1948, PRO FO 371 68548.
- (437) Creech-Jones to HC, 6 May 1948, SAMECA CP III\5\119.
- (438) Nazzal, Exodus, 44.
- (439) 'Yiftah' to Golani, 10 May 1948, 13:20 hours, IDFA 128\51\\50.
- (440) "Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: Events in Safad After its Conquest,' 1 June 1948, HA 105\222.
  - راحداث عباسي عن كيلمان قوله إن القصف كان يهدف إلى «إحداث الذعر بين السكان»، انظر: (Abasi, 'Safad..., 359.
- (442) Yiftah HQ to Palmah HQ, 'Report on Operation', 10 May 1948, IDFA 922\75\\1066; and 'Yiftah' to Golani, 10 May 1948, 13:20 hrs, and 'Yiftah' to Palmah HQ, etc., 10 May 1948, 22:30 hrs, both in IDFA 128\51\\50.
- (443) 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.

- (444) Book of the Palmah, II, 285.
- (445) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.
- (446) 'Abasi, 'Safad . . .', 360, quoting Kelman.
- (447) 'Yiftah HQ, 'Daily Report', 11 May 1948, 20:00 hrs., IDFA 922\75\\1082.
- (448) Peled, 'The Conquest of Safad', HA 222\2.
- (449) 'Report of Patrol in Syria and Lebanon 7-12.5.48 by Two "Shahar" Men', IDFA 922\75\\1082.
- (450) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 Jul. 1948, HA 105\127 aleph.
- (451) In Enemy Eyes, 37; Nazzal, Exodus, 16 and 41; and 'Tzuri (Dori)' to HISAD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.
  - أورد تـزوري أن لاجئي صفد كانوا يرددون أن فنيـش تلقى أموالا من الصهاينة وأنه قام بشكل متعمد بتوجيه الأمور نحو الهزيمة.
- (452) 'A Meeting in Safad', 29 July 1948, ISA MAM 310\33; entry for 7 June 1948, DBG-YH II, 494; and 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.
  - وفقا لما أورده تزوري تم السماح لمسلم واحد فقط بالبقاء في صفد، ويدعى مصطفى دلاسى - مالك أرض من بيريا - والذي تمتع عزايا خاصة.
- (453) George Nuni to Safad Area OC, 17 May 1948, HA 105\222.
- (454) 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.
- (455) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 11 June 1948, HA 105\260.
- (456) Carmel to IDF\GS, 14 Aug. 1948, IDFA 260\51\\4.
- (457) Avraham Ye'eli to Shabtai Levy, 11 June 1948, HMA 13784; Foreign Ministry to IDF-GS, 11 July 1948, ISA FM 2402\29; Harkabi to IDF\Operations, 18 Aug. 1948, ISA FM 2464\10; and Moshe Yitah to Levy, 9 Aug. 1948, HMA 1374.

#### الهوامش

- (458) Weitz to Ben-Gurion, 11 Sep. 1948, in Weitz, Diary, III, 340; and Marriott to Foreign Secretary, 23 April 1949, PRO FO 37175198- E5810.
- (459) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 12 May 1948, HA 105\127.
- (460) Entry for 4 May 1948, CZA A2462373,13-.
- (461) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 17 Feb. 1948, IDFA922\75\\1066.
- (462) IDF History Branch, 'ALA,' IDFA 1046\70\\182.
- (463) Al Jayusi (?) to OC ALA, 14 Apr. 1948, HA 105\127 aleph.
- (464) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey . . .; 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (465) Golani to HGS, etc., 28 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (466) 'Tzuri' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (467) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey . . . 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (468) 'Tzuri' to Golani, 10 May 1948, HA 105\237.
- (469) 'Giora' to 'Utz', 19 May 1948, HA 105\92 bet.
- (470) 'Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: The Battle for Beisan', 14 May 1948, HA 105\92 bet.
- (471) Unsigned, 'Events on 12.5.48', HA 105\94.
- (472) "Tree and Sword", 144-46; and Nazzal, "Exodus", 49.
- (473) Golani to Yadin, 12 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and Golani Brigade Logbook, entry for 12 May 1948, IDFA 665\51\\1.
- (474) Entry for 12 May 1948, CZA A2462385,13-.

- (475) Unsigned, 'Events on 12.5.48', HA 105\94.
- (476) Golani to Yadin, 12 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and 'Tektz', 'In Occupied Beisan', 2 July 1948, Tsror Michtavim, KMA.
- (477) Tree and Sword, 146; and Nazzal, Exodus, 49.
- (478) Dalia Karpel, 'I am Ready to Run After a Picture a Great Distance', Haaretz, 28 October 1994.

انظر كذلك ذكريات جندي آخر شارك في عملية الطرد في: Yitzhak (Izzi) Goldstein, 'The Partisan Sinyatovsky', Al Hamishmar, 15 October 1978.

- (479) 'Giora' to 'Utz', 19 May 1948, HA 105\92 bet.
- (480) Shitrit to Defence Minister and Foreign Minister, 16 Sep. 1948, ISA FM 2564\18; and "Tektz, 'In Occupied Beisan,' Tsror Michtavim, KMA.
- (481) "Tzipori" to Golani and Carmeli, 10 June 1948, IDFA 128\51\\32.
- (482) Golani OC to IDF GS, 7 July 1948, IDFA 922\75\\1025; and 'Tzuri (Paltiel)' to IDF Intelligence Service, 1 Aug. 1948, HA 105\260.
- (483) Intelligence Officer, 13th Battalion, to Golani\Intelligence, 25 July 1948, IDFA128\51\\71; and Committee for Abandoned Property, Gilbo'a Area, to Sub-District OC, 29 July 1948, IDFA 6127\49\\109.
- (484) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (485) 'Mitzpa' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.
- (486) Tree and Sword, 146.
- (487) 'Hiram (Nahari)' to HIS-AD, 28 Dec. 1947, HA 105\23; and '01011' to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA 105\72.

- (488) '01011' to HIS-AD, 26 Jan. 948, HA 105\72.
- (489) Unsigned but HIS-AD, 'Report on Events in Haifa on Saturday 7.2.48', 9 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (490) 'Hiram' to HIS-AD, 12 Feb. 1948, HA 105\23 bet.
- (491) 'HIS Information, Daily Summary', 7 Apr. 1948, HA 105\62.
- (492) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 1', 11 Apr. 1948, HA 105\146; and Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 5', 14-16 Apr. 1948, HA 105\146.
- (493) Carmeli HQ to HGS\Operations, "Weekly Report on Events in the Area between [sic] 20.3-26.3, 31 March 1948, IDFA 7353\49\\46.
- (494) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 9', 28 Apr. 1948, HA 105\146.
- (495) Divisional Police HQ, to Harry [Beilin?], 26 Apr. 1948, HA 105\92 bet.
- (496) ? to Munir Effendi Nur, 16 Apr. 1948, HA 105\252.
- (497) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\31; and 'HIS Information', 28 Apr. 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\2-102; and HIS Information, Daily Summary', 28 Apr. 1948, HA 105\62. يُذكر أن جهاز استخبارات الهاغاناه نقل أن اللبنانيين كانوا يمنعون اللاجئين من الوصول إلى بيروت ويوقفونهم في صور وصيدا.
- (498) 'Hiram' to HIS-AD, 'From Ma'aluli who Returned from Acre and Shafa-'Amr on 30.4.48', HA 105\127.
- (499) Carmel, Battles, 151-53.
- (500) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237.
- (501) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237.

- (502) 'Hiram', 7 May 1948, HA 105\237.
- (503) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3 for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 275-79.
- (504) HC to Secretary of State, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\92; 'North Sector Sitrep', 5May 1948, PROWO261-297; and 'Extract from Middle East Daily Situation Report No. 153', 7 May 1948, PRO CO 537-3875.
  - وحتى اللجنة العربية العليا كانت قلقة بشأن ذلك الوضع، وأصدرت الأوامر لأولئك الذين غادروا بالعودة إلى عكا، انظر:
  - Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 11', 11 May 1948, HA 105\146.
- (505) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . ; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (506) 'Hiram' to HIS-AD, 11 May 1948, HA 105\54.
- (507) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237; and 'Hiram', 7 May 1948, HA 105\237.
- (508) In Enemy Eyes, 41-42; and 'Hiram', 11 May 1948, HA 105\237.
- (509) IDF History Branch, 'The ALA,' IDFA 1046\70\\182; and 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.
- (510) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.
- (511) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.
- (512) Carmeli to HGS\Operations, 17 May 1948, IDFA 922\75\\1025.
- (513) Carmel, "To the Notables of Acre, 17 May 1948, IDFA 922\75\\1025.
- (514) Untitled terms of surrender, signed by Haganah officer and Albert Rock, Ahmad Effendi Abdu, Mitkal Zreir, Ahmad Adlumi, etc., 18 May 1948, 01:40 hrs., and covering note Carmel to HGS, 19 May 1948, both in 922\75\\1022.

- (515) Carmel to HGS\Operations, 18 May 1948, IDFA 922\75\\1022.
- (516) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.
- (517) 'Hiram' to HIS-AD, 9 June 1948, HA 105\92 bet.
- (518) Marie Syrkin, 'Preliminary Report on Holy Places', undated but from Sep. 1948, IDFA 922\52\\563.
- (519) ? to Prime Minister, 2 Dec. 1948, and General Avissar, president, Military Supreme Court, to CGS, 20 Dec. 1948, both in IDFA 121\50\\165.
- (520) Carmel, "Battles", 151-62.
- (521) 'Hiram' to HIS-AD, 25 May 1948, HA 105\252.
- (522) 'Hiram' to HIS-AD, 30 May 1948, HA 105\252.
- (523) 'Hiram' to HIS-AD, 31 May 1948, conveying report from 'Giora', HA 105\252.
- (524) Comit'e International de la Croix Rouge, 'Rapport No. 9', 6 June 1948, HA 105\260.
- (525) 'Hiram' to HIS-AD, 9 June 1948, HA 105\92 bet.
- (526) Unsigned, State of Affairs in Acre, 25 Oct. 1948, IDFA 922\52\\563.
- (527) Shimoni to Shitrit, 13 July 1948, ISA MAM 307\10.
- (528) Shitrit to Shimoni, 19 July 1948, ISA MAM 307\10.
- (529) Kaplan to Shitrit, 20 July 1948, ISA MAM 307\10.
- (530) Entry for 2 May 1948, Weitz, Diary, III, 275-76.
- (531) Haim Solomon to Bernard Joseph, JA, 29 Mar. 1948, IDFA 500\48\54.
- (532) Haim Laskov, 'Operations of the 7th Brigade, 22.3.48-22.7.48', undated but from late 1950s, 35, IDFA 1046\70\\56.

(533) Unsigned, 'Operational Order for Operation Nahshon, 2 Apr. 1948, IDFA 47\53\\2.

ربها تعلق الأمر فقط بمسودة لم تُوزع.

- (534) Nahshon Corps HQ to battalions A, B, C, 'Operational Orders', ? Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.
- (535) Book of the Palmah, II, 189.
- (536) Galili, 'Meeting of National Staff 5\4', 5 Apr. 1948, IDFA 481\49\\64.
- (537) Unsigned, 'The Meeting of Heads of [HGS] Divisions, 4.4.48', IDFA 481\49\\18.
- على الرغم من أن تاريخ المستند يبدو كما لو أنه 5، فإن 15 أبريل هو على الرغم من أن تاريخ المستند يبدو كما لو أنه 5، فإن 15 أبريل هو الأرجح، كما يلاحظ أن عبارة «وخوفت» هي على الأرجح اختزال لعبارة «خوفت لدفع سكانها إلى الفرار»، وهذه العبارة أضيفت بخط اليد، ومن المؤكد أنه ما أن خُوِّف تخويف السكان ما دفعهم للهرب فإن التوجه الرئيسي الأول للخطة كان قد تحقق.
- (539) Haganah logbook of cables, for 30 March-3 Apr. 1948, IDFA 500\48\\54.
- (540) Unsigned, 'The Conquest of the Qastal 3.4.48', IDFA 661\69\\45.
- (541) Ben-Ari, 'Report on Reinforcing the Qastal', 7 [sic, should be 8] Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

يلاحظ أن التاريخ هو على الأرجح 8 بدلا من 7 أبريل.

(542) تم وصف موت عبدالقادر في

Logbook of Haganah cables, entry for 8 Apr. 1948, IDFA 500\48\54.

أما بالنسبة له:

'Nimrod', Etzioni Brigade, 'Report on the Battles of the Qastal,' 25 Apr. 1948.

فإنه يقدم رأي اتزيوني (الصهيوني) في المعارك والذي ينتقد بشدة البالماخ؛ حيث كتب غرود أن هدفها في 2 - 3 أبريل كان «تدمير القلعة» في حين كان اللواء يرغب في احتلال القرية.

- (543) Unsigned, 'The Second Conquest of the Qastal 9.4.48', IDFA 922\75\\1233.
- (544) Unsigned, 'Report on the Capture of Qaluniya', 11 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.

يذكر التقرير أنه أثناء تدمير احد المنازل سُمعت صرخات تطلب «المساعدة» باللغة الإنجليزية من الداخل، انظر كذلك:

HC to Secretary of State, 17 April 1948, SAMECA CP III\3\91.

(545) Levin, "Jerusalem", 66-67.

(546) Nahshon CorpsHQto Battalions 1, 2, 3, 'Operational Orders', 10 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233,

وقد تضمنت الأوامر «تصفية» قريتين وحملت العمليتان المسمى الرمزي «ميلانو» و«شيفيلد»، ربا كانت هاتان القريتان هما بيت جيز وخربة دير عمرو. انظر كذلك:

Nahshon to Battalion 2, ? Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

(547) Nahshon Corps HQ, 'Framework for Corps' Operations', 14 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

انظر كذلك:

Nahshon to Battalions 1,2,3, intelligence, 14 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

ويظهر الأمر كذلك في 45\69\10FA فير أن رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية حذفت الكلمات التالية: «بهدف الإهلاك والتدمير والمحو».

(549) Nahshon HQ to Battalion 1, IDFA 236\53\\1.

.350) Nahshon Corps HQ to Battalion 3, 15 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45. يلاحــظ أن رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية حذفت كلمات رئيســية - غير أنها تظهر في مستند آخر يتصل بالخطة المُعدة ضد سجد. انظر:

- Nahshon HQ to 52nd Battalion, 15 Apr. 1948, IDFA 236\53\\1, relating to the planned operation against Sajad.
- (551) Major?, [British Army, Palestine] General Staff, 'SouthPal' to List 'D', undated, IDFA 900\52\\43; and Etzioni to HGS, Yadin, 16 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83.
- (552) ? to 'Yevussi', 'Operation Yevussi Stage A', undated, IDFA 922\75\\1233; and Yadin to Yevussi and Harel and Etzioni brigade HQs, 'Document', 19 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.
- (553) Harel Corps HQ to Battalions 1, 2, etc., 22 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.
- (554) Palmah HQ to HGS, 23 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (555) Palmah HQ to HGS, 25 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (556) District OC to 'Yitzhak' etc., 7 Apr. 1948, IDFA 500\48\\29.
- (557) D Company OC, 4th Battalion, to Jerusalem District OC, 11 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\584.
- (558) Niv, "Battles", VI, 83.
- (559) Niv, "Battles", VI, 83-86.
- (560) Milstein, "History", IV, 380-81.
  - ويتضمن ذكريات أحد عناصر الإرغون الذين شاركوا في الحدث.
- (561) 'Yavne' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.
- (562) 'Yavne' to HIS, 13 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.
- (563) 'Eliezer' to 'Tzadik', etc., 'Report on the Conquest of Deir Yassin', 10 Apr. 1948, IDFA 500\48\\56.

انظر أيضا:

Kanane and Zeitawi, 'The Village of Deir Yassin', 53-57

والتي تستند إلى مقابلات مع لاجئي دير ياسين، ويلاحظ أنه في كثير من الوقائع تدعم المقابلات التي جرت خلال الثمانينيات ما سبق أن أظهرته مستندات الهاغاناه المعاصرة للأحداث.

(564) 'Avraham' (Pa'il) to Jerusalem District OC, 10 Apr. 1948, in HGS\ Operations\Intelligence to Haganah corps, 'Lessons

from the Dissidents' Operation in Deir Yassin, '12.2.48' ومن المرجح أن يكون الأصح هو 1948/5/12 أو 1948/6/12 كما يبدو أن الأمر يتعلق بنسخة مختصرة من التقرير الأصلي الذي أعده بائيل والني ترفض وزارة الدفاع الإسرائيلية إتاحته للباحثين، وفضلا عن ذلك فإن ميلستاين يذهب إلى أن بائيل لم يكن موجودا في دير ياسين في 9 أبريل انظر:

Milstein, "History", IV, 366 and 378, and interview with author, 18 Aug. 2001

كـما يدافع ميلسـتاين عن مقولة أنـه لم تكن هناك مذابح منظمة واسعة النطاق في دير ياسين، وأن الكثير من تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه صيغت من قبـل كاتبيها بطريقة هدفت إلى تضخيم المذابح لتشـويه صورة واسـم المنظمات الانفصالية في ساحة الصراع على المسرح السياسي الإسرائيلي انظر: see Milstein, History, IV, 382–88.

وعلى الرغم من ذلك يقر ميلستاين بأنه أثناء القتال تم اطلاق النيران لقتل عائلات بأكملها. تجدر الإشارة إلى أن جزءا من تقرير بائيل تم تعزيده بتقرير آخر صدر عن طبيبين يهوديين وتضمن عثورهما على خمس جثث لرجال فلسطينيين في منزل بالقرية، انظر:

Dr Z. Avigdori and Dr A. Druyan, 'Report on Visit to Deir Yassin on 12.4.1948', 18 Apr. 1948, IDFA 500\48\54.

- (565) 'Yavne' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.
- (566) 'Yavne', 'Urgent Arab Information, 10.4.48', 11 Apr. 1948, IDFA 5254\ 49\\75.

يذكر أن المسؤولين في الهاغاناه والبريطانيين والعسرب أذاعوا أن 254 مسن العرب قضوا خلال الأحداث، وقام كل منهم بالمبالغة في الرقم لأسبابه الخاصة. ويبدو أن المصدر الأولي لهذا الرقم كان موردخاي

رعنان (قائد قوات الإرغون في القدس) الذي أخبر المراسلين صباح يوم 10 أبريل - بشكل غير صحيح - أنه «حتى تاريخه تم حصر 254 جثة لعرب»، انظر:

Milstein, "History", IV, 369 and 376.

وفي الثمانينيات قام شريف كناعنة (الباحث الفلسطينيي المتخصص في الأنثروبولوجيا) بالبحث حول هذه النقطة وخرج علينا بحصر لحا يتراوح بين 110 و120 قتيلا خلال القتال وعمليات الإعدام التي تلته، انظر:

Yizhar Beer, "The Hidden Villages', Kol Ha'ir, Jerusalem, 25 Nov.1988

- (567) 'Yavne' to District OC, 'Urgent Arab Information from 9.4.48', 9 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\75; Dr. S. Shereshevsky to the 'HQ', Jerusalem, 11 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372; and Levine, Jerusalem, 57, entry for 9 Apr. 1948.
- (568) Haganah HQ, 'Statement on Deir Yassin,' Haaretz and Davar, 12 Apr. 1948.
- (569) Isaac Herzog and Ben-Zion Uziel, chief rabbis of Palestine,12 Apr. 1948, CZA S25-4147.
- (570) Jewish Agency to King Abdullah, 12 Apr. 1948, ISA, Political and Diplomatic Documents, 625-626.
- (571) For example, extract of Haganah or JA monitoring report of articles in Falastin, 10-11 Apr. 1948, HA 105\31.
- (572) HC to Secretary of State, 17 Apr. 1948, SAMECA CP III\3\91; HC to Kirkbride, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\48; and US Legation (Damascus) to Secretary of State, 3May 1948, NA RG84, Jerusalem Consulate, Classified Records 1948, 800-Syria. See also Larry Collins Papers, Georgetown University Library, LC interview with Hazem Nusseibi, May 1968.

#### الهوامش

ويتذكر حازم البيان الذي أصدره مع كل من حسين الخالدي وثابت الخالدي متضمنا ما يلي: «لقد وقعنا في مصيدتهم (الصهاينة)، ولم نكن متأكدين من أن الجيوش العربية - على الرغم من حديثها الكثير سوف تتدخل حقا، وسعينا إلى أن نصدم شعوب الدول العربية لتوليد ضغوط على حكوماتها، وعلى الرغم من أننا نجعنا في ذلك فإننا في الوقت نفسه - وللأسف - أثرنا مخاوف شعبنا، مما كان له أثر صدمة، وارتكبنا بذلك خطأ فادحا وعبدنا المسرح لبروز مشكلة اللاجئين».

- (573) IZL, 'Announcement on the Deir Yassin Affair', c. 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.
- (574) Text of Kol Zion Halohemet broadcast, 14 Apr.1948, JI, IZL, kaf-4, 8\13.
- (575) LHI, 'Daily Press Bulletin No. 33', Tel Aviv, 30 Aug. 1948.
- (576) Begin, "Revolt", 164.
- (577) HIS Information, 14 Apr. 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\3-126.
- (578) 'Hiram' to 'Jeremiah', 15 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23.
- (579) 'Yavne' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA 105\257.
- (580) Unsigned, untitled report, 16 Apr. 1948, IDFA 2504\49\\4.
- (581) 'Yovev' to HIS-AD, 17 Apr. 1948, and 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, both in HA 105\54 aleph.
- (582) 'Hiram' to HIS-AD, 18 Apr. 1948, HA 105\257.
- (583) Entry for 1 May 1948, DBG-YH II, 378.
- (584) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
- (585) British Army HQ Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter, 21 April 1948', PRO WO 275-64.

- (586) Cohen, 'In Face of the Arab Evacuation', 20 May 1948, HHA-ACP 10.95.11 (8); statement by Hazan, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 26 May 1948, HHA 66.90 (1); and statement by Cohen, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 15 June 1948, HHA 66.90 (1). 587. HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (588) 'Report on the Negotiations over the Mishmar Ha'emek Fighting by Lt. Col. A. Peel, Commanding 3rd The King's Own Hussars', 12 Apr. 1948, PRO WO 275-48.
- (589) 'Tzuri' to HIS-AD, 'The Battle of Mishmar Ha'emek', 8 May 1948, HA 105\127; and Mishmar Ha'emek in the War, 15-16.
- (590) Logbook, 6th Airborne Division, entry for 7 Apr. 1948, PRO WO 275-54; and 'Report on the Negotiations . . . 12 Apr. 1948, PRO WO 275-48; and Golani to Galili, etc., 8 Apr. 1948, 17:45 hrs., IDFA 128\51\\50.
- (591) Golani to Galili, 8 Apr. 1948, 17:45 hrs., IDFA 128\51\\50; and Yehuda (Lovka) Ivzori, 'Mishmar Ha'emeq Sits Next to the Road from Haifa to Jenin', undated, Mishmar Ha'emek Archive 3.64\24.
- (592) Golani to Galili, 8 Apr. 1948, 21:30 hrs, IDFA 128\51\\50.
- (593) Protocol of meeting of Mapai Centre, 24 July 1948, LPA 23 aleph\48.

ومن المحتمل أن كلا من ياكوف هزن وموردخاي بينتوف كانا أعضاء في «الوفد»، وكلاهما كان في تل أبيب في الفترة من 8 إلى 10 أبريل لحضور لقاء للجنة العمل اليهودية - بمشاركة بن غوريون - ووفقا لأسوأ تقاليد المؤرخين الصهاينة أغفل زيف تزاهور الإشارة إلى المسألة، وقام عوضا عن ذلك بكتابة أن أعضاء مشمار هعيمك كانوا «مرتبكين» إزاء هجوم الهاغاناء على جيرانهم الذين كانت لهم علاقة صداقة

معهم في أبو شوشة ولم يقوموا «بضبط النفس لمنع الطرد». انظر: 185-Hazan, 184 إلا أنه وفقا لهزن فإنهم «تجاهلوا طرد جيرانهم». وفي واقع الأمر تمت الإشارة إلى عملية الطرد في المناطق المحيطة بمشمار هعيمك خلال الجدل الذى دار في أوساط كل من ماباي - مابام خلال الشهور التي أعقبت ذلك، وعلى سبيل المثال ذكرت حركة كيبوتس مكابي هاتزائير المنضمة إلى ماباي في نشرة غيميل رقم 3 بتاريخ 17 سبتمبر، انظر:

Ihud Hakibbutzim Archive, 111\2.

أن «كيبوتس مشار هعيمك كان الأول الذي يطلب تدمير القرى العربية المحيطة به»، وخلال اجتماع للجنة العمل الصهيونية في 23 أغسطس 1948 طرح بنحاس لوبيانكر (زعيم منظمة الشباب الصهيوني) الأمر بشكل مختلف؛ حيث ذكر أنه «عندما طرد السكان العرب في المناطق المحيطة بالكيبوتس الذي يقطنه (خلدة) ومشمار هعيمك لأسباب أمنية، لم يعترض أي من سكان الكيبوتسين، لأنهم كانوا يعلمون أنه إذا ما تم تركهم خلال الحرب مُحاطين بشلاث أو أربع قرى عربية فإنهم لن يكونوا في أمان». انظر:

protocol of meeting of Zionist Actions Committee, 23 Aug. 1948, CZA \$25-323.

- (594) HGS\Operations to Golani, 5 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1025.
- (595) Yadin to Golani, 10 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (596) 'Tzuri' to HIS-AD, 'The Battle of Mishmar Ha'emek', 8 May 1948, HA 105\127.
- (597) 'Tiroshi (Yosef)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.
- (598) Golani to Carmeli and Golani HQ, 9 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50; and Palmah HQ to HGS, 'Daily Report,' 10 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (599) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 9 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066; and Golani to Golani HQ, undated, IDFA 128\51\\50.

- (600) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 12 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.
- (601) Golani to HGS, etc., 12 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (602) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 Apr. 19048, IDFA 922\75\\1066.
- (603) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (604) Palmah to HGS, 'Daily Report', 15 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (605) 'Logbook of the battle', entry for 15 Apr. 1948, IDFA 1058\52\\1.
  - تتحدث السبجلات عن أنه تم العثور على بنتين مختبئتين في أبو زريق وتم اصطحابهما إلى هازوريعا لتلقي العلاج.
- (606) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 'Subject: The Interrogation of Ali al Bahut Mansi Village', 27 Apr. 1948, HA 105\54 aleph. سرت بين اللاجئين شائعات بأن قوات روسية يتراوح قوامها بين 15 ألفا و40 ألفا تحارب إلى جانب اليهود.
- (607) 'Tzuri', 19 Apr. 1948, HA 105\31.
- (608) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 16 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.
- (609) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 19 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.
- (610) Bauer to Galili, Moshe Mann, Baruch Rabinov, and Ya'akov Riftin, 14 Apr. 1948, Eliezer Bauer (Be'eri) Papers.
- (611) Protocols of kibbutz meetings, 18 and 20 April 1948, Kibbutz Hazore'a Archive; and Ofek, 'The Relations Between Hazore'a and the Villages of Qira and Abu Zureiq during the years 1936–1948'.

- (612) Weitz to Rema, 21 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 271.
  (613) انظر على سبيل المثال فيما يتصل بالبريكة:
  - HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205, regarding Burayka.
- (614) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.
- (615) 'Hiram' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\217; 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 14 March 1948, IDFA 6400\49\\66; and Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 7', 13 May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (616) Alexandroni HQ, 'Alexandroni Brigade Bulletin No. 9 15.5.48', IDFA 922\75\\949.
- (617) 'Testimony of Moshe Nesher (Wagner)', an IZL officer, JI IZLP, kaf-4, 7\8. Niv, Battles, VI, 131-32. ويذكر أنه تم السماح لسكان السنديانة بالرحيل في اتجاه الشرق.
- (618) 'HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205.
- (619) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.
- (620) Entry for 15 May 1948, HGS\Operations Logbook, IDFA 922\75\\1176.
- (621) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 4 June 1948, HA 105\92 bet.
- (622) OC A Company, 'Shlosnitzki', 5 Aug. 1948, IDFA 128\51\\32.
- (623) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257; and 'HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205.
- (624) "Tiroshi (Eitan)" to HIS-AD, 3 May 1948, IDFA 6400\49\\66; and Logbook, entry for 9 May 1948, IDFA 665\51\\1.
- (625) Shakib Wahab to ALA HQ? (probably 16) Apr. 1948, HA 105\127.

- (626) Shakib Wahab to OC ALA, 17 Apr. 1948, HA 105\127; and Carmeli to HGS\Operations, 'Daily Report 22.4.48'; Carmeli to HGS\Operations, 'Daily Report 19.4.48'; and unsigned but probably Carmeli HQ, 'Report on the Battle of Ramat Yohanan', undated, all three in IDFA 7353\49\\46.
- (627) 'Segal' to all Divisions, 'Summary of Information Concerning the Area from Friday 16.4.48 14:00 hrs. until Sunday 18.4.48 08:00', IDFA 7353\49\\46.
- (628) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.
- (629) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers, Camp Dora, 13.4.48', IDFA 4663\49\\125; and 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
  لقد أخبرت الهاغاناه القرويين بأن عليهم الرحيل؛ حيث إنها لا يمكنها ضمان «أن تحدث دير ياسين أخرى هنا أيضا».
- (630) 'Tiroshi (Dror)' to HIS-AD, 9 Apr. 1948, HA 105\257.
- (631) HIS-AD, "The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (632) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers, Camp Dora, 13.4.48', IDFA 4663\49\\125.
- (633) Alexandroni HQ, 'Sarkas', 11 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66.
- (634) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, both in IDFA 6400\49\66.
- (635) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and interview with Aharon Braverman (Bar-On), 10 Nov. 1985, 'Ein Hahoresh.

- (636) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers

  Dora Camp 13.4.48', IDFA 4663\49\\125; and 'Tiroshi

  (Dror)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.
- (637) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora, 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.
- (638) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and page from logbook, perhaps of Ramat Hakovesh's security officer, IDFA 922\75\\949.

انظر أيضا:

Hativat Alexandroni, 102-104, and Kanane and al Ka'abi, 'Al Miska'.

- (639) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\54 aleph.
- (640) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 2 Apr. 1948, HA 105\257.
- (641) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.
- (642) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257.
- (643) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
- (644) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 7 Apr. 1948, HA 105\54 aleph.
- (645) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 'Subject: The Village of Fajja was Evacuated by its Inhabitants', 14 Apr. 1948, HA 105\257.
- (646) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.
- (647) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 'Subject: The Mukhtar of Fajja', 14 Apr. 1948, HA 105\257.
- (648) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA105\257.
- (649) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\92 aleph.

- (650) 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and 'Summary of the Meeting of Arab Affairs Advisers in Netanya, 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.
- (651) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 12 May 1948, HA 105\217.
- (652) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (653) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya, 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.
- (654) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 11 May 1948, HA 105\127.
- (655) Alexandroni Intelligence Officer, Information, the Attak on Arab Kafr Saba on 13.5', IDFA 922\75\\949. See also Kanane and Ka'abi, 'Kafr Saba', 56-59.
- (656) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 17May 1948,HA105\54 aleph.

  See also Hativat Alexandroni, 194–207.
- (657) Alexandroni, [sic] 42nd Battalion [should be 32nd], 'Brigade Bulletin', 21 June 1948, IDFA 922\75\\949.
  - يلاحظ أن رقم الكتيبة يجب أن يكون 32 بدلا من 42.
- (658) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'Tantura', and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'Subject: The Village of Tantura', 6 May 1948, both in HA 105\54 aleph; and Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 6',? May 1948, IDFA 2323\49\\6.
- (659) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'The Village of Tantura', 6May 1948, HA 105\54 aleph; and 'Tiroshi' to Alexandroni, 10 May 1948, IDFA 922\75\\949.
- (660) Unsigned, 'Brigade Bulletin', 7 May 1948, IDFA 922\75\\949.
- (661) Unsigned, 'Summary of Information for Alexandroni Brigade (18.5.48)', IDFA 2506\49\\85.

- (662) Alexandroni HQ, 'Information Circular: The preparations for Attack in the Villages of Tantura, 'Ein Ghazal, Ijzim and Jab'a', 22 May 1948, IDFA 922\75\\949.
- (663) Alexandroni CO, 'Operational Order', 22 May 1948, IDFA 922\75\\949.
- (664) Unsigned, 'Short Report on Tantura Operation' undated, IDFA 922\75\\949; and 'Ya'akov B', in the name of deputy OC 'A' Company, 'Report on Operation Namal', 26 May 1948, IDFA 6647\49\\13. See also Hativat Alexandroni, 31-32 and 220-230.
  - وتذهب إلى أنه قد تم منح سكان الطنطورة خيار الاستسلام والبقاء.
- (665) Sub-sub-district (hevel) 1 OC, Zikhron Ya'akov, to sub-district (nafa) OC, 29 May 1948, IDFA 4663\49\\46.
- (666) IDF CGS to Alexandroni, I June 1948, IDFA 481\49\\143. يذكر أن رئاسة الأركان استخدمت مصطلح Khabala وهو ما يعني «تخريب»، وتضمنت إجابة لواء إسكندروني بأن ذلك كان نابعا من «الحماسة الناجمة عن الانتصار» انظر:

  Alexandroni to IDF GS\Operations, 2 June 1948, IDFA 2687\49\\35.
- (667) Sub-sub-district 1 OC to sub-district OC, 31 May and 1 June 1948, both in IDFA 4663\49\\46.
- (668) Shitrit to Ben-Gurion, 31 May 1948, ISA MAM 302\48.
- (669) "Tiroshi (Eitan)" to HIS-AD, 7 (?) May 1948, HA 105\260.
- (670) A. Goldfarb, Alexandroni Adjutant, to Alexandroni\Operations, 16 June 1948, IDFA 2506\49\\91; "Tiroshi (Eitan)" to HIS-AD, 22 June 1948, HA 105\260; and Courvoisier, Red Cross, Tel Aviv, to Red Cross Delegate, Nablus, undated but from 16 or 17 June 1948, HA 105\260.

(671) في شهر مارس 1998 أجازت جامعة حيفا رسالة ماجستير مقدمة من طالب إسرائيلي يُدعى تيـودور (تيدي) كاتز بتقدير ممتاز (97%) تحت عنوان «النزوح الجماعي العربي من قرى جنوب الكرمل الجنوبي عام 1948»، وقد تناولت الرسالة حالة قريتين هما الطنطورة وأم الزينات وذهبت إلى أن عشرات - رجا يصل الإجمالي إلى 250 - من سكان الطنطورة قضوا في مذبحة على أيدي قوات لواء إسكندروني في أعقاب استيلائها على القرية، وقد استندت النتائج التي توصل إليها كاتز إلى مقابلات أجريت خلال التسعينيات مع سكان سابقين للقرية، فضلا عن لقاءات مع قدامي المقاتلين في لواء إسكندروني. وفي الحادي والعشرين من شهر يناير 2000 نشرت صحيفة «معاريف» مقالا تحت عنوان: «مذبحة الطنطورة» بقلم أمير غيلات انطلق من رسالة كاتز فضلا عن مقابلات مستقلة مع كل من سكان القرية السابقين وقدامي مقاتلي لواء إسكندروني، ومجددا ادعى السكان وقوع مذبحة، في حين نفى مقاتلو اللواء ذلك. وقد كشف كاتز عن عدم وجود أي مستند خاص بالهاغاناه أو قوات الدفاع الإسرائيلية يشير إلى وقوع مذبحة، كما أنه لا توجد أي وثائق عربية أو غربية في هذا الصدد، وقد استندت الاتهامات بوقوع عذبحة فقط إلى الشهادات الشفوية، كما أن قدامي مقاتباي اللواء الذين أقروا بوقوع المذبحة أو ألمحوا إلى ارتكاب فظائع قاموا بعد ذلك بنفي أقوالهم ذلك.

قامت مجموعة من قدامى محاربي الكتيبة 33 بلواء إسكندروني بملاحقة كاتز قضائيا أمام محكمة حي تل أبيب بتهمة القذف والتشهير، (صحيفة «هآرتس» بتاريخ 30 أبريل 2000)، وبعد قيام محامي الادعاء بإثبات عدم دقة بعض التفريغات لمضمون التسجيلات، وافق كاتز على أن يتقدم بالاعتذار، على أنه لم يكن هناك أساس للاتهام بوقوع مذبحة. وقد أقرت المحكمة قيام كاتز بالاعتذار علنا عن ذلك في حكمها. (صحيفة «هآرتس» المحكمة قيام كاتز بالرجوع عن اعتذاره وسحبه واستأنف الحكم أمام المحكمة الإسرائيلية العليا، وكانت هذه القضية موضع اهتمام المؤرخين؛ حيث نشر إيلان بابي في 2001-2002 عدة مقالات، انظر:

The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial' Journal of Palestine Studies, Vol. 30\3, Spring 2001, 19–39. and 'The Katz Affair and Tantura: History, Historiography, Law and Academia' (Tei'oriya U'vikoret 20, spring 2002, 191–217).

للدفاع عن دراسة كاتز، وفي تلك الأثناء سحبت جامعة حيفا موافقتها على الرسالة وطلبت إلى كاتز مراجعتها وإعادة التقدم بها، وبالفعل قدم الأخير رسالة مكونة من 500 صفحة قامت الجامعة بتعيين لجنة من خمسة أشـخاص غير معروفين لدراستها وانتهـوا إلى رفضها (أعطـى ثلاثة منهم درجات رسوب في حين أعطى الاثنان الآخران درجات قبول)، وقد سعت الجامعة للتوصل إلى تسوية وسط من خلال منحها درجة الماجستير (من الدرجة الثانية من دون بحث) للباحث، إلا أن قسم دراسات الشرق الأوسط بالجامعـة قام بالطعن على هذا القرار، وأيا كانت نتيجة هذا الطعن فإن حالة كاتز تبرز بوضوح الضعف المؤكد للتأريخ استنادا إلى شهادات شفوية. في ضوء الدلائل المتاحة فإن واقعة المذبحة في الطنطورة من الموضوعات المشكوك فيها، وقد قام كاتز بجمع عدد كبير من المقابلات و البيانات المكتوبة من لاجئي الطنطورة الذين ادعوا- بعد مرور ما يقرب من 50 عامـا على الحدث- أن مذبحة وقعت في القرية، وعلى سـبيل المثال وصف عدنان عقاب يحيى (عام 2000) كيف قامت القوات اليهودية - بعد انتهاء المعركة- باختيار 40 من الشباب صغار السن واصطحابهم إلى المقبرة حيث أجبروهم على حفر قبور ثم بعد ذلك أعدموا 24 منهم، وقد وردت رواية مهاثلة على لسان غر الخطيب في كتابه «كارثة» 205-Disaster, 204 إلا أن حقيقة استعداد قدامي المحاربين للذهاب بشكل موحد إلى المحكمة لتنظيف أسمائهم من تلك الاتهامات يتضمن بالتأكيد أنه لم تحدث أي مذبحة (أو على الأقل شبه تأكيد على أنه لا يتوافر شاهد مِكن الاعتداد به مِكن أن يظهر في المستقبل للشهادة بعكس ذلك)، ومع ذلك وبشكل أكثر قوة وتعبيرا شكت إحدى لاجئات الطنطورة عقب وصولها إلى الضفة الغربية من أن «اليهود قاموا باغتصاب نساء بالإضافة إلى ارتكابهـم أعمال سرقة ونهب وإحراق للمباني بشـكل متعمد»، وقد مت إذاعة هذا التصريح في راديو القدس الشرقية ورام الله انظر: unsigned, 'Palestine in Arab Radio Broadcasts, 21-22.6.48', HA 105\88; and extract from radio monitoring report, unsigned, 'Jerusalem 16:00', 21 June 1948, HA 105\92 aleph.

إلا أن هناك العديد من التساؤلات تظل قالهــة: إذا كانت هناك مذبحة قد وقعت ألم تكن المرأة التي اشــتكت مـن عمليات الاغتصاب والسرقة والحرق المتعمد قد أدانتها كذلك؟ ألم يكن من المنطقى أن تنقل المحطات

الإذاعية أخبارا عن تلك المذبحة؟ في صيف 1948 كان اللاجنون من فلسطين مولعين بقص روايات عن الأعمال الشريرة لليهود (لمجرد تبرير فرارهم المتهور) في حين كان رجال الدعاية العرب على كامل الاستعداد لتلقف مثل تلك الروايات وإذاعتها، وبالتأكيد فإن التقارير عن مذبحة على نطاق واسع (إذا ما كانت هناك مذبحة) كان سيتم نشرها بشكل كبير، إلا أنه خلال عام 1948 لم يكن هناك إلا تقرير واحد عن أعمال وحشية تتصل بالطنطورة ظهر إلى السطح وهو التقرير الذي تمت الإشارة أليه عاليه والمتصل بعمليات الاغتصاب (والسرقة والإحراق المتعمد)، ولا توجد كلمة واحدة عن مذبحة أو سلسلة من المذابح. من جانب آخر، هناك أدلة على أن قوات لواء إسكندروني قاموا ذلك اليوم - هنا أو هناك - بإعدام عناصر من المتطوعين القلسطينيين. وفضلا عن ذلك، فإن رئاسة الأركان كتبت إلى رئاسة لواء إسكندروني تشتكي من أعمال «تخريب» بعد الأركان كتبت إلى رئاسة لواء إسكندروني تشتكي من أعمال «تخريب» بعد الاستيلاء على القرية وقد يكون تعبيرا لطيفا يشير إلى مذبحة.

بعد أيام قليلة على احتلال الطنطورة، قام ياكوف إبستاين (أحد رجال زخرون ياكوف، وهو رجل وزارة شؤون الأقليات في الموشافا الذي كانت له صلات قوية بقرية الطنطورة) بإعداد تقرير عن الموقف؛ فقد وصل إلى القرية بعد دقائق أو ساعات من اكتمال عملية احتلالها صباح يوم 23 مايو، وتضمن التقرير مشاهدته لجشش في كل مكان («في أطراف القرية؛ في الطرق، في الممرات؛ وفي منازل القرية») وأنه ساعد في عملية تنظيم دفنهم، إلا أنه لم يورد أي إشارة إلى مذبحة من أي نوع تمت أخيرا أو كانت جارية آنذاك. وعلى العكس من ذلك فقد رأى نساء وأطفال ورجال جالسين على الشاطئ وقام بالتجول بينهم - بناء على طلب من الهاغاناه - للتحقق من عدم وجود غرباء بينهم، كما أنه طلب من قائد اللواء أن ينظر في نقلهم من الموقع وعدم السماح ببقائهم فيه خوفا من قبام قوات الهاغاناه الراغبة في الانتقام بمهاجمتهم. إلا أنه لم يذكر شيئا قيام قوات الهاغاناه الراغبة في الانتقام بمهاجمتهم. إلا أنه لم يذكر شيئا عن مذبحة أو ادعاءات عن وقوع مذبحة انظر:

handwritten draft and typed reports by Epstein, probably written respectively in May and late June, Zikhron Ya'akov Archive.

وأخيرا قام محمد البحيى (أحد لاجئي الطنطورة) بنشر كتاب في العام 1998 (في دمشق) عن قريته تحدث عنوان «الطنطورة» وصف فيه المعركة وأعطى أسماء قتلى القرية (52 شخصا) منذ شهر مايو 1948 (انظر صفحات 117-126 و143-146)، ولم يتضمن الكتاب أي إشارة إلى مذبحة خلال المعركة، ويتضح من ذلك أن هناك فارقا شاسعا بين ما تضمنه الكتاب وعشرات بل مئات «الشهود» العرب الذين استمع إليهم كاتز والذين ادعوا وقوع مذبحة.

في غياب دليل وثائقي يثبت العكس، فإن إحجام اللاجئة التي اشتكت لدى وصولها الضفة الغربية في يونيو 1948، فضلا عن سكوت إبستاين (في شهر مايو ويونيو 1948) وكذلك البحيى، عن ذكر مذبحة واسعة النطاق يجب أن يكون محل دهشة المؤرخ باعتباره أمرا بالغ الشذوذ إذا ما كانت مذبحة قد وقعت بالفعل.

- (672) Unsigned, 'Precis of Information for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.
- (673) Intellligence Officer, mobile garrison battalion, to 'Baruch', 17 May 1948, IDFA 244\51\\38.
- (674) B Company to OC Mobile Garrison Battalion, 'Report on Al Mazar Operation, 17.5.48', IDFA 5942\49\\32.
- (675) 'Carmeli Brigade Information No. 5 for 24.5.48', IDFA 128\51\\71.
- (676) Alexandroni, 'Operational order for Operation Kipa', 3
  June 1948, IDFA 922\75\\949.

وقد سبق ذلك إصدار عمليات رئاسة أركان الهاغاناه أمرا للواء إسكندروني يتضمن الاستيلاء على وتدمير قاقون (إلى جانب الطيرة وقلنسوة) إلا أن ذلك الأمر لم يتم تنفيذه، انظر:

HGS\Operations to Alexandroni, 12 May 1948, IDFA 922\75\\949).

- (677) 'Abd al Rahim 'Abd al Madur, 'The Village of Qaqun', 94-95.
- (678) Unsigned, 'The course of Operation Kipa, IDFA 922\75\\949; and 'Report on Operation Kipa (from the Combat HQ),' undated, IDFA 922\75\\949.

- (679) HGS\Operations\1 to Allon, 'Operation Yiftah Order', 25 Apr. 1948, IDFA 67\51\\677.
- (680) Allon to Yadin and Galili, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170-44.
- (681) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 29 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (682) 'Yiftah' to Galili, etc., 29 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (683) 'Oded' to Golani, 20 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.
- (684) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . ; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and 'HIS Information, Daily Summary', 25 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58.
  - يذكر أن سـكان الكرادين قد عـادوا إلى إسرائيــل في نهاية الحرب وتم طردهم فقط، على الأرجح إلى سورية، في العام 1956.
- (685) 'Yiftah' to HGS, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.
- (686) HIS-AD, "The Migratory Movement . . ., 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (687) Yiftah to HGS, etc., 2 May 1948, 21:00 hrs., IDFA 128\51\\50.
- (688) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 8 May 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (689) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 23 May 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (690) Shitrit to Ben-Gurion and Sharett, 13 Aug. 1948, ISA FM 2564\9.
- (691) 'Visit of the Minority Affairs and Police Minister in Kfar Gil'adi 29.7.48', HA 105\260.
- (692) Foreign Ministry, Middle East Dept., 'Clashes on the Lebanese Border', 15 Sept. 1948, and Foreign Ministry,

- Middle East Dept., 'Village of Hunin', 21 Sep. 1948, both in ISA FM2564\9; and Ehrlich, Lebanon, 277-83.
- (693) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 2 May 1948, IDFA 922\75\\1044; and Yiftah HQ to HGS\Operations 3, 1 May 1948, IDFA 922\75\\1082.
- (694) Allon to Galili and Yadin, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170-44.
- (695) Beineinu, no. 13, 9 May 1948, KMA 2-20\aleph; and Yosef Ulitzky, 'Operation Yiftah for the Liberation of the Galilee', HHA 5.18 (2).
- (696) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 4 May 1948, 19:30 hrs., IDFA 922\75\\1066; and Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 4 May 1948, 20:00 hrs., IDFA 922\75\\1082.
- (697) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 6 May 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (698) 'Tzuri (Cochba)' to HIS, 'A Letter Sent by the Priest Boniface ...', 4 June 1948, HA 105\92.
- (699) Broadmead to FO, 4May 1948, PROFO816\119. يُذكر أن بعضا من الزنغرية عادوا لاحقا وطردوا مجددا، انظر: unsigned, untitled, undated report, probably by GSS in 1949 or early 1950s, IDFA 1627\94\\231.
- (700) Broadmead to Kirkbride, 5 May 1948, PRO FO 816\119.
- (701) Book of the Palmah, II, 281.
- (702) HIS-AD, "The Migratory Movement . . .; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
  - (703) في 29/28 مايو أغارت قوات الهاغاناه على القرية مما أسفر عن فرار مؤقت للسكان على الأقل، انظر: فرار مؤقت للسكان على الأقل، انظر: First Platoon, 'A' Company, to 'A' Company, 29 May 1948, IDFA 128\51\\32.

(704) Book of the Palmah, II, 286. See also Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 May 1948, IDFA 922\75\\1066; Beineinu, no. 15, 20 May 1948, KMA-PA 2-20\aleph; and interview with Mula Cohen in 'Al Nakba', a documentary produced and directed by Benny Brunner.

: انظر: (705) ترجمة عبرية لنشرة بتاريخ 14 مايو 1948 وخطاب مرافق لها، انظر: 'Tzuri (Drori)' to HIS-AD, 16 May 1948, HA 105\54 aleph. See also Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 17', 23 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

- (706) Unsigned, untitled, undated report on Haganah deployment in Galilee in first half of May, KMA-PA 109\gimel 1-4.
- (707) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . ; 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1). Allon's account (Book of the Palmah, II, 286). ويشير إلى أن جملة الشائعات تم العمل بها فورا في 15 مايو أو قبل ذلك (وهو ما يذهب إليه أيضا:

Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 May 1948, IDFA 128\51\\50.

في حين أن تقريرا آخر صادر عن الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه يصنف الهروب نتيجة الحرب النفسية بين 19 و25 مايو، وعلى الأرجح فإن التواريخ المقدمة من هذا المصدر يمكن الاستناد إليها بشكل كبير، إلا أنه من الممكن أن تكون حملة الشائعات أطلقت في الفترة بين 11 و15 مايو.

- (708) HIS-AD, "The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (709) 'Daniel', 11th Battalion, 'Report on Zawiya Operation 19.5.48', IDFA 128\51\\32.
- (710) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 23 May 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (711) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.113 (1); and (relating to Qadas) Yiftah HQ to HGS, 15 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

- (712) 9th Brigade Logbook, part 3, 14.5.48-31.5.48, entries for 18 and 25 May and 8 June 1948, IDFA1046\70\\9; unsigned to 'Tzuri', 'Yiftah' and 'Oded', 25 May 1948, 922\75\\1082; and Yiftah HQ, 'Daily Report', 22 May 1948, IDFA 922\75\\1082.
- (713) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 24 May 1948, IDFA 922\75\\1066; and HGS\Operations\Intelligence, 'Daily Report on the North-Eastern Front 25 [May], 20:00', IDFA 922\75\\1044.
- (714) 'Tzuri (Drori)' to HIS-AD, 21 June 1948, HA 105\127.
- (715) 'Zmiri', 'Report on my Visit to Northern Front', 14 May 1948, IDFA 2384\50\\9. The conquest of Acre itself, of course, was the linchpin of the operation (see above).

  كان الاستيلاء على عكا نفسها هو الأساس في العملية (انظر ما يلي).
- (716) 'Levanoni' to battalions, 'Report on Events in the Brigade's Area during the Month 11.1.48-13.2.48', IDFA 128\51\\71; and Palmah HQ to HGS, 1 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1066.
- (717) 'Hiram (Amikam)' to HIS-AD, 17 Feb. 1948, HA 105\23 bet.
- (718) Unsigned, 'Conversation with Abu Muhammad (Rabah)', 4 Feb. 1948, CZA \$25-4000.
- (719) Carmeli, 'Operation Ehud'? Apr. 1948, IDFA 5942\49\\53.
- (720) 'HIS Information, Daily Summary', 9 May 1948, IDFA 900\52\\58; and 'Hiram' to HIS-AD, 'The Strangers, their Location and Strength in the Acre- Nahariya Area', date indecipherable but mid-May 1948, HA 105\127.
- (721) Eshel, Carmeli, 166; Nazzal, Exodus, 52-54; and Carmel, Battles, 120-47.

- (722) Carmeli, 'Operation Ben-Ami', 15 May 1948, IDFA 2687\49\\35; and ? to HIS-AD, 'Arab Cables from 16.5', 17 May 1948, HA 105\252.
- (723) Eshel, Carmeli, 167; and Nazzal, Exodus, 55-57.
- (724) Nazzal, Exodus, 58.
- 725. 'Hiram' to HIS-AD, 19 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (726) Eshel, Carmeli, 168-69; Nazzal, Exodus, 47-59; 'Protocol of the Meeting of the Ministerial Committee for Abandoned Property', 31 Dec. 1948, ISA FM 2401\21 aleph; and Nahariya district officer, 'Notes on a Tour of the Village of al Mazra'a', undated, ISA MAM 302\93.
- (727) Carmeli to 'Eitan', etc. 'Operation Ben-'Ami Stage 2', 19
  May 1948, IDFA 6680\49\\5.
- (728) Carmeli HQ to HGS\Operations, 20 May 1948, IDFA 6680\49\\5.
- (729) Eshel, Carmeli, 173; entry for 22 May 1948, Weitz, Diary, III, 290; and LPA, protocol of meeting of Mapai Bureau, 1 June 1948, statement by M. Yaffe.
- (730) Nazzal, Exodus, 62.
- (731) Al Hamishmar, 30 Jan., and 5 and 6, and 21 Feb. 1950, articles by Yirmiyahu Shmueli.
- (732) Judgements of the High Court of Justice, IX, 692; and Moshe Perlman, letter to the editor, and response by Yirmiyahu Shmueli, Al Hamishmar, 22 Feb. 1950.
- (733) Ayalon, War of Independence, 485.
- (734) 'Na'im' to HIS-AD, 9 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.
- (735) HIS, 'Aqir village file, entries for 16 Dec. 1947, 4 and 23 Jan. 1948 and 10 Feb. 1948 and 14 Mar. 1948, HA 105\134.

- (736) Excerpt from unsigned HIS report, 18 Apr. 1948, HA 105\257.
- (737) 'Doron (Naaman)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\54 aleph.
- (738) 'Doron' to HIS-AD, 'Operation Helem', 6 May 1948, HA 105\92 aleph; 'Doron (Shevah)' to HIS-AD, 'From the 'Aqir Operations', 9 May 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, 'Aqir village file, entry for 6May 1948, HA 105\134.
- (739) 'Doron' to HIS-AD, 'Assessment of Operation Helem', 7 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (740) Muhammad Mustafa Mussa, 'Letter of Commitment', 5 May 1948 and 'Doron' to HIS-AD, 'Aqir', 9 May 1948, both in HA 105\54 aleph.
- (741) 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours 4.5 until 10:00 hours 5.5', and 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours 5.5 to 10:00 hours 6.5', both in IDFA 1041\49\\12; and Ayalon, War of Independence, 523-24.
- (742) 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours, 6.5 until 10:00, 7.5', IDFA 1041\49\\12.
- (743) Protocol of meeting of Mapam's Political Committee, 15 June 1948, HHA 66.90 (1); and statement by Erem at meeting of Mapam defence activists, 26 July 1948, HHA 10.18.
- (744) 'Doron' to HIS, 'The Village of Qatra,' 9 May 1948, HA 105\92 aleph; and 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Conquest of Qatra,' 12 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (745) HIS-AD, 'The MigratoryMovement . . .; 30 June 1948, HHA-ACP, 10.95.13 (1).
- (746) 'Doron' to HIS, 'Assessment of Operation Helem', 7 May 1948, HA105\92 aleph.

- (747) Ayalon, "War of Independence", 526. ويبدو أن واحدا أو أكثر من أولئك الذين ماتوا في عاقر قد قُتل.
- (748) Doron (Shevah) to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\54 aleph; and HIS, 'Arab al Satariyya village file, HA 105\134.
- (749) 54th Battalion to Giv'ati HQ, 'Daily Summary for 29.4.48', 30 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\18.
- (750) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (751) Giv'ati HQ, 'Operation "Barak" General Instructions', ?
  May 1948, IDFA 7011\49\\5.
- (752) Giv'ati HQ to battalions 51, 52, etc., 10 May 1948, IDFA 7011\49\\5.
- (753) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Beit Daras Operation', 25 Apr. 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, Beit Daras village file, HA 105\243.
- (754) Giv'ati HQ to HGS\Operations, 11 May 1948, IDFA 922\75\\1017; 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 13 May 1948, HA 105\92 aleph; and entry for 12 May 1948, DBG-YH, I, 411.
- (755) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Beit Daras Operation', 18 May 1948, HA 105\31.
- (756) Giv'ati to HGS\Operations, 11 May 1948, IDFA 922\75\\1017.
- (757) 'Ephraim' Sub-district to 'Ya'akov', 'Report on Harassment Operation in "Rubin" ', 13 May 1948, IDFA 1041\49\\7.
- (758) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'Batani Sharqi,' 13 May 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, Batani al Sharqi village file, entries for 12 and 13 May 1948, HA 105\243.

- (759) Ayalon, Egyptian Invader, 82. HIS-AD, 'The Migratory Movement . . ., 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1) says '13 May 1948.'
- (760) Ayalon, War of Independence, 459-60.
- (761) 'Doron' to HIS-AD, 'Tapping Legion Radios', 20 May 1948, and 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'The Operation in the Village of Abu Shusha', 20 May 1948, both in HA 105\92 aleph.
  - تشير الرواية الرسمية للواء غيفعاتي بشكل غير قاطع إلى أنه تم إحلال وحدات اللواء مباشرة بعد الاستيلاء على القرية بمليشيات من كيبوتس غير، الذين تم احلالهم كذلك بقوات من لواء كرياتي، وكان المضمون هو أنه إذا كانت هناك مذبحة ارتكبت فإنها لم تكن على أيدي قوات لواء غيفعاتى. انظر:
  - Ayalon, "War of Independence", 460.
- (762) Ramle police station to Red Cross delegation, 21 May 1948, apparently the text of a HIS radio intercept, HA 105\31.
- (763) 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'The Interrogation of Women Prisoners in the Village of Abu Shusha', 24 Jun. 1948, HA 105\92 aleph.
- (764) 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'Weapons and Ammunition from the Village of Abu Shusha, and Prisoners', 21 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (765) Ayalon, War of Independence, 460.
- (766) HIS, Na'na village file, entries for 14 and 17 May 1948, HA 105\134.
- (767) Shaul Fogel, 'Report on the Attack on Gezer on 10.6.48', 13 Jun. 1948, IDFA 7011\49\\1.
- (768) Mahmud al Rifai, Lydda, to 'Ramallah', 16 June 1948, a radio intercept, HA 105\92 aleph.

- (769) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (770) Giv'ati, 'The Brigade's Operations', a list, IDFA 922\75\\900.

غادر الإسرائيليون الموقع وأعيد احتلاله من قبل العناصر غير النظامية إلى أن استولى عليه لواء يفتاح مرة أخرى في 6/5 يونيو 1948، وأوردت البالماخ أنه «قُتل أربعة عرب بالسكاكين» وألقي القبض على 20 آخرين، انظر:

Palmah HQ, 'Daily Report', 6 June 1948, IDFA 922\75\\1215.

- (771) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Conquest of Mughar,' 18 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and Ayalon, Egyptian Invader, 82.
- (772) 51st Battalion HQ to 'C' Company, 'Operational Order "Medina"; 17 May 1948, IDFA 170\51\\49.
- (773) 'Doron' to HIS-AD, 'The Conquest of the Sawafirs', 19 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (774) HIS, Sawafir al Gharbiyya village file, entry for 23 June 1948, and HIS, Sawafir al Sharqiyya village file, entry for 23 June 1948, both in HA 105\134.
- (775) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 23 May 1948, HA 105\31.
- (776) 'Report on Eavesdropping on Arab Transmissions on 18.5.48', HA 105\92 aleph.
- (777) Giv'ati, Desert and Fire, 45-47; and Rami Rosen, 'Col. G. Speaks Out', Haaretz, 16 September 1994.

وقام موشي غيفعاتي بتقديم وصف لمعركة أعقبتها مذبحة، أما بالنسبة إلى روزن فقد أجرى مقابلات مع عدد من قدامى منتسبي الهاغاناه؛ حيث عارضو جميعا كلمة «مذبحة» في حين أقروا بعمليات «قتل»، أو كما ذكر سمحا شيلوني (وهو أحد منتسبيها)؛ «لا أعتقد أنه يمكن وصف ما حدث هناك بأنه «مذبحة»... لكنه كان في حقيقة الأمر تصفية لبعض الذكور البالغين الذين تم القبض عليهم وفي حوزتهم أسلحة».

- (778) 'Ephraim' to Sarig, 'Summary for 14.5.48', IDFA 922\75\\1220; and HGS\Operations Logbook, entry for 14 May 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (779) 'Yisrael', 'Report of the Search through Burayr and Sumsum', 2 Jun. 1948, IDFA 2090\50\\10; unsigned, 'Daily Report for 31.5.48', IDFA 922\75\\1220; and HGS Logbook, entry for 1 June 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (780) Unsigned, 'Daily Summary 11.6.48', IDFA 922\75\\1220.
- (781) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . . 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).
- (782) Palmah HQ, 'Daily Report', 28 May 1948, IDFA 922\75\\1066; Sergei to Palmah HQ, 28 May 1948, KMA-PA 105 123; and Kan'ane and Almadani, 'Kaufakha', 42–44.
- (783) Arye Farda, Ya'akov Gavri, and Eliezer Frisch, the headmen of Dorot, Nir-Am and Ruhama, to Ben-Gurion, 4 Aug. 1948, ISA FM 2564\9.
- (784) Palmah HQ, 'Daily Report', 31 May 1948, IDFA 922\75\\1066. أعيد الاستيلاء على القرية التي كانت قد وقعت بشكل مؤقت في أيدي الجيش المصري في 18 أكتوبر 1948، انظر: IDF GS\Operations Logbook, entry for 18 Oct. 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (785) 6th Airborne Division Logbook, entry for 15 Dec. 1947, PRO WO 275-52.
- (786) Palmah HQ, 'Daily Report', 31 May 1948, IDFA 922\75\\1214; 'Oded' to Palmah HQ, 1 Jun. 1948, KMA-PA 105-122; and Farda, Gavri and Frisch to Ben-Gurion, 4 Aug. 1948, ISA FM 2564\9. يلاحظ أن رؤساء الكيبوتسات الثلاثة اشتكوا من طريقة المعاملة التي حظيت بها قرية هـوغ، وقد رد بن غوريون على ذلك بقوله: «آمل

أن تقـوم القيادة العامة بإيلاء اهتـمام لما ذكرة وه وتتجنب مثل هذه التصرفات غير العادلة وغير المبررة في المستقبل، وأن تقوم بتصحيح تلك الأشـياء التى تمت في الماضي بقدر الإمكان»، إلا أن بن غوريون تجنب إصـدار إدانة لعملية الطرد كما أنه لم يصـدر تعليمات لقوات الدفاع الإسرائيلية بالسماح للقرويين بالعودة أو بحماية ممتلكاتهم. انظر:

Ben-Gurion to headmen of Dorot, Nir-Am and Ruhama, 29 Aug. 1948, DBG Archive, Correspondence.

- (787) 'Na'im (Naaman)' to HIS-AD, 'Report on Zarnuqa', 30 Mar. 1948, HA 105\228.
- (788) HIS, Zarnuqa village file, entry for 4 Dec. 1947, HA 105\243.
- (789) HIS, Zarnuqa village file, entry for 10 May 1948, HA 105\243; and 'Doron (Shevah)' to HIS-AD, 10 May 1948, HA 105\217.
- (790) Ayalon, War of Independence, 595-97.
- (791) 'S.K.' to the editors, Al Hamishmar, undated but from early June, HHA-ACP 10.95.10 (4).

وقد أوضح المحرر أن الخطاب ليس للنشر وإنها موجه إلى قادة مابام المعنيين للقيام بعمل شيء ما، فقد كانت الهاغاناه تقوم بتصرفاتها بتحويل العرب الأصدقاء إلى أعداء، انظر كذلك:

Cisling's statement at Cabinet meeting, 20 June 1948, KMA-ACP 9.9.1.

- (792) HIS, Zarnuqa village file, entries for 26 and 30 May 1948, HA 105\243; and 'Doron' to HIS-AD, 30 May 1948, HA 105\92 aleph.
- (793) 'S.K.' to editors of Al Hamishmar, undated, HHA-ACP 10.95.10 (4); and Cisling statement in Cabinet meeting 20 June 1948, KMA-ACP 9.9.1.
- (794) HIS, Yibna village file, entry for 9 Sep. 1947, HA 105\134; and Ayalon, War of Independence, 598.

- (795) HIS, Yibna village file, entries for 15 March and 4 April 1948, HA 105\134; and 'Na'im (Elitzur)' to HIS-AD, 1 Apr. 1948, HA 105\92 aleph.
- (796) 'Doron (Naaman)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\217.
- (797) Ayalon, Egyptian Invader, 143.
- (798) Unsigned, "The Interrogation of Mahmud Ruzi (interrogated on 31.5)," and covering note 'Doron' to HIS-AD, 2 June 1948, HA 105\217.
- (799) Ayalon, Egyptian Invader, 143-47; and 'Testimony of Yosef Zekzer ('Yeshurun'), JI, IZL, kaf-4, 7\12.
- (800) Unsigned, 'Report on Observations and Information for 5.6.48', IDFA 2323\49\\6.
- (801) Giv'ati, "The Southern Front Assessment, Conclusions and Proposals', 2 August 1948, IDFA 957\51\\16.
- (802) IDF GS\Operations to Giv'ati and Sarig, 9 June 1948, IDFA 957\51\\16.
- (803) 'Dror' to Golani HQ, 17 May 1948, IDFA 128\51\\50; and Assaf Leshem to author, 22 May 1998.
- (804) Unsigned, 'Report on Search\Patrol Operation in the Villages', undated, IDFA 128\51\\32; and IDF GS Operations Logbook, entry for 8 June 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (805) 'Barak' Intelligence Officer, 'Report on Search\Patrol Operation in the Villages: Ma'dhar, Hadatha, 'Ulam, Sirin', 3 [sic, should be 4?] June 1948, IDFA 128\51\\32.
- (806) 'Oved, 'The Evacuation\Eviction from Villages in Ramat Yavniel' Kokhav Hatzafon, 21 Nov. 1997.

#### مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

كما أن هناك تقريرا آخر بتاريخ 5 يونيو يصف العملية ويتضمن النص على: طرد السكان المتبقين باستخدام الذخيرة الحية، وحرق مخازن الحبوب وتفجير عشرات المنازل... والدفع بالسكان إلى وادي بيره (إلى الجنوب من سيرين)، انظر:

'Barak' to Golani, 5 June 1948, IDFA 128\51\\50. وقد تم إفراغ تلك القرى (مدهر، حداثة، علم، سيرين) من سكانها خلال صيف هذا العام.

- (807) 'Barak' Intelligence Officer to Golani Intelligence Officer, 'Report on Search\Patrol [srika] in the Villages: Danna, al Bira, Kafra, Jabbul, Yubla, Murassas', 8 June 1948, IDFA 128\51\\32.
- (808) IDF GS operations logbook, entry for 8 June 1948, IDFA 922\75\\1176.
- (809) 'Tzipori' to Golani HQ, 11 Jun. 1948, IDFA 128\51\\32.
- (810) 'Dror', 'Report on the Lubiya-Sejera Operation', undated, IDFA 665\51\\2.
- (811) OC 'B' Company, Mobile Battalion ('Naftali'), 'Report on Acre [Area] Operations on Night of 5\6.6.48', IDFA 5942\49\\10.
- (812) Protocol of meeting of Mapam Centre, 11 May 1948, HHA 68.90 (1).

#### المؤلف في تسطور

## بيني موريس

- هاجر والداه إلى فلسطين في العام 1947، وولد في 8 ديسمبر 1948.
- عُين والده ديبلوماسيا في نيويورك العام 1957، حيث استقر فيها مع عائلته مدة أربع
   سنوات، ثم قضي فيها سنتين بدءا من 1963.
- لدى إنهائه المرحلة الثانوية التحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية وانضم إلى وحدة المظليين، وأنهى تجنيده قبل بدء حرب العام 1967 بقليل، وأرسلت وحدته إلى الجولان لكنها لم تشارك في عمليات القتال.
- درس التاريـخ في الجامعة العبرية في القدس وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج في العلاقات البريطانية الألمانية.
  - عند عودته إلى القدس، عمل لمدة اثنى عشر عاما بجريدة «جيروزاليم بوست».
- بعد عدة أبحاث، أصدر أول مؤلفاته عن نشوء مشكلة اللاجئين الذي نشرته جامعة «كمبريدج» العام 1988، وحظى بعده بشهرة كبيرة.
- في العام 1988 زاد صيته لرفضه الالتحاق بالقوات الاحتياطية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فسـجن ثلاثة أسابيع وأصبح الرافض الإسرائيلي (روفزنيك) رقم 39، وكان قد شـارك قبل ذلك «مرغما» في حرب لبنان (1982)، ومع الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية عام 1986 قبل بدء الانتفاضة الأولى.
- لدى خروجه من السـجن أطلـق مصطلح «المؤرخون الجدد» عـلى المؤرخين الذين أعادوا كتابة التاريخ الإسرائيلي.
  - عمل أستاذا في قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة «بن غوريون» بالنقب.
    - درّس عام 2005 في جامعة «ميريلاند» في الولايات المتحدة.

### المترجم في سطور

## أ. د. عماد عواد

- ديبلوماسي سابق في وزارة الخارجية المصرية.
- موظف دولي سابق منظمة الوحدة الأفريقية (الإدارة السياسية وحدتي تسوية المنازعات واللاجئين).
  - مستشار حقوق الإنسان لرئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية (لندن).
- حاصل على الدكتوراه من جامعة «باريس 2» بفرنسا، في العام 1990، حول موضوع «التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي» بتقدير امتياز.
- حاصل على درجة أهلية الإشراف على الأبحاث العلمية (أستاذ) من الجامعة نفسها
   العام 1994.
- نشر العديد من المقالات في صحف ودوريات عربية وأجنبية من أبرزها مجلة الدفاع الوطنى الفرنسية منذ العام 1985.
- نشر عددا من الكتب بلغات مختلفة أبرزها: «أي عملية سلام في الشرق الأوسط؟ دراسة في المقترب الإسرائيلي» (باللغة الفرنسية، باريس، 1988)، «الخطوط الحمراء: مفهوم السلام الإسرائيلي» (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2000)، «الشرق الأوسط وتحديات النظام الدولي الجديد» (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2004.
- أستاذ منتدب للعلوم السياسية بكل من جامعة القاهرة، وجامعة المستقبل، والجامعة البريطانية (جمهورية مصر العربية).

## سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة ، ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

- 1 الدراسات الإنسانية : تاريخ فلسفة أدب الرحلات الدراسات الحضارية تاريخ الأفكار .
- 2 العلوم الاجتماعية : اجتماع اقتصاد سياسة علم نفس جغرافيا تخطيط - دراسات استراتيجية مستقبليات .
- 3 الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي الآداب العالمية علم اللغة .
- 4 الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن المسرح الموسيقى الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .
- 5 الدراسات العلمية: تاريخ العلم وفلسفته، تبسيط العلوم الطبيعية (مع الاهتمام (فيزياء، كيمياء، علم الحياة، فلك) الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم)، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية - المترجمة أو المؤلفة - من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالى .

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته . وفي حالة الترجمة ترسل نسخة مصورة

# هذا الكتاب...

أثار هذا الكتاب، وقت صدوره، ضجة كبيرة داخل إسرائيل، لما تضمنه من حقائق صدمت الكثيرين، في إطار كتابات «المؤرخين الجدد» الذين قدموا روايات تختلف - بشكل جوهري - عها دأب المؤرخون والساسة اليهود على ترديده. تتضمن هذه النسخة المنقحة للكتاب العديد من العناصر من أبرزها وأهمها تتبعها جذور فكرة التهجير القسري للفلسطينين، من مدنهم وقراهم، في الأيديولوجيـة الصهيونيـة؛ وما توصلت إليه من نتيجـة مفادها أنه على الرغم من عدم وجود خطة ممنهجة لتحقيق هذا الهدف فإن الفكرة كانت حاضرة في أذهان القيادتين السياسية والعسكرية على السواء، ويؤكد ذلك بقاء المسؤولين من التشكيلات اليهودية العسكرية المتعددة الذين أقدموا على ارتكاب فظائع بحق الفلسطينيين بعيدا عن طائلة العقاب الرادع، مما عكس درجة من درجات الموافقة الضمنية على ما اقترُف بهدف الوصول إلى تحقيق هدف «الدولة اليهودية» أو الدولة الإسرائيلية التي تتضمن أقل عدد من العرب الفلسطينين. وفضلا عن ذلك يكشف الكتاب - من خلال الوثائق - عن كيفية تعاطى كل من القيادتين، السياسية والعسكرية، اليهوديتين مع ظاهرة النزوح الجماعي الفلسطيني، سواء من خلال تشجيعها أو السعى إلى التعجيل بحدوثها، باستخدام وسائل الضغط النفسي على المناطق المقرر اجتياحها.

على الرغم من صفة التأريخ التي تغلب عليه، يُعتبر هذا الكتاب مرجعا على درجة عالية من الأهمية، ليس للقارئ العادي فقط ولكن للساسة أيضا، من حيث تناوله هذا الملف الشائك؛ انطلاقا من وثائق يهودية رُفع غطاء السرية عنها، وسعيه إلى تبديد الغموض الذي أحاط به، سواء فيما يتعلق بنشأة المشكلة، أو الخلاف حول أعداد اللاجئين الفلسطينيين، أو محاولات استثمار المقترحات الأولية لتسوية قضيتهم لتحقيق مكاسب سياسية، ولعل في هذا ما يساعد الطرف العربي على دعم موقفه التفاوضي بالحجج القوية اليهودية المصدر، فضلا عن تجنب الوقوع في شرك تسويات قد تهدر حقوقه، وتقتصر على خدمة أهداف الطرف الآخر في الصراع.

ئے احادہ الرفع ہواسطہ مکتبتہ ہی مکر

ask2pdf.blogspot.com